الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر
جامعة تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

أثر ترتيب نزول القرآن الكريم في البناء العقائدي والسّلوك الحضاري للأمّة الإسلاميّة

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية
تخصص: العقيدة

إعداد الطالب:
علي عدلاوي

إشراف:
أ. د: خير الدين سيب

السّادة أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: محمد عباس	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د: خير الدين سيب	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د: محمد طول	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د: صالح نعمان	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د: الهواري يوسي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د: محمد بن شريف	جامعة تيارت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الاسراء مكّيَّة إلا الآيات 26و32و33و57 ومن آية 73 إلى غاية آية 80 فمدنية وءاياتها 111 نزلت بعد القصص ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَقُرْءَانا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

الإهداء

* إلى أهل الله وخاصته: حملة القرآن الكريم، وأخصّ بالذّكر معلّمي الأوّل: (الحاج بريهمات) رحمه الله تعالى

* إلى الوالد الكريم في عالمه الرحيب رحمه الله تعالى، وإلى الوالدة الكريمة حفظها الله وأطال عمرها، ورزقني برّهما وطاعتهما

* إلى الزوجة الكريمة والأولاد الأعزّاء: حبّا ووفاء

* إلى كلّ ذي رحم ومصاهرة: صلة واعتزازا

* إلى كل أخ في الإسلام: حبّا وتذكيرا

* وإلى كل ذي وشيجة إنسانية: بلاغا وشهادة..

كلمة شكـــر

أشكر جزيل الشّكر أستاذي الكريم: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور خير الدين سيب، الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الرسالة الميمونة بحول الله تعالى، والذي أحاطني من كريم اهتمامه، وخلاصة علمه، ونفيس وقته، حريصا على أن يخرج البحث في أبهى حلة، فله جزيل الشكر والتقدير..

والشكر موصول للسادة العلماء: أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، الذين تجشموا عناء متابعة هذه الرسالة وتصويبها.

كما لا أنسى كل من وقف إلى جانبي من قريب أو بعيد لإتمام هذا البحث المتواضع.

مقدّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات والصّلاة والسّلام على رسول الله وبعد:

فإنه لا يخفى على كل متابع للشأن العربي الإسلامي الحال التي تعيشها الأمة اليوم، من ضعف وتأخر طال كل دروب الحياة وشؤونها، سواء أتعلق الأمر بالجانب الديني أم الدنيوي على السواء، ممّا يستدعي تفكيرا جادا وطويلا، وعملا ميدانيا دؤوبا للخروج من هذه الأزمة، ومحاولة استعادة الأمجاد الغابرة، واللّحاق بالرّكب الحضاريّ الذي سبقنا بعشرات السنين .

إنه من الواجب على المصلحين من هذه الأمّة التزام المنهج القرآني والنبوي في بناء العقيدة وتقويم السلوك؟ فالقرآن الكريم نزل في مدة ثلاث وعشرين سنة يبني في هدوء ونظام، ويخطط بحكمة، فلم تنصرم تلك المدة المباركة إلا والعالم-آنئذ-قد استيقظ على بناء حضاري محكم متين، تمثل في أمة رسالية فريدة، ودولة متميزة رشيدة.

فتلك أمة وليدة سُرَّ لها صاحب المنطق السليم، والنفس الطيبة، فامتثل لها ورحَّب بها، وانضوى تحت لوائها، بل وحمل رايتها مبشرا بها العالمين.

هذا الانشغال هزّ كياني ودفعني للمساهمة في إصلاح الفرد المسلم ليتمكن من المشاركة في نهضة أمّته باختيار موضوع " **أثر ترتيب نزول القرآن الكريم في البناء العقائدي والسّلوك الحضاري للأمة الإسلامية** ".

1-أسباب اختيار الموضوع:

إن الدّافع الأساس لاختيار هذا الموضوع هو محاولة المساهمة-ولو بجهد المقلّ-في الكشف عن صلاحية تبني مشروع (ترتيب النزول) في عملية الاستئناف الحضاري للمسلمين، بناء على قاعدة(البناء التربوي العقائدي)، الذي مكث في العهد المكي مدة ثلاث عشر سنة كاملة، ثم استمر-بعد ذلك-في العهد المدني لمدة عشر سنوات. ثم استحضار واسترفاق القرآن المدني في بناء تصور للدولة الإسلامية العالمية، التي تكفّلت بقيادة البشرية من جديد.

2-أهمية الموضوع:

لا شك أنّ كل أمة تعيش في هوان وتخلف تحتاج إلى مراجعة شاملة لأحوالها العقدية والتشريعية والحضارية وغيرها، فهذه اليابان –على سبيل المثال–وجدت من أبنائها المخلصين النجباء من يشخص داءها تشخيصا دقيقا، ثم يصف لها الدواء الناجع، وتمثل ذلك – لديهم–في أمرين أساسيين:

أما أحدهما فيتمثل في: وجوب المحافظة على العقيدة اليابانية، والمتمثلة في القيم الروحية والثقافية.

والآخر في: ضرورة الانفتاح على لغة وحضارة الغرب الغالب، المتمثل خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالعمل الجاد الدءوب، مع الصدق والإخلاص للوطن، واللحمة الوحدوية تحقق لليابان في ظرف قصير تبوّء المكانة اللائقة بين أمم العالم.

وإن أمتنا المسلمة–اليوم–واحدة من أمم العالم المتخلف، الأمر الذي يقتضي تضافر جميع الجهود–كل من موقعه، وحسب قدرته– من أجل حجز موقع مهم في خارطة العالم، ومما ييسر هذه الغاية الكبيرة أن عوامل الإقلاع الحضاري كلها متوفرة بحمد الله عزّ وجل: جغرافيا ولغويا وروحيا وماديا...

ومن هنا اكتسى موضوع بحثنا تلك الأهمية، ذلك أنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما ذكر إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، متيمنا ومستلهما روح الوصية النبوية في حجة الوداع–فيما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ». وقد ورد الحديث بلفظ:« تَركتُ فِيكم الثَّقلين، ما إن تمسَّكتُم

بهما، لن تضلُّوا: كِتابَ اللهِ، وعِترتي أهلَ بيتي»، وقد اختلف العلماءُ في تصحيحه وتضعيفه، ولم يرِدْ في صحيح مسلم كما يظنُّ ويُردِّد البعض، ومردُّ العِترة إلى الكتاب والسُّنَّة.

3-الإشكالية:

إن ما صنعه النبي ﷺ من تكوين لأعظم أمة شهدها التاريخ، إنما اعتمد في ذلك على برنامج محدد، ومخطط مرسوم من رب العالمين سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الآيات المنزلة، التي كانت بمثابة اللبنات التي بني بها ذلك البناء الضخم الشاهق، الضارب في أعماق الوجدان، والممتد في سلوك الإنسان.

إن كل آية وكل سورة كريمة من كتاب الله العظيم كان نزولها محسوبا بدقة متناهية: زمانا ومكانا وموافقة لحال المتلقّي لها، وبهذا لاحظنا أن ترتيب النزول كان فلسفة محكمة

وحكيمة في عملية بناء الأمة الإسلامية عقديا وحضاريا، ومن هنا يطرح الإشكال التالي:

- كيف يمكن استثمار ما هو بحوزتنا من إرث روحيّ وفكريّ وحضاريّ عظيم؟

- ما هو الأثر التّربوي والرّوحي والسّلوكي الذي تركه ترتيب النزول في نفوس من عاشوه-وهم جيل الصّحابة عليهم الرضوان-الذين صدق فيهم وصف: (الأمة الإسلامية)، فكرا وسلوكا واقعيا؟

-كيف يمكن استثمار ذلكم الترتيب الكريم في عملية استنهاض القوى المركوزة في نفوس المسلمين اليوم، فينطلقوا في ميادين الحياة الدينية والدنيوية لاستئناف المدّ الحضاري، الذي انحسر طويلا بفعل الجهل والابتعاد عن مصدر العزّة والكرامة، وبفعل الغزو الاستدماري الذي طال أمده في بلاد المسلمين، فأحدث شرخا عظيما وجرحا غائرا لا يزال لم يندمل بعد؟

هذه الأسئلة الملحة يعدّ الجواب عنها-في هذه الرسالة المتواضعة-حلا للإشكال المطروح بتوفيق الله وعونه.

4-الدراسات السابقة:

عني علماء المسلمين قديما وحديثا بموضوع ترتيب الآيات والسور القرآنية حسب تنزّلها الكريم، كالإمام الزركشي في كتابه: (البرهان في علوم القرآن)، والإمام السيوطي في كتابه:(الإتقان في علوم القرآن)، والإمام الزرقاني في كتابه: (مناهل العرفان في علوم القرآن).

ومن المعاصرين من اهتم بهذا الفن، ومنهم الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه:(التبيان في علوم القرآن)، والشيخ منّاع القطّان في كتابه: (مباحث في علوم القرآن)، والعنوان نفسه للدكتور صبحي الصالح، بالإضافة إلى: (نظرات في علوم القرآن) للشيخ محمد الغزالي، وغير هؤلاء كثير، وإنما ذكرنا هؤلاء على سبيل التمثيل لا الحصر.

وقد رأينا لبعض العلماء المعاصرين اهتماما خاصا بموضوع: (الترتيب النزولي للقرآن الكريم)، فوضعوا فيه تفاسير مهمة، ولاحظوا فيه فلسفة البناء العقائدي والسّلوك الحضاري للفرد والمجتمع المسلم. ويعدّ هذا أمرا مستحدثا في علم التفسير، وقصدهم وضع القارئ في الإطار التاريخي للتنزّل الكريم من جهة، ومن جهة أخرى استثمار (خطة وحكمة وبركة) ترتيب النزول في تربية الأمة روحيا وسلوكيا. وليس القصد معارضة الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم، الذي يعدّه العلماء أمرا تعبّديا يجب الالتزام به.

ومن أولئك عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني–من سورية– في تفسيره الموسوم ب: (**معارج التفكر ودقائق التدبر**)، وهو تفسير مرتّب حسب ترتيب النزول من طبع دار القلم بدمشق، وقد صدر منه خمسة عشر مجلدا، حيث استوفى فيه الشيخ رحمه الله السّور المكّيّة فقط، ولما شرع بالسور المدنيّة توفّاه الله تعالى، في الشهر الثامن من سنة2004م.

وقد سبق الشيخ الميداني في هذا اللون من التفسير عالم آخر من سورية أيضا، وهو الشيخ ملاّ حويش، ففسر القرآن حسب ترتيب النزول أيضا في كتابه: (**بيان المعاني**

على حسب ترتيب النزول)، وهو مطبوع في دمشق في مطبعة الترقي عام 1384هـ/1964م. ويقع في ستة مجلدات كبار، يتجاوز الواحد منها الستمائة صفحة من الحجم الكبير. وللأستاذ محمد عزة دروزة تفسير شامل للقرآن نحا فيه هذا المنحى، وعنونه ب: (**التفسير الحديث**)، في عشرة مجلدات، وصدرت له طبعتان: الأولى: عام 1964م في القاهرة بمطبعة عيسى البابي الحلبي، وهي طبعة نفيسة، والثانية–وهي المنقّحة المصحّحة عن نسخة المؤلف– صدرت عام: 2000م، عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، وقد كانت وفاته رحمه الله عام 1984م.

وقد بحث منهجه – في رسالة علمية بعنوان: (**محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم**)– الدكتور فريد مصطفى سلمان، مبرّرا جدوى هذه الطريقة في التفسير، مستشهدا بقول دروزة: (إن هذه الطريقة تفيد القارئ في تتبّع سور التنزيل القرآني مرحلة فمرحلة، والاستشعار بجو هذه السور، حيث يكون هذا الترتيب أدعى لتفهم القرآن وحكمة التنزيل، كما أنه يتّسق مع المنهج الذي أعتقده الأفضل لفهم القرآن وخدمته".

وقد صدر حديثا عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب: (**فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول**) للدكتور محمد عابد الجابري، سيرا على منهج من ذكرناهم آنفا.

كل هذه الدراسات تناولت الموضوع من جانب معيّن ويغلب عليه الطابع النظري والتاريخي، وما ذُكر عن الأثر أو الدّور في الحياة العمليّة فقليل جدا، ولم أقف فيما اطّلعت عليه على العنوان الذي اخترته للدراسة فعزمت على سبر أغواره مستعينا بالله تعالى.

5- منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي والتحليلي، بغرض جمع المعلومات من مضانها، مع وصف وتحليل للمواقف والأحداث.

وقد عولت على ترتيب السور الكريمة حسب ترتيب نزولها الكريم، لأن ترتيب الآيات كلها حسب النزول لم نعثر عليه، حتى وإن وجد بعضها، مثل آيات تحريم الخمر والربا..

وقد تبنّيت في ذلك ترتيب نسخة "مصحف رودوسي قدور بن مراد" على رواية ورش من قراءة الإمام نافع، والمطبوع بدار الثّعالبية بالجزائر العاصمة سنة1937م، الذي يذكر في رأس كل سورة كريمة منها رقمها في المصحف ورقمها في التنزيل، وقد رقّمتُ الآيات حسب هذه النسخة أيضا.

6- خطة البحث:

رأيت أن معالجة موضوع البحث ينبغي أن يكون وفق خطة تضم مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

خصّص الفصل التمهيدي لعرض عام حول المفاهيم الدينية والقيم السلوكية التي كانت تميز المجتمع العربي الجاهلي، سواء أكانت إيجابية فحافظ عليها الإسلام وثمنها كالتحنّف والكرم والشجاعة وغيرها..، أم سلبية أنكرها القرآن وحاربها، كعبادة الأوثان وشرب الخمر ووأد البنات وغيرها..والغرض من ذلك بيان أن العرب كانوا – فعلا –

أهلا لحمل رسالة الإسلام، لما امتازوا به من أخلاق رفيعة، وكذا مدى النعمة التي انتشلتهم من وهدة الجهل والظلام، التي كانوا يعيشونها.

ثم جاء الفصل الأول حول مفهوم القرآن وما اشتمل عليه من علوم، مع بيان فضله على اللغة العربية، التي ازدادت به جمالا ورفعة، ثم تطرقت إلى بيان خصائص الترتيب المصحفي، الذي تعبّدنا به رب العزة، من الفاتحة إلى الناس، ولاحظت فيه جانب المناسبة، بين السور والآيات معا، ومثّلت لذلك بعدة أمثلة، كما أنني نوّهت بشأن البحث في "مواضع الآيات في السور"، وقصدت بها: بيان أهمية البحث في مواضع الآيات المكّيّة في السّور المدنيّة، ومواضع الآيات المدنيّة في السّور المكّيّة، وقد مثّلت لكل من الموضعين بمثالين –فقط–خشية الإطالة.

أمّا الفصل الثاني فتناول فلسفة البناء العقائدي، التي رسمتها السور المكية والمدنية على السواء، حسب ترتيب النزول، وفي هذا الفصل انتقيت مجموعة من العناوين المهمّة في بناء العقيدة والتزود بالعبادة، واخترت لها ما يناسبها من الآيات الكريمة، المرتّبة في السور حسب النزول، وقمت بتحليلها أدبيا وفكريا، مع الاستشهاد ببعض النصوص النبوية، والشواهد النثرية والشعرية، والنماذج العملية التي آثرتُ أن تكون من المجتمع النّبويّ، فهو– بحق – يمثّل: (الأمة الإسلامية)، التي قال عنها رب العزة: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾، البقرة/143. وقال فيها: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾**﴾،آل عمران/110.

كما أنّني عرضتُ في الفصل الثالث الجانب السّلوكي والتشريعي، وبيّنت فلسفة القرآن الكريم في التدرّج الحكيم في تشريع الأحكام العملية، سواء أتعلق الأمر بالأخلاق العملية، أم القوانين التشريعية، التي أسّست للدولة الإسلامية العالمية، واخترت بعض النصوص القرآنية مرتّبة حسب نزول سورها الكريمة، مع التّدليل والتّمثيل، ولم أشأ فصل الوصف والتحليل للآيات المنتقاة عن شواهدها وأدلّتها حتى تتم الفائدة المرجوّة من البحث.

وخاتمة حاولت فيها رصد أهم نتائج البحث.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الأغواط في : 07 من شعبان 1434 هـ الموافق لـ : 16 جوان 2013م.

الفصل التمهيدي:

ملامح المجتمع العربي في العصر الجاهلي
(المعتقد والسّلوك)

المبحث الأول: الجذور التاريخية للعرب

المبحث الثاني: الدين في حياة العرب

المبحث الثالث: السّلوك الاجتماعي للعرب في العصر الجاهلي

الفصل التمهيدي: ملامح المجتمع العربي في العصر الجاهلي(المعتقد والسلوك)

جدير بالذكر إلقاء نظرة على حياة العرب في العصر الجاهلي، سيما ما تعلق بالجانبين: العقائدي والسلوكي، لنكتشف جوانب إيجابية مكنت الرسول ﷺ وصحابته الكرام عليهم الرضوان من استغلالها في تبليغ دعوة الإسلام، وجوانب أخرى سلبية عكست مدى الجهاد العظيم الذي قام به الرسول وصحبه لانتشال أولئك الجهلة من براثن الضلال المبين.

وهذا الأمر يدعونا لفتح صفحة العصر الجاهلي وقراءة ما فيها من ذينك الجانبين، والغرض هو وضع القارئ في الإطارين: الزماني والمكاني لهذه الرسالة.

المبحث الأول: الجذور التاريخية للعرب

قبل الحديث عن الحياة الدينية والاجتماعية للعرب قبل بزوغ فجر الإسلام يجدر بنا أن نتطرق إلى بيان أصل العرب وموطنهم الذي كان بيئة صالحة لاحتضان أعظم رسالة سماوية شهدها الوجود.

المطلب الأول: أصل العرب وموطنهم

أولا: معنى كلمة (عرب)

أطلق سكان بلاد الرافدين كلمة (الغرب) على العرب، وذلك بسبب إقامتهم في البادية الواقعة في الناحية الغربية من بلادهم، والمسماة عندهم بأرض(عربي).

وقيل أنها مشتقة من لفظة (عرب)، التي اشتقت هي الأخرى من كلمة (أرابا) العبرية، وتعني الأرض الدكناء، أو المغطاة بالكلأ، وذلك يعكس حالتهم الاجتماعية القائمة على الترحال، ابتغاء العشب والماء. وقيل أنها اشتقت من كلمة (إرب) التي تعبر عن الحرية وعدم الخضوع لنظام ما، وكذلك كان العرب أحرارا أعزة النفوس.ويرى بعض المؤرخين أنها –يعني كلمة العرب– منسوبة إلى يعرب بن قحطان [1].

---

[1] هو أبو قبائل اليمن كلهم، وبنوه العرب العاربة. قال وهب بن منبه: "يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدح ووصف وقص وشبب". مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاما، ينظر: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986م، ج8، ص192.

وذكروا للأصمعي أن يعربا كان أول من نطق بالسجع في العربية، ونطق بأفصحها وأوجزها.

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

تَعَلَّمْتُمُ مِنْ منْطِقِ الشّيخِ يعْربِ أبِينَا فَصِرْتُم معربين ذَوِي نفــرِ
وَكُنْتُم قَدِيماً مَا بِكُم غَيْرَ عجْـمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُم كَالْبَهَائِمِ فِي القَفَرِ[1]

ثانيا: أصل العرب

ساميون، وبحكم الترحال طبع العرب كل منطقة حلوا بها بالطابع السامي، كالعراق والشام وشمال إفريقيا.

ثالثا: موطن العرب

كانت الجزيرة العربية موطن الشعوب العربية، وقد سميت كذلك لأن الماء يدور بها من جهاتها الثلاث: (جنوب،شرق،غرب)، وتعد أكبر شبه جزيرة على وجه الأرض، ويرى علماء الجيولوجيا أنها كانت في العصر الجليدي مروجا خضراء [2].

وقد قسمت الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام، وهي:

1- **تهامة:** ويقال لها الغور، وهي الأراضي التي على شاطئ بحر القلزم، ممتدة عرضا إلى سلسلة جبال السراة، وسموها تهامة لشدة حرها وركود ريحها، وسميت غورا لانخفاض أرضها.

---

[1] صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق ، ط1،1987م، ج1، ص465، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط4، 1422هـ /2001م، ج1، ص15.

[2] وهذا من الإعجاز الغيبي والعلمي في السنة النبوية، **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا »**،رواه الإمام مسلم في صحيحه: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (دط.دت)، كتاب الزكاة في: (بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا)، رقم 157، ج2 ، ص701.

ففي الحديث إخبار بالغيب بأن أرض العرب كانت مروجا خضراء، وفيه إعجاز علمي،حيث أنها ستعود كما كانت مروجا،رغم أنها على عهده وإلى اليوم صحراء، وعلماء الجيولوجيا أكّدوا هذه الحقيقة،كما سيأتي بيانه في الإعجاز العلمي في السنة النبوية في آخر مباحث هذه الرسالة، ص 406-408.

2- **الحجاز**: وهو سلسلة جبال السراة الممتدة من أقصى اليمن الى الشام، وتقطعها الوديان في بعض جهاتها، وإنما سميت حجازا، لأنها حجزت بين الغور ونجد.

3- **نجد**: ويبتدئ-جنوبا-من أدنى حدود اليمن، وينتهي إلى السماوة، وسمي نجدا لارتفاع أرضه.

4- **اليمن**: وهو ما كان جنوبي نجد إلى ساحل بحر الهند، ويمتد شرقا إلى حضرموت.

5- **العروض**: ويشمل بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما، وسمي عروضا لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق."ويرى كثير من العلماء أن المهد الأول للعرب القدماء كان شبه جزيرة العرب، ويؤيد هذا الرأي رينان الفرنسي، وبروكلمان الألماني، وديجوج الهولندي، ورايت الإنجليزي، والألماني ونكلر، وهذا هو أصح الآراء، وأكثرها اتفاقا مع حقائق التاريخ، وأصحاب هذا الرأي يستدلون على صحة رأيهم بأن الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائما من بلاد نجد والحجاز واليمن وإلى بلاد الشام والعراق.

ويؤيد هذا القول أيضا الظواهر اللغوية، واصطباغ ذلك بصفة مشتركة هي (الصحراء) وحياة البداوة، مما يدل على أن العرب القدامى نشأوا في بيئة صحراوية كنجد والحجاز".

وقد مارس سكان الجزيرة الزراعة في المناطق المستقرة،وأما سكان السواحل فعاشوا على صيد الأسماك،كما مارس سكان المدن التجارة و الحرف [1].

وقد كانت الجزيرة قليلة الماء كثيرة الجفاف، وكانوا يطلقون على ذلك (السنة)، فيقولون:"أصابتنا سنة أتت على الأخضر و اليابس"،ومن أجل ذلك كثر ترحالهم طلبا للكلأ والماء، وليس في الجزيرة غابات ولا أنهار جارية.

وفي الجنوب والشرق وقرى الحجاز واليمامة تكثر الزروع والثمار، وتعد (النخلة) أهم

---

[1] ينظر: الموجز في التاريخ العربي، جمال هاشم الذويب، محمد حسين الزبيدي، دار الكتب الوطنية، بني غازي، ليبيا، (د.ط)، 1997م،ص18،19،20،24، أطلس التاريخ العربي الإسلامي شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط12، 1425هـ/2005م، ص4.

الأشجار في الجزيرة كلها [1].

المطلب الثاني: طبقات العرب

قسم المؤرخون العرب إلى ثلاث طبقات، وهي:

أولا: العرب البائدة

وهي الشعوب القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب، ثم بادت ودرست أخبارهم، مثل: طسم وجديس وعاد...وغيرها.

ثانيا: العرب العاربة

وهي العرب الباقية، وينسبون إلى (قحطان)، وكان موطنهم اليمن.

ثالثا: العرب المستعربة

وسموا بالمستعربة لأن إسماعيل عليه السلام لما نزل بمكة كان يتكلم العبرانية، فلما صاهر اليمنية تعلم العربية.

وجميع النسابين يعدون إسماعيل أبا للعرب، ويسميه العرب: (عرق الثرى)، تعبيرا عن رسوخه وامتداده، وقالوا إنما سمي بذلك لأن أباه إبراهيم عليه السلام لم تضره النار كما لا تضر الثرى [2]. ومن نسل إسماعيل عدنان [3]، ومن نسل عدنان محمد ﷺ.

*** العرب (بدو وحضر):**

فالبدو هم الذين يقيمون في البادية، مساكنهم بيوت الشعر، ولا يصفو عيشهم إلا في ذلك الجو الفسيح، غذاؤهم اللبن ولحم الجزور، ويطلق عليهم تسمية (الأعراب)، ويغلب

---

[1] تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (دط.دت)، ص 17، 21، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، محمد الخضري بك، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط.دت). ج1، ص6،7.

[2] ينظر: الموجز في التاريخ العربي،ص 24، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)،1998م،ص497،أطلس القرآن(أماكن،أقوام، أعلام)،شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1، 1420ه/2000م ،ص43-45،باختصار.

[3] هو أحد من تقف عندهم أنساب العرب، والمؤرخون متفقون على أنه من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وإلى عدنان ينتسب معظم أهل الحجاز، ولهم انتشار في العراق واليمن، الأعلام، الزركلي، ج4، ص218.

على خلقهم البساطة وجفاء الكلام والطبع.

ولأن معيشتهم كانت على الطبيعة فقد اشتقوا منها كثيرا من الصفات، وتسموا بأسماء الحيوان، مثل: بنو أسد وبنو فهد وبنو كلب، وثور وذئب وظبيان، وتسموا بأسماء الطيور، مثل: عقاب ونسر، ومن النبات اشتقوا اسم: حنظلة، بل وحتى من الحشرات والزواحف، مثل: حنش وحية.

ومن غريب أمرهم أنهم كانوا يسمون أبناءهم بقبيح الأسماء، أما عبيدهم فبأحب الأسماء، وقد سئل أحدهم-وهو أبو الدقيش الكلابي-:"لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟"، فقال:"إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا".

أما الحضر فهم سكان المدن، وقد اشتهرت الجزيرة العربية بمدن كثيرة أغلبها كان ببلاد اليمن،كمأرب وصنعاء وصعدة وعدن وغيرها، وقد وجد بعضها في مكة والطائف والمدينة وخيبر وغيرها. والحضر ألين عريكة وألطف نفوسا من البدو، وكانوا لا يبرحون مساكنهم لا في صيف ولا في شتاء، خلافا للبدو الذين لا يكادون يستقرون في موضع واحد، طلبا للمراعي الخصيبة [1].

وقد أقام بعض العرب على مشارف بادية الشام أو تخوم فارس ضمن المناطق الخاضعة للروم البيزنطيين أو الفرس، وعنهم اقتبسوا التنظيم السياسي و الإداري.

---

[1] ينظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ص16، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص457، 458.

المطلب الثالث: مدن و ممالك العرب

وقد اشتهرت عدة مدن وحكومات وممالك للعرب في قلب الجزيرة العربية، وعلى الأطراف، نذكر منها [1]:

أولا: مملكة الأنباط

وعاصمتها آنذاك البتراء، بين تدمر وغزة واليمن والخليج العربي.

ثانيا: مملكة تدمر

شرقي حمص.

ثالثا: دولة المناذرة

بالحيرة في العراق، وكانت موالية للفرس، وكان آخر ملوك المناذرة النعمان بن منذر، الذي مات عام(602م)، وقد سجل التاريخ في عهدهم موقفا مشرفا للعرب حين انتصروا على الفرس في موقعة عظيمة سميت (ذي قار) [2]، وقد ورد بشأنها حديث شريف، فعن بشير بن يزيد الضبعي قال: قال رسول الله ﷺ يوم ذي قار: « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ، مِنَ الْعَجَمِ » [3].

رابعا: دولة الغساسنة

في البلقاء على مشارف الشام، موالية للروم، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم.

خامسا: دولة كندة

في نجد، وأشهر ملوكها الحارث بن عمرو: (495–528م)، وكان من أحفاده امرؤ القيس: أشهر شعراء العرب قبل الإسلام.

---

[1] التشريع والفقه في الإسلام(تاريخا ومنهجا)،مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6،1406ه/ 1985م، ص31، الإنسان العربي والتاريخ، أنور الرفاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان،(د.ط)،1971م، ص113.

وفي بسط الكلام حول دول و ممالك العرب يراجع: الإنسان العربي والتاريخ، من الصفحة 113 إلى غاية ص138.

[2] ذي قار: معركة قبيل مولد النبي ﷺ، بين إياس بن قبيصة حاكم الحيرة،تؤيده حكومة فارس،وبين العرب،فكان النصر للعرب،تاريخ الإسلام،حسن إبراهيم،دار الأندلس،بيروت،ط7، 1964م،ج1،ص39.

[3] رواه سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، واللفظ له في المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل،العراق، ط2 ، 1404هـ / 1983م،رقم 1238، ج2 ،ص 46.

سادسا: مكة المكرمة [*] (مولد ومنشأ النبي الأكرم محمد ﷺ)

تقع بين اليمن والشام، وهي عبارة عن واد من أودية السراة، تحفه الجبال الجرداء من كل جانب، وصفها ربنا: ﴿ **بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ** ﴾ [1]، وكانت أكبر مركز تجاري وديني للوثنية الجاهلية، ويقال أن سكانها –في غابر الأزمنة–كانوا قبائل من جرهم [2] وبقايا من الأمم البائدة، ثم استوطنتها خزاعة [3] اليمنية.

وفي حدود منتصف القرن الخامس الميلادي استولى عليها قصي بن كلاب ومعه قبيلة قريش [4] فأخرجوا منها خزاعة، وكان ينزل بها بيزنطيون و فرس للتجارة، وكانت أسواقها مشرعة للتجارة و الأدب و المنافسة الشعرية، وكان بها دار الندوة–بمثابة مجلس الشيوخ في النظم اليونانية والرومانية الأولى–، و قد اشتهر فيها بيتان بالثراء، و هما: الأمويون و المخزوميون.

–

(*) أورد السيد عبد العزيز سالم في سبب تسمية مكة و اشتقاقها أقولا كثيرة، نذكر منها:

أ/ لأنها تمك الجبارين، أي تذهب نخوتهم.

ب/ لأن العرب عند حجها كانت تمك فيها،أي تصفر صفير المكاء حول الكعبة،و(المكاء) بتشديد الكاف طائر يأوي الرياض.

ت/ سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها،وهي في هبط بمنزلة المكوك.

ث/ كانت مكة قديما تسمى مكرب أي (مقدس)،ثم تحول إلى مكة،تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 346، 349.

(1) سورة إبراهيم/37.

(2) جرهم: قبيلة قحطانية كانت تسكن اليمن،ثم هاجرت إلى الحجاز،وسكنت مكة المكرمة،وفدوا على إسماعيل وأمه هاجر وصاهرهم.وكانت ولاية الكعبة في جرهم حتى انتزعها منهم خزاعة،ودامت لهم ثلاثة قرون،ثم انتقلت إلى قريش،أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة (أماكن،أقوام)،شوقي أبو خليل،دار الفكر،دمشق، سورية،ط4، 1426هـ/2005م،ص120.

(3) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية،كانوا بأنحاء مكة المكرمة،في مر الظهران وما يليه (..) ومن بطونهم (بنو المصطلق).ومن أصنامهم (مناة)،كان لهذيل وخزاعة.يقال:خزع عن أصحابه:تخلف عنهم في مسيرهم،أطلس الحديث النبوي، ص161.

(4) قريش: تصغير القرش،وهو الجمع من هاهنا وهاهنا،ثم يضم بعضه إلى بعض،وسميت قريش لأنهم كانوا أصحاب تجارة،والقرش: الكسب.وسميت قريش باسم قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة.سكنت قريش مكة المكرمة،وأهم بطونها: أمية،ونوفل،وزهرة،ومخزوم،وأسد،وجمح،وسهم،وهاشم،وتيم،وعدي،أطلس الحديث النبوي، ص306.

وكان المجتمع المكي متألفا من فصيلين من قريش:

أولهما: قريش البطاح، الذين ينزلون حول الكعبة، وهم:(بنو هاشم–قوم النبي محمد ﷺ– وبنو أمية، ومخزوم، وتيم، وعدي، وجمح، وسهم، وأسد، ونوفل، وزهرة، وكان هؤلاء هم أصحاب النفوذ فيها).

وثانيهما: قريش الظواهر، الذين ينزلون وراءهم و(معهم أخلاط من صعاليك العرب، والحلفاء، والموالي، والعبيد، وكان أكثرهم من الحبشة)، ويظهر أنهم كانوا كثيرين جدا، والدليل أن هند بنت عبد المطلب أعتقت في يوم واحد أربعين عبدا من عبيدها، وكانوا يقومون على حرف ومهن عديدة.

وقد كان المكيون يقومون على سدانة الكعبة وخدمة الحجيج، والقيام على تجارة القوافل، ولا سلطان لعشيرة –في ذلك–على عشيرة.

*** الكعبة: (البيت الحرام)** (*)

عظم العرب كلهم الكعبة البيت الحرام ، والتي رفع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قواعدها، وفي ركن منها يوجد الحجر الأسود الكريم (الأسعد).

وقد تعرضت الكعبة المشرفة لعوادي الزمان ، فتهدمت مرات عديدة، وفي كل مرة يعاد بناؤها، وقد ورد في السيرة النبوية أن النبي ﷺ – قبل البعثة – شارك قومه في إعادة بناء ما انهدم منها بعد ما أصابها سيل جارف [1].

وقد كانت مكة المكرمة ملاذا للأمن، وكانت تسمى (صلاح)، وفي ذلك يقول حرب بن أمية:

أبا مطَر هَلُمَّ إلـى صـــــلاحِ فَتَكْفِيَكَ النَّدَامـى مِنْ قريـــشِ
فتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعيشَ فيهم أبا مطـــر هُدِيـتَ لخيْرِ عَيـــشِ

(*) وتطلق عليه الأسماء التالية: الكعبة المشرفة،البيت،بيت الله،البيت الحرام،البيت العتيق،القبلة،ينظر:أطلس السيرة النبوية،شوقي أبو خليل،دار الفكر،دمشق،سورية،ط4، 1425هـ/2005م،ص253.

(1) ينظر: الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية)،صفي الرحمان المباركفوري،دار الكتاب الحديث، القاهرة،مصر، ط2002،1م،ص52، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية،ص 16.

وتَنْزِلَ بَلْدَةً عزَّت قَدِيماً وتأمَنَ أن يَزُروَكَ ربٌّ جيشِ [1]

وكانت تكسى مما يهدى لها من الأثواب وتطيب المجامر والعطور.

ولم يتجرأ أحد على انتهاك الكعبة سوى أبرهة الأشرم الذي سبق له أن بنى كنيسة القليس، على أعظم ما يكون البناء ليصرف الناس عن الكعبة، فلما لم يفلح في ذلك جهز حملته لهدمها، فكان من أمره ما قصه المولى تبارك وتعالى في سورة الفيل: ﴿ **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۞** ﴾ [2].

ويذكر السيد عبد العزيز سالم أن سبب حملة أبرهة الحبشي على الكعبة هو أن أحد العرب ويدعى فقيم بن عدي دنس كنيسة القليس ببعض القاذورات، انتقاما لما فعله أبرهة بعرب اليمن، الذين استذلهم وسخرهم لبناء الكنيسة. ثم ذكر أن أبرهة لما أتم بناءها أبرق إلى النجاشي بقوله:"إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب".

وقد دخلت الأوثان إلى هيكل الكعبة من خزاعة، حتى بلغ عددها-يوم فتح مكة- ثلاثمائة وستون صنما، متعددة الأشكال والحجوم والمادة.

وكان للعبادة في الكعبة مراسيم معينة،فيحج الناس إليها في التاسع من ذي الحجة فيحرمون ويطوفون ويلبون ويرمون الحجارة ويتمسحون بالأنصاب والأوثان،ويهدون ثم ينصرفون [3].

---

[1] كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ/1996م، ج3، ص141.

[2] سورة الفيل، الآيات/01-05.

[3] ينظر: تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)،ص 49، 52،ص165،والإنسان العربي والتاريخ،ص 142، 144.

سابعا: يثرب [*] (المدينة المنورة: مهاجر النبي الأعظم محمد ﷺ)

تقوم المدينة في وادي خصب، بها آبار وعيون كثيرة، وهي عبارة عن واحة جميلة تكتظ بالنخيل والأشجار والزروع، مع الجو المعتدل، وتشتد بها الحرارة صيفا.

ويقال أن العمالقة أول من سكنوا المدينة، ثم نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي، وقد اتخذوا العربية في حياتهم اليومية، وإن ظلوا يحتفظون بالعبرية في طقوسهم الدينية، وقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغتهم، وظهر بينهم غير شاعر بالعربية مثل كعب الأشرف.

وقد ظل هؤلاء اليهود مسيطرين على المدينة حتى وفدت عليهم قبائل الأوس [1] والخزرج [2] الأزدية من الجنوب، فأصبحوا هم سادتها الحقيقيين، وقد اتخذوا العربية الشمالية لسانا لهم، وكانوا وثنيين يحجون إلى مكة وأوثانها، مثلهم مثل بقية العرب، ولم يكونوا يعتمدون على التجارة مثل المكيين، وإنما اعتمدوا على الفلاحة والزراعة، بينما كان اليهود يقومون على التجارة والحرف والصناعات، وخاصة صناعة الأسلحة والأقمشة.

---

[*] وفي سبب تسمية (يثرب)أقوال،نورد منها التالي:

أ/ نسبة إلى (يثرب) بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح،وهو أول من نزلها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام.

ب/ مأخوذ من (الثرب):بمعنى الفساد،أو التثريب:أي المؤاخذة بالذنب،وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها يثرب،وسماها (طيبة)و(طابة)،كراهية للتثريب.وقد سماها المسلمون بعد الهجرة (المدينة المنورة)،لأنها تنورت بالإسلام وبالرسول ﷺ ،ينظر:تاريخ الأدب العربي،ص 384.

[1] الأوس: كانوا يسكنون اليمن،ثم تحولوا إلى المدينة المنورة،وكان صنمهم في الجاهلية:(مناة).كان منهم في بيعة العقبة الأولى اثنان،وفي بيعة العقبة الثانية أحد عشر،واشترك منهم واحد وستون في بدر الكبرى،أطلس الحديث النبوي، ص54.

[2] الخزرج: قبيلة من اليمن أيضا،هاجرت إلى المدينة المنورة،واستقرت بها منذ القرن الخامس الميلادي،أطلس الحديث النبوي،ص162.

وكان لليهود في شمال المدينة قرى خاصة بهم، أشهرها خيبر [1]، وما زالوا بها حتى أخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الجزيرة فأصبحت عربية خالصة [2].

هكذا، فقد كان لحركة التجارة والاختلاط بالفرس والروم والاحتكاك والتعايش مع اليهود والنصارى الأثر الكبير في تمدن وتثقيف العرب الى حد ما، وإن كان العلامة عبد الرحمان بن خلدون يرى خلاف ذلك حين يقول: "..وذلك أنهم-أي العرب-بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعبث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقفر، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم(..)، إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب والسبب في ذلك: أنهم أمة وحشية(..)، فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران(..)، أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض(..)، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم(..) ، لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة" [3].

المطلب الرابع: اللغة العربية و الخط العربي

تعد اللغة العربية إحدى أهم المقومات القومية للعرب، وهي من أرقى اللغات السامية وأغناها بالمترادفات والمرونة، وكثرة مشتقات ألفاظها، مع سهولة التعبير،كما تمتاز بسحر البلاغة والبيان، وقد بلغت درجة عالية من النضج قبل الإسلام، بدليل الكم الهائل الذي وصلنا من أدب عصر الجاهلية، والمتمثل في الخطابة والشعر والقصص والأمثال والحكم...وقد كانت اللهجات العربية الشمالية في العصور القريبة من ظهور الإسلام ذات سلطان قوي ونفوذ واسع، فساعدها ذلك على ابتلاع اللهجات العربية الجنوبية الواحدة تلو الأخرى حتى غدت اللغة الموحدة لجميع العرب، والتي هي اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم.

---

(1) خيبر: حصون(خيابر)شمال المدينة المنورة لمن يريد الشام(170كم)، منها حصن: ناعم، والشق، والنطاة، والسلالم،والوطيح،والكتيبة.فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة، في أول المحرم سنة7هـ، مع فدك، ووادي القرى، وتيماء، أطلس الحديث النبوي، ص5.

(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي، ص 53، 54، والإنسان العربي والتاريخ، ص145.

(3) المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2007م، ص 161، 162، 163 باختصار.

وقد أخذ العرب خطهم من بني عمومتهم الأنباط، الذين كانوا يجاورون عرب الحجاز في تبوك، وعند ظهور الإسلام تطور الخط النبطي[1] المتأخر، وهو خط متولد من القلم الآرامي، المتفرع عن الخط الفينيقي.

وقد ساعدت المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في النمارة وزبد وحران على أن القلم العربي قريب من الكتابة النبطية المتأخرة التي اكتشفت في البتراء، وفي غيرها من بلاد شبه جزيرة سيناء.

والجدير بالذكر أن الخط السرياني قد ساهم –منذ القرن الخامس الميلادي– في استكمال عملية تطور الخط العربي.

ويذهب الباحثون إلى أن الخط العربي قد أخذ حرف الضاد من (خط المسند) أو من الخطوط التي اشتقت منه، ومن المعروف أن أهم ما يميز اللغة العربية والخط العربي هو وجود هذا الحرف فيها، حتى عرفت بأنها لغة الضاد [2].

–

[1] الأنباط: شعب عربي قديم عاش ما بين شبه جزيرة سيناء وحوران،كانت لهم حضارة ما زالت آثارها تتمثل في أطلال مدينة البتراء في الأردن،التي كانت مركزا لتجارة القوافل بين مصر والجزيرة العربية والشام.وعند ظهور الإسلام كانت هنالك بقايا من الأنباط،اختلطوا بغيرهم فذابوا بهم،وكانت لهم كتابة خاصة بهم تعرف بالخط النبطي،أطلس الحديث النبوي،ص49.

[2] ينظر: الموجز في التاريخ العربي،ص 26، والوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، هاشم يحي الملاح،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 ،2008م،ص46–54 باختصار،ينظر مقال: أصل الكتابة العربية ودور القرآن الكريم في الارتقاء بها (دراسة فنية تاريخية)، محمد بن عزوزي، مجلة الدراسات الإسلامية، مجلة دورية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية، يصدرها قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، مطبعة الآفاق،غرداية، الجزائر، سبتمبر 2013م، ع3، ص420 وما بعدها.

وقد قامت مملكة الأنباط في شمال الحجاز،وتنسب إلى شعب من شعوب العرب،يعرف عند اليونان باسم (Nabataei) أو النبط،سكنوا في بادية الشام وجنوبي سورية في القرن السادس قبل الميلاد،وقد بلغت دولة الأنباط أوج اتساعها زمن (الحارث الرابع)، (9 ق.م–40م)،قضى الرومان على دولة الأنباط عام 106م.

هاجر الأنباط إلى سورية الجنوبية(وادي عربة وطليح العقبة)قبل(500ق.م).

ومما لا شك فيه أن لغة الأنباط لهجة عربية شمالية،فكثير من الكلمات والأسماء التي تسموا بها عربية خالصة حسب النقوش النبطية المكتشفة،مثل كلمة: قبر،ينظر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي،ص 25، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 183،197.

المبحث الثاني: الدين في حياة العرب

لم يعرف العرب دينا سماويا منذ جدهم إسماعيل عليه السلام، الذي تزوج امرأة عربية من قبيلة جرهم اليمنية،فترك في أبنائها وأحفادها ملة أبيه إبراهيم عليه السلام: الحنيفية [1] ومع تطاول الأزمان وكر الليالي والأيام شوه ذلك الدين القيم، وصار إلى: "جمل محرفة وعبارات مبدلة ممسوخة مما وضعه رؤساؤهم وأولو الأمر منهم" [2]، فاتخذوا–فيما بعد–عبادة الأصنام وتقديس الأوثان.

وكانوا في جاهليتهم على أديان مختلفة، ومذاهب متعددة، يؤلهون الأصنام والكواكب، ويعبدون الله، ويخلطون المذاهب بعضها ببعض، مازجين التوحيد بالشرك، والعقائد السماوية بالعقائد الوثنية، وهم إلى ذلك ليسوا على دين ثابت، أو عقيدة مكينة، شأنهم في حياتهم المتنقلة المضطربة.

المطلب الأول: كيف انحرف العرب عن دين إبراهيم عليه السلام؟

ذكر عمر سليمان الأشقر رحمه الله أن العرب في مبتدئ أمرهم كانوا على دين التوحيد الحق، دين جدهم إبراهيم عليه السلام، إلى أن ظهر فيهم رجل منهم، مسموع الكلمة، نافذ الرأي فيهم، هو: (عمرو بن عامر الخزاعي) [3]، فغير دينهم إلى الوثنية والشرك .

---

[1] الحنيفية: اتجاه عقائدي وسلوكي لدى بعض عرب الجاهلية، ينبذ الشرك وينابذ الأخلاق والعادات السيئة، مثل وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر.وكانوا يعتقدون في البعث بوجود إله واحد يحاسب ويجازي الناس على أعمالهم من خير وشر. ويطلق على هذه النزعة (التحنف)، وعلى أصحابها الحنفاء.أو التائبون المعترفون ،نسبة إلى حنيف.وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في سورة آل عمران/67: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾،ينظر: تاريخ الإسلام،حسن إبراهيم حسن،ص73.وهي:" أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين"،عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة،محمد بن عبد الوهاب،المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1397،3هـ/1979م،ص7.

[2] مقالات الإسلاميين أبو الحسن علي الأشعري،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار الحداثة،ط2، 1405هـ/1985م،مقدمة الكتاب،ج1،ص1.

[3] هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي،من قحطان.وفي العلماء من يجزم بأنه مضري من عدنان، وهو جد خزاعة.كان قد تولى حجابة البيت الحرام بمكة، الأعلام، الزركلي، ج5، ص84.

وقد زعم الأشقر أن عمرا هذا كان له رئي من الجن، هو الذي دله على الأصنام التي كانت مدفونة منذ عهد نوح عليه السلام، وكان قومه يعبدونها، فاستخرجها لهم، ونشرها في بلاد العرب.

وذكر رواية أخرى لذلك، وهي أن عمرو جاء بالأصنام من بلاد الشام عندما رآهم يعبدونها، فطلب منهم واحدا منها، فنصبه بمكة و عبده، فعبدته العرب [1].

إذن لم يكن العرب حينذاك على عقيدة صحيحة ومتينة تمنعهم من السير وراء ذلك الرجل الضال الذي سلك بهم طريق الغي.

وقد لبس إبليس على العرب دينهم، ذلك أنه لما ضاق الحرم بساكنيه ومرتاديه في المواسم الخاصة، صاروا يرحلون عنه ويأخذون معهم من حجارته، فكلما حلوا بمكان ما نصبوها أمامهم وطافوا حولها، ثم صاروا إلى عبادتها وتقديسها.

وقد أكد ذلك أحد الصحابة الكرام، وهو أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه حيث يقول: (كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة، فلا ندع رمحا فيه حديدة، ولا سهما فيه حديدة، إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب) [2].

---

[1] ينظر: العقيدة في الله عمر سليمان الأشقر،قصر الكتاب،البليدة،الجزائر،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1989من: ص 262إلى 264باختصار،والموجز في التاريخ العربي، ص35،وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،بطرس البستاني، ،دار نظير عبود،توزيع دار الجيل،بيروت،لبنان،(د.ط)،1997م، ص26، 27.

ذكر الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴿١٤٤﴾ ﴾، الأنعام/144،أن أول من دخل في هذه الآية (عمرو بن لحي)،لأنه أول من غير دين الأنبياء، مختصر تفسير ابن كثير،محمد علي الصابوني، قصر الكتاب، البليدة، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط)،1411هـ/1990م،ج1،ص626.

[2] رواه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه وهو صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ/ 1980م، (كتاب المغازي –باب وفد أبي حنيفة)، رقم 4376، ج 3، ص169.

وقد اعتقد العرب في جاهليتهم أن قوى روحية غيبية تتحكم في الطبيعة و تسكنها، فعبدوا بعض الحيوانات التي زعموا أن لها قوى خفية،تستطيع أن تنتقم بها، ومنها الجمل، والأسد، والنسر، والحمام، والفرس، وقد جعلوا لها صورا مجسمة [1].

بل وفي طقوسهم الدينية ما يثير السخرية والضحك،فلقد كانوا يطوفون بالبيت الحرام عرايا يصفقون ويصفرون.

ومن عجيب أمرهم أنهم-مع إيمانهم بالله تعالى ربا وخالقا-كانوا يكفرون بالرسل والرسالات السماوية والحياة الأخرى،وهو ما ذكره الله تعالى في قوله المحكم: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [2].

وعبدت العرب النجوم و الكواكب تأثرا بالصابئة [3] الكلدانيين.

كما نراهم يقدسون النار، وقد أخذوها عن المجوسية الزرادشتية [4]، التي كانت منتشرة- حينذاك- في تميم وعمان والبحرين.. وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والمنجمين والعرافين، ويتطيرون ويتشاءمون بالأسماء والأماكن والشهور والنساء.

---

(1) الموجز في التاريخ العربي،ص 37، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 458،ص 460.

(2) سورة الجاثية/24.

(3) يقول الدكتور شوقي أبو خليل:"إن الصابئة الذين ذكرهم القرآن العظيم هم حنفاء موحدون،سبقوا اليهود والنصارى:يعبدون الله وحده ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم،يقرون بمعاد الأبدان،ثم ارتبطت عقيدتهم بالكواكب والنجوم،حتى اتهموا بالوثنية.والصابئة طائفة دينية كانت-ومازالت-تعيش شمال العراق"،أطلس القرآن، ص141.

(4) " أسس زرادشت -الذي ولد في مدينة (بالري)في القرن السادس قبل الميلاد-آخر عقائد المجوسية،وتجعله بعض المصادر نبيا،أصله من أذربيجان،صنف كتابا سماه (الزند أفستا)،تنبأ فيه بظهور محمدﷺ .(..)والمجوسية الزرادشتية كانت الدين الشائع بين الفرس عند ظهور الإسلام،وهو الدين الرسمي للدولة الساسانية،منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد"،وخلاصتها الصراع والتصادم بين القوى المتعارضة في الكون:النور والظلام،الخصب والجدب(..)،وكانوا يعتقدون أن للعالم أصلان(إلهان):أصل الخير أو النور:(أهو ومزادا)،وأصل الشر أو الظلام:(أهريمن)،وهم يرون أن الفوز في النهاية للأرواح الخيرة،وتؤمن الزرادشتية بالبعث والجزاء الأخروي.ومن أبرز شخصياتهم الدينية: ماني ومزدك، الذي يعد مذهبه أصل الاشتراكية اليوم، ذلك أنه يرى أن الناس شركاء في كل شيء حتى في النساء والأموال. وقد تميز الفرس الساسانيون بقوانين خاصة مثل الأحوال الشخصية كالزواج والملكية وغيرهما من الشؤون العامة"، أطلس القرآن، ص 144، التشريع والفقه في الإسلام، ص 29، 30.

وكانوا يستقسمون بالأزلام، و(الزلم): القدح الذي لا ريش عليه، وكانت الأزلام ثلاثة أنواع، منها نوع فيه (نعم)، و(لا)، فكانوا يستقسمون فيما يعزمون على فعله أو يمضون في السفر، فإن خرج (نعم) مضوا، وإن خرج (لا) أحجموا وتشاءموا [1].

أولا: أشهر الأصنام المعبودة عند العرب

إضافة إلى ما ذكرناه، فقد عرف العرب بعبادة أوثان مخصوصة، اشتهرت بينهم، وكانت على أشكال متنوعة، فمنها ما كان على صورة الإنسان، ومنها ما كان على صورة الحيوان.

وقد صنعت الأصنام من مواد مختلفة، فبعضها صنع من خشب، وبعضها من الحجارة، وبعضها الآخر من معادن شتى [2]، ومن أهمها عند عرب الجاهلية ما يلي:

1- **هبل**: وهو أعظمها،نصبه عمرو بن لحي على البئر الذي حفره إبراهيم عليه السلام في بطن الكعبة بعد رجوعه من الشام، و قد أمر الناس بعبادته، ومن ذلك وجوب أن يمر عليه المسافر العائد من سفره قبل الذهاب إلى أهله، وبعد الطواف بالبيت يحلق رأسه عنده، وكان هبل من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، و قد جعلتها له قريش من ذهب.

2- **اللات**: وهي عبارة عن صنم على شكل صخرة مربعة بيضاء، أقامت عليها قبيلة ثقيف بيتا بالطائف، وصار الناس يسيرون إليه ويعبدونه، وجعلوا له حجبة وكسوة، وكانوا إذا قدموا من سفر أو أرادوا الخروج من البلد أو رغبوا في قضاء حاجة طلبوا منها السلام والرجوع بأمان وتحقيق ما يصبون إليه في كل شأن.

3- **مناة**: وموضعها عند ساحل البحر بين مكة والمدينة، وهي عبارة عن صخرة منصوبة اتخذتها قبائل هذيل وخزاعة معبودا لهم، و قد كان الأوس والخزرج ومن نزل بالمدينة ومكة وما جاورهما يعظمونها ويذبحون ويهدون لها، وكانوا يعتقدون أن حجهم

---

[1] الرحيق المختوم، ص30، 31.

[2] تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 89، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 465.

باطل بدون النحر عندها[1].

4- **العزى**: وقد تولى كبرها ظالم بن سعد بوادي نخلة فوق ذات عرق، وقد بنوا عليها بيتا، وزعموا أنهم كانوا يسمعون منها الصوت، وكانوا يزورونها ويهدون لها،ويذبحون لها ويستقسمون بها، وقد تسمى الكثير منهم باسمها، وفي هذه الأوثان الثلاثة جاء قوله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾ [2].

ثانيا: أوثان أقل شأنا

كانت تلك أشهر الأوثان التي عبدتها قريش وما جاورها، وقد وجدت معبودات أقل شأنا، نذكر منها ما يلي:

1- **إساف ونائلة**: وهما رجل وامرأة، يزعمون أنهما زنيا في البيت الحرام، فمسخهما الله حجرين، وقد وضعتهما قريش عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها، وكانوا يذبحون عندهما.

2- **ذو الكفلين**: ويقال ذو الكفين، وهو عبارة عن صنم اتخذته قبيلة دوس ربا لها.

3- **ذو الخلصة**: وكان بيتا في قبيلة خثعم، يسمونه الكعبة اليمانية.

4- **ود**: وهي عبارة عن صنم بدومة الجندل، ظل منصوبا هناك إلى أن جاء الإسلام.

5- **سواع**: صنم هذيل وكنانة، وهو عبارة عن حجر كانوا يعبدونه مع عشائر كثيرة من مضر، وربما كان في اسمه ما يدل على أنه إله الشر والهلاك.

6- **يغوث**: وهو صنم مذحج وعشائر من هوازن.

7- **يعوق**: صنم همدان وما والاهما من القبائل، وفي اسمه واسم يغوث ما يشير إلى أرواح حافظة، فمعنى يغوث: يعين، ومعنى يعوق: يحفظ.

8- **نسر**: معبود حمير، وانتشرت عبادته في شمال الجزيرة العربية، ويشير اسمه إلى الطائر المعروف باسمه.

---

(1) الموجز في التاريخ العربي،ص35، 36، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 90، 91.

(2) النجم/ 19-20.

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن ودا كان على صورة رجل، وسواعا على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسرا على صورة نسر من الطير.

وقد أفرط العرب في عبادة الأوثان حتى لا تكاد تجد بيتا من بيوتهم إلا وفيه صنم خاص بهم يعبدونه ويتمسحون به –صباحا و عشيا– تبركا به.

ولما فتح الرسول ﷺ مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة وجد بداخل الكعبة المشرفة وحولها ما يناهز الثلاثمائة وستين صنما ، فهدمها وأمر بإزالتها جميعا [1].

المطلب الثاني: الديانات السماوية و نصيب العرب منها

إلى جانب تلك الطقوس التي عرف بها العرب في جاهليتهم، ظهر لديهم ميل إلى الديانات السماوية، فنبذوا الأصنام وتوجهوا إلى الواحد الأحد يقدسونه، ومن ذلك:

أولا: الحنيفية الإبراهيمية

إنه على الرغم من ذلك الدرك الأدنى الذي نزل إليه جل العرب في عصرهم الجاهلي، إلا أننا سمعنا نداء الفطرة والعقل يصيحان في الناس أن ارجعوا إلى جادة الصواب، وأن استخدموا عقولكم لتروا أنكم ابتذلتم أنفسكم وأسففتم عقولكم حين اتخذتم–مما سخره الله لكم–آلهة تعظمونها وأربابا تخشونها من دون الله تعالى.

وقد مثل ذلك الاتجاه الطيب كثير من العقلاء و الحكماء، الذين كانوا–عبثا–يحاولون أن يردوا أولئك الضالين إلى جادة الصواب، وقدكان من أشهرهم ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم كثير.

وقد اجتمع أولئك في أحد الأيام فقال بعضهم لبعض: "تعلمون و الله ما قولكم على شيء، و لقد أخطأوا–يقصدون العرب–دين أبيهم إبراهيم، وما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم دينا، فإنكم والله ما أنتم على شيء"، فتفرقوا في البلدان يلتمسون (دين إبراهيم) عليه السلام [2].

---

[1] ينظر: تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)،ص 90–91، تاريخ الإسلام، ص137.

[2] ينظر: العقيدة في الله، ص 267.

إن مقولة هؤلاء القوم تدل دلالة واضحة على أن العقل مناط التكليف،وصاحبه مسؤول عما يقترفه من الخير و الشر، ناهيك عن الذين بلغتهم الدعوة(*)، وفي ذلك يقول المولى تبارك وتعالى موبخا أقواما عمروا طويلا ولكنهم ضلوا سبيل الرشاد: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾** ﴾ (1).

وكان من شأنهم ما كان، فأما ورقة بن نوفل فتمسح، أي: تنصر، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم ارتد عن الإسلام إلى النصرانية، ومات على ذلك، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر، وأما زيد بن عمرو بن نفيل، فكان أقرب القوم إلى الحق، فقال: "أعبد رب إبراهيم"، وواجه قومه بعيب ما هم عليه، وفارق قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح، ونهاهم عن قتل الموؤودة، ثم خرج إلى الشام يسأل عن الحق، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: "إني لعلي أن أدين بدينكم فأخبرني"، فقال: "إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله"، قال زيد: "ما أفر إلا من غضب الله تعالى، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا، وإني أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟"،قال: "ما أعلم إلا أن يكون حنيفا"، قال زيد: "وما حنيف؟"، قال: "دين إبراهيم عليه السلام، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله".

(*) وفي هذه المسألة خلاف بين علماء العقائد منذ القدم، فمنهم من يرى أن أهل الفترة كلهم ناجون، وكذا من لم تبلغهم الدعوة، وأولاد الكفار الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم..ويستدلون بمثل قوله تعالى: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾** ﴾، يس/06. وفي الآية الكريمة دليل على أن قوم النبي ﷺ من العرب لا يؤاخذون مادام أنهم غافلون عن الحق بعدم بعثة رسول إليهم .

ويرى فريق آخر أن أولئك يمتحنون غدا يوم القيامة فمن نجح في الامتحان فاز، ومن خسر ناله العذاب. وفريق آخر من العلماء يرى غير ذلك.

والمسألة تحتاج إلى بسط أكثر، ليس هذا موضع تحريره، ينظر: كتاب أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1981م، ص259 وما بعدها.

(1) فاطر/37.

فخرج زيد فلقي عالما من النصارى، فدله على ما دله اليهودي، بعد أن قال له: "لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله".

ولما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما خلا رفع يده، فقال: "اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم" [1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الديانات السماوية السابقة عن الإسلام-ومنها اليهودية والنصرانية- لم تكن على الهدي الأول الذي نزلت به، وإنما نالها التحريف والتبديل، وهذا باعتراف حبرين من أحبارهم، وقد وصم القرآن الكريم أولئك بقوله: ﴿ **يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** ﴾ [2].

وكان زيد بن عمرو بن نفيل يسجد لله تعالى ويستقبل البيت الحرام، ثم يقول: " لبيك حقا، تعبدا ورقا، البر أرجو لا الخال(الخيلاء)، وهل مهجر (السائر في الهاجرة)، كمن قال (أقام في القائلة)، ثم ينشد:

عُذْتُ بما عاذَ به إبْرَاهِمْ مستقبلَ الكَعْبَةِ وهو قائم [3]

و من شعره الذي يدل على تقواه و تدينه:

وأسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أسْلَمَتْ لـه الأرضُ تَحْمِـــلُ صَخْراً ثِقَالاً

دَحاها فلَمَّــا رآهـا اسْتَـــوَتْ على المـاء أَرْسَـى عَلَيْهَا الجِبَالا

وأَسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَـهُ المُزْنُ تَحْمِــلُ عَذْبـــاً زُلاَلا

إذَا هِيَ سِيـقَتْ إلَـــى بَلْــدَةٍ أَطَـاعَتْ فَصَبّتْ عَلَيْهَا سِجَالا [4]

وكان ينكر على قريش ذبحها الذبائح على غير اسم الله عز وجل قائلا: "يا معشر قريش

---

[1] ينظر: العقيدة في الله، ص268 ، والتفكير الفلسفي، عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)،1402هـ/1982م،ص 20.

[2] النساء/46.

[3] التحرير والتنوير ،الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،(د.ط) 1997م، ج4، ص18.

[4] السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، (د.ط)،1411هـ، (باب مبعث النبي ﷺ)، ج2، ص60.

أيرسل الله قطر السماء، وينبت بقل الأرض، ويخلق السائمة فترعى فيه، وتذبحونها لغيره؟!"[1].

جاء في الحديث عن سعيد بن زيد قال: سألت أنا و عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد، فقال: « يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ » [2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ لِزَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ دَوْحَتَيْنِ » [3].

لقد كان زيد يتساءل بفطرته عن بارئ الوجود،وعن سر الوجود،وغاية الخلق..كأنه يريد أجوبة عن الأسئلة المصيرية التي حيرت -ولا تزال- تحير علماء
ومفكرين وفلاسفة كبارا: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟.

وها هو يعبر عن ذلك فيما يلي-وكأنه ينكر على المشركين و يعجب منهم-:

أَرَبّــا وَاحِــدًا أمْ أَلْــفَ رَبّ أَدِيــنُ إذَا تُقُسّمَتْ الْأُمُــورُ
عَزَلْتُ اللّاتَ وَالْعُزّى جَمِيعًا كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصّبُــورُ
فَلَا الْعُزّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا وَلَا صَنَمَيْ بَنِــي عَمْرٍو أَزُورُ
وَلَا هُبَلًا أَدِيــنُ وَكَــانَ رَبّــا لَنَا فِي الدّهْرِ إذْ حِلْمِي يَسِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرّحْمَنَ رَبّــي لِيَغْفِرَ ذَنْبِــي الرّبّ الْغَفُــورُ[4]

يقول الدكتور طه حسين عن زيد: "إنه كان رجلا رقيقا، ليّنا، مرهف الحس، ذكيّ القلب، نقيّ الطبع، مستعدّا للإيمان الصّادق، مبغضا للقديم، شديد النّشاط للتّجديد،

---

[1] التفكير الفلسفي، ص 18.

[2] رواه أبي يعلى الموصلي في مسنده، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404ه/1984م، (مسند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل)، رقم 973، ج 2، ص 260 -261.

[3] رواه صاحب كتاب : تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، (د.ط)، 1995م، بيروت، ج19، ص512.

[4] السيرة النبوية لابن هشام، (باب شعر زيد في فراق دين قومه)، ج1، ص226.

شكّ في وثنية قومه ثم جحدها، والتمس دينا صفوا، وملّة نقيّة، وجعل ينكر على قريش ما كانت فيه، فكانت قريش تسمع منه و تعرض ولا تحفل بما كان يقول "، ثم زعم أن الخطاب بن نفيل ثبت له وقاومه وأغرى به الشباب و السفهاء، ثم حبسه في مكة حتى اضطره إلى أن يستخفي ثم يغادر مكة [1].

ومن الحنفاء خالد بن سنان العبسي [2]، فعن ابن عباس قال: جَاءَتْ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ سِنَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَسَطَ لَهَا ثَوْبَهُ وَقَالَ: « بِنْتُ نَبِيٍّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ »، وإن " ابنته أتت النبي فسمعته يقرأ: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ۝١ ﴾ [3]، فقالت: كان أبي يقول ذا" [4].

وربما وجدنا من العرب حكماء اهتدوا إلى طريق الحق بمحض عقولهم وتأملهم في نفوسهم وفي الآفاق، أو بما قرأوه من الكتب السابقة–حتى ولو لم يلتزموا بدين معين–إلا أنهم أشاروا إلى معالم الحق، ونصحوا قومهم إلى ما اعتقدوا أنه هو الصواب، فمن حكمائهم عامر بن الظرب الذي كان من كلامه في الاستدلال على وجود الله وتصريفه

---

(1) التفكير الفلسفي،ص21.

(2) حكيم،من أنبياء العرب في الجاهلية،يدعو الناس إلى دين عيسى.قال ابن الأثير:"من معجزاته أن نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها وكادوا يدينون بالمجوسية،فأخذ خالد عصاه ودخلها ففرقها،وهو يقول:بدا بدا،كل هدي مؤدى،لأدخلنها وهي تلظى،ولأخرجن منها وثيابي تندى،وطفئت وهو في وسطها".قلت:هي النفط ولا ريب.وقالوا: لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل محمد ﷺ، الأعلام، الزركلي، ج2، ص296.

(3) الصمد/01.

(4) التفكير الفلسفي، ص 25.

والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم12250، ج11، ص441.

وهذا الحديث يطعن في صحته ما رواه مسلم عن أبي هريرة(**2365**) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ** » قالوا :"وكيف ذاك يا رسول الله؟".قال: « **الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ** »،ورواه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1414،2ه/1993م، (باب بدء الخلق)، ج14، ص74.

للكون: "..إني ما رأيت شيئا قط خلق نفسه،و لا رأيت موضوعا إلا مصنوعا، ولا جائيا إلا ذاهبا، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء".

ومن حكمائهم أكثم بن صيفي بن رباح، الذي عندما بلغه أن محمدا ﷺ قد بعث، جمع قومه من بني تميم ثم خطبهم بقوله: «..يا بني تميم لا خير فيمن لا عقل له، كبرت سني، ودخلتني ذلة، فإذا رأيتم مني حسنا فاقبلوه، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم، إن ابني شافه هذا الرجل-يعني محمدا ﷺ-وأتاني بخبره، وكتابه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه.

إن أحق الناس بمعونة محمد ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقا فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه والتستر عليه، وقد كان أسقف نجران يحدث بصفته، وكان سفيان بن مشاجع يحدث به قبله، وسمى ابنه (محمدا)، فكونوا في أمره أولا و لا تكونوا أخيرا(..) إن الذي يدعو إليه محمد لولم يكن دينا لكان في أخلاق الناس حسنا، وهذا أمر له ما بعده، ومن سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، والعزيمة حزم والاختلاف عجز" .

ومن كبار حكماء العرب الذين ساروا بين قومهم بالحكمة وفصل الخطاب أمية بن أبي الصلت، الشاعر المشهور، الذي: "قد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبدا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والحنيفية، وحرم الخمر، وشك في الأوثان، وكان محققا، والتمس الدين، وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب، فكان يرجو أن يكون هو".

وشعره حافل بذكر الرسل والأنبياء والجنة والنار والثواب والعقاب،فقد قيل:"كان أمية كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السماوات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء" [1].

---

[1] ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1993م، ج4، ص129، والتفكير الفلسفي، ص 19-21، ص29، 30.

ومن شعره الديني:

أَلَا أَيّهَا الْإِنْسَـــانُ إيّـــاكَ وَالرّدَى فَإِنّك لَا تُخْفِـي مِنْ اللّـهِ خَـافِيَـا
وَإِيّــاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّـــهِ غَيْرَهُ فَإِنّ سَبِـيلَ الرّشْـدِ أَصْبَحَ بَادِيَـا
رضيـتُ بك اللهـمَّ ربًّا فلـــن أرى أديـــنُ إلهاً غيرك اللـــه ثـانيـاَ
وَأَنْتَ الّذِي مِنْ فَضْلِ مَنّ وَرَحْـمَةٍ بَعَثْت إلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَـا
فَقُلْت لَهُ يَا اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوَا إلَى اللّهِ فِرْعَوْنَ الّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْك نَجّيْت يُـــونُسًا وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَـالِيَـا
وَإِنّيَ لَوْ سَبّـــحْت بِاسْـمِك رَبّنَـا لَأُكْثِرُ إلّا مَـا غَفَرْت خَطَـائِيَـا [1]

وقد أخذ أمية عقائده تلك من أخبار العرب عن عاد و ثمود، وبعضها من قصص التوراة عن الطوفان وإبراهيم ولوط وفرعون وغيرهم.

ويصرح أمية بعقيدته الحنيفية في قوله:

كُلُ دينَ يَومَ القيامَةَ عِندَ اللَّـ ـهِ إلاّ دين الحَنيفَةِ زورُ [2]

ولكنه على خلاف ما كان يتوقع عادى الرسول ﷺ وحاربه، فغلبت عليه شقوته فخاب وخسر، وقد صح فيه قوله ﷺ:« آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ » [3].

ومن الأحناف أبو قيس بن أبي أنس، وهو من بني النجار وكان قد ترهب ولبس المسوح وفارق الأوثان، واعتنق النصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخله طامث ولا جنب، وقال: "أعبد رب إبراهيم".

---

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء،أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، (باب ما حفظ عن الأخبار والرهبان)، ج1، ص147، الأغاني، ج4، ص130. وهذا من مطاعن المستشرقين، الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد نقل دينه وكتابه عن أمية، والحق أن هذه الأبيات وغيرها مما انتحله حماد الراوية وخلف الأحمر، وهما من الصدر الإسلامي.

(2) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11، ص7.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ/1959م، (باب أيام الجاهلية)، ج7، ص154.

وكان زهير بن أبي سلمى يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك في قوله:

يُؤخر فيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخَر ِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ [1]

وكان من حكماء العرب الذين اهتدوا بفطرتهم و تدبرهم في الكون إلى وجود الخالق الواحد: قس بن ساعدة الذي كان يستدل على وجوده تعالى بالأثر على المؤثر، وهو يصف الله عز وجل فيقول: "كلا بل هو الله إله واحد، ليس ولودا ولا والدا، أعاد وأبدى، وإليه المآب غدا" [2].

وقد ورد في قس حديث الرسول ﷺ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسُوقِ عُكَاظٍ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ ،ما أجدني أحفظه » [3].

وكان كعب بن لؤي بن غالب- أحد أجداد الرسول- متحنفا، يأمر قريشا بالتفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، ويحثهم على صلة الأرحام، وحفظ العهد،ويذكرهم بالموت و أهواله،ويبشرهم بمبعث الرسول ﷺ [4].

وأما عبد المطلب-جد النبي ﷺ-فقد كان يمنع نكاح المحارم،وينهى عن قتل الموؤودة، ويأمر بقطع يد السارق، وله نظرات سديدة في السياسة والاجتماع، أقر الإسلام-فيما بعد-كثيرا منها.

من خلال هذه النقول التي سقناها-كنموذج عن استقامة الفطرة في زمن كان الجهل والهوى فيه هما سيدا الموقف-نستنتج أن العرب قبيل ظهور الإسلام لم يكونوا كلهم على الوثنية والشرك والجهل، بل قد وجد منهم الكثير من المؤمنين بالله الواحد، فلم يكونوا

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص107، الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)، قدم له الشيخ حسن تميم،راجعه وأعد فهارسه محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم،بيروت،ط3، 1407هـ/1987م، ص 74.

(2) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، يوسف بن سليمان بن عيسى، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د.ط)، 2007م، ج2، ص211، 216، التفكير الفلسفي،من ص 22 إلى ص34 باختصار.

(3) غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة،خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم، تحقيق: عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت ، 1407هـ/1987م، (باب أبو بكر الصديق)، ج2، ص673،اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة،السُّيوطي، جلال الدين، دار الكتب العليمة،(دت) ج:1 ص168.

(4) ينظر: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 490.

يتوسطون إليه بالشفعاء،شأن المشركين الذين كانوا في الأصل مؤمنين بالله الخالق الرازق،وإنما عبدوا الأوثان-بحسبهم-لتقربهم إلى الله زلفى،وتشفع لهم عنده،وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في الكثير من النصوص،منها قوله: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ** ﴾ [1].

وإن هذه النصوص التي نقلناها تبين أن العرب استأنسوا بكلام النصارى واليهود الذين بشروا بمبعث النبي محمد ﷺ، بل ذكروه بالاسم، وسموا به بعض أبنائهم طمعا في النبوة !

وبذلك نستطيع أن نؤكد وجود (القابلية للإيمان)لدى قطاع كبير من العرب، خلا أولئك الكبراء الذين جحدوا الحق مع يقينهم به: ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً** ﴾ [2].

يقول سيد قطب رحمه الله-معلقا على هذه الآية الكريمة-: "وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن، ويستيقنون أنه الحق، ولكنهم يجحدونه، ويجحدون دعوة النبي ﷺ إياهم إلى الله الواحد. ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم، لما وراءها من أوضاع تسندهم، ومغانم تتوافد عليهم.

وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة، التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، ويحسونها تتزلزل تحت أقدامهم، وترتج في ضمائرهم، ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب.

وكذلك الحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفونه، بل لأنهم يعرفونه، يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم، لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم، أو الخطر على أوضاعهم، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم، فيقفون في وجهه مكابرين، وهو واضح مبين" [3].

---

[1] لقمان/25.

[2] النمل/14.

[3] في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1405،11هـ/1985م، ج5، ص2630.

لقد كان للحنيفية أثر واضح في إعداد العرب قبل الإسلام للنقلة، وفي إضعاف المثل الدينية الجاهلية، والميل إلى ترك الوثنية ونبذها، والاتجاه نحو التوحيد [1].

ثانيا: اليهودية

هاجر جل اليهود من موطنهم الأصلي-فلسطين-إلى الحجاز على إثر تهديم الهيكل سنة 70م على أيدي الرومان بقيادة القيصر طيطو، ثم اصطدم من بقي منهم بالقيصر هدريان سنة 132م، ففروا ثانية إلى الحجاز واليمن.

وقد سكن هؤلاء اليهود في واحات الحجاز مثل خيبر وفدك ويثرب، ولم يكونوا حريصين على دعوة العرب إلى دينهم، وإنما اقتصروا على جمع المال والثروة والسيطرة على الآخرين والتحريش بينهم، وما الوقائع التي دارت بين الأوس والخزرج إلا بإيعاز منهم لعنهم الله.

وقد كان اليهود في يثرب عشائر كثيرة أهمها بنو النظير [2] وبنو قريظة [3] وبنو قينقاع[4] وكانوا يتدارسون دينهم في دار ندوة لهم تسمى المدراس، وكانوا يقرأون التوراة والزبور بلغتهم العبرية.

---

[1] ينظر: تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 490.

[2] بنو النضير: اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة المنورة،في وادي بطحان والبويرة.فتح رسول الله ﷺ آطامهم لنكثهم عهدهم،وتآمرهم لقتل النبي ﷺ بإلقاء صخرة عليه،فأجلاهم مع متاعهم باستثناء السلاح،فنزلوا خيبر،أطلس الحديث النبوي،ص360.

[3] بنو قريظة: قبيلة يهودية سكنت المدينة المنورة في جنوبها الشرقي.نكثوا عهدهم مع رسول الله ﷺ،والأحزاب (قريش واليهود وغطفان)..يقفون أمام الخندق لاستئصال المسلمين،وبعد انسحاب الأحزاب كان القصاص العادل بقتل رجالهم المحاربين،أطلس الحديث النبوي،ص307.

[4] بنو قينقاع: اسم قبيلة من اليهود الذين سكنوا يثرب(المدينة المنورة)،أضيف إليهم سوق كان بها يقال: (سوق بني قينقاع).وهم أول من أجلاهم رسول الله ﷺ بعد بدر الكبرى 2هـ بسبب نكثهم العهد الذي كان بينهما،فنزلوا إلى وادي القرى،ومنها إلى أذرعات ،أطلس الحديث النبوي،ص312.

أما اليهود الذين استوطنوا اليمن فقد أغروا ملكها ذو نواس بحرق نصارى نجران، الذين ذكرهم المولى عز وجل في (سورة البروج)، وما لبث أن ثأر نصارى الحبشة لإخوانهم فأزالوا دولة ذي نواس عام 525م وشتتوا اليهود، فلم تبق منهم سوى فئة قليلة، وكان من أولئك كعب الأحبار و وهب بن منبه، الذين دخلا في دين الإسلام.

لقد شكل اليهود في الجزيرة العربية مجتمعا منغلقا منكفئا على نفسه،كان همهم السيطرة وجمع المال والاقتيات من الحروب والفتن التي كانوا يضرمونها بين قبائل العرب، قد صدق فيهم قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [1].

ثالثا: النصرانية

بدأ انتشار النصرانية في اليمن بداية من القرن 4م بتشجيع من القياصرة الرومان للسيطرة على جزيرة العرب، التي كانت تجوبها قوافلهم التجارية، وكانت نجران [2] أهم موطن للمسيحية، ولهم بها كنيسة مشهورة، أنشأها أبرهة الحبشي، مع كثير من الكنائس في مدن اليمن، وقد اهتم كثيرا بزخرفتها وتزيينها، وأهمها القليس في صنعاء.

والقليس كلمة معربة عن اليونانية يقصد بها الكنيسة، وقد أراد النصارى-ببنائها-صرف العرب عن الكعبة كما سبقت الإشارة إليه.

وعلى عكس اليهود، فقد راح النصارى يبشرون العرب بدينهم، واستغلوا لذلك الغرض الحركة التجارية لتسويق معتقداتهم وأفكارهم، ولذلك وجدنا النصرانية تنتشر بين عرب الشام من الغساسنة وغيرهم، ثم تغلغلت إلى عرب العراق، فأعتنقها سكان الحيرة.

---

(1) المائدة/64.

(2) نجران: نجران الباب: الخشبة التي يدور عليها. من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة، وفيها الأخدود(..)وهم نصارى، حينما دعاهم ذو نواس إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل. فتحت نجران سنة عشر صلحا، وهي جنوب مكة المكرمة(910كم)، أطلس الحديث النبوي، ص357.

وفي مكة المكرمة وجدنا كثيرا من الرقيق الأحباش يدينون بدين المسيحية، إضافة إلى بعض الجواري الروميات.وقد ورد حديث للنبي ﷺ يثني فيه على ورقة بن نوفل، الذي اعتنق النصرانية وآمن بالرسالة المحمدية، فقال فيه الرسول الأمين ﷺ: « قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ، فَأَحْسِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَيَاضٌ » [1].

وقد عاب زيد بن عمرو بن نفيل على ورقة تدينه بالنصرانية، وأراد أن يحمله على دين إبراهيم عليه السلام، فقال: " أنا أستمر على نصرانيتي إلى أن يأتي الذي تبشرنا به الأخبار"، يشير بذلك إلى ما ورد في التوراة والإنجيل من أن نبيا يبعث في آخر الزمان، هو ختام الرسل أجمعين، عليهم الصلاة والسلام [2].

وقد جاء ذكر (محمد) و(أحمد)صراحة في الكتب المقدسة، وفي القرآن الكريم قوله تعالى–على لسان عيسى عليه السلام–: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرِىٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَاتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [3].

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة،القاهرة، (مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها)، رقم 24412، ج 6، ص 65.

[2] ينظر: تاريخ الأدب العربي، من ص97 إلى ص103، بتصرف يسير، الموجز في التاريخ العربي، ص37 وما بعدها، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص384 وما بعدها.

[3] الصف/06.

والجدير بالذكر أن النصرانية غدت"وثنية عسرة الفهم، وأوجدت خلطا عجيبا بين الله والإنسان، ولم يكن لها في نفوس العرب المتدينين بهذا الدين تأثير حقيقي لبعد تعاليمها عن طراز المعيشة التي ألفوها،ولم يكونوا يستطيعون الابتعاد عنها.وأما سائر أديان العرب فكانت أحوال أهلها كأحوال المشركين،فقد تشابهت قلوبهم،وتواردت عقائدهم،وتوافقت تقاليدهم وعوائدهم" [1].

المبحث الثالث: السّلوك الاجتماعي للعرب في العصر الجاهلي

نقصد بالسلوك الاجتماعي شبكة العلاقات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها،التي كان العرب يسلكونها في حياتهم الفردية والأسرية، والتي كانت تربط بين العرب وغيرهم من الأمم المعاصرة لهم، وفيما بينهم، وليس قصدنا الاستقصاء، وإنما هي صور من ذلك المجتمع، تعطينا فكرة عامة، يمكن من خلالها أن نأخذ تصورا متكاملا، نعيش ونتفاعل به شعوريا مع نبض التاريخ في إطاره المحدد.

لقد كان المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام جاهليا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وقد عبر عنها القرآن الكريم صراحة بقوله: ﴿ **ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ [2]، وسبب جهلهم قد ذكرناه سالفا، فالعرب قوم لم يخصوا برسالة سماوية، ولم يكونوا أمة متمدنة، وحتى أصحاب الديانات الأخرى لم يكونوا في المستوى الذي يغري العرب بالانضمام إليهم والانضواء تحت رايتهم، لذلك ظلوا على سجيتهم البدائية وعوائدهم التقليدية، القائمة على التعصب القبلي والثأر والغارات، التي أنهكت قواهم وفتتت وحدتهم، وجعلتهم فريسة سهلة لكل باغ ونهبة لكل طامع.

ومع ذلك فقد سجل لهم التاريخ خلالا حميدة وعادات طيبة اتسم بها كثير من الأفراد والبيوت، شكلت قاعدة صلبة، انطلق منها النبي ﷺ- فيما بعد-لإحداث ذلك الانقلاب الشامل في التصورات والسلوكيات على حد سواء، منشئا بذلك جيلا فريدا لحمته الأخوة، وسداه عمل الخير وخير العمل.

---

[1] الرحيق المختوم، ص34.

[2] الأحزاب/33.

وهنا علينا أن نحدد ملامح تلك الحياة الاجتماعية–سلبا وإيجابا– للعرب قبيل ظهور الإسلام في المطالب التالية:

المطلب الأول: التعصب القبلي

اعتمد المجتمع العربي الجاهلي في تكوينه وعاداته وتقاليده على النظام القبلي،الذي كان يفرض نمطا من العيش مميزا،طبع عموم الأفراد والجماعات بطابع معين ،ورثه الأصاغر عن الأكابر،والخلف عن السلف.

1- **القبيلة**: هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك، تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل و العشيرة.

ورابطة العصبية هاته هي شعور بالتماسك والتضامن بين من تربطهم رابطة الدم، وهي مصدر القوة السياسية والدفاعية لها.

وقد كان لكل قبيلة مجلس مكون من حكماء يرأسهم شيخ، يختارونه من بينهم، وكانوا يسمونه الرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد، ومن أهم شروطه أن يكون شريفا ذا عصبية،كبير السن، كثير المال، بالإضافة إلى الحكمة والشجاعة والكرم..وغيرها من الشروط التي كانت نادرا ما تتجمع في شخص واحد.

وكان من واجباته مساعدة الضعفاء ودفع الدية عن الفقراء والحكم بين المتخاصمين، وكان من حقوقه عليهم المرباع (ربع الغنيمة)، والصفايا (ما يصطفيه الشيخ من الغنائم قبل القسمة)، والفضول (ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة) [1].

ولم يكن العرب يقبلون مبدأ الوراثة في الرئاسة، بل كانوا يأنفون من التسود عن طريق التوارث، وإلى هذا المعنى يشير عامر بن الطفيل–أحد سادات بني عامر–:

إِنِّي وَ إِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَـامِرٍ وَفَارِسَهَا الْمَنْدُوبَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ
فَمـا سَوَّدَتْنِي عَامِـرُ عَنْ قَرَابَةٍ أَبَــى اللهُ أَنْ أَسْمُــوَ بِأُمٍّ وَ لَا أَبِ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَ أَتَّقِي أَذَاهَا وَ أَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ [2]

---

[1] ينظر: الموجز في التاريخ العربي،ص28، 29، الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ج1،ص375.

[2] ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1979م، ص13.

2- **العصبية والصراع:** كانت عصبية العرب ضيقة، فمن انتمى إليهم بنسب كان منهم، وأما من سواه فيعد غريبا، فلا ينضوي تحتهم إلا باستلحاق أو جوار.

ولذلك كان المجتمع الجاهلي عبارة عن قوميات وقبليات عديدة، وقع الصراع بينها، مثل الذي حدث بين القحطانية والعدنانية، الأمر الذي كان – فيما بعد– من أهم أسباب سقوط الدولة الأموية.

وكانت الحياة البدوية صراعا دائما(هجوم ودفاع) للحصول على الرزق، وللدفع عن ذمار القبيلة.

وكان من شعاراتهم الأساسية: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)، ولذلك كثرت الأحقاد والعداوات والحروب بين القبائل، وربما استمرت لعقود من السنين، ومن تلك القبائل المتحاربة:الأوس والخزرج/عبس وذبيان/بكر وتغلب/ عبد شمس وهاشم/ربيعة ومضر/قيس وكنانة/ القحطانية والنزارية [1]..

وقد تمحورت أهم دواعي الصراع القبلي فيما يلي:

1- التنافس على المراعي ومناهل المياه، فكانوا يتنازعون فيمن يرد الماء أولا أو في نفس المراعي، فيتجاوزهم النزاع إلى سادتهم، فيتناقلون بينهم أحاديث الذم والسب وأشعار الهجاء، ثم تستعر الحروب بينهم.

2- التنازع على الشرف و الرياسة، حتى صار ذلك في البيت الواحد، فإذا مات أكبر الأولاد الإخوة وله ولد صالح نازعه أعمامه على رئاسة العشيرة، ولا يسلمون له الأمر، فيورثهم ذلك تباغضا تزيده الأيام شدة.

وقد يفارق رئيس أحد البيتين الديار مضمرا في نفسه ما فيها من العداوة والبغضاء، وقد يبقيان متجاورين، وفي هذه الحال يكون التنافر أشد،كما كان بين الأوس والخزرج سكان المدينة المنورة، وكما كان بين هاشم وأمية سكان مكة المكرمة، ولذلك نرى

---

[1] ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسين بن علي المسعودي، دار موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1989م، ج2، ص55، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 414.

الحروب الهائلة والأيام المعدودة إنما كانت بين القبائل المتقاربة في الأنساب، المتقاربة في الأمكنة [1].

ومن شعرهم الذي ألهب نار الحماسة و الاقتتال نورد هذه المقتطفات:

- يقول عمرو بن كلثوم:

إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً أَبَيْنَـا أنْ نُقِـــرَّ الـذُّلَّ فِيــنَا

لَنَا الدُّنيا ومَنْ أضحَــى عَلَيْهــا ونَبطشُ حينَ نبطشُ قادِريــنا

أَلا لا يَجْهَلَـــنْ أحَـــدٌ عَلَيْنـــا فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهِليــنَا [2]

- ويقول زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ لمَ يُذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ [3]

- وفي الكر والفر والدفاع والهجوم، يقول دريد بن الصمة:

بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقَضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ [4]

- ولذلك جفت مآقيهم من الدموع وخلت قلوبهم من الرهبة والخوف، وهاهو أبو الهيذام عامر بن عمارة المري يعبر عن ذلك فيقول:

وَلَسْنَا كَمَنْ يَبْكِي أخَاهُ بِعَبْرَةٍ يَعْصِرُهَـــا مِنْ مُقْلَتِهِ عَصْـــرَا

وَإِنَّا أُنَاسٌ مَا تَفِيـضُ دُمُـوعُنَا عَلَى هَـــالِكٍ وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرَا

وَلَكِنّي أشْـفِـي الفُؤَادَ بِغَـارَةٍ أَلْهِبُ فِي قطْرِي كَتَائِبَهَا جَمْرَا [5]

- وجعلت النساء و قودا للمعارك، فكن يحرضن الرجال على القتال، ثم يرجعن إلى مؤخرة الصفوف [6].

---

[1] محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)،ص 22، 23.

[2] ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص90.

[3] ديوان زهير، ص111.

[4] ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، (دط.دت)، ص97.

[5] زهرة الآداب وثمرة الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج2، ص384.

[6] ينظر: تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 411، ومن ص417 إلى419 باختصار، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج2، ص175، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص161.

- ومن جراء تلك الحروب،كثر السبي في الرجال والنساء على السواء، قال عمرو بن كلثوم:

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُبْنَا بِالمُلُـــوكِ مُصَفَّدِيـــنَا

لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرَّنِيْنَا [1]

- وكان الأسرى يستخدمون عبيدا مسخرين حتى يفتديهم أهلوهم بالمال، وقد يقتلون، مع أن قتل الأسير عندهم كان من الأمور المستقبحة، وكانوا يزجون نواصيهم ويربطون ألسنة شعرائهم لئلا يهجونهم.

تقول الخنساء:

جَزَزْنَا نَوَاصِـيَ فُرْسَـانَهَا وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنْ لَا تُجَزَّا [2]

- ويقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي، عندما أسرته تيم في يوم كلاب:

أَقولُ وقَدْ شَدُّوا لِسانِي بنِسْعَة مَعاشِرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عن لِسانِيا [3]

أما السبايا من النساء فكن يتخذن زوجات أو أمهات ولد [4].

وكانت الديات تدفع على الأشراف والملوك ألف بعير،وعن العامة مائة بعير.

وإذا أصيب منهم كانوا يقصرون أثوابهم ويمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر والاختلاط بالنساء، ويحرمون القمار، حتى يدركوا ثأرهم،كما فعل أمرؤ القيس عندما بلغه مقتل أبيه.

وكانت الأبكار من النساء وذوات الخدور إذا بلغهن مقتل أحد أقاربهن، يخمشن الوجوه ويجززن الشعور ويشققن الجيوب تعبيرا عن حزنهن، ومن أشهر الحروب التي دارت بينهم:

—

[1] ديوان عمرو بن كلثوم، ص83.

[2] ديوان الخنساء، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ص82.

[3] المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون،دار المعارف بمصر، ط4، (دت)، المفضلية (30)، ص157، الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل القالي البغدادي،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1978م، ج3، ص133.وفيه "أطلقوا لي لسانيا".

[4] ج (أم ولد): وهي الجارية إذا ملكها ووطئها سيدها ، فولدت منه صارت أم ولد، باعتبار أنها ليست امرأة- من التسري-، لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط.دت)،ج11، ص59.

*حرب البسوس: وقد دامت أربعين سنة، بسبب ناقة، بين قبيلتي بكر وتغلب، ولم تنته تلك الحرب إلا بعد أن قام قيس بن شراحيل بن مرة بالصلح بينهما.

*حرب داحس والغبراء: بين بني عبس وبني ذبيان، وقد استمرت أربعين سنة.

وداحس والغبراء فرسا رهان تسببتا في حادثة قتل، فنشبت الحرب بين القبيلتين، ولم تضع أوزارها إلا بتدخل الحارث بن عوف بن حارثة المري، فأصلح بين المتنازعين [1].

وكانوا يسمون حروبهم ووقائعهم أياما، لأنهم كانوا يتحاربون نهارا، فإذا جنهم الليل أوقفوا القتال حتى يخرج الصباح.

ومن خصوصيات نظامهم العصبي ذاك: الأخذ بالثأر، فأيما فرد قتل، أو أي قبيلة أغير عليها، إلا وهبت القبائل القريبة تطلب بالدم، وفي ذلك يقول دريد بن الصمة:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشَدْ غَزِيَّةُ أَرْشدِ [2]

وقد تحولوا بسبب اختصامهم على المراعي واتخاذهم الغزو وسيلة من وسائل عيشهم إلى ما يشبه كتائب حربية.

3- الطبقية:

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات:

أ/طبقة القبيل: أو أبناء القبيلة الأصلاء، المرتبطين برباط الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها.

ب/طبقة الموالي: أو العتقاء، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم لكثرة جرائمهم وجناياتهم، وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد، في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره،وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها، مثلها مثل أبنائها، ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة، وكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء، فيتخذون

---

[1] ينظر: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 424- 434، باختصار، وللتفصيل في وقائع المعركتين يرجع إلى الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج1، ص343 وما بعدها.

[2] ديوان دريد بن الصمة، ص62.

النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم، على نحو ما نعرف عن عروة بن الورد، وتأبط شرا والسليك بن السلكة والشنفرى ..وغيرهم.

ت/طبقة العبيد: أوالرقيق، الذين جلبوا من البلاد الأجنبية عنهم، وخاصة من الحبشة.

وبذلك نميز صنفين من المجتمع: أغنياء وفقراء، الأمر الذي جعل فقراءهم يغيرون على أغنيائهم.

وهاهو أبو النشناش النهشلي يعبر عن تذمره من الفقر فيقول:

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ للفَتَى مِن قُعُـودِهِ عَدِيماً ومِن مَوْلىً يدبُّ عَقارِبُهْ

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الهمِّ ضاجَعَهُ الفَتَى ولا كَسَوادِ اللَّيلِ أَخْفَقَ طالِبُهْ [1]

ويعبر عروة بن الورد عن طموحه لبلوغ الغنى فيقول:

دَعِيني للغِنَى أسْعَى فإنّي رَأيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقَـــيرُ
وَأبعَدَهُمْ وأهوَنَهم عَلَيْـــهِم وَإنْ أمسَـــى لَهُ حَسَبٌ وَخِيرُ

وَيُقْصِيـهِ النَّدِيُّ وَتَزدَرِيـــــهِ حَلَيـلَتُهُ وَيَنهرُهُ الصَّغـــــيرُ [2]

وقد شكل الصعاليك بزعامة عروة بن الورد جبهة ضد الأثرياء، فكثرت غاراتهم ومغامراتهم [3].

4- الأحلاف:

وهي نوع من التكتل القبلي، يضم مجموعة من القبائل لأغراض موحدة، ولأسباب قد تكون مؤقتة أو دائمة، ويرأس التكتل زعيم واحد، وقد تطورت الأحلاف إلى تكوين إمارات أو مماليك صغيرة، على غرار مملكة الأنباط التي أقيمت في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية، ومملكة تدمر، ومملكة الغساسنة، والمناذرة، وكندة.. وغيرها، كما سبق ذكره.

---

(1) الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك الأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط3، (د.ت)، الأصمعية (32)، ص118.

(2) ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1998م، ص79.

(3) ينظر: تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)،ص 61،ص 64، 65، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 67.

وأصل الحلف والتحالف من كلمة: (الحلف)، بمعنى اليمين الذي كانوا يقسمون به في عهودهم، وكانوا يغمسون أيدهم في أثناء عقد أحلافهم في طيب أو دم، وكانوا يقولون: "الدم الدم والهدم الهدم".

ومن أهم و أشهر الأحلاف العربية، حلف(الفضول)، الذي عقد بين قبائل قريش وبعض القبائل المجاورة، وينص على عدم إقرار الظلم بالحرم المكي، سواء أكان المظلوم قريبا أو غريبا،

حرا أو عبدا، غنيا أو فقيرا..،وقد اجتمع القوم في دار ابن جدعان، وقد حضره النبي ﷺ مع عمومته وعمره حينها خمس وعشرون سنة، وقد أظهر شجاعة نادرة في حرب الفجار،الذين نقضوا الحلف، وكان ينبل على عمومته: أي يجهز لهم النبل للرمي.

وقد أقر الرسول ﷺ هذا الحلف، وأثنى عليه بعد بعثته بقوله: « لَقَدْ شَهِدْتُ فِى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِى بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ وَلَوِ أُدْعَى بِهِ فِى الإِسْلاَمِ لأَجَبْتُ » [1].

وقد ذكر صفي الرحمان المباركفوري أن هذا الحلف جاء على إثر حرب الفجار، بين قريش ومن معهم من كنانة، وبين قيس وعيلان، وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها.

وقيل في سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم، أن جرهما في الزمن الأول قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف، فتحالف منهم ثلاثة رجال ومعهم تبعهم، أحدهم: الفضل بن فضالة، والثاني: الفضل بن وداعة، والثالث: فضيل بن الحارث، فلما أشبه حلف قريش هذا حلف هؤلاء الجرهميين، سمي حلف الفضول، وقيل سمي كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يغزو ظالم مظلوما [2].

---

[1] رواه البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ط)، 1414هـ/1994م، (باب إعطاء الفيء على الديوان) ، ج6، ص367.

[2] ينظر: الموجز في التاريخ العربي ،ص33،الرحيق المختوم، ص50، 51، تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، ص58، التفكير الفلسفي، ص 34، 35.

المطلب الثاني: أخلاق العرب

بالرغم من أن العرب اشتهروا بمباذل عدة ودنايا في أمور شتى،إلا أنهم تميزوا بخلال كريمة وسجايا فطرية طيبة، استثمرها الإسلام وصقلها بتربيته الفذة،فأنتجت ذلك الرعيل الذي حمل أمانة الدعوة والتبليغ للعالمين،وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**

رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]، وقوله عز وجل: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2].

وفي الأنصار الذين آثروا إخوانهم المهاجرين فقاسموهم الدار والمال وحتى النساء، يقول مولانا- مادحا-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [3].

إننا حين نرى تلك الخلال الكريمة التي ميزت العرب لا نعجب بعد ذلك من المقام الرفيع الذي بلغوه بالإسلام،ومن بين تلك الأخلاق العظيمة نذكر ما يلي:

1- الكرم:

ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيوف، ومن دلائل ذلك أنهم كانوا يوقدون النيران العظيمة حتى يراها المسافرون والغرباء من بعيد فيقصدونهم، وقد اشتهر بالكرم من العرب الكثير، منهم حاتم الطائي، وهرم بن سنان، وعبد الله بن حبيب العنبري، وأوس بن حارثة الطائي، وقس بن سعد، وعبد الله بن جدعان..وغيرهم كثير.

[1] الأحزاب/23.

[2] الفتح/29.

[3] الحشر/09.

وكانوا يحتفون بالسائل ويكرمون اليتيم والأرملة والضيوف، تقول الخنساء عن أخيها صخر:

وإنَّ صَخْـراً لَوالِيــنا وَسيِّـدُنا وإنَّ صَخْـراً إذا نَشْتُـــو لَنَحَّـــارُ [1]

ويقول حاتم الطائي معبرا عن كرمه:

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا [2]

ويذهب كرم حاتم بعيدا حين يعد نفسه عبدا لضيفه في قوله:

وَإِنّي لَعبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً وَما فِيَّ إلاَّ تِلكَ مِنْ شِيمَة العَبْدِ [3]

وهاهو يعد عبده بعتقه إن هو جلب له ضيفا:

أوقِـــدْ فإنّ اللّـــيلَ ليـــلٌ قـرَ والرّيحَ، يا مُـــوقِدُ رِيـــحٌ صِـرُّ
عَسَـــى يَرَى نـــارَكَ مَنْ يَمُـــرُّ إنْ جَلَبَـــتْ ضَيْفاً فأنْتَ حُـــرُّ [4]

ويذم حاتم كل بخيل بقوله:

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الضَّعِيفِ عقُورُهَا
فإنّي جَبانُ الكلبِ بَيْتي مُوَطّأٌ أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا [5]

وزعم ابن قتيبة أن حاتم بن عبد الله الطائي قسم ماله بضع عشرة مرة، جودا وتكرما، وأن شيمة الكرم لم تكن منه تكلفا ورياء بل سجية و طبعا، وأنه عندما كان غلاما جعله أبوه على إبل له، فمر به عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي حازم، والنابغة الذبياني، وهم يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثة من إبله، وهو لا يعرفهم، ثم سألهم عن أسمائهم فتسموا له ففرق فيهم الإبل كلها، فبلغ أباه ما فعل فأتاه فقال له: "ما فعلت الإبل؟"، فقال: "يا أبة طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة"، وأخبره بما صنع!، فقال له أبوه: "لا أسكانك أبدا ولا آويك"، فقال حاتم:" إذا لا أبالي، فاعتزله".

ويبدو أن حاتما قد ورث خلق الكرم عن أمه عنبة، فقد اشتهر عنها أنها كانت لا تبقي شيئا–سخاء وجودا–، وكان إخوتها يمنعونها من ذلك فتأبى عليهم، وكانت موسرة

–

(1) ديوان الخنساء، ص46.

(2) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ص41.

(3) ديوانه، ص44.

(4) ديوانه، ص59.

(5) ديوانه، ص62، 63.

فحبسوها في بيت سنة يرزقونها قوتا، لعلها تكف عما كانت عليه إذا ذاقت طعم البؤس والحرمان وعرفت فضل الغنى، ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمة من مالها، فأتتها امرأة من هوازن فسألتها، فقالت لها: "دونك الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع- الدهر-سائلا شيئا"، ثم أنشأت تقول:

لعَمْرِي لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً فآلَيْتُ ألاّ أمنَع الدَّهْرَ جائعا

فقُولاَ لهذا اللائمي الآنَ أَعْفِنِي وَإن أنْتَ لم تفعَلْ فعَضّ الأصابِعَا

فماذا عساكم أن تقُولُوا لأختكم سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا

وَلَا مَا تَرَوْنَ اليَوْمَ إلاّ طَبِيعَةً فَكَيْفَ بِتَرْكِي يَابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا [1]

2- العفة: اتسم العربي بخلق التعفف، ذلك على الرغم مما أثر عن كثير من العرب المجون والتغزل بالنساء، ولقد كانت العفة شرطا أساسيا من شروط السيادة، مثلها مثل الكرم والشجاعة و غيرهما..

يقول عنترة بن شداد:

وأغُضُّ طَرْفي ما بَدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارَتي مَأواها

إنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَّجوجَ هَواها [2]

وها هي الخنساء تتمدح بعفة أخيها صخر،فتقول:

لمَ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ [3]

وأنشد المبرّد:

مَا إِنْ دَعَانِي الهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا نَهَانِي الحَيَاءُ وَ الكَرَمُ

فَلَا إِلَى فَاحِشٍ مَدَدْتُ يَدِي وَلَا مَشَتْ بِي لِزَلَّةٍ قَدَمُ [4]

---

[1] ينظر: الشعر والشعراء، ص 147، ص148، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 442،443، تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، ص 68.

[2] ديوان عنترة بن شداد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2003م، ص68.

[3] ديوانها، ص47.

[4] المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، دار الأصالة، الجزائر،ط1، 2010م ص662.

فأين يا ترى هذه الخلال الكريمة من المجتمع الذي يدعي الانتماء إلى العروبة،ناهيك عن الالتزام بالإسلام؟!

يقول الشنفرى مادحا عفاف زوجته في غيبته،وطيبة نفسها مع الجيران:

لَقَد أعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إذا ما مَشَـــت وَلا بِذاتِ تَلَفُّــتِ

تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَهـا لِجـــــارَتِهـــا إذا الهَدِيَّةُ قَلَّــتِ

تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتهـــا إذا ما بُيــوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّـــتِ

كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلـــى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمْكَ تَبْلَــتِ

أُمَيمَةُ لا يُخزي نَناها حَليـتلَهـا إذا ذُكَرِ النِســوانُ عَفَّت وَجَلَّــتِ

إِذَا هُوَ أَمْسَـــى آبَ قُرَّةَ عَيْنِـهِ مَآبَ السَّعِيدِ لمَ ْيَسَلْ أَيْنَ ضَلَّتِ؟[1]

وفي التعليق على هذه الأبيات يقول شوقي ضيف :"..فصاحبته وقور خجول، لا يسقط قناعها في أثناء سيرها، ولا تلتفت حولها، وهي كريمة مؤثرة تؤثر جارتها في الجدب بغبوق اللبن، وقد حصنت بيتها عن كل لوم أو ذم يلحقها، وهي شديدة الحياء،ومن أجل ذلك لا ترفع رأسها عن الأرض في مسيرها، حتى ليظن من يبصرها أنها تبحث عن شيء ضاع منها، وإذا اعترضها شخص وكلمها أوجزت ومضت لقصدها وغرضها، وإن الحديث العطر عنها في العشيرة ليملأ زوجها زهوا وخيلاء، إنها مثال العفة والجلال، وإنه ليرفعها عن كل شك وتهمة، فإذا أمسى وعاد إليها من المرعى أو من بعد رحلته الطويلة عاد قرير العين بها سعيدا، فلا يسألها أين كانت لأنها موضع ثقته"[2].

ومن نوادر عفتهم أن امرأة من صالحات نساء قريش خرجت إلى بابها تغلقه ورأسها مكشوف، فرآها رجل أجنبي، فرجعت وحلقت شعرها، وكانت من أحسن النساء شعرا، فقيل لها في ذلك، فقالت:"ما كنت لأدع على رأسي شعرا رآه لي من ليس بمحرم".

ونحن نقول أين هذا الهدي الأخلاقي العظيم من حضارة اليوم التي تتشدق بالحرية وإكرام المرأة، وهي تبتذلها و تعريها من لباس حيائها؟!

روى ابن عباس أن عبد الله بن عبد المطلب – والد النبي ﷺ– دعته كاهنة من خثعم، يقال لها فاطمة بنت مرّ، متهوّدة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نورا، فدعته إلى

–

[1] ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص31، 32.

[2] تاريخ الأدب العرب (العصر الجاهلي)، ص 73، 74، 75.

نفسها وبذلت له مائة من الإبل، وقيل إنها قالت له:"لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك"، وكانت تتكهن وتسمع بإتيان رسول الله ﷺ،وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله، رجاء أن يكون النبيّ منها، للنّور الذي رأته بين عينيه، فأبى وقال:

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَه وَالْحِلُّ -لَا حِل- فَأَسْتَبِيـــنَه

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَه يَحْمِي الْكَرِيم عِرْضه وَدِينه [1]

3- **الوفاء:** كانوا يرون الوفاء بالعهود من أوجب الواجبات، وأن الغدر والخيانة من أنكر الأخلاق، ومن أمثلة ذلك ما ذكره المؤرخون عن وفاء السموأل، الذي أبى أن يسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني دروع إمرىء القيس، التي أودعها عنده، وتحصن في قصره بتيماء، فهدده الحارث بقتل ولده فلم يزد السموأل ذلك إلا إصرارا فقتل ولده، فقال السموأل:

وفَيْتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيّ إِنّي إذا ما خَانَ أَقْوَامٌ وَفيْتُ [2]

وقد قامت حرب ضروس بين العرب والفرس بسبب قصة وفاء تزعمها هانىء بن مسعود الشيباني حين وفى للنعمان ودائعه.

وكانوا يقدرون الوفاء تقديرا عظيما، فإذا وعد أحدهم وعدا أوفى به، وأوفت معه قبيلته بما وعد، وحفظوا للجار حقه، وتعهدوا بنصرته، ولذلك كان كل من يغدر ويخون العهد ترفع له راية في المجامع والأسواق، يعير بها أبد الدهر، وهاهو الحادرة يعتز بنفسه الوفية حين يخاطب صاحبته سمية:

أَسُمَيَّ وَيْحَكِ هَلْ سَمِعْتِ بِغَدْرَةٍ رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا في مَجْمِعِ [3]

4- **الشجاعة:** أما هذه فحدث بها عن العرب ولا حرج، فقد ضربوا فيها بسهم وافر، وقد كانوا يستهينون بالموت، دفاعا عن ذمار القبيلة، أو ذودا عن الحريم أو ثأرا من الظلمة..

---

(1) المستطرف، ص661، ينظر: سلسلة أخبار العرب (عفاف العرب)، حسن مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ص 86، ومن ص 121 إلى ص 124 باختصار.

(2) ديوان السموأل، دار صادر ، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ص73.

(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، ج7، ص403.

وهاهي قبيلة الشاعر لقيط ابن معمر، قبيلة إياد من بطن نزار، كانت أكثرهم عددا وأحسنهم وجوها وأمدهم وأمنعهم..وكانوا قد أغاروا على أموال لأنو شروان فأخذوها فجهز إليهم الجيوش فهزموهم مرة بعد مرة [1].

وكان عرب البادية أكثر شجاعة من أهل المدن، و السبب في ذلك-كما يذكر ابن خلدون- أن: "أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، والحاكم الذي يسوسهم، والحامية التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم، والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال(..) وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم الأسوار والأبواب، قائمة بالدفاع عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع-إلا غرارا- في المجالس وعلى الرحال، وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنبآت والهيعات، ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين ببأسهم، قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ" [2].

وممن اشتهر من العرب بالشجاعة: عنترة بن شداد، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معد يكرب، وعمرو بن كلثوم..وغيرهم كثير.

ويعد "عنترة من فرسان العرب المعدودين،ولم يلقب – عن عبث –بعنترة الفوارس.

قال ابن قتيبة: كان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يمينه، وقد فرق بين الشجاعة والتهور(..) قيل لعنترة: أنت أشجع العرب وأشدها؟ قال: لا! قيل: فبماذا شاع

---

[1] ينظر: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 445، الشعر والشعراء، ص 117، ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 69،ص 73-75.

[2] المقدمة، ص138، 139، باختصار.

لك هذا بين الناس؟ قال: كنت أقدم، إذا رأيت الإقدام عزما، وأحجم إذا رأيت الإحجام عزما، ولا أدخل موضعا إلا أرى لي منه مخرجا، وكنت أعتمد الضعيف الجبان، فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع، فأثني عليه فأقتله" [1].

5- **الشهامة والمروءة:** تمثلها كثير من العرب، ومنهم سيف بن ذي يزن، الذي دافع عن شرف بلده اليمن، ولما اضطر إلى الاستعانة بكسرى عظيم الفرس، عرض عليه مالا وفيرا، فلم يرضه، وإنما أصر على تزويده بالسلاح والرجال، فتم له ذلك..وقد ذكر بعض أهل التاريخ أن سيفا نثر الأموال المهداة له من كسرى بين الصبيان والخدم، فساء ذلك كسرى فقال له: "عمدت إلى حباء الملك الذي حباك به تنثره على الصبيان**!**"، فما كان من سيف إلا أن رد عليه بنبرة غاضبة: "وما أصنع به إذا كانت جبال أرضي كلها ذهب وفضة"، فعظم أمره عند كسرى، فأمر له بثمانمائة جندي، تمكن بهم سيف من طرد الأحباش المستعمرين لبلده.

إن خلة المروءة لم تفارق عنترة في سكره عندما يقول:

وإِذَا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهِـــلكٌ مَالِي وعِرْضي وافِرٌ لم يُكْلَـــمِ
وإِذَا صحوْتُ فما أُقَصرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتَ شمائِلي وتَكَرُّمِي [2]

وهاهو عنترة يعبر عن شهامته واستعلائه، ذلك حين يصبر على الجوع في مقابل أن لا يأكل طعاما لا يستحله، فيقول:

وَلَقَدْ أَبِيـــتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حَتىَّ أَنَالَ بِهِ كَرِيـــمَ الْمَأْكَلِ [3]

ولما أنشد النبي ﷺ هذا البيت، قال: « مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ قَطُّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ، إِلَّا عَنْتَرَة » [4].

---

[1] ديوان عنترة، ص4.

[2] نفسه، ص21.

[3] نفسه، ص9.

(4) الأغاني، ج8، ص250، وقد ذكر محمد ناصر الدين الألباني بأن هذا الحديث منكر، ينظر كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ/ 1992م، رقم: 6510، ج14، ص27.

تلك بعض الشذرات الغالية والقلائد الفريدة من أخلاق العرب العالية، ولو رحنا نستقرئ التاريخ لوقفنا على آلاف الصفحات التي تروي إنسانية العرب وعظمتهم.

المطلب الثالث: وضع المرأة بين الإنصاف و الإجحاف

لقد كانت العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الإسلام-في جميع العصور ومختلف الأمصار- طبيعية، لا تخضع لنظام،ولا تلتزم بقيود سوى الأعراف الثقيلة التي تفرضها بعض المجتمعات، ولاسيما فيما يتعلق منها بسلوك المرأة، وتبيان ما لها من حقوق وما عليها من واجبات.

فالرومان يعتبرون المرأة شرا يجب تجنبه، والإغريق يرون أن المرأة مخلوق منحط، وجد ليلد للدولة رجال حرب وليس غير.

ويجد الهندوس في حرق المرأة مع زوجها يوم موته شريعة مثالية.

وقد أباح سقراط للرجل أن يهب زوجته لأصدقائه، ونادى أفلاطون في جمهوريته الفاضلة بتداول النساء بين الرجال، تماما مثل الماء والهواء والنار، وقد عرف في العهد القديم بيع الآباء لبناتهم لمن يريد الزواج بهن (1).

أما عند عرب الجاهلية فإن من الخطأ اعتبار أنهم كلهم كانوا يهينون المرأة، ويدفنوها وهي حية، فقد كان ذلك أمرا معزولا وشاذا وخاصا في بعض البيوت الدنيئة، أما البيوت الشريفة فكانت تكرم المرأة وترعى لها حقوقها، والدليل ما جاء في شعر الشعراء من مدح وتغزل بالمرأة وتعظيما لشأنها أما وبنتا وزوجة، ومن ذلك ما أجاب به مويال بن جهم المذحجي – أو مبشر بن هذيل الفزاري – امرأته، حين نهته عن السرف في النفقة، فأجابها بلين ورفق:

أَلَمْ تَعْلَمي، يا عَمْرَكِ اللهُ، أَنّني كريمٌ عَلى حِينِ الكرامُ قَلِيلُ (2)

(1) الموجز في التاريخ العربي،ص 83، سلسلة أخبار العرب (عفاف العرب)، ص9.

(2) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ج10، ص137.

ويلقبها آخر – وهو مرّة بن محكان السّعدي التميمي – بخير الألقاب، ذلك حين نزل به أضياف :

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إلَيْكِ رِحَـــالَ الْقَوْمِ وَالْقُرُبَا (1)

ومن سمات التشريف عندهم أن تنادى المرأة بكنيتها، فها هو الشاعر العربي يقول:

سَلِي الطَّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إذا مَا أتانِيَ بَين قِدْري ومَجْزِري

أَأَبْسُطَ وجهي أنّه أول القِـــرَى وأبذلُ معروفي له دون مُنْكـري (2)

وكانوا يستشيرونها فيما يخص شريك حياتها، فإن رضيت أبرموا عقد النكاح وإذا رفضت ردوا الخاطب مع الاعتذار والاحترام، وقد ذكر أن هند بنت عتبة بن ربيعة (3) قالت لأبيها: "لا تزوجني من أحد حتى تعرض علي أمره وتبين لي خصاله". فخطبها سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها وهو يقول:

أَتَاكِ سُـهَيْلُ وَابْنُ حَرْب وَفِيهِمَا رِضاً لَكِ يَا هِنْدَ الهُنُـودِ ومقْنعُ

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُعَاشُ بِفَضْـــلِهِ وَمَـــا مِنْهُمَا إِلَّا يَضُرُّ وَيَنْفَـــعُ

وَمَا مِنْهُمَـــا إِلَّا كَرِيـــمٌ مرزَأٌ وَمَا مِنْهُمَـــا إِلَّا أَغَرّ سمَيْـدَعُ

فَدُونَكِ فَاخْتَـــارِي فَأَنْتِ بَصِيرَةٌ وَلَا تخْدَعِي إِنَّ المُخَادِعَ يخْدَعُ (4)

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ/ 2004م، ج4، ص251.

(2) قال صاحب الأغاني: " قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها: (سلِي الطارقَ المعتَرّ يا أمَّ مالك ...) لعروة بن الورد، وهي للعجير"، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر،بيروت، ط2، ج13، ص73، ونسبها صاحب المستطرف لحاتم الطائي، ص298.

(3) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس،أبو الوليد:كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية،كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل،خطيبا.وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار(بين هوازن وكنانة)،وقد رضي الفريقان حكمه، أدرك الإسلام وطغى فشهد بدرا مع المشركين، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه، الأعلام ، الزركلي، ج4، ص200.

(4) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ط)، 1405هـ/1985م، ج1، ص9.

قالت:"يا أبت والله ما أصنع بهذا، ولكن فسر لي أمرهما وبين لي خصالهما، حتى أختار لنفسي أشدهما موافقة لي".

فبدأ بذكر سهيل بن عمرو، فقال: " أما أحدهما ففي ثروة واسعة من العيش، إن تابعتيه تابعك، وإن ملت عنه حط إليك، تحكمين عليه في أهله وماله، وأما الآخر فموسع عليه، منظور إليه، في الحسب الحسيب، والرأي الأريب، مدره: (السيد)، أرومه: (الأصل والحسب) وعز عشيرته، شديد الغيرة، كثير الظهرة: (العون)،لا ينام على ضعة، ولا يرفع عصاه عن أهله"، فقالت: "يا أبت الأول سيد مضياع للحرة، فما عست أن تلين بعد إبائها، وتضيع تحت جناحه،إذا تابعها بعلها فأشرت، وخافها أهلها فأمنت، فساء عند ذلك حالها وقبح عند ذلك دلالها، فإن جاءت بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، فأطو ذكر هذا عني، ولا تسمه علي بعد، وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة: (البكر لم تمس قط)، الحرة العفيفة، وإني للتي لا أريب: (أقلق) له عشيرة فتعيره، ولا تصير بذعر فتضيره، وإني لأخلاق مثل هذا الموافقة فزوجنيه". فزوجها من أبي سفيان.

هذه الواقعة تبين ما كان للمرأة من فضل على الرجل، فما بال قوم من المسلمين اليوم يحكمون التقاليد والعادات في تزويج البنات، فيكرهونهن على الزواج بمن لا يرغبن في الزواج منه، والغريب أنهم ينسبون ذلك إلى الدين ظلما وعدوانا (1).

وقد بلغ من عظيم قدر المرأة عندهم أنها كانت تساهم في الصلح بين المتنازعين، ومن ذلك ما أورده الشيخ محمد الخضري بك: " قال الحارث بن عوف المري لخارجة بن سنان، في إبان الحرب بين عبس وذبيان: أتراني أخطب إلى أحد فيردني، قال: نعم ،أوس بن حارثة بن لأم الطائي، فقال الحارث لغلامه: هيئ لي مركبا، ثم ركب هو وغلامه ومعهما خارجة،

حتى أتيا أوسا فوجداه في داره، فلما رأى الحارث رحب به وسأله عن مجيئه، فقال: جئتك خاطبا، فقال أوس: لست هناك، فانصرف ولم يكلمه.

–

(1) ينظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، ص17، 18، سلسلة أخبار العرب (حال العرب)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م، ص42.

ثم دخل أوس على امرأته مغضبا وكانت من عبس، فقالت: من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف،قالت: فما بالك لم تستنزله؟
قال: إنه استحمق، جاءني خاطبا، فقالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك، قالت:ما كان منك فالحقه، وقل له أنك لقيتني مغضبا بأمر لم تقدم مني فيه قولا، فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت، فإنه سيفعل، ففعل ذلك أوس ورد حارثة، فلما وصلوا إلى بيت أوس قال أوس لزوجه: ادعي لي فلانة – لكبرى بناته – فأتته، فقال:يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد سادات العرب، قد جاءني طالبا خاطبا، وقد أردت أن أزوجك منه، فقالت: لا تفعل لأني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما فيه.

قال: قومي بارك الله فيك، ثم دعا الوسطى فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء وليس بيدي صناعة ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم، ثم دعا الثالثة وهي بهيئة صغراهن فلما عرض عليها قالت: أنت وذاك.

فأخبرها بإباء أختيها، فقالت: لكني والله الجميلة وجها، والصناع يدا، الرفيعة خلقا، الحسيبة أبا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير.

فتزوجها الحارث، وهيئت إليه في بيت أبيها، فلما خلا بها وأراد أن يمد يده إليها، قالت: مه، أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله ما لا يكون، فارتحل بها حتى إذا كان ببعض الطريق وأراد قربانها، قالت: أكما يفعل بالأمة الحلبية أو السبية الأخيذة؟ والله حتى تنحر الجزور، وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما لا يعمل لمثلي.

فرحل حتى إذا وصل ديار قومه أعد لها ما يعد لمثلها، فلما أراد قربانها قالت له: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها؟ أخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك.

فخرج الحارث مع خارجة بن سنان فأصلحا بين القوم وحملا الديات، وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين" (1).

إن هذا النموذج الفذ من النساء يعز وجوده، ولا يجود الزمان به إلا نادرا.

وقد كان المجتمع الجاهلي مكونا من نوعين من النساء: حرائر وإماء، وقد كثرت الإماء عندهم، وكان أكثرهن عاهرات يتخذن الأخدان، وكان منهن جواري يخدمن الشريفات، وكن في منزلة دانية، وكان الرجل إذا استولد إحداهن لم ينسب مولودها إلى نفسه، وتسمى أم ولد، وربما تنسب مولودها إلى أبيه، وذلك بشرط إذا صلح حاله في الكبر بأن يظهر شجاعة وبطولة، مثل عنترة بن شداد، فقد كانت أمه جارية.

إن المرأة في عصر الجاهلية تمتعت بقدر كبير من الاحترام والتقدير والحرية، فهاهي خديجة بنت خويلد – زوجة رسول الإسلام – امرأة شريفة قد تدافع السادة والوجهاء للظفر بها كزوجة، فترفض وتتعلق بالنبي ﷺ ، ثم تستأمنه على مالها، بل وتخطبه لنفسها.

أما ما سجله القرآن ونقلته كتب التاريخ عن امتهان المرأة ووأدها حية، فأغلب الظن أنه كان محصورا في سفلة القوم، الذين كانوا يعدون المرأة فقط للمتعة الجسدية، أوأنها رمز للفضيحة والعار، وربما كان دافع الفقر والخوف من السبي وراء ذلك الموقف المهين منهن(2).

المطلب الرابع: النظام الأسري

كان الرجل هو رئيس الأسرة وصاحب الكلمة فيها، وكان الرجل يرتبط بالمرأة بعقد زواج يرضاه الولي ويشهده الشهود، إلا أن المجتمع حينذاك شهد أنواعا أخرى من الارتباط بين الجنسين، تدخل كلها في العلاقات المحرمة، التي نقضها الإسلام ونهى عنها، ولم يقر منها سوى ما استوفى الأركان والشروط المعروفة.

[1] محاضرات الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، ص 18، 19.

[2] ينظر تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 73، تاريخ الإسلام ،ج1، ص64، 65.

قالت عائشة رضي الله عنها: " كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء:

1- نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

2- ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته – إذا طهرت من طمثها:(حيضها)– : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه: (الجماع لنيل الولد)، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، فإذا تبين أصابها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، ويسمى هذا النكاح (الاستبضاع).

3- ونكاح آخر: يجتمع الرهط: (ما دون العشرة) على المرأة فيدخلون، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليالي أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع،حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، وتسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

4- ونكاح رابع: يجتمع ناس كثير، فيدخلون على المرأة، ولا تمتنع ممن جاءها – وهن البغايا– ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت، جمعوا لها، ودعوا لها القافة: (من يشبه بين الناس)، ثم ألحقوا ولدها الذي يرون، فالتاط به: (التصق و ثبت النسب بينهما)، ودعي ابنه لا يمتنع عن ذلك" [1].

وفي المجتمع الجاهلي كان الطلاق بيد الرجل يبرمه متى شاء، اللهم إلا ما كان من نساء علية القوم، فقد كن يشترطن عند عقد الزواج أن تكون عصمة الطلاق بأيديهن، وكانوا يطلقون ثلاثا متفرقات، وكانت عدة المتوفى عنها زوجها سنة كاملة.

وكانوا يعددون النساء ولا يحددونهن بعدد معين.

وكان من شعاراتهم: (العرق دساس)، فكانوا يختارون النساء من أصل شريف ليلدن لهم أطفالا صلحاء.

[1] فقه السنة، سيد سابق، دار الجيل، نشر الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط10، 1414هـ/1993م، المجلد الثاني، ص105.

وإذا كان ما ذكرته السيدة العفيفة عائشة رضي الله عنها عن تلك العلاقة البهيمية بين الجنسين، إنما كان يتم داخل البيوت ووراء الخدور والستور، فأما اليوم فقد أصبح الزنا يعرض (على الهواء مباشرة)، من خلال ما تبثه القنوات الإباحية جهارا نهارا، أو ما يعرض على شبكات الأنترنت أو ما يتناقله عموم الناس بواسطة ما يسمى (البلوتوث) على أجهزة الهواتف النقالة.

وكانت لهم المحارم من النساء: كالبنت، والأخت، والعمة، والخالة.

وكانوا يؤثرون البنين على البنات، للمحافظة على النسب وللدفاع عن القبيلة، ومع ذلك وجد من عطف عليهن، مثل لقيط بن زرارة أحد أشراف بني تميم، فقد بلغ به حبه لابنته أنه كان يصطحبها في غزواته ويتيمن برأيها.

وكان لمعن بن أوس الشاعر ثلاث بنات، فكان يمتدحهن بقوله:

رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَنَاتِهم وفِيهنّ لا تُكْذَبْ نِساءٌ صَوالِحُ
وفيهنّ والأيّامُ تَعْثُر بالفتى نَوَادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوَائحُ [1]

ومنهم من كني بابنته كربيعة بن رياح والد الشاعر زهير، الذي كان يكنى بأبي سلمى، وأبو أمامة كنية الشاعر النابغة الذبياني.

وقد عبر أحد الشعراء- وهو حطان بن المعلى- عن حبه وحنوه على أبنائه وبناته فقال:

وإنَّمَا أوْلادُنَا بَيْنَنَا أكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأرْضِ[2]

وكان هناك من أشراف تميم من ينكر الوأد، وكانوا يشترون البنات بالنوق، ومن أشهرهم عامر بن صعصعة، جد الفرزدق [3].

وكان ربما كره الرجل مولودته الأنثى فيهجر زوجته ويتوارى عن القوم، خوفا من الفضيحة والعار، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝** ﴾[4].

---

(1) ديوان معن بن أوس المزني، صنعه: نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، (د.ط)، 1977م، ص85.

(2) الأمالي في لغة العرب، ج2، ص192.

(3) التشريع والفقه في الإسلام، ص 31، ص33، تاريخ العرب في عصر الجاهلية،ص 447، 448، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، ص20، ص21، الأغاني، الأصفهاني، ج10، ص279.

(4) النحل/58-59.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ ﴾ (1).

ومن أولئك: أبو حمزة الضبي، الذي وضعت له زوجته أنثى فهجرها، وأخذ يبيت عند جيرانه، فمر بخبائها يوما فسمعها تقول لابنتها:

مَا لأَبِي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينَا يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا

غَضْبَانُ أَنْ لاَ نَلِدَ الْبَنِينَا تَاللّهِ ما ذَلِكَ في أيْدينا

وإنّما نَأخُذُ ما أُعْطِينَا ونحن كالأرْضِ لِزَارِعِينا

نُنْبِتُ ما قَدْ زرعوهُ فِينَا (2)

فأسف الرجل من سماع ذلك وأقبل إلى زوجته فصالحها، بأن قبل رأسها ورأس ابنتها، وقال: "ظلمتكما ورب الكعبة" (3).

تلك بعض الصور المظلمة والمشرقة من حياة عرب الجاهلية، أوردناها لكي نسجل حقيقتين هامتين:

الأولى: نعمة الإسلام التي حباهم الله بها، فانتشلهم به من وهدة الضلال الدنيوي والشقاء الأخروي.

الثانية: ما انطوت عليه حياتهم من شيم أصيلة، أهلتهم لحمل أعظم رسالة في الوجود.

وفي كلتيهما عبرة للإنسان العربي والمسلم على السواء، سيما في هذا العصر الذي انطمست فيه كثير من معالم العروبة والإسلام، فإن لم يتبنيا الإسلام عقيدة وسلوكا، فلا أقل من تبني أخلاق العروبة الأصيلة، فربما حفظت لهما موطئا بين الأمم.

(1) الزخرف/17.

(2) البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م، ج1، ص108. وقد صدقت هذه المرأة الحكيمة، فالمسئول – شرعا وعلما – عن جنس الولد، إنما هو الزوج، وليست الزوجة. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ أَلزَّوْجَيْنِ أَلذَّكَرَ وَالأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾، القيامة/ 37-38-39، ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر،ط1، 1426هـ/2005م، ص983.

(3) تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص 49.

الفصل الأوّل:

القرآن الكريم وترتيبه

مدخل عام: (تعريف بالقرآن الكريم وعلومه)

المبحث الأول: الترتيب المصحفي الحالي وخصائصه

المبحث الثاني: خصائص وفوائد ترتيب النزول

الفصل الأول: القرآن الكريم وترتيبه

مدخل عام: (تعريف بالقرآن الكريم وعلومه)

أولا: تعريف القرآن

هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس والمعجز بلفظه ومعناه [1].

ويكاد يكون هذا التعريف الجامع المانع متفقا عليه بين جميع العلماء والمفسرين.

ويعتبر كتاب الله عز وجل هداية للبشرية جمعاء، ودستور تشريعي للأمة الإسلامية بخصوص.

نزل القرآن منجما خلال ثلاث وعشرين سنة، أقام خلالها دعائم دولة إسلامية، سادها العدل والحق، لم يشهد التاريخ لها مثيلا.

ولقد" اعتنى علماء هذه الأمة – بعد النبي ﷺ– من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا بالقرآن الكريم وعلومه،كل بما فتح الله عليه به من التفسير، وأسباب النزول، وذكر

مناقبه، وفضائل حفظه وتلاوته والاستماع إليه، وبيان معجزاته، والإعجاز العلمي فيه، وغير ذلك من علوم القرآن" [2].

---

[1] التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار البعث، قسنطينة، نشر وتوزيع مكتبة رحاب، الجزائر، ط3، 1407هـ/1986م، ص6.

[2] الجامع في أسباب النزول، جمع وترتيب وتحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، خرج أحاديثه: موفق منصور، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/2011م، ص07.

ثانيا: أسماء السور الكريمة وعلاقتها بالمضمون

يتساءل التالي لكتاب الله تعالى والمتدبر فيه: ما العلاقة بين اسم السورة ومضمونها؟ فمثلا سورة البقرة، هل لأن ذكر البقرة فقط هو الذي كان سببا في تسميتها كذلك، أم أن لاسم السورة علاقة بموضوع السورة وجوها العام، كسورة العلق، التي يوحي موضوعها بذلك، فالإنسان يتسم بالضعف، ومن ذلك جهله بالخلق الأول، فأرشده مولاه إلى تعلم العلم بوسائله، ومنها القلم، والغرض هو الاهتداء إلى الله تعالى ومن ثم الالتزام بهديه في أموره الدنيوية والأخروية. وكذلك تذكير هذا الإنسان بأن طغيانه وغناه لا يغني عنه شيئا، فمصيره إلى مولاه يوم الدين، يوم لا يغني عنه سلطانه وماله شيئا.

فلفظ: (العلق) يشي بذلك الضعف والعجز، الذي ظهرت معانيه في أوائل السورة وأواخرها.

وفي هذا السياق يذكر بدر الدين الزركشي [1] أن ثمة أسباب أخرى ، فيقول رحمه الله: " ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي- في الكثير من المسميات – أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة

تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز(..)وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء(..)وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها(..)وانظر سورة (ق) لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف.

---

(1) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين: (745-794ه/1344-1392م)، عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له عدة تصانيف منها: البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط، في ثلاثة مجلدات، في أصول الفقه، وربيع الغزلان، في الأدب، الأعلام، الزركلي، ج6، ص60.

ومن ذلك السور المفتتحة بالحروف المقطعة، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته،حتى لم تكن لترد (ألم) في موضع (ألمر)، ولا (حم) في موضع (طسم)، لا سيما إذا قلنا: إنها أعلام لها وأسماء عليها.

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلمها، ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها، وجدت الحروف المفتتح بها تلك السورة – إفرادا وتركيبا – أكثر عددا في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها..فلو وضع موضع (ق) من سورة (ن) لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى. وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (ألر) مائتا كلمة وعشرون أو نحوها، فلهذا افتتحت (ألر)" (1).

ثالثا: مباحث ومحاور القرآن الكريم

احتوى القرآن الكريم عدة أبحاث جليلة تتعلق به، من حيث نزوله وجمعه وترتيبه وكتابته ومعرفة أسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه..والغرض من كل ذلك هو الوصول إلى فهم المراد من كلامه تعالى،ولذلك عد علم التأويل أو التفسير أشرف علومه،وقد

أبلى المفسرون بلاء حسنا في محاولة استجلاء معانيه وبيان مراميه،فكثر التدوين في فن التفسير،ولا يزال هذا العلم قائما وسيظل إلى قيام الساعة، مادام أن القرآن معجزة الله الخالدة،فهو كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: « لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ »[2].

---

(1) البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط3، 1400هـ/1980م، ج1، ص270-272، باختصار.

(2) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، واللفظ له، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م،(كتاب فضائل القرآن)، رقم 2040، ج1، ص741.

وللسور المكية والمدنية أساليب تراعي ظروف وأحوال المخاطبين، ولذلك تنوعت أساليب الموضوعات القرآنية، من الشدة أو اللين، أو التفصيل أو الإجمال وغير ذلك [1].

وفي بيان ما اشتمل عليه كتاب الله عز وجل من العلوم والحكم والأحكام على الجملة يقول ابن جزي الغرناطي[2]: " الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل، أما الجملة، فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعا الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمرين، وهما الترغيب والترهيب، وأما على التفصيل فاعلم أن معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد والوعيد، والقصص" [3].

وقد ذكر الأستاذ عز الدين بليق أن القرآن الكريم احتوى على ما يأتي:

1- العقائد التي يجب الإيمان بها.

2- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس، والأخلاق السيئة التي حذر منها.

_

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، ديسمبر، 1985م، ص233.

(2) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ،ابن جزي الكلبي،أبو القاسم: (693-741هـ/1294-1340م)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، (التسهيل لعلوم التنزيل):تفسير. قال المقريزي: "فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف"، الأعلام، الزركلي، ج5، ص325.

(3) تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (دط.دت)، ص5.

3- الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض.

4- قصص الأولين أفرادا وأمما.

5- الإنذار والتخويف، أو الوعد والوعيد.

6- الأحكام الشرعية العملية (1).

وأما بخصوص المواضيع التي عالجها القرآن الكريم، فقد لاحظ الشيخ محمد الغزالي(2) أنها تدور حول خمسة محاور، فيقول: "والقرآن الكريم – مع استفاضة معانيه،وكثرة سوره –يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة"، معنونة كالتالي: الله الواحد/الكون الدال على خالقه/القصص القرآني/البعث والجزاء/ميدان التربية والتشريع (3).

وقد أحصى الأستاذ مروان العطية مواضيع القرآن الكريم، الرئيسة منها والفرعية، وألحقها بالمصاحف الشريفة.

والرئيسة منها تحت العناوين التالية:

أركان الإسلام/الإنسان والعلاقات الاجتماعية/الإنسان والعلاقات الأخلاقية /الإيمان /التجارة والزراعة والصناعة /تنظيم العلاقات المالية/الجهاد/الدعوة إلى الله عز وجل/

(1) موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص15 وما بعدها.

(2) هو محمد أحمد السقا، المشهور بمحمد الغزالي: (1335-1416هـ/1917-1996م)، داعية ومفكر إسلامي مصري، شغل منصب رئيس المجلس العلمي بجامعة العلوم الإسلامية بقسنطينة لمدة خمس سنوات، وكانت آخر مناصبه، التي تولى كثيرا منها، في عدة دول عربية،منها السعودية ومصر وقطر. له العديد من المؤلفات، منها: كيف نتعامل مع القرآن، نظرات في القرآن ،معركة المصحف في العالم الإسلامي، عقيدة المسلم..وغيرهاينظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار عبد الله عقيل سليمان العقيل، تقديم: بدر محمد بدر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2002م، ص25 وما بعدها بتصرف.

(3) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط3 ،1421هـ/2000م،ص16.

الديانات/العلاقات السياسية والعامة/العلاقات القضائية/العلوم والفنون/العمل/القرآن الكريم/القصص والتاريخ (1).

وربما عالجت السورة الواحدة عدة مواضيع في سياق محكم ونظام عجيب"..فالدرس الواحد من دروس التنزيل قد يشتمل على تعليم في قضايا الإيمان، وتعليم في قضايا الأخلاق، وتعليم في قضايا العبادة، وتعليم في قضايا السلوك، ومناظرة إقناعية، وتربية للداعي، وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وتعليلات نفسية، وبيان حقائق عن طبائع الناس والأشياء، ووقائع التاريخ الإنساني، وظواهر المجتمع البشري، وسنن الله عز وجل (..) في مزيج قد تكون معه الجملة القرآنية الواحدة مستخدمة لتحقيق عدة مطالب، فيستغنى بهذا الدرس عن نحو عشرة دروس، أو أكثر، بحسب نوع الدرس، والموقف البشري الذي نزل بشأنه في حركية نجوم التنزيل".

إن التفصيل في هذه الموضوعات يحتاج إلى مجلدات، ولكن القرآن الكريم جمعها في بضع آيات:"..ولو عولجت هذه المختلفات على طرائق التصنيف العلمي المجزأ إلى موضوعات، لاقتضى الأمر أن يكون القرآن عشرات المجلدات الضخمة، التي لا يتحملها الناس حينئذ"(2).

وقد لاحظ علماء القرآن أن كل سورة من سوره الكريمة يربطها رابط واحد، وتدور

---

(1) المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، وقد جعل تحت هذه العناوين الرئيسة عناوين كثيرة فرعية، وأشار إلى مواضعها في الكتاب العزيز، وذلك بالإشارة إلى أرقام الآيات وأرقام السور، وقد طبع المعجم في البداية بمطابع دمشق، ثم عمم طبعها في المطابع الأخرى. وهو عمل جليل من شأنه تسهيل عملية البحث في التفسير الموضوعي. وقد أفدت منه كثيرا في إعداد هذه الرسالة،كما أفدت من كتاب: (المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم) لمؤلفه صبحي عبد الرؤوف عصر، طبع بدار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط.دت).

(2) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سورية، ط2، 1425هـ/2004م، ص31.

حول محور واحد، حتى ولو تعددت وتنوعت المواضيع المطروقة (*).

رابعا: أسماء القرآن واشتقاقاتها

أي أمر ذي بال وشأن عند العرب إلا ويشتق له العديد من أفضل الأوصاف والأسماء ، ولما كان القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فلقد اشتق له العديد من الأسماء الشريفة، ومنها: القرآن/الفرقان/الكتاب/التنزيل/الذكر...

وقد ذكر الزركشي خمسة وخمسين لقبا للقرآن الكريم، ونسبه إلى القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك.

وقد وردت للقرآن أوصاف عدة، ذكرها الله تعالى فيه، ومنها:هدى،نور،رحمة، عزيز، موعظة، شفاء..إلى غيرها من الأوصاف الجليلة العظيمة.

ولكل من هذه الأسماء الكريمة معان ودلالات " أما النور، فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام، وأما تسميته هدى فلأن فيه دلالة بينة إلى الحق، وتفريقا بينه وبين الباطل، وأما تسميته رحمة فإن من فهمه وعقله كان رحمة له، وأما تسميته ذكرى فلأنه ذكر

(*) في الملحق بالرسالة وضعنا جدولا لمحاور السور القرآنية الكريمة حسب ترتيب النزول.

والمقصود بمحور السورة: الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة في نسق واحد، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، بإشراف الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، سنة1431هـ/2010م، المجلد التاسع، ص238.

أما المنهج المتبع لمعرفة محاور السور القرآنية فيتم بمعرفة ما يلي:1/اسم السورة،2/المناسبات في السورة،3/المرحلة الزمنية لنزول السورة،4/القضايا المعروضة في السورة، التفسير الموضوعي، المجلد09 ،ص264، 5/إضافة إلى تتبع مقدمات تفسير السور الكريمة في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله، ففيها حوصلة عامة لمضمون ومحاور السور الكريمة، قبل الشروع في تفاصيلها.

للمؤمنين، ما فطرهم الله عليه من التوحيد" (1).

خامسا: أقسام القرآن

اختلف العلماء في تقسيم السور القرآنية بحسب الطول والقصر،وهو كالتالي:

1- **السبع الطوال**: وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة فيها خلاف: فقيل: إنها الأنفال مع التوبة،وقيل إنها التوبة، وقيل يونس.وقيل غير ذلك.

2- **المئون** : وهي السور التي تلي السبع الطوال، سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

3- **المثاني** : وهي السور التي تلي المئين، سميت بذلك لأنها تثنى بها ، أي كانت بعدها، فهي ثوان بالنسبة للمئين، والمئون أوائل بالنسبة إليها.

وقيل لأنها تثنى- أي تكرر- في التلاوة أكثر من غيرها.

وقد تطلق المثاني على القرآن كله، وعلى الفاتحة، فيقال: السبع المثاني.

4- **المفصل**: وهو ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بالمفصل لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، ولهذا يسمى بالمحكم.

واختلف في أول المفصل: فالمشهور أن أوله سورة ق، وقيل الحجرات، ولا خلاف في أن آخره سورة الناس.

والمفصل ينقسم ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص244 وما بعدها، ص279، 280، التبيان في علوم القرآن، ص9.

فالمشهور أن طواله من أوله إلى سورة عم، وقيل إلى سورة البروج، وأوساطه من عم إلى سورة الضحى، وقيل من الطارق إلى البينة، وقصاره منها إلى آخره، وقيل بل من الزلزلة إلى الناس. والله أعلم (1).

وقد ورد في فضل هذه الأقسام حديث شريف، فعن أبي قلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطِيتُ السبعَ الطُّوَل مكان التوراة، وأعطيت المئين مكانَ الإنجيل، وأعطيت المثانِيَ مكانَ الزَّبور، وفُضِّلت بالمفصَّل » (2).

ولغرض التسهيل والتيسير قسموا القرآن إلى أجزاء وأحزاب وأرباع وأثمان، قال الزرقاني (3): "كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة التي نذكرها، كما كانت مجردة من النقط والشكل، ولما امتد الزمان بالناس جعلوا يتفننون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبارات : فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسما، وأطلقوا على كل قسم منها اسم: (الجزء)، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، حتى إذا قال قائل: قرأت جزءا من القرآن، تبادر إلى الذهن أنه قرأ جزءا من الثلاثين جزءا التي قسموا المصحف إليها" (4).

---

(1) ينظر: تأملات قرآنية (بحث منهجي في علوم القرآن الكريم)، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار، شركة الشهاب، الجزائر، ص57، 58.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م، ج1، ص100.

(3) هو محمد عبد العظيم الزرقاني (...-1367هـ/...-1948م): من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة. من كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن، وبحث في الوعظ والإرشاد، الأعلام، الزركلي، ج6، ص210.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط3، 1367هـ/1947م، ج1، ص409.

وفي النسخة التي اعتمدناها (*) في هذه الرسالة وجدنا الجزء مقسم إلى حزبين، والحزب إلى نصفين، والنصف إلى ربعين، والربع إلى ثمنين.

سادسا: أثر الوحي في تهذيب السلوك

كان أول عهد النبي ﷺ بالوحي أن حبب إليه الخلاء في غار حراء يتعبد، ولعل في التعبد – الذي يقصد به التأمل في ملكوت الله تعالى– تمهيدا نفسيا لتلقي حقائق الغيب المستورة، والتي تشق عليه ولا يستطيع لها–كبشر– تحملا ولا قبولا، ثم الرؤيا الصالحة التي كانت تتحقق كفلق الصبح، ثم بعد ذلك إرسال الملك جبريل –أمين الوحي– عليه السلام، الذي ابتدأه بطلب القراءة باسم الله الأعظم.

وربما كان للنزول أسباب "فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية" (1).

وقد اختلف العلماء في كيفية نزول القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:

– " **أحدها**: أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.

- **والقول الثاني**: أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل: في خمس وعشرين ليلة

(*) القرآن الكريم برواية ورش، طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، شركة رودوسي قدور بن مراد التركي وأولاده، وقعت مراجعته وتصحيحه عام 1390هـ/1971م.

(1) البرهان، ج1، ص260.

قدر من خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على رسول الله ﷺ.

- **القول الثالث**: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر،ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات [1].

والقول الأول أشهر وأصح، لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه:"أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة " [2].

وقد سأل عطية بن الأسود عبد الله بن عباس فقال:" أوقع في قلبي الشك قوله تعالى:

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾ [3]، وقوله: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ**﴾[4]، وهذا- أي القرآن الكريم - أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرم، وصفر وشهر ربيع؟ فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان، في ليلة القدر، جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا في الشهور والأيام" [5].

سابعا: جمع القرآن وتدوينه

لقد حفظ النبي ﷺ وثلة من صحابته الكرام عليهم الرضوان كل آيات القرآن، ومع

(1) ينظر: البرهان، ج1، ص228، زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج1، ص2 .

(2) رواه الحاكم واللفظ له في المستدرك في كتاب التفسير، رقم: 2879، ج2، ص242، وقال: صحيح على شرط الشيخين .

(3) البقرة/185.

(4) القدر/01.

(5) التبيان في علوم القرآن، ص31.

ذلك فلم يكن كافيا لحفظه، فربما زال وانمحى بوفاتهم، لذلك أوحى الله تعالى لنبيه أن يجمع القرآن كتابة في السطور، وحث على حفظه في الصدور.

وقد كلف بذلك الخلفاء الأربعة، ومعاوية، وزيد بن ثابت- الذي شهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته ﷺ -، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وقد ذكر ذلك زيد بن ثابت في قوله: " كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع "(1).

وكانوا يكتبون الآيات في اللخاف: (الحجارة الدقيقة المصفحة)، والعسب: (جريد النخل)، والأكتاف: (عظم البعير أو الشاة)، والأقتاب: (الخشب)، وقطع الأديم: (الجلد).

لقد رتب القرآن بآياته وسوره بتوقيف رباني وبأمر منه ﷺ ،كما هو عليه الحال اليوم، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وقد روعي في كتابته أن تشمل الأحرف السبعة التي أنزل عليها.

وقد كانت السور المدونة – حينذاك – توضع في بيت الرسول ﷺ، وكان كل من أراد أن ينسخ نسخا منها رجع إليها كمصدر أساسي ووحيد.

وكان هذا التدوين الشريف بالإضافة إلى الحفظ في الصدور تصديق لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩** ﴾(2).

وبعد وفاته ﷺ عمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى جمع الآيات والسور المحفوظة في بيت النبي، في صحف مرتبة كما أمر به.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك في باب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، رقم4217، ج 2، ص668.

(2) الحجر/09.

قال أبو عبد الله المحاسبي: " كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺكان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت الرسول ﷺ، فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء) [1]. وكان السبب الذي حمل أبو بكر أن يجمعه هو مقتل الحفظة في موقعة اليمامة، فقد استشهد منهم سبعون رضي الله عنهم.

قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: " إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن".

فكلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه، فعبر عن ثقل المهمة بقوله: " فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن(..)فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال(..)فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه " [2].

ويظهر أن تسمية القرآن بالمصحف نشأت على عهد أبي بكر الصديق، ذلك أنهم لما جمعوه كتابة على الورق، قال رضي الله عنه: " التمسوا له اسما؟"، فقال بعضهم: "السفر"، قال:" ذلك اسم تسميه اليهود"، فكرهوا ذلك، وقال بعضهم: "المصحف"، فاجتمع رأيهم على تسميته ب(المصحف).

(1) ينظر: التبيان، ص52، صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص74.

(2) رواه البخاري في صحيحه، في باب جمع القرآن، رقم 4986، ج 3، ص 337 ، باختصار.

وقد أجمعت الأمة على مصحف أبي بكر، وأكثر العلماء على أن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن (1).

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه فزع حذيفة بن اليمان من اختلاف الناس في قراءة القرآن، وكان حينها يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها أن ترسل إليه بالصحف ، فنسخها في المصاحف ثم أعادها إليها، وقد كلف زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم بنسخها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق (2).

ومما ورد في خطر اختلاف القراءات ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره، حيث قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بقراءة

(1) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص78، الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ج1، ص89.

(2) رواه البخاري في صحيحه، في باب جمع القرآن، رقم 4986، ج 3، ص 338، وقد ذكر مناع القطان في (مباحث في علوم القرآن)، أن الصحف التي ردها عثمان إلى حفصة قد ظلت عندها حتى ماتت، ثم غسلت غسلا ، وقيل أخذها مروان بن الحكم وأحرقها، ص134.

بعض، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: " أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافا وأشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما"(1).

وأضاف صاحب الإتقان (2):"..فاجتمعوا فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في أي آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلانا، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكانا" (3).

جمع عثمان بن عفان مصحفه الإمام الذي خلا من جميع الزيادات التي لم تتوافر قرآنيتها، وإنما كانت من قبيل التفسير أو تفصيل المجمل أو إثبات المحذوف، وأهملت منه جميع روايات الآحاد وأضحت سوره وآياته مرتبة على النحو الذي نجده في مصاحفنا اليوم. ولما كان المصحف الإمام خاليا من النقط والشكل فقد جعل رسم الألفاظ القرآنية صالحا لأن يقرأ بأكثر من وجه،كقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (4)، فقد قرئ كذلك: (فَتَثَبَّتُوا)،وكقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ (5)،بضم ميم (آدم) وجر تاء (كلمات)، وقد قرئت أيضا بفتح ميم (آدم)، وضم تاء (كلمات).وإنما صلحت القراءتان لورود الأدلة الثابتة والقاطعة على صحة القراءة بهما،

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ص61.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي،جلال الدين (849-911هـ/1445-1505م):إمام حافظ مؤرخ أديب،له نحو ستمئة مصنف، من أهم كتبه(الأشباه والنظائر)في العربية.ذكر الزركلي له كثيرا من التصانيف المخطوطة،منها (نزهة الجلساء في أشعار النساء) في المكتبة الظاهرية بدمشق، الأعلام، الزركلي، ج3، ص301، 302.

(3) الإتقان، ج1، ص102.

(4) الحجرات/06.

(5) البقرة/37.

أما إذا ورد حديث آحاد فلا يؤخذ به، وإنما يعد من القراءة الشاذة المخالفة لأخبار الثقات،حتى ولو صح الرسم للقراءة به،كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ۝٢٨ ﴾ (1)، ففي بعض القراءات الآحادية الشاذة ورد لفظ الجلالة مرفوعا ولفظ العلماء منصوبا.

وقد أقر الصحابة الكرام ما أقدم عليه عثمان من حرق المصاحف التي تضمنت الزيادات والقراءات الشاذة، ومنهم علي كرم الله وجهه، الذي قال: " لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملء منا ". وقال أيضا: " لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل " (2).

وبذلك الصنيع الحميد كفى عثمان الأمة شر الاختلاف والتفرق في دينها وكتابها المقدس، ولقد تلقي مصحفه الإمام بالقبول من سائر المسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم العقدية والفقهية.

- **لماذا لم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده ﷺ ؟**

أجاب عن ذلك الشيخ الصابوني في كتابه التبيان في علوم القرآن، وأرجعه إلى الأسباب التالية:

1-: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة، وإنما نزل مفرقا،ولا يمكن جمعه قبل أن يتكامل النزول.

(1) فاطر/28.

(2) الإتقان،ج1، 103، البرهان في علوم القرآن،ج1،ص240، تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، طبع المعهد العالي للدراسات الإسلامية، مصر، (د.ط)، 1427هـ/2007م، ص241.

2-: إن بعض الآيات كانت تنسخ، وإذا كان القرآن عرضة للنسخ فكيف يمكن أن تجمع في مصحف واحد.

3-: إن ترتيب الآيات والسور لم يكن على حسب النزول،فقد تنزل بعض الآيات في أواخر الوحي،بينما يكون ترتيبها في أوائل السور الكريمة،وهذا يقتضي تغيير المكتوب.

4-: كانت المدة الزمنية بين نزول آخر ما نزل وبين وفاته ﷺ قصيرة جدا، فقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (1)، كانت آخر آية نزلت، وقد توفي الرسول ﷺ بعدها بتسع ليال.

5-: لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر، فقد كان المسلمون بخير، والقراء كثيرون، والفتنة مأمونة، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر من مقتل الحفاظ، حتى خاف على ضياع القرآن، بالإضافة إلى أن أدوات الكتابة لم تكن متوفرة في عهده ﷺ " (2).

ثامنا: عناية المسلمين بالرسم القرآني

نسخت المصاحف العثمانية خالية من الشكل والنقط، فاحتملت عددا من الوجوه والقراءات التي كان الناس في الأمصار يميزون بينها بالسليقة، فلا يحتاجون لقراءتها سليمة إلى الشكل بالحركات ولا الإعجام بالنقط، وقد ظل الناس يقرؤون القرآن في مصحف عثمان

بضعا وأربعين سنة، حتى خلافة عبد الملك بن مروان، حيث تطرقت العجمة إلى لغة العرب، فخشي رجال الحكم الأموي – ومنهم عبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي – على القرآن من أن تدخله العجمة.

–

(1) البقرة/281.

(2) التبيان في علوم القرآن، ص55.

فأما ابن زياد فقد أمر من يضيف الألف إلى الكلمات التي حذفت منها، مثل: (قالت) بدلا من: (قلت)، و: (كانت) عوضا عن: (كنت)، وأما الحجاج فقد أصلح الرسم القرآني في أحد عشر موضعا، فغدت القراءة أوضح وأيسر على الفهم، وقد تنبأ عثمان بذلك الأمر العظيم حين صرح: " أجد فيه ملاحن ستصلحها العرب " [1].

حدث هذا الأمر في مجال الرسم فقط أما من حيث النص فقد ظل على حاله محفوظا في الصدور كما أنزله الله تعالى، ونقل بالمشافهة جيلا عن جيل حتى وصل إلينا خاليا من كل لحن.

ولقد تضافرت العناية بالرسم القرآني ولا زالت إلى يومنا هذا، واتخذ تيسير قراءته أشكالا عدة، فكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من صنف النقط، ورسمه في كتاب وذكر علله، وأول من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام، وصار الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة، ولم ينته القرن الثالث الهجري حتى بلغ الرسم ذروته من الجودة والحسن [2].

ومن مظاهر احتفال العلماء بالكتاب العزيز عدهم لسوره وكلماته وحروفه: "ومجموع القرآن: (114) سورة. أولها الفاتحة وآخرها الناس، وعدد آياته في قول المكيين: (6219)، وفي

قول الكوفيين:(6236)، وفي قول البصريين: (6204)، وفي قول أهل الشام: (6226) أو (6225)، وسبب الخلاف في الآيات الخلاف في بعض مواضع الوقف وعدد

---

(1) مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح، ص90-91.

(2) ينظر: مناهل العرفان، ج1، ص408.

كلمات القرآن في قول عطاء بن يسار: (77439) كلمة. وعدد حروفه فيما رواه سلام أبو محمد الحماني: (340740) حرفا " (1).

تاسعا: الأحرف السبعة وأثرها في اختلاف القراءات القرآنية

جاء في تعريفها ما يلي: "قال أبو عبيد بن سلام: المراد سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه،هذا لم نسمع به قط،ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن،فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذا سائر اللغات ومعانيها في كله واحدة" (2).

وبعد إيراده عدة معان للقراءات القرآنية على ألسنة علماء القرآن، يقول منصور كافي: " القراءات هي ما نقل من ألفاظ القرآن الكريم من الرسول ﷺ تلاوة أو تقريرا " (3).

وقد رد في أحاديث صحيحة أن الرسول ﷺ صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف، منها:

1- عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أتاه جبريل، فقال: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » (4).

2- وعنه أيضا، قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال له رسول الله ﷺ: « إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمَيَّةٍ، مِنْهُمُ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْفَانِي »، قَالَ: « مُرْهُمْ فَلْيَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » (5).

(1) مقاصد القرآن الكريم، حسن البنا، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط)، 1988م، ص111.

(2) القراءات القرآنية: (نشأتها–أقسامها–حجيتها)،خير الدين سيب، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م، ص28.

(3) علم القراءات، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2008م، ص10.

(4) رواه أحمد في مسنده، رقم: 21214، ج5، ص 128.

(5) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم 739،ج 3، ص 14.

3- وعن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيَّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ، وَلَا تَمَارَوْا فِيهِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ » أَوْ: « آيَةُ الْكُفْرِ » (1).

4- وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ » (2).

5- وقال عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبَّبْتُه بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: « أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ»، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: « كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ »، ثم قال: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ»، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: « كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » (3).

وقد ورد عن كل من الإمام علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنهما قالا: نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب، ثم قال ابن عباس إن النبي ﷺ كان يقرئ الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبريل فقال: « يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ» (4).

وقد ذكر جمهور العلماء أن المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، والمقصود بها الأوجه السبعة التي وسع الله بها على أمة محمد ﷺ، فبأي

–

(1) رواه أحمد في مسنده، رقم 17855، ج 4، ص 205.

(2) رواه أبو بكر البيهقي في السنن الصغير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، نشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1، 1410هـ/1989م رقم 1008، ج1، ص 356.

(3) رواه مسلم في بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ، رقم: 818، ج1، ص 560.

(4) القراءات القرآنية، ص27.

وجه قرئ بها أصاب، وقد كان ذلك برغبة النبي ﷺ كما أسلفنا، حيث أكد ذلك بقوله: « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» (1).

ومن أمثلة اختلاف القراءات (2):

-الصراط و السراط.

-المسيطرون و المصيطرون.

-طلع و طلح.

-المؤمنون و المومنون.

-كالعهن وكالصوف.

-ننشرها و ننشزها.

-لأماناتهم و لأمانتهم.

-عليهم دائرة و عليهمو.

..وغيرها من وجوه القراءات، التي كان الغرض منها تيسير القراءة على القبائل العربية التي اختلفت لهجاتها، وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان من الحكمة والعدل والرحمة نظر لهجاتها وطريقة نطقها.

–

(1) نفسه، ج6، ص185، والحديث متفق عليه في الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم ، بيروت،ط2، 1423هـ/2002م، ج2، ص8،وزاد فيه قول ابن شهاب:" بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام".

(2) للتفصيل أكثر في ذلك ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 335، والتبيان في علوم القرآن، ص216، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص101 وما بعدها.

يقول ابن جرير الطبري في هذا الشأن: " وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق (..) وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى،ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولو بالتعليم والعلاج"(1).

عاشرا: أول ما نزل وآخر ما نزل

قال عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: " حدثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن دينار قال : سمعت عبيد بن عمير يقول: أول ما نزل من القرآن: ﴿**إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ**﴾(2)، ثم ﴿ ﴾ (3).

وفي آخر ما نزل، قال عطية العوفي: آخر آية نزلت: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ (4) .وعاش النبي ﷺ بعدها تسع ليال" (5).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وكان أول ما نزل من القرآن: ﴿ **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾،

(1) مناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص139.

(2) العلق/01.

(3) القلم/01.

(4) البقرة/281.

(5) المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1994م، ج07، ص195، الجامع في أسباب النزول، ص19، 20.

ثم ن(القلم)، ثم المزمل، ثم المدثر " (1).

وفي تفصيل بواكير الوحي الكريم ورد الحديث الشريف التالي: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه: وهو التعبد، الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فيه فقال: ﴿ اِقْرَأْ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ ». قال: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اِقْرَأْ ﴾، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ اِقْرَأْ ﴾، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (2)».

قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ». فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: « يَا خَدِيجَةُ مَالِي؟!»، فأخبرها الخبر قال: « وَقَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ »، فقالت له: كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وَتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي،

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ،راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ/1995م، ج14، ص251. (بتصرف يسير).
(2) العلق/01-05.

فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي.

فقالت خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام، يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : « أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»؟! فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا.ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ – فيما بلغنا– حزنا: غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل عليه السلام فقال له: « يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا »، فيسكن ذلك جأشه، وتقر نفسه ﷺ .فيرجع فإذا طالت عليه وفتر الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك " (1).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ، يقول: « ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥** ﴾ (2) » (3).

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة،ط2، 1420هـ/1999م، (مسند عائشة بنت أبي بكر الصديق)، رقم: 25959 ،ج43، ص112-114.

(2) سورة المدثر/01-05.

(3) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب بدء الخلق)، رقم: 3238، ج2، ص430.

وقد نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق في السابع عشر من رمضان من القرآن الكريم الذي نزل جملة واحدة إلى بيت العزة،وفيه تعظيم لشهر رمضان، كما فيه: "إعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم" (1).

ومن أواخر ما نزل بالمدينة: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى** ﴿٣﴾﴾ (2)، فعاش بعدها النبي ﷺ ثمانين يوما، ثم نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوما، ثم نزل: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ** ﴿١٢٨﴾﴾ (3)، فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما، ثم نزل: ﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ** ﴿٢٨١﴾﴾ (4)، فعاش بعدها إحدى وعشرين يوما، وقال مقاتل: سبعة أيام.

وقال ابن جريج: يقولون إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليال، وبدئ يوم السبت، ومات يوم الاثنين(5).

وذكر الصابوني عن السدي أن آية: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ** ﴾. لم ينزل بعدها حلال ولا حرام (6).

وكان جبريل عليه السلام يتلقى القرآن الكريم سماعا من الله عز وجل مباشرة، ثم ينزل به على رسول الله ﷺ، فقد أخرج الطبراني: " إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة

(1) التبيان في علوم القرآن ، ص31.

(2) المائدة/03.

(3) التوبة/128.

(4) البقرة/281.

(5) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1417هـ/1996م، ج6، ص41، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991م، طبعة معادة: 1418هـ/1998م، ج3، ص91.

(6) التبيان في علوم القرآن، ص15.

شديدة من خوف الله فإذا سمع أهل السماء بذلك صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة كلما مر بسماء سأله أهله ماذا قال ربنا قال الحق فينتهي به حيث أمر" (1).

يقول الزرقاني: " وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط، وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي كتب به، وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله، واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۝٦ ﴾ (2)" (3).

وكان جبريل عليه السلام يدارس الرسول ﷺ القرآن في رمضان، فيقرأ الرسول وجبريل يستمع منه، ويقرأ جبريل والنبي يستمع ، وهكذا يدارسه في كل رمضان ما نزل من القرآن مرة واحدة، وقبل وفاته ﷺ نزل عليه جبريل مرتين في رمضان، فدارسه القرآن، حتى لقد شعر ﷺ بدنو أجله،حين قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلِي» (4). وقد كان الأمر كذلك، فقد انتقل في ذلك العام إلى جوار ربه ﷺ، وانقطع بوفاته ﷺ نزول الوحي (5).

(1) فتح الباري، ج8، ص538.

(2) التوبة/06.

(3) مناهل العرفان، ج1، ص49.

(4) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط1، 1392هـ/1972م، ج9، ص129.

(5) التبيان في علوم القرآن، ص42، 43.

حادي عشر: السور القرآنية التي نزلت جملة واحدة

إن نزول كثير من السور القصار أمر ثابت ومعلوم، مثل سورة الكوثر والفيل والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتين والفاتحة (*) وغيرها.

1- أما السور الطوال فقد ورد في بعض الآثار أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة، فقد روى الطبراني عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ » (1).

وقال القرطبي فيها :" نزلت جملة واحدة غير الست الآيات (..) مع آية واحدة منها اثنا عشر ألف ملك، وهي: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (2). نزلوا بها ليلا (..) فدعا رسول الله ﷺ الكتاب فكتبوها من ليلتهم". والست الآيات المدنية، هي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (3) ، إلى آخر ثلاث آيات، و﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (4)، إلى آخر ثلاث آيات. وقال ابن عطية: وهي الآيات المحكمات".

(*) "مكية، وقيل مدنية، والأصح أنها مكية ومدنية، نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة"، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، الإمام عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ج1، ص29. قال الإمام محمد بن علي الشوكاني: "..وقيل إنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، جمعا بين هذه الروايات"، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، ج1، ص15.

(1) رواه سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني في المعجم الصغير(الروض الداني)، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير،رقم 220، ج 1، ص145 ، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م.

(2) الأنعام/59.

(3) الزمر/67 - الأنعام/91،وأرقام الآيات المدنية الست في سورة الأنعام هي: 20و23و91و93و114و141 و151-153.

(4) الأنعام/151-153.

(5) وفي نسختنا المعتمدة: سورة الأنعام مكية إلا الآيات: 153/152/151/141/114/93/91/23/20 فمدنية، ينظر ص445 من هذه الرسالة.

قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجّة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذّب بالبعث والنّشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، لأنها في معنى واحد من الحجّة (..)
وعليها بنى المتكلّمون أصول الدّين [1].

2- عن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [2]» [3].

وقد عقد صاحب الإتقان في علوم القرآن فصلا عنونه ب: (النوع الثالث عشر- من أنواع علوم القرآن -: ما نزل مفرقا وما نزل جمعا)، وذكر فيه أن ما نزل مفرقا هو غالب القرآن الكريم، ومثل لذلك بسورة العلق، التي نزلت منها في العهد المكي خمس آيات الأولى، وبسورة الضحى، التي نزل منها قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾ [4] ، وقد عزاه إلى الطبراني.

3- ومثل للنوع الثاني بسورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبت، ولم يكن، والنصر، والمعوذتان، اللتان نزلتا معا، هذا في السور القصار، أما في السور الكبار فذكر المرسلات

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار عالم الكتب، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، السعوية، (د.ط)، 1423هـ/2003م، ج3، ص246، ينظر: مركز الفتوى، شبكة إسلام ويب، في نزول بعض السور جملة واحدة. تاريخ الفتوى:7رمضان1420هـ، الموافق: 1999/12/15، رقم الفتوى: 3363، التصنيف:(كيف نزل القرآن الكريم)، تاريخ التحميل: 2013/03/12، 08.35 سا.

(2) الفتح/01-02.

(3) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، رقم4177، ج3، ص131.
(4) الضحى/01-05.
والصّف والأنعام (1).
كما ذكر أن الكتب المنزلة قبل القرآن نزلت كلها جملة واحدة (2).

ثاني عشر: فضل القرآن على اللغة العربية

للقرآن الكريم فضل عظيم على لغة العرب، ولولاه لذابت وانمحت واندرست كما اندرس غيرها من اللغات الكثيرة.

وقد كانت العربية – قبل نزول الوحي– لهجات مختلفة، ولكل قبيلة من قبائل العرب لهجتها الخاصة بها، إلى درجة أن بعضها لا يفهم لهجة الآخر، ولما نزل القرآن الكريم أعجز الجميع ببلاغته وسحر بيانه، فخضعوا للغته ودانوا بها، بل جعلوها لغتهم الرسمية، التي بها يتخاطبون، وينشرون كلامهم بها ويشعرون.يقول السيد أحمد خليل: "..وبذلك كان القرآن حدثا ضخما في تحويل حياة اللغة وتوجيهها، إلى أن تكون لغة فكر يخطط لمستقبل هذه الحياة، ويصلح واقعها، ويدل على مواطن العبرة في مظاهرها الكونية" (3).

وإن الناظر في كلام العرب قبل الإسلام يجد أنه كان محشوا بغريب اللفظ، الذي تنفر منه الطباع السليمة، وقد لا يفهم الكثير منها إلا بالرجوع إلى القواميس الخاصة، وتتجلى هذه الحقيقة حين نطالع الأدب الجاهلي وما احتواه من نثر وشعر، فعندما نقارنه بالأدب الإسلامي نجد البون شاسعا والفرق واضحا، وذلك على الرغم من قرب الزمن بين العصرين.

(1) التبيان في علوم القرآن، ص14، ج1، ص38، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، المجلد10، (من أول الجن إلى الناس).
(2) التبيان، ص31.
(3) دراسات في القرآن، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص35.

ولنتأمل مثلا هذه النماذج:

1- يقول كعب بن زهير- من العصر الجاهلي- يذكر ذئبا وغرابا [1]:

فلم يَجِدَا إلاَّ مُناخَ مطيَّـــــــةً تَجَافَى بها زَوْرٌ نَبِـــيلٌ وكَلْكَـــــلُ
ومضْرَبَهَا تَحْتَ الحَصَى بجِرانِهـا ومَثْنَـى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مَفْصِـــلُ
ومَوْضِعَ طُولِـــيٍّ وأَحْنَـــاءَ قاتِرٍ يَئِطُّ إذَا ما شُدَّ بالنِّسْعِ مِنْ عَـــــلُ
وأَتْلَـعَ يُلْوَى بالجَدِيـــلِ كأَنَّـــهُ عَسِيبٌ سَقَاهُ من سُمَيْحَةَ جَدْوَلُ
وسُمْرٌ ظِمَـاءٌ واتَرَتْهُـــنَّ بَعْـدَ ما مَضَتْ هَجْعَةٌ منْ آخِرِ اللَّيْـلِ ذُبَّـلُ

2- ويقول إسحاق بن حسان- من العصر الإسلامي- في الصداقة [2]:

ودُونَ النَّدَى في كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ وَعْرٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْـلُ
ووَدَّ الفَتَى في كُلِّ نَيْلٍ يَنِيـلُهُ إذا ما انْقَضَى لَوَ انَّ نائِلَهُ جَـزْلُ
وأَعْلَمُ عِلْماً ليس بالظَّـنِّ أَنَّـه لِكُلِّ أُناسٍ من ضَرَائِبِهِم شَكْـلُ
وأَنَّ أَخِلاَّءَ الزَّمـــانِ غَنَاؤُهـــم قَليلٌ إذا الإنْسانُ زَلَّتْ به النَّعْـلُ
تَزَوَّدْ منَ الدُّنْيا مَتــاعاً لغَيْرِهـا فقد شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وانْصَرَمَ الحَبْلُ

3- ويقول أبو العتاهية-مادحا-[3]:

أَتَتْـــهُ الخِـــلاَفَـــةُ مُنْقـــادَةً إلَيْـــهِ تُجَـــــرِّرُ أَذْيَـــالَـــهـــا
فلـــم تَـــكُ تَصْلُـــحُ إلاَّ لـــه ولـــم يَـــكُ يَصْلُـــحُ إلاَّ لهـــا
ولَـوْ رامـــها أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ لَزُلْـــزِلَـــــتِ الأَرْضُ زِلَـــزَالَـهـا

---

(1) شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2002م، ص52-54، الشعر والشعراء، ص79.

(2) الشعر والشعراء، ص588.

(3) نفسه، ص541، 542.

والملاحظ هنا أن أبا العتاهية متأثر بلغة القرآن الكريم، فهو يقتبس منه في شعره الذي امتاز بالعمق والوضوح معا.

وقد ساهم علماء القرآن والتفسير والفقه أيما إسهام في ضبط قواعد اللغة، ذلك أن تأثرهم بالقرآن الكريم، الذي كانوا يستشهدون به فيما يكتبون، هو الذي شحذ همتهم في إضفاء ذلك الجلال والجمال على لغة القرآن. ذلك على الرغم من تحدي اللحن، الذي دخل العربية بسبب الأعاجم الذين اختلطوا بالمسلمين ومع ذلك فقد شهد نهاية القرن الرابع الهجري اتساع الفصحى، حتى كانت لغة كل الأمصار، وصارت لغة الحضارة والتواصل العالمي لعدة قرون.

ومن هنا ندرك أن القرآن هو وقود اللغة العربية وإكسيرها الذي كانت ولا زالت تستمد منه بلاغتها وبيانها وبديعها وإعجازها، ولا يمكن بحال فهمها إلا بالرجوع إلى مصدر غنائها وحيويتها.

ومن هنا نعلم أيضا أن الذين يدعون إلى العامية بديلا عن اللغة العربية، إنما هم في الحقيقة يريدون مصادرة لغة القرآن الكريم (1).

(1) ينظر: بين العامية والفصحى، مادن سهام، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية بالجزائر، س5، ع10، ذو القعدة 1425هـ/ديسمبر 2004م، ص156. وما أحسن ما أوصى به الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، إذ قال: "علموا القرآن والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم"، كرد على الدعوة للعامية، يطالع مقال: الاعتزاز باللغة

العربية أساس للنهوض بها، محمد مكي الحسني الجزائري، مجلة الآداب واللغات، تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ع07، فيفري 2011م، ص03.

المبحث الأول: الترتيب المصحفي وخصائصه

إن كتاب الله عز وجل الذي ندين الله تعالى به اليوم كما هو بين دفتي المصحف (من الفاتحة إلى الناس)، ونعتقد جازمين أنه منزل من عنده عز وجل، على قلب النبي محمد ﷺ، هو هذا المصحف الشريف، الذي يتلوه الملايين تلو الملايين، منذ نزوله وإلى اليوم، بل وإلى يوم القيامة، ولم يكن – ولن يكن – في طاقة العالمين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه شيئا.

وقد نزل مرتبا هكذا من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، وقد أظهر عليها بعض عباده من العلماء والصالحين، فذكروه تحت مسمى(علم المناسبة والحكمة من ترتيب السور)، ولا يزال هذا الفن غضا طريا ينتظر جهود الباحثين من أهل العلم.

وفيما يلي نذكر بعض تلك الجهود، بعد التعريج على بيان أن الترتيب المصحفي هو أمر نتعبد الله تعالى به، لأنه توقيفي، نصت عليه النصوص الصحيحة، وفيما يلي بيانها:

المطلب الأول: ترتيب السور والآيات القرآنية توقيفي(*)

كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بكتابة كل ما ينزل من القرآن، حتى تظاهر الكتابة في السطور جمع القرآن في الصدور.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: "كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع " (1).

–

(*) للتوسع في هذا المطلب ينظر مبحث: (ترتيب الآيات والسور)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11، 2000م، من ص133 إلى ص138، وكذلك فصل: (جمع القرآن وكتابته)، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، من ص65 إلى ص89.

(1) ذكره في أخبار سيد المرسلين، رقم: 4217، ج2، ص 668.

يقول الدكتور صبحي الصالح: " وكلمة الرقاع في الحديث جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، تشعرنا بنوع أدوات الكتابة المتيسرة لكتاب الوحي على عهد رسول الله ﷺ"(1).

ومعنى تأليف القرآن من الرقاع الوارد على لسان زيد هو ترتيب السور والآيات وفق إشارة النبي ﷺ وتوقيفه. قال الزركشي: " فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها". ومعنى لا يجوز تعكيسها: وجوب التزام هذا الترتيب التوقيفي بين الآيات، بحيث لا يقدم فيها ولا يؤخر. ويقول أيضا: " وفسر بعضهم قوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ (2). أي اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير، وجاء النكير على من قرأه معكوسا ".وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين: مرتبا الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة من بعده وأجمعوا على هذا الترتيب (3).

والسور الكريمة–كما عليه الترتيب المصحفي– واقع بتوقيف النبي ﷺ، ولا اجتهاد فيه للصحابة، ولا لمن بعدهم، يقول أبو بكر بن الأنباري : " أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل عليه السلام النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ (4).

(1) مباحث في علوم القرآن، ص69.

(2) المزمل/04.

(3) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، محمد أحمد يوسف القاسم، دار المطبوعات الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 1979م، ص، 244.

(4) أسرار ترتيب القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، (دط.دت)، ص07.

ويقول أبو جعفر بن الزبير (1) في (مناسباته): " ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف بين المسلمين" (2). والدليل على أن ترتيب الآيات توقيفي هو ما أخرجه البخاري عن الصحابي عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال:"قلت لعثمان:

﴿ وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً ﴾ (3) قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئا من مكانه ".

وأخرج أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال:"كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (4)" (5).

وقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدله على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها (*). وفي رواية ابن عباس أن القرآن الكريم كما

(1) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر(627-708هـ/1230-1308م): محدث مؤرخ،من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. وله كتاب: (البرهان في ترتيب سور القرآن)، و(ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل)، وكانت بينه وبين أميري مالقة وغرناطة صداقة، وكان معظما عند الخاصة والعامة، الأعلام، الزركلي، ج1، ص86.

(2) الإتقان، السيوطي، ج1، ص99 وما بعدها .

(3) البقرة/234.

(4) النحل/90.

(5) مناهل العرفان، ج1، ص347.

(*) تمنى سيد قطب رحمه الله لو أن الصحابة نقلوا إلينا نسخة مرتبة آياتها حسب النزول الكريم وأثبتوه لما له من أثر ودلالة حركية تربوية، ومنهجية، حيث يمكن تصور منهج الحركة الإسلامية، ومراحلها وخطواتها، ولأن قلة اليقين في هذا الترتيب تجعل الأمر شاقا، كما أنها تجعل النتائج التي يتوصل إليها تقريبية، وليست نهائية قطعية، موقع ملتقى أهل الحديث، تاريخ التحميل:2013/06/12م، 16.05سا.

هو مرتب في المصحف هو ذاته في اللوح المحفوظ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لم يكن النبي ﷺ يعلم ختم السورة حتى نزل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾".

وهذا أيضا من أدل الدليل على أن ترتيب السور التي في أيدينا هو ما كان عليه في اللوح المحفوظ" (1).

وفي صحيح البخاري وردت أحاديث عدة تبين أن الرسول ﷺ كان يملي القرآن الكريم على كتبة الوحي، ويوقفهم على ترتيب الآيات (*).

وفي السيرة العملية أنه ﷺ قرأ في صلواته سورا كثيرة بترتيب آياتها ،وكذا في خطب الجمعة، فكان ذلك دليلا صريحا على أن ترتيب آياتها توقيفي، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

(1) مقدمتان في علوم القرآن، وهما: مقدمة كتاب المباني،ومقدمة ابن عطية، نشرهما من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحهما وطبعهما: المستشرق أرثر جفري، نشر مكتبة الخانجي، مصر، 1954م، ص41.

والذي عرف عن مؤلف (كتاب المباني في نظم المعاني)، أنه بدأ في تأليف كتابه في سنة أربعمائة وخمس وعشرين من الهجرة ، وهو تفسير القرآن الكريم، الذي صدره بمقدمة في عشرة أبواب. وقد استظهر المحقق أرثر جفري أن المؤلف من أهل المغرب، وأنه غير معروف، وخولف في ذلك لوجود قرائن قوية في الكتاب، تدل على أنه من أهل المشرق الإسلامي.

ذكر ذلك الدكتور غانم قدوري الحمد، في بحث له، نشره في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد ، في عددين متتاليين هما: العدد رقم: 164، والعدد: 165، عام 1404هـ، تحت عنوان: (مؤلف التفسير المسمى : كتاب المباني لنظم المعاني)، وقد ذكر في بحثه هذا أدلة ترجح نسبة هذا الكتاب ومقدمته المنشورة إلى الشيخ: أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام، المتوفى بعد سنة 425هـ، ينظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير 2، (ج1، ص1311)، أعده: أبو محمد المصرى، أدخله للمكتبة الشاملة: أبو زرعة حازم من أعضاء ملتقى أهل الحديث.

(*) ينظر: (كتاب التفسير)، و (كتاب الأحكام) من صحيح البخاري.

وأما ترتيب السور فتوقيفي أيضا، وهو يشمل السور القرآنية كلها، وأما قولهم بأن القرآن رتبت سوره باجتهاد من الصحابة أو أن من السور ما كان ترتيبه اجتهاديا ومنه ما كان توقيفيا فلا دليل عليه.

ومما ذهب إلى ذلك القاضي أبو بكر بن الطيب، الذي ذكر بأن: " ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة (..)، وذكر أن ترتيب الآيات ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يؤمروا بذلك في أول سورة براءة، تركت بلا بسملة، وهذا أصح ما قيل في ذلك" (1).

وأما قول الزركشي: " وترتيب بعضها- السور- ليس هو أمرا أوجبه الله، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب"، فمردود عليه بأن الصحابة الذين كانوا يملكون مصاحف خاصة بهم لم يلزموا الناس بها، ولا زعموا أن ترتيبهم هو الأصح، والدليل أنهم التزموا بترتيب عثمان وتركوا مصاحفهم، وكذلك قول الإمام مالك: " إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ ".

ومع قول الزركشي بأن بعض السور لم يكن ترتيبها توقيفيا، إلا أنه رحمه الله تعالى أشار في موضع آخر أن: " لترتيب السور في المصحف أسباب تطلع على أنه صادر عن حكيم: أحدها بحسب الحروف، كما في الحواميم. وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها،كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة. وثالثها للوزن في اللفظ، كآخر تبت وأول الإخلاص. ورابعتها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل الضحى وألم نشرح " (2).

ويرجح الدكتور صبحي الصالح رحمه الله أن ترتيب السور كترتيب الآيات يعتبر أمرا توقيفيا لم يكن للصحابة فيه اجتهاد ولا رأي.ويذكر بأن النبي ﷺ لم يجمع القرآن بين

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، ص307، 308.

(2) البرهان، ج1، ص260، 262.

دفتي المصحف للاعتبارات التالية:

1- كثرة الحفظة.

2- ترقبه توالي نزول الوحي عليه.

3- إمكانية النسخ لبعض آياته وأحكامه.

وقد رجح غيره من العلماء ذلك، ومنهم الإمام القرطبي في تفسيره، فعند تفسير سورة العلق قال رحمه الله:"..لأن تأليف السور جرى بأمر من الله، ألا تر أن قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ** ﴿٢٨١﴾﴾ (1).آخر ما نزل، ثم هو مضموم إلى ما نزل قبله بزمن طويل" (2).

وبعد تجلي عطاء الإعجاز العددي في القرآن الكريم أصبح الاختلاف في هذه المسألة تاريخيا،لأن مسائل الإعجاز العددي تحسم ذلك (3).

إن قول الجمهور بتوقيفية ترتيب المصحف هو الحق الذي قامت عليه الأدلة (4). ويذهب سيد قطب هذا المذهب فيقول: " فأما تجميع آيات كل سورة في السورة، وترتيب هذه الآيات، فهو توقيفي موحى به " (5).

وينبغي التنويه إلى مسألة مهمة، وتتمثل في أن القرآن الكريم لم ترد تشريعاته وتوجيهاته

---

(1) البقرة/281.

(2) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص69 وما بعدها بتصرف.

(3) يراجع بحث عبد الله إبراهيم جلغوم: "معجزة ترتيب سور وآيات القرآن الكريم (البناء العام)"، طبع دار الياقوتة، عمان، الأردن، 2005م.

(4) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403ه-1983م، ج1، ص316.

(5) في ظلال القرآن، ج1، ص27.

للمواقف التي أنزلت فيه الآيات والسور الكريمة وحسب، وإلا كان من الطبيعي ترتيبه في المصحف حسب ترتيب النزول، وإنما نزلت الآي والسور في المواقف التطبيقية لها، لكي يرشدنا المولى عز وجل إلى كيفية تطبيقها في أي زمان ومكان.

لكن الترتيب الأصلي الموجود في مصاحفنا جاء مختلفا تماما عن ترتيب النزول، وهذا دليل ظاهر أنه كتاب خالد، صالح للتطبيق في كل الأمصار والعصور.

والخلاصة أن القرآن كله قد كتبت سوره وآياته مرتبة -كما هي عليه اليوم في المصحف الشريف- بأمره ﷺ.

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

اهتم علماء التفسير في العصر الحالي بمبحث: (الوحدة الموضوعية للسور القرآنية)، بعدما لاحظوا أن كل سورة تعد كيانا واحدا قائما بذاته، يخدم أولها آخرها، وتتناغم مقاطع آياتها لتخدم موضوعا واحدا، يعد محور السورة بكاملها.

يقول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني رحمه الله (1): "..واستبان لي أن مثل السورة من القرآن كمثل الشجرة من الأشجار البديعة المثمرة المشبعة بالتنسيق الجمالي وبالعناصر الجمالية المعجبة السارة الممتعة، أو كمثل كائن حي من الكائنات الراقيات، فالشجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصل واحد ومشتقة منه،

(1) ولد في دمشق بحي الميدان سنة 1354ه/1927م، ونشأ في بيت علم ودعوة، له عدة كتب في فنون شتى، نذكر منها: -العقيدة الإسلامية وأسسها، -الأخلاق الإسلامية وأسسها، -قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، -أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، -البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، -ديوان ترنيمات إسلامية، -ديوان آمنت بالله، -ديوان أقباس، -تفسيره حسب النزول والموسوم ب: معارج التفكر ودقائق التدبر. توفي رحمه الله في ليلة الأربعاء 25 من جمادى الآخرة: 1425ه/2004م، موقع أهل الحديث: تاريخ التحميل: 2013/05/04م، الساعة04.01.

والكائن الحي مهما اختلفت صفات أعضائه مجتمع على أصل واحد ومشتق منه " (1).

ويقول صلاح عبد الفتاح الخالدي: " وتعريف سيد قطب بالسورة قبل تفسيرها التفصيلي يكاد يكفي القارئ المتعجل عن القراءة في تفسيرها تفصيليا، ويكفيه ليدرك الوحدة الموضوعية للسورة، ويتعرف على شخصيتها وملامحها وتقريراتها " (2).

وفي السياق ذاته يقول سيد قطب رحمه الله – عند تفسيره لسورة العلق –: "..هناك تناسقا كاملا بين أجزاء السورة، وتسلسلا في ترتيب الحقائق التي تضمنتها بعد هذا المطلع المتقدم، يجعل من السورة كلها وحدة منسقة متماسكة" (3). والحق أن هذا دأبه مع سائر القرآن الكريم، فقد لاحظ هذه الوحدة الموضوعية للسور القرآنية في تفسيره الظلال.

وقد ألف كثير من العلماء المعاصرين في هذا الفن، ولا زالت البحوث الجامعية تتوالى في إثارة الموضوع وإثرائه، فمن باحث حول: (الإنسان في القرآن)، وآخر حول: (المرأة في القرآن)، وآخر حول: (العلاقات الدولية في القرآن)،.. وهكذا (4).

وكان من أوائل من كتب في هذا المجال الدكتور محمد بن عبد الله دراز رحمه الله (5) ، حين فسر سورة البقرة كاملة تفسيرا موضوعيا في كتابه: (النبأ العظيم).

هذه السورة العظيمة التي قال عنها ابن العربي: " اعلموا – وفقكم الله – أن علماءنا قالوا: إن هذه السورة من أعظم سور القرآن، سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر،

(1) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، ص27.

(2) في ظلال القرآن في الميزان، شركة الشهاب، الجزائر، ط1، 1406ه/1986م، ص407.

(3) في ظلال القرآن، ج6، ص3938.

(4) يستفاد في هذا الباب من المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم لمروان العطية الذي سبقت الإشارة إليه،وكذا من (معجم مواضيع القرآن الكريم)للأستاذ فايز كامل وبإشراف علي أبو الخير،الملحق بالمصاحف الشريفة،وقد زاد على معجم مروان العطية بموضوع هام تحت عنوان: (تنوع الخطاب الإلهي).

(5) هو محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر. له كتب، منها: (الدين)، دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، توفي عام(1377هـ/1958م)، الأعلام، الزركلي، ج6، ص246.

وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام عبد الله بن عمر ثماني سنين في تعلمها" (1).

وممن احتفى بهذا اللون من التفسير: فضيلة الداعية الشيخ محمد الغزالي في كتابه: (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم)، بل كان من أشد المتحمسين والمشجعين له. قال رحمه الله: "..والقرآن لا تنقضي عجائبه، ولن نبلغ – مهما بذلنا – مداه، والهدف الذي سعيت إليه أن أقدم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من الكتاب العزيز.

والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي: الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو يتناول السورة كلها، يحاول رسم (صورة شمسية) لها، تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها.

لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياها، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة– وهي أطول سورة في القرآن الكريم –، فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه: (النبأ العظيم)، وهو تفسير موضوعي لسورة كاملة، فيما أعتقد" (2).

ومن هنا تتجلى ثلاثة أنواع من التفسير:

(1) أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ج1، ص8.

(2) من مقدمة كتابه: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط9، 1427هـ/2007م.

1- التفسير الموضعي: وهذا اللون هو ما دأب عليه المفسرون سلفا وخلفا، وهو الأكثر والأبرز.

2- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: فكل سورة تشكل وحدة موضوعية، تترابط أجزاؤها في نسق واحد.

3- الموضوع في القرآن الكريم: من الفاتحة إلى الناس،كما أشرنا سلفا، فموضوع الإنسان- مثلا- تناولته آيات وسور متعددة، فيعمد المفسر إلى جمع وتفسير كل الآيات التي تحدثت عن الإنسان في كل السور القرآنية التي تعرضت له: منشؤه، ومصيره، ورسالته، وغير ذلك، ويعطي لتفسيره العنوان التالي: (الإنسان في القرآن الكريم)، وهكذا في سائر المواضيع.

ومن هنا ظهرت فائدة المعاجم والفهارس التي تدل على أرقام الآيات وسورها ونوع الموضوع الذي تناولته، ومن أهمها فيما اطلعنا عليه: (فهرس مواضيع القرآن الكريم)، لمؤلفه : مروان العطية جزاه الله كل خير.

وقد أشار الشيخ محمد الغزالي إلى هذه الأنواع الثلاثة في قوله: "..وأنبه إلى أن هذا التفسير الموضوعي- النوع الثاني- لا يغني أبدا عن التفسير الموضعي: النوع الأول، بل هو تكميل له وجهد ينضم إلى جهوده المقدورة، وهناك معنى آخر للتفسير الموضوعي لم أتعرض له، وهو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه وحشده في سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس، وقد قدمت نماذج لهذا التفسير في كتابي: (المحاور الخمسة للقرآن

الكريم)، و: (نظرات في القرآن). ولا ريب أن الدراسات القرآنية تحتاج إلى هذا النسق الآخر، بل يرى البعض أن المستقبل لها " [1]. أي: للنوع الثالث.

(1) من مقدمة كتابه: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أثر التناسب والتناسق في القرآن الكريم

إن ارتباط آي وسور القرآن الكريم وتناسقها مع بعضها البعض واقتران الكلمات والجمل والمشاهد والصور،علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه،وفسرت في ضوئه أكثر أحكامه وشرائعه.

وقد سماه علماء القرآن ب: (علم المناسبات). وعرفه السيوطي بقوله: " المناسبة في اللغة: (المشاكلة والمقاربة)، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" [1].

يقول القاضي أبو بكر بن العربي [2]: " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلف بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " [3].

وفي سياق التحذير من ولوج هذا الباب العظيم يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: " المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد، مرتبط

(1) الإتقان، ج2، ص111.

(2) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي (468-543هـ/1076-1148م): قاض، من حفاظ الحديث. ولد في اشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء اشبيلية ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه: (العواصم من القواصم)، و(أحكام القرآن)، الأعلام، الزركلي، ج6، ص230.

(3) أسرار ترتيب القرآن، ص04.

أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض".

ويشير الشيخ ولي الدين الملوي إلى أهمية علم المناسبات وضرورته فيقول: " والذي ينبغي في كل آية، أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له " (1).

ويرى برهان الدين البقاعي(2) أن معرفة أسرار ترتيب الآيات والسور إنما يستفاد من علم المناسبات،كما أنّ أهميته تضاهي أهمية علم البيان في النحو، فيقول:" وعلم المناسبات الأهم من مناسبات القرآن وغيره، علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو" (3).

(1) الإتقان، ج2، ص108.

(2) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين (809-885هـ/1406-1480م): مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، توفي بدمشق، له عدة تصانيف منها: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، سبعة مجلدات، يعرف بتفسير البقاعي، و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، وله ديوان شعر سماه: (إشعار الواعي بأشعار البقاعي)، الأعلام، الزركلي، ج1، ص56.

(3) أسرار ترتيب القرآن، ص5.

ولقد كان أبو بكر النيسابوري (1) أول من أظهر علم المناسبة بين الآيات والسور القرآنية الكريمة، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يزري على علماء بلده – بغداد – جهلهم وجوه المناسبة بين الآيات والسور الكريمة، وكان لا ينى أن يقول – إذا قرئت عليه الآية أو السورة –: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ ".

وفي (النوع الثاني والستون– في علوم القرآن –)، ذكر الإمام السيوطي فن علم المناسبات، وأوعزه إلى بعض العلماء منهم أبو جعفر بن الزبير في كتابه: (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ومن أهل زمانه وعصره ذكر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتابه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).

ثم ذكر ما ألفه في ذلك الفن فقال:"..وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كامل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته: (تناسق الدرر في تناسب السور).

ويعد علم المناسبات علما شريفا، " قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، فقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".

وعند تفسيره سورة البقرة نوه رحمه الله بإعجاز نظم القرآن وترتيبه، وأعاب على المفسرين عزوفهم عنه، فقال: " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السور، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب

(1) هو أبو عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ، رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر وقرأ على المزني ،ثم سكن بغداد، وصار إماما للشافعية بالعراق. توفي سنة324هـ، ينظر هامش كتاب البرهان للزركشي، ترجم له المحقق: أبو الفضل إبراهيم، ص36.

ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأبصارُ صورتَه والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ (1)

وقد عقد السيوطي (جزءا لطيفا) في مناسبة فواتح السور وخواتمها، سماه: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، ومما أورده فيه قوله: " وانظر إلى سورة القصص:كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله: ﴿ فَلَنَّ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾(2)، وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي ﷺ بأن لا يكون ظهيرا للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة، ووعده بالعود إليها لقوله في أول السورة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ ۝٧﴾ (3) " (4).

وقد كان المفسرون يظهرون العلاقة بين ختام السورة السابقة وفاتحة السورة اللاحقة، وإن الاحتكام إلى الذوق الأدبي تارة والمنطق الفطري تارة أخرى يفتح الباب على ذلك.

وممن أشار إلى هذا المعنى الإمام القرطبي في تفسير سورة قريش، فقال: " قوله تعالى:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ ﴾ (5)، قيل: إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى، يقول: أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي لتأتلف أو لتتفق قريش، أو لكي تأمن من قريش فتؤلف رحلتيها، وممن عد السورتين واحدة أبي بن كعب، ولا فصل بينهما عنده

(1) من شعر أبي العلاء المعري، أورده صاحب كتاب: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1978م، ج3، ص457.

(2) القصص/17.

(3) القصص/07.

(4) ينظر: الإتقان، ج2، ص108، ص111.

(5) قريش/01.

في المصحف" [1]. وكذا بالنسبة لسورة القصص مع سورة العنكبوت بعدها: "ووجه اتصالها (العنكبوت)، بما قبلها من وجوه: (منها): أنه ذكر في السورة السالفة (القصص) استعلاء فرعون وجبروته، وجعل أهلها- مصر- شيعا، وافتتح السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل، تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثا لهم على الصبر، كما قال: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾[2]"[3].

ويدلل الإمام السيوطي رحمه الله على ذلك بأمثلة كثيرة ساقها، منها ما ورد في قوله: " وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر تارة أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ [4]. وكافتتاح سورة فاطر ب: ﴿ **ٱلْحَمْد** ﴾، أيضا، فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ** ﴾ [5]. وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح: ﴿ **سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝** ﴾ [6]، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝** ﴾ [7].

---

(1) تفسير القرطبي، (دار عالم الكتب)،الرياض، ج20، ص200.

(2) العنكبوت/03.

(3) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، خرج آياته وأحاديثه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م، ج7، ص211.

(4) الزمر/75.

(5) سبأ/54.

(6) الآية:01.

(7) الآية:96.

وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿ أَلٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (1) ، إشارة إلى (الصراط)، في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (2)، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة " (3).

- **نماذج من التناسب والتناسق في القرآن (*).**

أولا: التناسب بين السور

حاول العلماء والمفسرون إيجاد أوجه للتناسب بين السور والآيات القرآنية الكريمة، ومن ذلك: ما ذكره السيوطي بين الفاتحة والبقرة.

وأن افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح مناسب لافتتاح سورة الكهف بالتحميد، لأن التسبيح – حيث جاء –، مقدم على التحميد. وأن سورة الكوثر مقابلة لسورة الماعون، فناسب أن تأتي بعدها، لأن في السابقة وصفا للمنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ (4). أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿ فَصَلِّ ﴾ (5). أي داوم عليها، وفي

(1) البقرة/01-02.

(2) الفاتحة/06.

(3) أسرار ترتيب القرآن، من ص5 إلى ص8، باختصار.

(*) ينظر في هذا العنوان المراجع التالية: مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح،من ص151إلى ص157، وبهامشه يقول: " وبهذا الروح ألف برهان الدين البقاعي كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص41، ص260، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم جار الله

محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،دار المعرفة،بيروت، (دط.دت)، ج1، ص117، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،جامعة الشارقة،كل الأجزاء العشرة لاحظت هذا الفن، فليرجع إليها جميعها.

(4) الكوثر/01.

(5) سورة الكوثر/02.

مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ (1). أي لرضاه لا لثناء الناس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَانْحَرْ﴾ (2). وأراد به التصدق بلحم الأضاحي.

وهذه السورة– قريش– تبدو امتدادا لسورة الفيل قبلها من ناحية موضوعها وجوها، وإن كانت مستقلة مبدوءة بالبسملة، والروايات تذكر أنه يفصل بينها وبين سورة الفيل تسع سور، ولكن ترتيبها في المصحف متواليتين يتفق مع موضوعهما القريب.

وقد ذهب الإمام الزركشي إلى أن لترتيب وضع السور في المصحف أسبابا، ذكرها في العناصر الأربعة التالية:

1- أحدها بسبب الحروف، كما في الحواميم.

2- ثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها:(كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة).

3- وثالثها للوزن في اللفظ:(كآخر تبت وأول الإخلاص).

4- ورابعتها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى: (مثل والضحى وألم نشرح).

وقد قامت جامعة الشارقة– مؤخرا– بجهد يستحق الثناء والتشجيع، حين كلفت مجموعة من الباحثين في علم التفسير الموضوعي، ثم طبعت على نفقتها عشرة مجلدات، تضمنت كل السور القرآنية مفسرة تفسيرا موضوعيا،مع التأكيد والتركيز على التناسب والتناسق بينها، وعند المطالعة في منهجية التفسير وجدناها على النحو التالي:

*المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

*المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها.

[1] سورة الكوثر/02.
[2] سورة الكوثر/02.

* المناسبة بين افتتاحيات السور المتعاقبة.

* المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.

* المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

* المناسبة بين مقاطع السورة الواحدة.

وقد وردت سورة القدر متضمنة لما سبق من أنواع التناسب، وهاهو بيان ذلك:

- المناسبة بين اسم السورة ومحورها: اسم السورة: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾، وهو الشرف والفضل والمنزلة والمكانة العالية، أو التدبير والتقدير، ويدخل فيه ضمنا الشرف والرفعة، ومحور السورة بيان عظمة ليلة القدر هذه الليلة التي تميزت بابتداء نزول القرآن فيها ونزول الملائكة مع جبريل، ومصافحة من يقومون في تلك الليلة المباركة، حتى مطلع الفجر، وليس من شك أن حدوث مثل هذه الأمور فيه دلائل على عظمة المحدث فهي إذن من دلائل العظمة والجلال على الكبير المتعال.

- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها: إن رجوع آخر هذه السورة على أولها في غاية الوضوح وذلك بكون هذا التنزيل كان في ليلة القدر وأعظم السلام فيها هو نزول القرآن، فهو مصدر السلام وطريق الأمن لمن التزم بنهجه، وحكم بما فيه.

- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها: جاء في مقدمة سورة القدر الحديث عن إنزال القرآن في تلك الليلة المباركة، وهي ليلة القدر وختمت سورة العلق بالأمر بالسجود لله تعالى وعدم الالتفات إلى من ينهى عن هذا السجود، بقوله تعالى:

﴿ كَلَّآ لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ [1]، ولما كانت ليلة القدر هي موطن الإحياء الأعظم للصلاة،بما فيها من قيام وركوع وسجود وتلاوة للقرآن، كان هذا البدء في غاية الجمال، وكأن القرآن يرشدنا إلى إحياء ليلة القدر التي شرفت بنزول القرآن، بإكثار السجود والتلاوة فيها.

- المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها: محور السورة هو بيان عظم ليلة القدر، تلك الليلة الموعودة المشهودة، وهي ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى، وهي ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ.

والآيات من بعد ذلك جاءت تبين سبب فضلها، وعظيم قدرها، بما نزل فيها من قرآن عظيم القدر، وبما نزل فيها من ملائكة جليلة القدر، ومن سلام يحل على البشرية فيها، تتحقق فيه السعادة وسلام الضمير، وسلام البيت، وسلام المجتمع...

- المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض: ابتدأت سورة القدر بالحديث عن نزول القرآن العظيم ذي القدر،في الليلة عظيمة القدر،والسياق يدل على تعظيمها بما نزل فيها.

لذا جاء السياق من بعد ذلك يحث الخلق على الاجتهاد بفعل الخيرات فيها، وشد العزائم على قيامها والإكثار من الطاعات فيها، بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِيكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾[2].

فأثبت عظمها بهذا الاستفهام التقريري التعجبي الدال على غاية فضلها، وعلو قدرها.ثم جاءت الآيات من بعد ذلك تبين عظم وفضل هذه الليلة ببيان خصائصها التي ترشد إلى

---

(1) العلق/19.

(2) القدر/02.

عظم قدرها، في قوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ [1]. فالعمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذلك لما يقسم فيها من الخير الكثير الذي لا يكون مثله في ألف شهر، فالأوقات والأماكن يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير الجزيل والنفع الكثير.

ثم يتبع القرآن هذا الوجه من فضلها بوجه آخر وهو تنزل الملائكة في رحابها: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [2]. والروح هو جبريل عليه السلام الذي خص بالذكر لشرفه وعلو منزلته.

ويختم القرآن فضائل هذه الليلة في هذه السورة بأنها متصفة بالسلامة التامة، كاتصاف الجنة التي هي سببها بقوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [3]، فهي إذن مقاطع شديدة الصلة ببعضها ، قوية الارتباط بين أجزائها.

- المناسبة بين مضمون السورة ومضمون سابقتها (سورة العلق):

* السورة التي سبقت هذه السورة هي سورة العلق، وقد جاء الأمر فيها لرسول اللهﷺ بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، والذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهنا في سورة القدر جاء ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس، وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزل في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة.

---

(1) القدر/03.

(2) القدر/04.

(3) القدر/05.

* ومن مظاهر الصلة بين مضمون السورتين أيضا أن سورة العلق بدأت بقوله تعالى: ﴿اِقْرَا﴾، وانتهت بقوله تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾ [1]. والخطاب موجه فيها إلى رسولنا محمد ﷺ ، وسورة القدر تتحدث عن نزول القرآن الذي أمر بقراءته ﷺ ، ثم إن سورة العلق من أول ما نزل من القرآن وتأتي سورة القدر بعدها لتبين أن هذا القرآن الذي ابتدأ نزوله بسورة العلق أنزل في ليلة القدر.

* ومن هذه الصلات أيضا أن سورة العلق أمرت بالقراءة باسم الله وأمرت بالسجود والاقتراب له سبحانه وتعالى، وسورة القدر ذكرت ليلة العمل فيها يعدل ألف مرة ثواب العمل في ما سواها، وذلك لتستغل هذه الليلة بالقراءة والسجود المأمور به في سورة العلق.

وعلى الرغم مما لهذا الفن من أهمية وبيان لحكمة الترتيب الوارد بين الآيات والسور الكريمة، إلا أننا وجدنا بعض العلماء ينتقدونه ، ومنهم الدكتور صبحي الصالح رحمه الله الذي يقول: "...أما التماس أوجه الترابط بين السور– على ما فيه من تعسف وتكلف–، فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، ولهذا انتصرنا وعليه عولنا، إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتما أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أواصر قربى، كما أن ترتيب الآيات التوقيفي لا يقتضي عقلا ارتباط إحداها بالأخرى، إذا وقعت كل منها على أسباب مختلفة(..)، ومعيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء، وما أصدق قول القائل: المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وأقل ما يعنيه هذا المعيار الدقيق أن وجه المناسبة بين الآيات أو بين السور يخفى تارة ويظهر أخرى، وأن فرص خفائه تقل بين

–

[1] العلق/19.

الآيات، وفرص ظهوره تندر بين السور: ذلك بأن الكلام قلما يتم بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد تأكيدا وتفسيرا، أو عطفا وبيانا، أو استثناء وحصرا، أو اعتراضا وتذييلا، حتى تبدو الآيات المتعاقبات كالنظائر والأتراب" [1].

ثانيا: التناسب بين الآيات

تعرض العلماء للمناسبة بين مفردات وجمل الآية الواحدة، وبين الآيات السابقة واللاحقة، ومن أمثلة ذلك:

* من يقرأ قوله تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ** ﴾ [2]، لا بد أن يتساءل: ما وجه المناسبة بين أحكام الأهلة وحكم إتيان البيوت؟ ثم لابد له من اكتشاف سر الترابط في تعريض القرآن بأن سؤال السائلين في غير محله، كأنه قال لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها: معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة، ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس في البر في شيء، وأنتم تحسبونها برا. وواضح أننا في آية الأهلة قد اكتشفنا سر التناسق بين تركيبتين تتابعتا في آية واحدة، وقد اضطررنا إلى اكتشاف ذلك لئلا يبدو آخر الآية منفصلا عن أولها، أفليس من الضرورة والأولى حينئذ أن نظهر التناسب بين آيتين تستقل كل منهما عن الأخرى بوحدتها الإيقاعية المسماة بالفاصلة؟ ومن ذا الذي أوجب أن تكون رؤوس الآي أمارات انقطاع ورمز انفصال؟.

---

(1) البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص152.

(2) البقرة/189.

* ولنقرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [1]، فنرى أن الإمام الزركشي يربط بين هاته الآيات بقوله: " جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة لأهل الوبر، فإن كل انتفاعهم في معايشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم عن التنقل من أرض إلى سواها، لتعذر طول مكثهم في منزل واحد، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور.

* وقد لاحظ الزمخشري في (الكشاف) وجه المناسبة بين قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [2]، وبين قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [3]، فإنه علل ذلك بورود الآية الأولى على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما، إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى.

---

(1) الغاشية/17- 20.

(2) الأعراف/26.

(3) الأعراف/27.

المطلب الرابع: مواضع الآيات في السور (*)

نزل القرآن الكريم جملة واحدة إلى بيت العزة"لإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم،قد قربناه إليهم لننزله عليهم" (1).

ثم نزل منجما طيلة ثلاث وعشرين سنة،ثلاث عشر منها في مكة المكرمة،وعشر سنين في المدينة المنورة،وقد امتاز القرآن المكي بمعالجة موضوع العقيدة تصحيحا وترسيخا،بينما اهتم القرآن المدني بالسلوك الحضاري والتشريع النظامي للدولة الإسلامية الناشئة.

ولما كان تدوين القرآن على غير نزوله لا حظنا أن لمواضع الآيات المكية في السور المدنية،ولمواضع الآيات المدنية في السور المكية حكمة لمن لا حظها،وقد كان ذلك بأمره ﷺ ،يقول ابن الحصار:" ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي،كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف " (2).

إن النظر في مواضع هذه الآيات الكريمة في سورها الكريمة ليثير في النفس هذا التساؤل الهام: لماذا وضعت هاته في تلك، رغم أن بعضها سابق للآخر في النزول كما هو معلوم؟.

وهذا التساؤل يقودنا إلى ضرورة البحث للوقوف على الدلائل والعبر والحكم من ذلك، ويعد ذلك إضافة هامة لموضوع: (التناسق القرآني).

(*) في الملحق بالرسالة (رقم2-3) وضعنا جدولين: للآيات المكية في السور المدنية، وللآيات المدنية في السور المكية، (حسب ترتيب نزول السور الكريمة).

(1) التبيان في علوم القرآن، ص31.

(2) تأملات قرآنية، ص57.

يقول الأستاذ محمد قطب: " لو كان القرآن مختلط الموضوعات بلا رابطة-كما يقول الذين لا يتدبرون القرآن، ولا يفهمونه، من المستشرقين وتلامذتهم من المسلمين-، ما كان هناك معنى لإلحاق آية مدنية بسورة مكية، ولا آية مكية بسورة مدنية" [1].

وهنا نعرض لنموذجين- للاستشهاد-:

النموذج الأول: آية مكية في سورة مدنية

وهي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾** ﴾ [2].

وقد جاء في سبب نزولها:أن نفرا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال:شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل.

فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء- زهير والنابغة -، فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله ليخرجن رائدا من محبسه لأصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم، ثم يمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، فانظروا غير هذا الرأي.

فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما

---

(1) دراسات قرآنية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1983م، ص19.

(2) الأنفال/30.

صنع. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، لتجتمعن إليه، ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كل قبيلة وسيطا شابا جلدا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل[1]، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي:هذا والله هو الرأي،القول ما قال الفتى لا أرى غيره.

فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له،فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [2]" [3].

إن وضع هذه الآية الكريمة في هذه السورة مناسب، ذلك لأنها تتحدث عن الكفار الذين يعادون الرسالة والرسول، وقد ظهر ذلك جليا في حربهم المسلمين في غزوة بدر، التي نزلت سورة الأنفال تتحدث عن تفاصيلها.

---

[1] العقل أو العاقلة: هم عصبة الرجل وقرابته من قبل الأب الذين يعطون دية القتل، تفسير الطبري، ج5، ص55.

[2] دراسات قرآنية، ص19.

[3] الأنفال/30.

ويلاحظ أن كلمة: (الكفر) وما اشتق منها: كفروا/الكافرين، قد تكررت في هذه السورة خمسة عشر مرة، في مقابل ذكر لفظ: (الإيمان) ومشتقاته: آمنوا/المؤمنين/المتقون الذي تكرر هو الآخر واحدا وعشرين مرة.

وإذا كانت الآية الكريمة المكية قد خصصت النبي ﷺ بالخطاب، فإن العبرة هنا بعموم اللفظ، فكل أتباع الرسول- في كل زمان ومكان - معنيون بالخطاب الرباني، وقد صدق الواقع ذلك، فكم تعرض أهل الحق للحبس والقتل أو النفي أو لها جميعا..وإن جو السورة الكريم يوحي بتلك المواجهة الشرسة، والتي جرت أحداثها على أرض بدر الطاهرة.

وفي ورود هذه الآية الكريمة في هذا الموضع، إشارة إلى أن تشريع القتال في أول العهد بالمدينة كان بسبب عداء مشركي قريش — في العهد المكي- للنبي ﷺ وأصحابه عليهم الرضوان، وذلك لكف الأذى وتذليل السبيل لنشر دعوة الإسلام [1].

وفي ابتداء الآية المكية بالأداة: (إذ) مناسب أيضا لموسيقى السورة، التي تكررت فيها هاته الأداة اثنا عشر مرة.

النموذج الثاني: آية مدنية في سورة مكية

وهي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [2].

هذه الآية الكريمة من سورة (ق) ، وقد نزلت بمكة المكرمة، وورد في سبب نزولها ما

---

[1] لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد تامر، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، مصر، ط2، 1425هـ/2004م، ص128، 129.

[2] ق/38.

رواه ابن عباس أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: « خَلَقَ اللهُ الأرْضَ يَوْمَ الأحَد وَالاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ وَما فِيهِنَّ مِنْ المَنَافِعَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأرْبَعاء الشَّجَرَ وَالمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الجُمْعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ وَالقَمَرَ».

قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: « ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ »، قالوا: قد أصبت لو تممت، ثم استراح، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا، فنزلت الآية الكريمة [1].

وتعني كلمة (لغوب) :تعب وإعياء، وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فاللّه منزه عن صفات المخلوقين، لا يتعرض لتعب حتى يستريح منه، وإذا أراد شيئا قال له:كن فيكون) [2].

والآية الكريمة تتناسب تناسبا تاما مع جو السورة الكريمة، المشحون بإيراد دلائل القدرة والعظمة في إحياء الموتى والبعث والنشور والجزاء والعقاب، فكأنما يقول الله تعالى للمكذبين الشاكين: انظروا إلى قدرتي في خلق السماوات والأرض وما بينهما: " فهذا لم أعيي بخلقه، فكيف يعييني خلق وبعث البشر بعد موتهم، وهو أهون من ذلك"، من باب تقريب المعنى، ومخاطبة البشر بما يفهمون، وإلا فإن الشأن في خلق الله تعالى أن يقول للشيء كن فيكون" [3]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [4].

---

(1) الجامع في أسباب النزول، ص469. والحديث رواه الطبري في تفسيره، ج21، ص432.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج26، ص310، الجامع في أسباب النزول، ص242، 243.

(3) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج7، ص428.

(4) النحل/40.

يقول سيد قطب: " وهي توحي بيسر الخلق والإنشاء في هذا الخلق الهائل، فكيف بإحياء الموتى، وهو بالقياس إلى السماوات والأرض أمر هين صغير " [1].

ومن هنا يظهر بجلاء مناسبة وضع الآية المدنية الكريمة في هذه السورة المكية الكريمة.

وإذ نعرض لهذين النموذجين إنما فقط لنوه بشأن هذا البحث العزيز، فعسى أن يهيئ الله لنا أو لغيرنا في إدامة النظر في هذا الباب الشريف: (وضع الآيات في السور)، لعله ينفع في حل بعض الإشكالات المتعلقة بالأحكام أو غيرها.

(1) في ظلال القرآن، ج6، ص3366.

المبحث الثاني: خصائص ترتيب النزول وفوائده

إن الحديث عن ترتيب النزول يستدعي بيان الجو النفسي والاجتماعي الذي اكتنف حياة المخاطبين بالقرآن الكريم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى راعت حكمة الله تعالى جانب التيسير والمرحلية، فبدأت بتصحيح العقيدة وترسيخها، من خلال إدامة التركيز على أصول العقيدة الإيمانية، ثم ثنت في المرحلة المدنية ببيان تفصيلي للشعائر والشرائع، مع تحديد العلاقة مع الآخر، سيما مع المنافقين واليهود، الذين شكلوا- ولا يزالون – خطرا داهما على كل المبادئ والقيم النبيلة، التي أرسل الله تعالى من أجلها الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنهم نبينا محمد ﷺ، الذي ختمت به كل الرسالات السماوية.

المطلب الأول: بيئة التنزل الكريم

إن تصور الحالة النفسية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي في عصر النبوة يعد أمرا هاما، وذلك لمعرفة الحكمة من نزول الآيات والسور منجمة ومرتبة."فعلى متدبر كتاب الله أن يضع في اعتباره لدى تدبر نص منه ملاحظة الأمور التالية:

الأول: تصور العصر الإسلامي الأول، وواقع حال الذين كانت تتنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم، ويدخل في هذا تصور بيئتهم العامة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم بوجه عام، (وقد عرضنا لبعض ملامح ذلك العصر في الفصل الأول).

الثاني: تصور الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات الموضوعة للدراسة، وذلك بشكل خاص.

الثالث: تصور الظرفين الزماني والمكاني الذين أنزلت فيهما الآيات الموضوعة للتدبر والدراسة" [1].

فالمرحلة المكية كانت تتطلب خطابا خاصا ومعالجة مدروسة، فالقوم كانوا حديثي عهد بالجاهلية، التي كانت تعج بكثير من التصورات الخاطئة والسلوكيات المنافية للعقل والذوق ومصادمة لتعاليم الديانات السماوية السابقة، والتي وإن كانت محرفة إلا أن فيها بقايا من النصوص الصحيحة والتي تمثلها كثير من المتدينين آنذاك، و مع ذلك فلم يكن لهم حظ في التعرف عليها ودراستها، بسبب أن المتدينين كانوا قلة، ولا يحبون- رغبا أو رهبا- أن يدعو غيرهم للتدين، سيما اليهود الذين لا زالوا يستأثرون بديانتهم ولا يرون لغيرهم حق في اعتناقها، باعتبار أنهم شعب الله المختار.

وفي أهمية اعتبار الزمان: (الحال)، والمقام: (المكان)، في توجيه الخطاب، يقول الدكتور محمد عبد الباسط عيد:"..ففكرتا الحال والمقام في مفهوم البلاغيين مرتبطتان بالبعد الزماني والمكاني للكلام، وذلك أن الأمر الذي يدعو المتكلم لتقديم صياغته على وجه معين، إما أن يكون يتصل بزمن هذه الصياغة، فيسمى:(الحال)، وإما أن يتصل بمحلها فيسمى: (المقام)، لأن كل كلام لابد له من بعد زماني، وبعد مكاني يقع فيه، ومن هنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال، واختلاف صور هذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلاف الحال والمقام" [2].

إن النظر في القرآن المكي يظهر بأن سوره تمتاز بجمل قصار، على هدي العرب حينذاك، فقد كان يعجبهم من الكلام الجمل القصار المفصلة، الموجزة، المكنى عنها بإشارات دالة على معان مقصودة.

---

[1] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل،ص53.

[2] النص والخطاب- قراءة في علوم القرآن-، تقديم صلاح رزق، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م، ص100.

وقد اتسم الخطاب المكي بالتعريض، فلم يكن يسم المقصودين بالخطاب، وإنما يترك المستمع ليستعمل عقله في التشبيه والإسقاط، ذلك أن النماذج البشرية – في أغلبها – متشابهة في نفسياتها وتصوراتها وأعمالها، وقد سجل القرآن ذلك في غير ما موضع، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُومِنِينَ ١٠٣ ﴾ [1]، وقال: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾ [2]، وقال: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ [3].

وأما ما جاء في المذكورين صراحة مثل أبي لهب وامرأته فإنما كان من باب الدفاع عن عرض النبي ﷺ ، الذي لقي أذى شديدا، ولم تشفع القرابة الدموية التي تجمعه بعمه في كف الأذى عنه، فتولى الله عز وجل الدفاع عنه، متوعدا كل من تسول له نفسه النيل من نبيه الكريم.

وأما في العهد المدني فيلاحظ أن النصوص المنزلة قد امتازت بالطول والتفصيل لكثير من الجزئيات العارضة أو التي سبق ذكرها في المرحلة المكية بشكل مجمل.

وقد كان لاعتبار النسيج الاجتماعي المتشكل من ثلاث طبقات:(اليهود–المنافقون–المسلمون) دور في تفصيل الأحكام، وبيان طبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بينهم، وقد لوحظ الإسهاب في ذكر اليهود تاريخا وواقعا ومستقبلا، لأن أغلب الرسل كانوا فيهم، وقصصهم مع موسى عليه السلام على وجه التحديد فيها عبر ودروس كثيرة للعالمين،

–

(1) يوسف/103.

(2) الأنعام/116.

(3) سبأ/13.

وللمجتمع الإسلامي – خصوصا – في ذلك الوقت ، والذي كان عليه أن يستفيد من تلك القصص، ليتمكن من استكمال مشروعه الحضاري الذي أسس جزأه الأهم والأعظم في مكة المكرمة، والمتعلق بالعقيدة والإيمان.

وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك، منه قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [1].

لقد كانت الدولة الإسلامية الناشئة في مواجهة الدسائس والمخاطر من الداخل والخارج، ولذلك حدثت عدة مواجهات، بل حروب وغزوات مع الكفار من خارج المدينة المنورة مهد الدولة الإسلامية الفتية، ومع الكفار من اليهود وأهل النفاق الذين ما فتئوا يتآمرون على النبي وصحبه، ويطعنون دينهم في الظهر، وفي ذلك نزلت سور طوال تتحدث عن مجريات الأحداث كأننا نراها رأي العين، مثل سورة الأنفال التي وصفت غزوة بدر، والمائدة التي حذرت من اليهود، والتوبة التي فضحت أهل النفاق.

كما أننا نلاحظ في المرحلة المدنية أن الصحابة الكرام كانوا قد تشبعوا بمعاني العقيدة الصحيحة الراسخة، التي كانوا يتلقونها في المرحلة المكية، فكان لا بد من الانتقال إلى مرحلة متقدمة من التربية والإعداد، وهي تشريع الأحكام وتأسيس النظم والقوانين لاستكمال بناء الدولة، التي كان وجودها في محيط جاهلي أكثر من ضرورة..لذلك كان ﷺ يشجع صحابته على الاجتهاد في غيابه وفي غياب النص، مثل ما فعل مع معاذ بن جبل حين بعثه واليا على اليمن، ومن ذلك تعلم المسلمون حينذاك وبعد ذلك أن ينظروا في تدبير شؤون حياتهم، ولو لم يكن في ذلك نصوص نازلة أو أحاديث واردة.

[1] يوسف/111.

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا الفرق بين مجتمعين: مجتمع مكي حديث عهد بالجاهلية، في مرحلة النشوء والتكوين، فكان يحتاج إذن لخطاب خاص يؤسس لغرس معاني العقيدة الصحيحة ويرسخ مبادئها في القلوب..ومجتمع مدني مؤهل لقيادة الدولة الناشئة على كل الصعد: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية..وغيرها. ولذلك وجدنا خطاب المدينة مختلفا تماما عن خطاب مكة.

يقول ابن جزي: " واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء، وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ، وحيث ما ورد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [1]،فهو مدني، وأما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [2]، فقد وقع في المكي والمدني" [3].

يقول سيد قطب:"..ولقد كانت فترة عجيبة حقا. فترة الثلاثة والعشرين عاما التالية، التي استمرت فيها هذه الصلة الظاهرة المباشرة من البشر والملأ الأعلى. فترة لا يتصور حقيقتها إلا الذين عاشوها وأحسوها وشهدوا بدأها ونهايتها وذاقوا حلاوة هذا الاتصال، وأحسوا يد الله تنقل خطاهم في الطريق، ورأوا من أين بدؤوا وإلى أين انتهوا (..)، وكانوا يعرفون مذاقها ويدركون حلاوتها ويشعرون بقيمتها ويحسون وقع فقدانها حينما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقطعت هذه الفترة العجيبة التي لا يكاد العقل يتصورها لولا أنها وقعت حقا".

ويقول:" لقد ولد الإنسان من جديد باستمداد قيمه من السماء لا من الأرض، واستمد

---

(1) المائدة/01.

(2) النساء/01.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ص5.

تشريعه من الوحي لا من الهوى (..)،إنه الحادث الفذ في تلك اللحظة الفريدة. الحادث الكوني الذي ابتدأ به عهد في هذه الأرض وانتهى عهد.والذي كان فرقانا في تاريخ البشر لا في تاريخ أمة ولا جيل، والذي سجلته جنبات الوجود كله وهي تتجاوب به،وسجله الضمير الانساني، وبقي أن يتلفت هذا الضمير اليوم على تلك الذكرى العظيمة ولا ينساها.وأن يذكر دائما أنه ميلاد جديد للإنسانية لم يشهده إلا مرة واحدة في الزمان"[1].

المطلب الثاني: تفسير القرآن حسب ترتيب النزول وأهميته [*]

كما سبق وأن ذكرنا في مقدمة الرسالة بأننا اعتمدنا نسخة: (رودوسي قدور بن مراد)، التي تضمنت السابق واللاحق في النزول من السور الكريمة، مما يعين الباحثين في تتبع مراحل النزول، واستثماره في عملية التربية والتوجيه، وهو الدافع الأساس لنا لاختيار هذا الموضوع. ومما تجدر الإشارة إليه أن الذين (فسروا القرآن الكريم حسب ترتيب النزول)، كان ذلك أيضا هدفهم. وفي حدود علمنا هناك أربعة من العلماء والباحثين قد اشتغلوا بهذا الفن وهم[**]:

1- الشيخ (ملا حويش آل غازى عبد القادر) [1*]. في كتابه: (بيان المعاني) [2*].

2- الأستاذ (عزة دروزة) [3*] . في كتابه: (التفسير الحديث) [4*].

3- الشيخ (حسن عبد الرحمن حبنكة الميداني) [5*].في كتابه:(معارج التفكر ودقائق التدبر)[6*].

---

[1] في ظلال القرآن، ج6، ص3937-3938.

[*] يرجع إلى ملحقي الرسالة: (3-4) المتضمنين لجدولي السور الكريمة مرتبة (حسب ترتيب النزول)، وفقا لمصحف ورش، ونسخة قدور رودوسي بن مراد .

[**] ترجمتهم، والتعريف بتفاسيرهم – باختصار – في الصفحة الموالية.

4- الدكتور (عابد الجابري) [7*]. في كتابه: (فهم القرآن الكريم- التفسير الواضح حسب ترتيب النزول -) [8*].

وقد راعوا في تفاسيرهم تلك: الآيات المدنية التي نزلت في مكة، والآيات المكية التي نزلت في المدينة، أو تلك التي نزلت في غيرهما.

وقد أفتى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بجواز هذا العمل، مبررا أن ذلك ليس ترتيبا قرآنيا لآيات القرآن، بل هو ترتيب تفسيري للسور القرآنية حسب نزولها الكريم، وقد أحب صاحبه أن يتتبع التفسير القرآني حسب تاريخ النزول، والذي يعين كثيرا في فهم الأحداث القرآنية، كما يعين في تتبع المراحل الزمنية للدعوة الإسلامية، وقد سبق للشيخ عزة دروزة أن تتبع سيرة الرسول ﷺ

-

(*1) هو الشيخ العلامة عبد القادر ملا حويش السيد محمود الغازي العاني:(1880- 1978م)، من أعلام الفرات،تلقى علومه الابتدائية و قسما من الإعدادية في المدارس الحكومية ثم درس الفقه في المدرسة الشرعية بدير الزور ،نال شهادة في العلوم العملية والنقلية من المجلس العلمي ببغداد، ثم نال شهادة في علم المدنية عن المتحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق، ثم شهادة في العلوم الفقهية من دمشق، ثم شهادة المحاماة من نقابة المحامين بدمشق ، ملتقى أهل التفسير، تاريخ التحميل: 2012/08/22م، 15.30سا.

(*2) بيان المعاني (وهو تفسير كتاب الله الحكيم حسب النزول)، ويعد الأول من نوعه حتى تاريخه، وهو ستة مجلدات، نشر مطبعة الترقى،دمشق، 1382 هـ-1962م .

(*3) ولد في مدينة نابلس بفلسطين في شهر شوال عام1305هـ/1888م، أتم حفظ القرآن في سجنه في دمشق عام1939م، توفي دمشق عام 1404هـ/1984م، له(سيرة الرسول)، و(عصر النبي وبيئته قبل البعثة)، و(الدستور القرآني في شؤون الحياة)، من بحث بعنوان: إصلاح علم التفسير في التفسير الحديث، بقلم د.علي أسعد، دمشق، بمناسبة القدس عاصمة الثقافة الإسلامية، عام2009م.

(*4) وقد رتبه ترتيبا زمنيا، حسب نزول القرآن، فبدأ بتفسير سورة (اقرأ)، ثم (ن والقلم)، ثم (المزمل)، ثم (المدثر)، ثم انتهى من السور المكية، وبدأ بالسور المدنية حتى نهايتها، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1964م.

(*5) سبقت ترجمته في ص 93.

(*6) طبع دار القلم، دمشق. ووقع ذلك في 15 مجلدا، انتهى فيه من المرحلة المكية، ولما شرع بتفسير السور المدنية وافته المنية رحمه الله.

(*7) مفكر مغربي وأستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، ولد بمدينة سيدي لحسن في شوال1354هـ/1934م بمدينة فجيج الواقعة في شرق المغرب، كتب مجموعة من المؤلفات، منها: مدخل إلى القرآن في ثلاثة مجلدات. توفي رحمه الله يوم الاثنين :2010/05/03م، موقع أهل التفسير، تاريخ التحميل: 2013/03/13م، الساعة:13.05.

(*8) دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008م.

من خلال الآيات القرآنية عبر مراحلها الزمنية [1].

ويذهب سيد قطب إلى تعذر توافر ترتيب الآيات حسب النزول، فيقول: " إن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه بشيء، ولا يكاد الإنسان يجد فيه شيئا مستيقنا إلا في آيات معدودات، تتوافر بشأنها الروايات".

ومع ذلك أكد على قيمة هذا اللون من الترتيب وتفسيره وانتهاجه في العملية التربوية والسلوكية، فقال رحمه الله: " وعلى كل ما في محاولة تتبع آيات القرآن وسوره وفق الترتيب الزمني للنزول من قيمة ومن مساعدة على تصور منهج الحركة الإسلامية ومراحلها وخطواتها، فإن قلة اليقين في هذا الترتيب تجعل الأمر شاقا، كما أنها تجعل النتائج التي توصل إليها تقريبية ظنية، وليست نهائية يقينية " [2].

وقد ذكر بعض العلماء أن بعض الصحابة قد رتب السور القرآنية حسب ترتيب نزولها، ومنهم سيدنا علي كرم الله وجهه، فقد قال القاضي أبو بكر بن الطيب: " قد اختلف السلف في ترتيب القرآن، فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها، وقدم المكي على المدني " [3].

ويتجه الإمام السيوطي الاتجاه نفسه حين يقرر: " اختلفت مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي، كان أوله: اقرأ ثم البواقي على ترتيب نزول المكي ثم المدني" [4]. ولكن ذلك لم يرق لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله

---

(1) ينظر مقال بعنوان : ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية، ع16، 1419هـ، ص34. مع تصرف يسير.

(2) في ظلال القرآن، ج3، ص1429.

(3) البرهان في علوم القرآن،ج1، ص259.

(4) لباب النقول، ص41.

عنه فأمر سيدنا علي بحرقه.

أما بخصوص ترتيب الآيات حسب النزول فلم نعثر عليه، وقد جزم عكرمة رضي الله عنه باستحالة ذلك، عندما سأله محمد بن سيرين رضي الله عنه عن جمع القرآن وترتيبه حسب نزوله، فقال: " فقلت لعكرمة : ألفوه كما أنزل، الأول فالأول؟ قال عكرمة: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك الترتيب ما استطاعوا" [1].

وممن انتقد ذلك محمد عبد الله دراز حيث قال: " تلبية لأمر صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية، تصفحت الرسالة المعنونة: (رتبوا القرآن الكريم كما أنزله الله)، بقلم يوسف راشد بوزارة العدل، فوجدت الكاتب يدعو فيها المسلمين إلى ترتيب سور القرآن على حسب نزولها، ابتداء من سورة العلق، ثم القلم، ثم المزمل، ثم المدثر،ثم الفاتحة، وهكذا حتى يختتم بسورة النصر.

ويقول الكاتب في توجيه هذا الاقتراح: إن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار،ويضيع الفائدة من نزول القرآن،لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي الذي روعي في النزول،ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة،لأن القارئ إذا انتقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة، وانتقل بدون تمهيد إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه.

وقد رد عليه محمد دراز بقوله:"..وليس الانتقال من أحد النوعين إلى الآخر كما ظن المؤلف انتقالا من مقصد جديد أو إلى جو غريب، فإن مقاصد القرآن وأهدافه في السور المكية والمدنية واحدة: وهي إصلاح العقائد، وتنظيم مناهج السلوك للأفراد والجماعات، وإنما يفترق المكي عن المدني بالإجمال والتفصيل" [2].

---

[1] ترتيب نزول القرآن، ص33.

[2] حصاد قلم، محمد عبد الله دراز، جمع وإعداد وتحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، مراجعة وتقديم: عبد الستار فتح الله السعيد، دار القلم، الكويت، ط1، 1424هـ-2004م، ص45 وما بعدها، باختصار.

إن تتبع ترتيب النزول فيه فائدة عظمى للدارس والمتدبر في القرآن الكريم، من حيث عملية استنهاض الهمم وبناء إستراتيجية الإقلاع الحضاري بالأمة الإسلامية في كل مرحلة من مراحل سقوطها أو غفوتها، كما هو الحال اليوم للأسف.

وقد تكلم كثير من العلماء في أهمية الاستئناس بترتيب النزول في الدعوة والتربية والإصلاح. يقول سيد قطب في ذلك:"..والسورة – بهذا الاعتبار– ذات أهمية في بيان طبيعة المنهج الحركي للإسلام ومراحله وخطواته، حين تراجع الأحكام النهائية التي تضمنتها مع الأحكام المرحلية التي جاءت في السور قبلها، وهذه المراجعة تكشف عن مدى مرونة ذلك المنهج، وعن مدى حسمه كذلك، وبدون هذه المراجعة تختلط الصور والأحكام والقواعد، كما يقع كلما انتزعت الآيات التي تتضمن الأحكام النهائية أن تفسر وتؤول لتطابق تلك الأحكام المرحلية، وبخاصة في موضوع الجهاد الإسلامي، وعلاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى" [1].

ويقول حسن حبنكة الميداني– في السياق ذاته – : " وعلى الداعي أو الدعاة أن يستفيدوا في دعوتهم من الخطوات المرحلية التي سارت على وفقها الدعوة الإسلامية في عصر التنزيل" [2].

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره الإمام الشاطبي بقوله: " المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح" [3].

---

[1] في ظلال القرآن، ج3، ص1691.

[2] قواعد التدبر الأمثل، ص155.

[3] فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص9.

المطلب الثالث: أثر القرآن المكي والمدني في العقيدة والسلوك

أولا: تعريف المكي والمدني

وهو من أهم علوم القرآن فالسيوطي يجعله في إتقانه: العلم الأول أو النوع المعرفي الأول الذي يجب على الباحث في القرآن معرفته والإلمام به[1].

وقد ظل القرآن الكريم يتنزل- منجما – على قلب النبي محمد ﷺ طيلة الثلاث والعشرين سنة بعد البعثة، ثلاث عشرة سنة منها في مكة المكرمة، وقد عالجت آياته وسوره الكريمة موضوع العقيدة والإيمان تصحيحا وترسيخا وبناء، أما العشر البواقي فنزلت بالمدينة المنورة دار هجرة النبي وصحبه ومقر دولتهم المباركة، وقد اهتمت آياته وسوره الكريمة موضوع السلوك الاجتماعي والحضاري، من حيث التشريع والتقنين وأخلقة المعاملات فيما بين المسلمين من جهة، وبينهم وبين غيرهم من جهة أخرى.

وقد نوه الإمام الزركشي بجهود العلماء في بيان ما تعلق بنزول القرآن الكريم في مكة والمدينة، فقال- نقلا عن الإمام أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) -: " من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا، وما نزل مفردا، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة

---

[1] النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص96.

إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مجملا، وما نزل مفسرا، وما نزل مرموزا، ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني. هذه خمسة وعشرون وجها، من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى" [1].

يقسم القرآن الكريم في عرف علماء التفسير إلى مكي ومدني ،فبعض آياته مكية وبعضها مدنية ، وتوجد آراء عديدة في تفسير هذين المصطلحين ،وأهمها :

الرأي الأول: ويعتمد على الأساس الزماني واعتبار هجرة الرسول ﷺ حدا زمنيا فاصلا بين مرحلتين، فكل آية نزلت قبل الهجرة تعد مكية، وكل آية نزلت بعد الهجرة تعد مدنية. هذا باعتبار الآيات، أما باعتبار السور فإننا نجد السورة الكريمة تسمى مكية، وهي تتضمن آيات مدنية، ونجد السورة مدنية، وهي مشتملة على آيات مكية.

يقول الأستاذ محمد قطب رحمه الله: " والذي يلفت نظرنا في هذه الظاهرة أن مكان نزول الآية لم يكن هو الذي حدد موضعها في المصحف، ولا زمان نزولها كذلك فقد تنزل آية في المدينة ثم تلحق بسورة مكية قبل ذلك بعشر سنوات أو أكثر، كالآية الأخيرة من سورة المزمل المكية" [2].

الرأي الثاني: ويعتمد على الأساس المكاني للتمييز بين المكي والمدني ، فكل آية نزلت في مكة سميت مكية ،وكل آية نزلت في المدينة سميت مدنية . وهذا بالنظر إلى فواتح السور لا جميعها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء" [3].

---

[1] البرهان، ج1، ص192.

[2] دراسات قرآنية، ص18.

[3] فتح البيان في مقاصد القرآن، ص251.

الرأي الثالث: ويعتمد على أساس المخاطبين، فكل ما وقع خطابا لأهل مكة فهو مكي، وكل ما وقع خطابا لأهل المدينة فهو مدني .

والرأي الأول هو الرأي الأكثر صحة وقبولا ؛ لأنه يشمل جميع آيات القرآن الكريم ، فلا توجد هناك آية إلا وهي نازلة إما قبل الهجرة المباركة أو بعدها . ولا يمكن قبول الرأي الثاني، لأن هناك بعض الآيات القرآنية لم تنزل لا في مكة ولا في المدينة . ولا يمكن الاعتماد على الرأي الثالث أيضا ؛ لأن الخطاب القرآني خطاب عام لا يختص بجماعة دون أخرى ، بل يشمل جميع الناس .

ثانيا: خصائص ومميزات المكي و المدني(*)

1- خصائص القرآن المكي: يتميز القرآن المكي بجملة من الخصائص، لتهيئة الصحابة عقائديا وسلوكيا، قصد بناء الدولة الإسلامية مستقبلا،ولمواجهة كل المخاطر التي قد تحدق بها، ومن بين أهم تلكم الخصائص ما يلي:

أ/ الدعوة إلى أصول العقيدة كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وتصوير مشاهد الحساب وأهل الجنة وأهل النار. يقول محمد قطب: " السور المكية مشغولة كلها بالعقيدة- ولا شيء غير العقيدة – خلال ثلاثة عشر عاما من الزمان، وأن التشريعات والتنظيمات لم ينزل منها شيء في مكة، إلا توجيهات عامة، بينما السور المدنية هي المشغولة بالتشريعات والتنظيمات، وإن كانت لا تخلو بحال من الأحوال من حديث العقيدة، الذي لا ينقطع الحديث عنه في كتاب الله، من أوله إلى منتهاه" (1).

ب/ الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة وأفعال الخير .

(*) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص181-184،ص203،ص209،ص230، وينظر أيضا: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م، من ص49 إلى64.

(1) دراسات قرآنية، ص20.

ت/ قصر الآيات والسور وإيجازها . وفي ذلك يقول حسن حبنكة: " وبنظرة عامة إلى القرآن المجيد نلاحظ أن بيئة العهد المكي كانت الآيات تتنزل فيها على أسلوب المنتقيات المحفوظات المتداولات من كلام بلغاء العرب وفصحائهم وخطبائهم، والسائر من أمثالهم، إذ كان يعجبهم منها الجمل القصار المفصلة بتوازن، والإيجاز الذي يكشف الذكاء دلالاته، والكنايات الإشارية الدالة على معان غير مدلول عليها ولا معبر عنها بألفاظ صريحة، والاكتفاء من الموضوع بذكر بعض عناصره البارزة، كذكر اسم القوم، أو اسم طاغيهم، واسم رسولهم، والإشارة إلى مساكنهم، والاكتفاء بأنهم كذبوا الرسول الذي دعاهم إلى الإيمان بربهم، وذكر إهلاكهم بنحو الريح، أو الغرق، أو إمطار الحجارة، أو رفع ديارهم وقلبها عليهم، مع توجيه العظة للمخاطبين بما جرى للسابقين" [1].

ويقول محمد قطب: " ظاهرة أخرى لابد أن تلفت نظر القارئ لكتاب الله، هي الاختلاف الواضح بين السور المكية والسور المدنية في طريقة التعبير وبناء الآيات، فالسور المكية – في الغالب – قصيرة الآيات، سريعة الحركة، أقرب إلى إثارة التأمل الفكري منها إلى إثارة الوجدان، ذلك هو الغالب" [2].

ث/ مجادلة المشركين وإبطال عقائدهم وتسفيه أحلامهم .

ج/ كثرة القسم بالله تعالى والقرآن الكريم واليوم الآخر .

ح/ كثرة استعمال عبارة: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ**﴾، وقلة استعمال عبارة:

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ** ﴾.

---

[1] قواعد التدبر الأمثل، ص55.

[2] دراسات قرآنية، ص19-20.

خ/كثرة قصص الأنبياء والمرسلين والأمم وخاصة قصة النبي آدم عليه السلام وإبليس (لعنه الله) .

2- خصائص القرآن المدني:

لما اكتمل الإعداد الروحي والفكري للمجتمع المسلم الوليد، وبعد الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وبعد إعلان نشأة الدولة الإسلامية، ظهر خطاب جديد، يؤسس لمعاني المواطنة والتعايش السلمي مع غير المسلمين، ويضع القوانين والشرائع (*). ولذلك تميز الخطاب المدني بما يلي:

أ/ طول الآيات والسور وإطنابها.

يقول حسن حبنكة: " ونلاحظ أن أسلوب الآيات القرآنية في بيئة العهد المدني قد اختلف عن أسلوبها في بيئة العهد المكي، فقد صارت البيانات الدينية تجمع في آيات طوال، وصار فيها لجوء إلى التفصيل لما كان في العهد المكي مجملا، وإلى بيان الجزئيات التي كان يطوى الكثير منها في أسلوب العهد المكي " (1).

ب/ مجادلة أهل الكتاب في عقائدهم .

ت/ التحدث عن المنافقين وكشف مواقفهم وأحوالهم .

وذلك مراعاة للنسيج الاجتماعي الجديد في المدينة المنورة، حيث تشكل من ثلاث فئات:

الفئة الأولى: المسلمون.

(*) ينظر فصل: القرآن في العهد المدني، من كتاب دراسات قرآنية، ص262 وما بعدها.

(1) قواعد التدبر الأمثل، ص56.

الفئة الثانية: أهل الكتاب (اليهود بشكل غالب).

الفئة الثالثة: المنافقون.

يقول حسن حبنكة: " وصار أسلوب العهد المدني يراعي طرائق تفكير البيئة المدنية، التي فيها ثلاث قبائل من أهل الكتاب اليهود(بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة)، الذين يعرفون من الكتب السابقة طرائق البيانات التفصيلية في الجمل والفقرات والآيات الطوال(..)وهذا الأسلوب لم يكن له نظير في بيئة العهد المكي " [1].

ث/ كثرة ذكر الجهاد والإذن به وتفصيل أحكامه .

ج/ تفصيل أحكام الحدود والفرائض والحقوق والإرث والقوانين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ح/ تفصيل الأدلة والبراهين على الحقائق الدينية .

3- مميزات المكي والمدني:

أ/ تمتاز السور المكية بقوة الأسلوب وشدة الخطاب لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون ولا يليق بهم إلا ذلك. مثال ذلك سورتي: (المدثر والقمر)، وتمتاز السور المدنية بلين أسلوبها وسهولة الخطاب لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون. ولنقرأ سورة (المائدة) كنموذج على ذلك.

ب/ الغالب في السور المكية قصر الآيات وقوة المحاجة لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم. ولنقرأ سورة (الطور). والغالب في السور المدنية

---

[1] نفسه، ص56.

طول الآيات وذكر الأحكام بدون محاجة لأن حالهم تقتضي ذلك. ولنقرأ آية الدين في آخر سورة (البقرة) [1].

ت/ الغالب في السور المكية تقرير التوحيد والعقيدة السليمة خصوصا ما يتعلق بتوحيد الألوهية، والإيمان بالبعث، لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك. أما السور المدنية ففيها تفصيل العبادات والمعاملات لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات.

ث/ الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في السور المدنية، لاقتضاء الحال، حيث شرع الجهاد، وظهر النفاق، بخلاف القسم المكي.

ثالثا: طريقة معرفة المكي والمدني

بدأ المفسرون عند محاولة التمييز بين المكي والمدني بالاعتماد على الروايات والنصوص التاريخية التي تؤرخ السورة أو الآية وتشير إلى نزولها قبل الهجرة أو بعدها، وعن طريق تلك الروايات أو النصوص التي تتبعها المفسرون استطاعوا أن يعرفوا عددا كبيرا من السور أو الآيات المكية والمدنية ويميزوا بينها .

وبعد أن توفرت لهم المعرفة بذلك اتجه كثير من المفسرين الذين درسوا المكي والمدني إلى دراسة مقارنة لتلك الآيات والسور المكية والمدنية التي اكتشفوا تاريخها عن طريق النصوص، وخرجوا من دراستهم المقارنة باكتشاف خصائص عامة في السور والآيات المكية والمدنية، فجعلوا من تلك الخصائص مقاييس يقيسون بها سائر الآيات والسور التي لم يعرف توقيتها في الروايات والنصوص، فما كان يتفق مع الخصائص العامة للقسم المكي حكموا بأنه مكي، وما كان أقرب إلى الخصائص العامة للقسم المدني حكموا بأنه مدني .

---

(1) الآية: 282.

ويجوز الاعتماد على هذه المقاييس إذا أدت إلى العلم، ولا يجوز الأخذ بها لمجرد الظن، إذ من الممكن أن تنزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الأسلوب الشائع في القسم المكي، كما في سورة (النصر)، لأن الظن يغلب حينذاك على أن السورة مكية لقصرها وإيجازها مع أنها مدنية .

ويعتمد العلماء لمعرفة المكي والمدني على المنهجين التاليين(*):

المنهج الأول: النقل عن الصحابة والتابعين

فلقد كانوا يضبطون نزول القرآن: (آية، آية)، ضبطا يحدد الزمان والمكان، ولاسيما الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: " والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" (1).

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: " إنما يرجع في معرفة المكي والمدنى لحفظ الصحابه والتابعين، ولم يرد عن رسول الله ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم ومعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول " (2).

وقال الجعبري(3): " لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، وعرف السماعي

(*) ينظر : مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص56، 57.

(1) مناهل العرفان، ج1، ص196.

(2) الإتقان، ج1، ص35.

(3) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (640-732هـ/1242-1332م):عالم بالقراءات،من فقهاء الشافعية، له نظم ونثر، ولد بقلعة جعبر (على الفرات،بين بالس والرقة)، له نحو مئة كتاب، أكثرها مختصر، منها: (خلاصة الأبحاث) شرح منظومة له في القراءات، و(شرح الشاطبية) المسمى: (كنز المعاني شرح حرز الأماني) في التجويد، الأعلام، الزركلي، ج1، ص55.

بأنه ما وصل إلينا نزوله بأحدهما " [1].

المنهج الثاني: القياس والاجتهاد

إذا لم يقفوا على أقوال الصحابة رضوان اللّه عليهم والتابعين فيما يدل على المكي والمدني، فإنهم يعتمدون على مميزات السور المكية والمدنية، فإذا كانت السورة تحمل خصائص المكي قالوا إنها مكية، والعكس .

رابعا: فوائد معرفة المكي والمدني [*]

لمعرفة المكي والمدني فوائد منها:

1- تمييز الناسخ من المنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.

وها هنا بعض النقول، تبين ضرورة العلم بالمكي والمدني، وعلاقتهما بموضوع النسخ:

أ/ قال الحارث المحاسبي رحمه الله – عند حديثه عن الناسخ والمنسوخ –: " فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة، فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ، لأنه الآخر في النزول" [2].

ب/ ويقول أبو جعفر النحاس رحمه الله: "وإنما يذكر ما نزل بمكة والمدينة، لأن فيه

---

[1] مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص181.

[*] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص55، 56، ص69، 70.

[2] فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، (دط.دت)، ص394.

أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ، لأن الآية إذا كانت مكية وكان فيها حكم، وكان في غيرها مما نزل بالمدينة حكم غيره علم أن المدنية نسخت المكية" [1].

ت/ وللقرطبي رحمه الله كلام نفيس في هذا المقام ذكره في مقدمة تفسيره، فيقول: "وينبغي له- أي المفسر- أن يعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخره، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن" [2].

2- توجيه الدعاة إلى أسلوب القرآن في الدعوة إلى اللّه سبحانه وتعالى: إذ إن معرفة مكان نزول الآية يعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد منها، فإن لكل مقام مقالا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لبه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو واضحا جليا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

3- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم: فمن الضروري معرفة المكي والمدني،والناسخ والمنسوخ، لئلا يقع من يتكلم فيه في الخطأ والخلط. قال ابن الأنباري رحمه الله- كما نقله عنه القرطبي في مقدمة تفسيره: " فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة، لاختلاف الناس في موضع نزولها" [3]. ويقول الإمام أبو القاسم النيسابوري بعد تعداده خمسة وعشرين وجها من

---

(1) الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1408هـ /1988م، ج1، ص650.

(2) الجامع لأحكام القرآن، (دار عالم الكتب)، ج1، ص21.

(3) نفسه، ص62.

وجوه المكي والمدني: "فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل" [1].

4- الدلالة الواضحة لبلاغة القرآن: حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم، من قوة وشدة، أولين وسهولة.

5- التدرج في التشريع شيئا فشيئا ليوافق حال المخاطبين: ويعني التبصر بالمراحل التاريخية التي سار عليها تشريعنا السامي والوقوف على سنة الله الحكيمة التي في تشريعه، وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع والإجمال على التفصيل، وقد أثمرت هذه السياسة التشريعية ثمرتها وعادت على الدعوة الإسلامية بالقبول والإذعان والانتشار، أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها:" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا " [2].

6- معرفة مراحل السيرة النبوية: إن معرفة المكي والمدني تساعدنا على استخراج سيرة الرسول ﷺ، وذلك بمتابعة أحواله بمكة، ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة، وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

يقول الدكتور صبحي الصالح رحمه الله: " كان العلم بالمكي والمدني إذا خليقا بالعناية التي أحيط بها، وجديرا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية" [3].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص34.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن في باب تأليف القرآن، رقم4993، ج3، ص340.

[3] مباحث في علوم القرآن، ص167.

7- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم: اهتم العلماء أي اهتمام بكتاب الله عز وجل، ومن مظاهر ذلك أنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة، وما كان بعد الهجرة، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.

8- معرفة أسباب النزول: إذ إننا أثناء دراستنا لمكان نزول الآية نقف على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية. يقول مناع القطان [1]: " إنه جهد كبير أن يتتبع الباحث منازل الوحي في جميع مراحله، ويتناول آيات القرآن الكريم فيعين وقت نزولها، ويحدد مكانه، ويضم إلى ذلك الضوابط القياسية لأسلوب الخطاب فيها، أهو من قبيل المكي أم من قبيل المدني؟ مستعينا بموضوع السورة أو الآية، أهو من الموضوعات التي ارتكزت عليها الدعوة الإسلامية في مكة أم من الموضوعات التي ارتكزت عليها في المدينة"[2].

ولمعرفة سبب نزول السورة أو الآية فوائد جمة، وأخطأ من قال:لا فائدة له،لجريانه مجرى التاريخ.ومن فوائده:الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال.قال الواحدي:" لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها" [3].وقال ابن تيمية:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية،فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب،وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال " [4].

---

(1) مصري،ولد شهر أكتوبر1925م، وتوفي يوم19جويلية1999م. له مؤلفات عدة منها:مناهج المفسرين/تفسير آيات الأحكام /نزول القرآن على سبعة أحرف، موقع أهل الحديث يوم:08 /01/ 2010م،الساعة: 04.36.

(2) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (مكتبة المعارف)، 1421هـ/ 2000م، ص51.

(3) مناهل العرفان، ج1، ص109.

(4) لباب النقول ، ص6.

9- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.

تلك هي مجمل الفوائد التي نستطيع أن نحصل عليها من معرفتنا للمكي والمدني، والحق هي فوائد يستفيد منها كل من أراد الاشتغال في مجال التفسير وعلوم القرآن والدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة ورشد.

المطلب الرابع: تنجيم القرآن والحكمة منه (*)

نزل القرآن الكريم منجما، أي مفرقا على مدى نحو ثلاثة وعشرين عاما، فكان بعضه ينزل ابتداء، ليكون تعليما وإرشادا وتثبيتا للمؤمنين، وبعضه ينزل إجابة لسؤال أو بيانا لحادثة تقع.

وكان الرسول ﷺ حين ينزل عليه الوحي يعالج من نزوله شدة ومشقة، وكان يحرك لسانه بالقرآن متعجلا حفظه قبل أن يتم جبريل قراءته عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩** ﴾ [1]. فصار النبي ﷺ يستمع إلى جبريل عليه السلام حتى يتم قراءة الآيات عليه ثم يعيدها فيحفظها في صدره، فإذا انصرف الوحي مضى النبي ﷺ يعلم أصحابه ما نزل عليه من آيات ويأمرهم بحفظها في صدورهم، وكتابتها على الألواح والجلود.

وقد اعترض الكفار على نزول القرآن مفرقا، مبالغة منهم في العناد، ورغبة في الجدل واللجاجة، فقالوا كما أخبر القرآن عنهم:

(*) ينظر: التبيان في علوم القرآن ،ص33، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص49 وما بعدها بتصرف، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (مكتبة وهبة)، ص102 وما بعدها بتصرف.

(1) القيامة/16-19.

﴿ وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَـٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾[1].

وهؤلاء كانوا يبدون اعتراضهم رغبة في الجدل و المراء، لأنه لو نزل القرآن جملة واحدة ما كانوا ليؤمنوا. ولكن الذي تثيره هذه المسألة هنا: هو أن القوم ربما بلغهم أن الكتب السابقة قد نزل كل منها جملة واحدة، فلماذا ينزل القرآن مخالفا لها؟ فقد قال الله فيه:

﴿ وَقُرْءَاناً فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [2].

وتتجلى حكمة التنجيم في العناصر التالية:

1- التدرج في تربية المسلمين، ونزع العقائد والعادات الفاسدة من نفوسهم، وغرس العقيدة الإسلامية، ومكارم الأخلاق، والتكاليف الشرعية في حياتهم.

2- تسهيل حفظه وتدبره والعمل بتوجيهاته.

3- مراعاة الحوادث التي تقع، والقضايا التي يسأل عنها، فقد كانت تحدث حادثة، فلا يعرف المسلمون حكم الشرع فيها، فيسألون الرسول ﷺ، فتنزل آيات من القرآن تبين ذلك الحكم.

4- تثبيت فؤاد النبي ﷺ ، وتسليته عما كان يلقاه من أذى المشركين، واستهزائهم به وتكذيبهم له. فقد كان المشركون يؤذونه بتكذيبهم واستهزائهم واتهامهم له بالجنون والسحر والكذب والكهانة .. فكانت آيات القرآن تنزل مسلية له عما يلقاه من أذاهم، مما يزيده ثباتا على الدعوة، ورغبة في تبليغها.

---

(1) الفرقان/32-33.

(2) الإسراء/106.

5- تثبيت أفئدة المؤمنين، ليصبروا ويتحملوا أعباء الدعوة، فكان القرآن يعرض على المسلمين من قصص السابقين وأخبارهم، وكيف صبروا وجاهدوا، وكيف آذاهم قومهم واستهزؤوا بهم، وكيف قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم. فإذا سمع المسلمون ذلك قويت عزيمتهم وثبتت قلوبهم، واستعدوا للصبر على الشدائد.

فلم يكن – إذن – نزول القرآن منجما مصادفة ، ولم تكن تلاوة النبي ﷺ للقرآن على الناس على مكث وأناة دون حكمة، فقد ظل القرآن ينزل في مكة مدة ثلاث عشرة سنة وهو يعالج أسس العقيدة حتى استوفت هذه القضية ما تستحقه من البيان، واستقرت في قلوب الجماعة المؤمنة استقرارا مكينا ثابتا، نزلت الآيات تفصل ما يتعلق بنظام الإسلام في الحياة، فتلقت النفوس المؤمنة تلك التشريعات بالرضا والقبول، واستجابت لما يأمر به القرآن، ويدعو إليه، وانتهت عما ينهى عنه ويحذر منه، دون تردد أو اعتراض.

لقد تدرج القرآن مع الجماعة المؤمنة يرعاها ويربيها، ويحل كل مشكلة تعترض طريقها، وكان العامل الزمني جزءا أصيلا في منهجه التربوي، فكثير من الآيات نزلت إجابة لسؤال، أو حلا لمشكلة، أو بيانا للحكم في قضية وقعت، فكان لا بد من ارتباط هذا النزول بذلك السؤال وتلك الحادثة، وهو ما لا يتحقق لو نزل القرآن جملة واحدة.

ولأن القرآن الكريم "كتاب بناء وتربية، لا كتاب ثقافة أو متاع، جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية لصياغة نفوس وبناء أمة، وإقامة مجتمع، ولا يؤثر في النفوس شيء كما تؤثر فيها التربية في ظل التجارب والأحداث، حيث تكون القلوب متفتحة للتوجيه، والنفوس مهيأة للانطباع. ولا يملك التربية بهذا النهج إلا رب الناس، فهو الذي يكشف النوايا والسرائر، ويعرض النفوس سافرة بلا أستار، وينفذ إلى مواضع التأثر والاستجابة منها، ثم يصوغها وفق منهجه كما يشاء "[1].

---

[1] منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (دط.دت)، ص334.

الفصل الثّاني:

البناء العقائدي حسب ترتيب النزول

استهلال

المبحث الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وخصائصها

المبحث الثاني: عناصر البناء العقائدي

الفصل الثاني: البناء العقائدي حسب ترتيب النزول(*)

استهلال:

إن المتدبر لآيات التنزيل الحكيم، والناظر في أحداث السيرة النبوية المطهرة، يرى أن الآيات والسور المنزلة كانت تعمل عملها على عدة مستويات في بناء النفوس وفق منهج محكم، خططه رب العالمين، ونفذه رسوله الأمين ﷺ. وأهم ملامح ذلكم المنهج تجلى في الآتي:

*تعريف الخلق بالحق عز وجل.

*تعريف الإنسان بحقيقته ومنشئه ورسالته في الحياة ومصيره بعد الممات.

*ترسيخ معاني الأخوة والمحبة والوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي.

*التربية على مواجهة الصد والتكذيب والعداوة، التي كان المجتمع الوليد يواجهها من أقرب الناس، وهم قريش ومن حالفها من قبائل العرب، من خلال إيراد القصص القرآني، من باب الاقتداء والاعتبار.

*غرس القيم الخلقية والاجتماعية، والنهي عن مساوئ الأخلاق وما يفكك وحدة النسيج الاجتماعي للأمة المسلمة.

*إعداد المؤمنين لمواجهة أذى الكفار من قريش وغيرهم في مرحلة قادمة، يكون للقوة فيها كلمتها.

(*) التزمت ترتيب نزول السور القرآنية في الاستشهاد والتدليل، ضمن كل عنوان مختار، (باستثناء ما علمت تقدم نزوله من الآيات، وكذا المكي منها في السور المدنية، والمدني منها في السور المكية). ولما كثرت النصوص في المسألة الواحدة، فقد اكتفيت بإيراد بعضها، تجنبا للإطناب. ومثال ذلك: آخر سورة البقرة تقدمت عليها الآية 31 من سورة آل عمران، انظر ص181، وكذلك المثال الوارد في ص355.

*تشريع العبادات كزاد روحي: (الصلاة والصوم)، وتكافل اجتماعي: (الزكاة)، وتلاحم اجتماعي: (الحج).

*تعريف المؤمنين بحقيقة وتاريخ أهل الكتاب وشبهاتهم، وما كان عليه سلفهم، وما هم عليه من الحقد على الرسل والدعاة إلى يوم القيامة.

*فضح المنافقين ودحض مؤامراتهم.

*تشريع الأحكام في الفترة المدنية لتأسيس الدولة الإسلامية الحضارية، من خلال حزمة من العقود: كعقود الزواج، والطلاق، والبيوع، والمعاملات عموما، وكذا تشريع العقوبات والحدود: كحد الزنا، والسرقة، والقصاص، وعقد العهود والمواثيق مع سائر الدول والأمم.

*اعتبار الإسلام خاتمة الرسالات السماوية، وأن أمة محمد ﷺ هي الأمة الشاهدة على الأمم، ولذلك كان التكليف بالدعوة من أوجب الواجبات.

كل ذلك شكل منظومة متكاملة في شتى مناحي الحياة: الدينية، والثقافية، والفكرية والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وغيرها..، مما جعل المجتمع الإسلامي: مجتمعا متميزا عن سائر المجتمعات، ودولتة: دولة متفردة، تجمع معاني الدين، ومقتضيات الدنيا، في طريق واحد.

ولا عجب في ذلك فإن الله عز وجل هو خالق هذه النفوس، وهو الأعلم بما يصلحها وما يفسدها، وما يسعدها وما يشقيها: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾[1]، ولذلك قدر لها بناء معينا، وفق هندسة متكاملة، لا نقص فيها ولا عيب.

---

[1] الملك/14.

لقد رأينا ذلك البناء الفريد- بعد اكتمال الوحي – راسخا في الأرض، شامخا في السماء، لم تزعزعه العواصف الهوج، ولقد كان قمة في الروعة والجمال وحسن السبك: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [1].

ولقد كانت العقيدة التي مكث نزولها في مكة المكرمة ثلاث عشر سنة كاملة، بمثابة الأساس المتين، الضارب في أعماق الأرض. وكانت الشريعة بما اشتملت عليه من أحكام حضارية، وتوجيهات رسالية – عالجت السلوكين الفردي والجماعي- بمثابة البنيان الشاهق: « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ » [2].

وإذا كان رسول الإسلام قد شبه نفسه بلبنة [3] في صرح الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده – منذ خلق آدم عليه السلام –، فإن كل مسلم ينبغي له أن يشعر بتلك الحقيقة، فيعتبر نفسه لبنة في صرح الإسلام، خاتم الديانات السماوية، فيجب أن يسد ثغرته، فلا يؤتين من قبله.

وإذا كان النبي ﷺ قد صنعه الله على عينه، فأدبه وأحسن تأديبه: « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » [4]، فجعله رمزا للكمال الإنساني: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [5]، فإن كل

---

[1] البقرة/138.

[2] حديث نبوي شريف رواه البيهقي في سننه الكبرى في باب القصد في العبادة، رقم: 4743 و4744، ج3، ص 27، 28.

[3] ونصه: « **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ. قال: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ** »، الجمع بين الصحيحين، رقم: 2375، ج3، ص111.

[4] ذكره محمد بن علي الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط3 ، 1407هـ/1987م، ص327. وقال الشوكاني فيه: " لا يعرف له إسناد ثابت".

[5] القلم/04.

مسلم مطالب بالارتقاء الروحي، والانضباط السلوكي، لبلوغ مرتبة الإحسان: المرتبة التي ليس بعدها إلا مرتبة النبوة.

ولكن أنى للمسلم أن يرتقي؟ وما هي الوسائل التي تمكنه من الوصول إلى تلك المرتبة العالية، وما الخطة التي ينبغي انتهاجها لإيجاد مجتمع حضاري، يجمع بين التمسك بالقيم الروحية والالتزام بالقيم الحضارية؟

ولسنا نرى – للإجابة عن هذه الأسئلة الملحة – سوى انتهاج الخطة القرآنية، التي طبقها الرسول وأتباعه، من خلال الآيات والسور وفق نزولها الكريم.

ثم إن البناء العقائدي الذي تم في المرحلة المكية، والتشريع المدني بعده، ليصلحان كمشروع حضاري، في كل زمان ومكان ومع كل إنسان، ذلك أن الإنسان هو الإنسان حتى ولو استوطن القمر، فحاجاته الروحية والبيولوجية والمدنية — بعموم – لن تتبدل، فهو – دوما – محتاج إلى رسالة سماوية، تعرفه طريقه الذي يضمن به سعادة الدنيا والآخرة، ولن يغني عنه علمه ولا حضارته المادية عن فقره للوحي الأعلى (*).

(*) والدليل على ما نقوله هو ذلكم الإنجاز الهائل الذي تم في جيل الصحابة، فقد كان جلهم أميين ، ومع ذلك استطاعوا في زمن وجيز أن يبلغوا رسالة السماء إلى العالمين مع فقهها حق الفقه، وتطبيقها أحسن التطبيق. فها هو الصحابي الجليل ربعيّ بن عامر يقول لرستم – قبيل موقعة القادسية –: " إنّا لم نأتكم لطلب الدنيا، و والله لإسلامكم أحبّ إلينا من غنائمكم"، وما قاله الصحابي الجليل عبادة بن الصامت للمقوقس: " إنما رغبتنا وهمّتنا في الله و اتّباع رضوانه، وليس غزونا لعدوّنا ممن حارب الله لرغبة في دنيا، ولا طلبا للاستكثار منها، لأنّ غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسدّ بها جوعه لليله ونهاره، وشملة يلتحفها (..) لأنّ نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنّما النعيم والرّخاء في الآخرة "، ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام (مقارنة بالقانون الدولي)، وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1417هـ/1997م، ص128، 129، وأيضا: مقال: الغزو الثقافي في المجال التاريخي، كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي)، عبد الحليم عويس، بجاية، الجزائر، 1405هـ/1985م، ج1، ص327 وما بعدها.

وبما أننا اعتمدنا في ترتيب النزول السور القرآنية [1]، فإننا نحاول بعون الله وتوفيقه استنباط عناصر البناء العقائدي، ومظاهر السلوك الحضاري من وحي السور الكريمة، مرتبة حسب نزولها الكريم، مستأنسين بالقاعدة الأصولية المقررة عند علماء القرآن والأصول معا، والتي تقول: " إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " [2].

---

(1) يقول سيد قطب رحمه الله:" وأن المعول عليه في ترتيب السور من حيث النزول هو سبق نزول أوائلها، لا جميعها".ثم يدلل على ذلك بقوله: " وفي هذه السورة–يعني البقرة–آيات في أواخر ما نزل من القرآن كآيات الربا، في حين أن الراجح أن مقدماتها كانت من أول ما نزل من القرآن في المدينة"، في ظلال القرآن، ج1، ص27.

(2) ينظر شرحها بتوسع في كتاب: الإبهاج في شرح المنهاج(شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول) للقاضي البيضاوي، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، دراسة وتحقيق: نور الدين عبد الجبار صغيري و أحمد جمال الزمزمي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، سلسلة الدراسات الأصولية(17)،دبي، ط1424،1هـ/2004م، ج4، ص1512، ص1515، ص1518.

المبحث الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وخصائصها

المطلب الأول: مفهوم العقيدة

تتردد كلمة العقيدة على ألسنة الناس في محاوراتهم ومحادثاتهم كثيرا، فنراهم يقولون: أنا أعتقد كذا، وفلان عقيدته حسنة، والعقيدة الإسلامية السبب الأقوى في انتصار المسلمين في كل مكان وزمان..

فماذا يراد من كلمة: (عقيدة)؟ وما معنى هذه الكلمة في اللغة؟ وما مفهومها في الشرع؟

أولا: العقيدة في اللغة

العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، فتكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك.

و(عقد الحبل): شد بعضه ببعض، نقيض حله، ومادة: (عقد) في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق، ففي القرآن الكريم:﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلأَيْمَـٰنَ**﴾ [1].

و(العقود): أوثق العهود، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ** ﴾ [2].

والعرب تقول: اعتقد الشيء، إذا صلب واشتد [3].

---

[1] المائدة/89.

[2] المائدة/01.

[3] ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط1،(د.ت)، مادة: (عقد)، ج3، ص296، العقيدة في الله ، ص9، 10.العقائد ،حسن البنا، ،دار الشهاب،باتنة ،الجزائر،(د.ط)، بتصرف يسير، ص7.

ثانيا: العقيدة اصطلاحا

العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات.

والعقيدة ليست أمورا عملية، بل أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأن الله تعالى أخبره بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ.

وقد عبر عن العقيدة في اصطلاح المتكلمين بالإيمان تارة أو بعلم الكلام تارة أخرى. فقالوا: " يقال آمنت به وآمنت له، إذا صدقته، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِمُؤمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [1]، أي بمصدق، فالمؤمن بالله هو المصدق لله في خبره، وكذلك المؤمن بالنبي ﷺ مصدق له في خبره (..) يقول أبو الحسن علي الأشعري: إن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام في أخبارهم، ولا يكون هذا التصديق صحيحا إلا بمعرفته " [2].

والإيمان الصحيح: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان [3].

وقد جاء تعريفها بعلم الكلام بما ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون في قوله: " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد" [4].

---

(1) يوسف/17.

(2) كتاب أصول الدين، ص247، 248.

(3) خصائص المجتمع الإسلامي، محمد عبد الله الخطيب، دار الصديقية، الجزائر، (دط.دت)، ص29.

(4) مقدمة ابن خلدون، ص467.

وجاء تعريف علم الكلام عند حجة الإسلام أبي حامد الغزالي على النحو التالي: " علم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش المبتدعة " [1].

المطلب الثاني: أركان العقيدة

جاءت على لسان الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: « أنْ تُؤمنَ باللهِ،ومَلائِكَتِهِ، وبلِقائِه وبرسلِه و تُؤمنَ بالبَعثِ الآخرِ » [2]. وفي حديث عمر بن الخطاب المتواتر: « أنْ تُؤمن باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكتبه، ورُسُلِه، واليوْمِ الآخِرِ، وتؤْمنَ بالقدَر خَيْرِهِ وشَرِّهِ»[3].

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله: " ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته، فيما كان يعلم ﷺ هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم وما بينه لهم من قوله وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه وفي جميع أحواله، فكان الناس يتعلمون دينهم بما يسمعون من كلام ربهم ويتلقون من بيان نبيهم، وذلك البيان هو سنة أصحابه والخلفاء الراشدين من بعده وبقية القرون المشهود لهم بالخيرية من التابعين وأتباع التابعين " [4].

---

[1] حكم الاشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام ،إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م، ص5.

[2] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، (كتاب الإيمان-باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله)، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، أعد فهارسه: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1426هـ/ 2005م، ص12.

[3] جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح –، مكتبة دار البيان، ط1، 1389هـ/1969م، رقم:209، ص208.

[4] الجوانب العقدية في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م، ص10.

لقد جاء القرآن الكريم مليئا بالآيات التي تتحدث عن قضايا العقيدة وبخاصة في السور المكية منه،لأنه في البداية كان يواجه شركا وكفرا ،فكان لا بد أن يبدأ من هناك.

يقول سيد قطب رحمه الله في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام: " هذه السورة مكية من القرآن المكي، القرآن الذي ظل يتنزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشرة عاما كاملة يحدثنا فيه عن قضية واحدة، ويعالج القضية الأولى والقضية الكبرى والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد: (قضية العقيدة)، ممثلة في قاعدتها الرئيسية: الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة " [1].

وقد أشار العلماء إلى هذا الاهتمام من القرآن بقضايا العقيدة، فقال الإمام الرازي: " إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين ".

ويقول الإمام القشيري [2]: " والعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام والآيات التي هي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة، والآيات المنبهة على علم الأصول نجدها توفي ذلك وتربي بكثير " [3].

المطلب الثالث: حاجتنا إلى العقيدة

إن الحاجة إلى العقيدة تربو عن الحاجة للطعام والشراب، ذلك أن الطعام قوام الجسد الفاني، أما العقيدة فهي بمثابة الغذاء للروح الخالدة الباقية ولو بعد الموت، وقد أدرك كثير

---

[1] في ظلال القرآن، ج2، ص1004.

[2] هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام (376-465هـ/986-1072م): شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. له: (لطائف الإشارات) في التفسير، ثلاثة أجزاء، و: (الرسالة القشيرية)، الأعلام، الزركلي، ج4، ص57.

[3] العقيدة الإسلامية بين السلف والسلفية، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ /2006م، ص9، 10.

من الفلاسفة والمفكرين هذه الحقيقة العظيمة، فهاهو السير وليام أوسلر يعبر عن ذلك فيقول: " إنها – أي العقيدة – قوة محركة عظيمة، لا توزن بأي ميزان، ولا يمكن تجربتها في المعامل". ويقول فولتير: " لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخلقه "، أي نخترع للناس إلها يرجون رحمته ويخافون عذابه ويلتمسون رضاه،فيعملون الصالحات ويتجنبون السيئات،ويقول مرة أخرى–ساخرا–:" لم تشككون في وجود الله؟ ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي".

ولقد أكدت إحصائية أن ثمانين بالمائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضا ناتجة عن الأعصاب من ناحية أو أخرى، ويقول علم النفس الحديث إن أهم جذور هذه الأمراض النفسية: الكراهية، والحقد، والإرهاق، واليأس، والترقب، والشك، والأثرة، والانزعاج من البيئة، وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله تعالى [1].

المطلب الرابع: أبرز الخصائص العقدية

وقد اكتست العقيدة تلك الأهمية البالغة لما تميزت به من خصائص فريدة ومزايا عظيمة، نجمل أبرزها في العناصر التالية:

أولا: الربانية

وهي مستفادة من كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن القرآن الكريم الذي حدد معالمها وأجلى غوامضها، ومن صحيح السنة النبوية، وهي بهذا الوصف تختلف عن سائر العقائد التي أملاها أصحاب الأهواء والمصالح، أو التي حرفها أهلها مثل اليهود والنصارى.

---

[1] ينظر: بينات الحل الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1989م، ص51، ص56.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " إن العقيدة إنما هي قضايا صادقة، أو هي حقائق عن الوجود ورب الوجود، فليست العقيدة من قبيل ما نسميه في المنطق والبلاغة: (إنشاء)، إنما هي من قبيل: (الخبر)، لأنها خبر عن القضايا الكبرى في الوجود: عن الله وأسمائه وصفاته، عن عوالم الغيب، عن مستقبل الحياة والإنسان، عن الجزاء وأنواعه وصوره، وغير ذلك مما وراء الطبيعة المشاهدة مما لا يدركه الحس، ولا يهدى إلى تفصيله العقل..ومن ثم لا يملك أن يخبر عن هذه القضايا إلا من يحيط بها علما، وليس ذلك إلا صاحب هذا الكون، وهو الله تعالى" [1].

ثانيا: الوسطية

بين الماديين الملحدين الذين ينكرون كل ما يتعلق بما وراء الطبيعة، وبين الخرافيين الذين يتعلقون بأوهام ما أنزل الله بها من سلطان، كما أنها تجمع بين العقلاني والغيبي: " فهي لا تعلي شأن العقل على النحو العلماني المضلل، كما لا تقر مقولة أن كل ما ليس عقلانيا فهو فكر غيبي، فالعقلية الإسلامية عقلية جامعة بين الغيبي: (الروحي)، والمادي في موازنة أصيلة" [2].

يقول الدكتور عماد الدين خليل – منتقدا الانفصام بين العلوم الإسلامية وعلوم الغرب المادية –: " المؤسسات المعنية بالعلوم أو المعارف الإنسانية، وتلك المعنية بالعلوم أو المعارف الإسلامية،حيث لم يتح لخريجي الأولى أن يتلقوا شيئا ذا بال من العلوم الإسلامية التي تمكنهم من التأصيل الضروري لما يتلقونه من علوم إنسانية،قدمت إليهم جاهزة من

---

(1) الخصائص العامة للإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، (دط.دت)، ص36.

(2) الإسلام وتشكيل عقلية الأمة، أنور الجندي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد316، ذو القعدة/ذو الحجة1412هـ، جوان1992م، ص54.

الغرب، بكل ما تنطوي عليه من تضاد – في بعض حلقاتها – مع أسس التصور الإسلامي ومقوماته، كما أنه لم يتح لخريجي الثانية أن يتلقوا شيئا ذا بال من العلوم الإنسانية التي تمكنهم من أن يكونوا في قلب العصر، ملمين بالحد الضروري من معارفه، قديرين على المشاركة في إعادة صياغته برؤية معاصرة، تملك في الوقت نفسه معاييرها التصورية التي تحفظ لها شخصيتها وتحمي خصوصيتها " [1].

ثالثا: الوضوح

أوضحتها آيات الله المقروءة في الوحي القرآني الصريح، والبيان النبوي الصحيح، وكذا التوافق مع ما في الكون من دلائل وإعجاز. وقد جاء العلم الحديث ليفسر الحقائق التي تحدث عنها الله تعالى في كتابه العزيز، مثل علم الفلك الذي لم يكن للرسول ﷺ ولا المسلمون من بعده سبيل إلى معرفته [2].

رابعا: الشمول

أي أنها تقدم التصور الإسلامي للكون والوجود والحياة والمجتمع في منظومة كاملة، قائمة على مفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من حيث الإيمان بالله تبارك وتعالى وكتبه ورسله وبالغيب والبعث والجزاء الأخروي.

ومن حيث التربية العقلية والنفسية فإننا نجدها تجمع بين التصحيح والترسيخ: التصحيح

---

(1) ورقة بحثية بعنوان: مرئيات للخروج من الأزمة، عماد الدين خليل، المقدمة في المؤتمر العلمي الدولي المعنون ب: " التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، تلمسان، الجزائر: 29 ربيع الثاني-1جمادى الأولى: 1431هـ، الموافق: 14-16 أفريل2010م، والمنظم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان والمعهد العالمي للفكر الإسلامي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص13.

(2) أضواء على الثقافة الإسلامية،نادية شريف العمري،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1401،1هـ/1981م، ص100.

للعقائد والتصورات الفاسدة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1]. والترسيخ للقيم والمثل العليا، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

خامسا: الواقعية

وتتجلى في صرف عقول الناس إلى النظر في الكون المادي الواقعي، والاستدلال به على وجود الله تعالى وعلى الإيمان بالغيب، حتى أن الحديث عن النعيم في الجنة والعذاب في الجحيم تناوله الخطاب الشرعي ممزوجا بين الروح والمادة، ولهذا كثر الترغيب والترهيب بذكر الطعام والشراب والحور العين ورؤية المولى جل وعلا، وكذا بذكر السلاسل والأغلال، والزقوم، والغسلين، والطعام الضريع، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، المصحوب بالتوبيخ والتقريع، والأذى النفسي [3].

وفيما يلي من مباحث الرسالة سنجد تلك الخصائص الخمس وغيرها مما تحققت مفاهيمها وأبعادها في حياة المسلمين، كلما كانت علاقتهم بالقرآن والسنة وطيدة.

---

(1) محمد/19.

(2) الرعد/28.

(3) ينظر: الخصائص العامة للإسلام، بتصرف يسير، ص147.

المبحث الثاني: عناصر البناء العقائدي

تجلت ملامح البناء العقائدي في الخطاب القرآني والسنة النبوية: (القولية والعملية والتقريرية) في جملة من العناصر، التي شكلت خطة متكاملة للمنهج الرباني في بناء النفوس، وقد ارتأينا أن نبدأ بأولى قطرات الغيث القرآني، التي أوحت بما يجب أن يبدأ به المصلحون في كل دورة تدريبية وتأهيلية لاستئناف حضاري جديد، فكان الأمر بالعلم من خلال تعلم القراءة والكتابة بالقلم.

ثم لما كانت كل دعوة للانعتاق والتجديد والتغيير تصطدم بأصحاب الأهواء والاستكبار العالمي، كان الأمر بالصبر والثبات من أول ذلك الغيث الطهور.

وإنما أدرجنا الشعائر والمناسك ضمن هذا المبحث لاعتقادنا أن هناك علاقة تلازمية بينها وبين العقيدة، فكلما قوي الإيمان زاد الإقبال على الله تعالى بالعبادات والطاعات وأنواع القربات، والعكس صحيح، فإنه كلما كثرت وتواترت عباداتنا وأذكارنا القلبية واللسانية والبدنية كلما قوي وترسخ الإيمان في قلوبنا.

أما القصص القرآني فإنما تكرر الحديث عنه في العهد المكي لأجل العبرة والتأسي، فقد كانت المرحلة الإعدادية للمجتمع الوليد تتطلب ذلك، بل وسيظل القصص القرآني والنبوي من أعظم وسائل التربية وتثبيت العقيدة في قلوب المسلمين عموما، وفي قلوب الدعاة وأرباب الإصلاح خصوصا.

المطلب الأول: مع أول الغيث الرباني

لقد نزلت في العهد المكي ست وثمانون سورة كريمة، كلها تعالج موضوعا واحدا، هو موضوع: (بناء وتثبيت عقيدة التوحيد في نفوس المؤمنين). ولقد كانت السور والآيات الأولى بمثابة أول الغيث الرباني، الذي ما فتئ أن انهمر عن وابل صيب، أغاث النفوس الظمأى،

وأنار العقول الحيرى، وداوى أفئدة وقلوبا مرضى، وقد تجلت ملامح ذلك من خلال العناصر التالية:

أولا: الحث على طلب العلم

فالقرآن قد جاء بمنهج فريد في استخدامه الأدلة العقلية والبرهانية في عرض مسائل العقيدة، " فيستطيع من يتدبر آي القرآن الكريم أن يتبين أنه قد تضمن منهجا واضحا للبرهنة العقلية على أمهات مسائل العقيدة، تلك حقيقة يؤكدها جمهور علماء المسلمين"[1].

لقد اتسمت العقيدة الإسلامية بأنها ملائمة للفطرة والعقل معا، فليس بها معميات كغيرها من العقائد، بل هي واضحة وضوح الشمس، وباستحضارها وفهم مقاصدها يعيش المسلم في سعادة لا تدانيها سعادة، لأنه ما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلا قرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته، ونخص هنا ما يتصل بموضوع الإيمان بالغيبيات ودلائلها، لأن هذا الجانب كان وما زال مثار جدل بين الفكر الديني والفكر الفلسفي.

والمتأمل في السيرة النبوية يجد أن الوحي ما نزل على الرسول ﷺ إلا بعد تأملات فكرية وروحية في الكون وما وراء الطبيعة المنظورة: "..ولما تقاربت سنه ﷺ الأربعين، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه، حبب إليه الخلاء(..) ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة، وتصوراتها الواهية..وكان اختياره ﷺ لهذه

---

(1) مسائل العقيدة ودلالتها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، السيد رزق الحجر، دار الثقافة للتوزيع والنشر، القاهرة، 1410هـ/1990م، ص 73.

العزلة طرفا من تدبير الله له، وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم. ولابد لأي روح – يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى — من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع

عن شواغل الأرض وضجة الحياة، وهموم الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة (..) ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله " [1]. لابد من ملاحظة (فلسفة) البناء العقائدي، والتي قامت أولا على العلم، ممثلا في القراءة: ﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾[2]. وثانيا: على الكتابة، فالله تعالى قد أكرم نبيه "وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس تنوب مناب خطابهم" [3].

والكتابة بالقلم وغيره من أهم وسائل طلب العلم، وقد نزلت بها سورة القلم: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [4]. لتبين لنا أن الأساس الحضاري ممزوج بالأساس العقائدي، وتلك هي المنهجية الإسلامية وتلك هي فكرتها. وأن الأساس العقائدي أصل تنطلق منه كل البناءات الأخرى الحضارية، سواء ما تعلق منها بالجانب الروحي أو المادي.

وفي التوجيه النبوي تقرير لقاعدة العلم قبل العمل: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[5].وقد أثنى النبي ﷺ على المجتمعين في بيوت الله يتعلمون القرآن الكريم ويتدارسونه بينهم، فقال: « .. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ

—

(1) الرحيق المختوم، ص55.

(2) العلق/01.

(3) تيسير الكريم المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل و محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1429هـ/2008م، (د.ط)، ج2، ص1105.

(4) سورة القلم/01.

(5) رواه البخاري في صحيحه: (كتاب فضائل القرآن- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه)،رقم: 5027، ج3، ص 346، 347.

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[1].

ثم إن السلوك الحضاري ينبني أساسا على الأخلاق النبيلة: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]. وفيه تقرير: أنه لا حضارة ولا مدنية، إن لم تقم أسسها على العلم والخلق. قال حافظ إبراهيم:

لا تَحْسَبَنَّ الْعِلْم يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلاقِ [3]

وقد كانت السورتان الكريمتان: (العلق والقلم) أول الغيث الرباني، للدلالة على أهمية العلم والكتابة، والتنويه بشأن الأخلاق وخطرها في صياغة مشروع المجتمع، الذي أريد له أن يكون مجتمعا قائدا وخالدا. وبعد ذلك نزلت باقي السور المكية التي تضمنت إيراد القصص والترغيب والترهيب وغيرها من المواضيع التي تعنى بتصحيح وترسيخ العقيدة. مع الإشارة إلى أن الاهتمام بالعقيدة استمر إلى آخر النزول، ذلك أن الضمير الرقابي والخلق الحسن ضروريان في الحفاظ على وحدة الأمة وقوتها وهيبة الدولة واستقرارها.

وفي تعليقه على الآيات الأولى نزولا، يقول سيد قطب رحمه الله: " وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى من اتصال الرسول ﷺ بالملأ الأعلى، بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة..كل أمر. كل حركة. كل خطوة. كل عمل. باسم الله. وعلى اسم الله. باسم الله تبدأ. وباسم الله تسير. وإلى الله تتجه. وإليه تصير..وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب الرسول ﷺ في اللحظة الأولى هي التي ظلت تصرف

---

(1) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم،رقم:2620، ج3، ص208.

(2) القلم/04.

(3) السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت)، (باب حرف القاف)، ص84.

شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال حياته، بوصفها قاعدة الإيمان الأولى " [1].

ثانيا: أثر الصلاة في تثبيت العقيدة

أول عبادة عملية أمر بها النبي ﷺ في مكة المكرمة: الصلاة. قال مقاتل بن سليمان: "فرض الله في أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي" [2].

وقد ورد ذكر السجود في سورة العلق، للدلالة على أقرب أحوال العبد من ربه في الصلاة، وأنه لا ينبغي الخضوع والذل إلا لله تبارك وتعالى، في قوله تعالى: ﴿ **كَلَّآ لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩** ﴾ [3].

وفي سورة القلم جاء التشنيع على تاركي الصلاة، الذين سوف يتعذر عليهم أداؤها يوم القيامة: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝** ﴾ [4].

وفي سورة المزمل فرض قيام الليل على النبي ﷺ كزاد روحي لمواجهة أذى الكافرين: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝** ﴾ [5].

---

[1] في ظلال القرآن، ج6، ص3937-3939.

[2] الرحيق المختوم، المباركفوري، ص64.

[3] العلق/19.

[4] القلم/42-43.

[5] المزمل/01-06 .

إن قيام الليل – والصلاة عموما، ومنها سورة الفاتحة، الخامسة نزولا –، الذي أكدت عليه سورة المزمل، مما زودا النبي ﷺ وصحبه الكرام بقوة دافعة، جعلتهم يواجهون أهواء النفوس الجامحة، وقوى الاستكبار المعادية وشبهات العقول المنحرفة.

فقيام الليل زاد روحي عظيم، يمكن صاحبه من مواجهة الحياة بكل تبعاتها وتحدياتها وثقلها. وما ينبغي لرجل عرف الحق وتبين الطريق القويم أن يقعد ويتخلف، ناهيك أن ينام ويهنأ برغد العيش، المسألة مسألة جنة وسعادة أبدا، أو نار وعذاب أبدا.

أما الآية الأخيرة من سورة المزمل فمدنية، وقد ورد فيها ترغيب للمؤمنين أن يقوموا الليل هم أيضا، باعتبارهم دعاة إلى الله عز وجل، وفي قيام الليل نعم الزاد لهم: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [1].

لكن جاءهم التخفيف من ربهم، فجعل قيام الليل من السنن المستحبات. روى الإمام أحمد، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام، قال:" قلت: يا أم المؤمنين – يقصد السيدة عائشة رضي الله عنها–: أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، فهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيام رسول اللهﷺ ، قلت:يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١** ﴾ [2] ؟ قلت:بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم".

وكان من شدة حرصهم على متابعة نبيهم، وتنفيذ أمر ربهم، أن :"كان الرجل يربط

–

[1] المزمل/20.

[2] المزمل/01.

الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل" [1].

كما تضمنت سورة المزمل الأمر بإقامة الصلاة، وذلك في المرحلة المدنية: ﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾ [2]، وهذا للدلالة على شأنها في مرحلتي الدعوة والدولة معا.

وفي سورة المدثر جاء جواب المجرمين لمن سألهم من المؤمنين: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣** ﴾ [3].

إن قراءة سورة الفاتحة في الصلاة غدت من الفرائض، بعد فرض الصلاة، وقد نزلت في بدايات التنزل الكريم لتتعود عليها الفئة المؤمنة، ولما تضمنته هذه السورة الكريمة من معاني التوحيد، والتوكل، والدعاء، والحمد والثناء على الله رب العالمين.

ولما كانت هذه السورة الكريمة تشتمل على المعاني الإيمانية الجليلة فرضت قراءتها في كل صلاة، سواء كانت فرضا أو نفلا.

ولم يكن المصلون أنفسهم بمنأى عن التهديد الرباني، ذلك حين يؤخرون الصلوات عن أوقاتها، ويتثاقلون عنها تهاونا وتكاسلا، أو تشغلهم زينة الحياة الدنيا عن إقامتها: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥** ﴾ [4].

والصلاة بعد كلمة التوحيد أعظم التكاليف الشرعية وأقدس الشعائر التعبدية ، وهي نعم الزاد الروحي للداعية، الزاد الذي يكسب صاحبه طاقة نفسية هائلة، تمده بالقوة والعزيمة

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص563-564.

(2) المزمل/20.

(3) المدثر /42-43.

(4) الماعون/04-05.

والثبات، وهو ما كانت تحتاجه العصبة المؤمنة في تلك الأيام على وجه الخصوص، لما لاقوه من صد وتكذيب وأذى من قريش.

وقد كان ﷺ إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة، وهو يقول لمؤذنه للصلاة : « يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا » [1].

وإن الواقع الذي يحياه المسلم شاهد على ما نقول، فإن أحدنا إن نسي الصلاة أو أخرها عن وقتها ليشعر بالضيق والتبرم، وكأن شيئا عزيزا قد افتقده، أو شيئا غاليا قد ضاع منه، أو دينا ثقيلا قد أرهقه، ولن يهدأ له بال حتى يؤديها.

هذا إذا تحدثنا عن الصلاة المفروضة التي يؤديها عامة المسلمين، أما إذا تعلق الأمر بالنوافل وقيام الليل والتضرع وقت السحر، الذي يعد مدرسة للدعاة وقادة الأمة، فإن الأمر يحتاج إلى تخصيص وتمييز أدق.

إن الدعوة إلى الله تعالى عقيدة قبل أن تكون سلوكا، وعليه فلابد من التسلح بالعلم والقراءة، الذين ذكرا آنفا في سورتي العلق والقلم، ولابد من الزاد الإيماني المتمثل في الصلاة خاصة، والتي جاء الأمر بها في سورتي المزمل والفاتحة، وهي السورة الخامسة نزولا، وبالفاتحة كانت الصلوات، قبل فرضها وبعد فرضها.

ثالثا: مبادئ وآداب الدعوة والداعية

لقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ محفزا إياه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ ﴾ [2]: أترك الدثار والنوم وقم للعمل والجد والإنذار. ثم طفق يبين له أصول دعوته ومبادئها الأساسية فقال:

---

[1] رواه أبو داود السجستاني في سننه في (باب في صلاة العتمة)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط.دت)، رقم: 4985، ج4، ص 296.

[2] المدثر/01.

* ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [1]. هذه الدعوة واقعية وموجهة للناس ولذلك لابد من تبليغ الرسالة إليهم، وإقناعهم لتتقبلها عقولهم، ومن ثم يحتضنوها.

* ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ [2].

هذا الأساس العقائدي يعلن في بدء النزول الكريم للتنبيه على أن الأمر لله من قبل ومن بعد، وأنه سبحانه أكبر من كل مخلوق، فمنه يكون المدد، وإليه يكون التوجه دون شرك أو كفر، " لا تعظم شيئا من أمور الخلق، ولا يتعاظمك منهم شيء، ولا تتهيب فعلا من أفعالهم، ولا تخش أحدا منهم، ولا تعظم إلا ربك الذي تعهدك وأنت في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات " [3].

* ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [4]. ذكر الإمام عبد الرحمن بن الجوزي لها ثلاثة معان:

الأول: بمعنى طهر نفسك من الذنب، ونسبه لمجاهد وقتادة.

الثاني: بمعنى وعملك فأصلح، ونسبه للضحاك.

الثالث: بمعنى خلقك فحسن، ونسبه للحسن البصري [5].

وهكذا فقد جمعت دعوة القرآن الكريم بين تطهير الروح من نجاساتها المعنوية، مثل الحسد والحقد والنفاق وغيرها، وتطهير الظاهر من بدن وثوب، من النجاسات الظاهرة، وبهذا تتحسن العلاقة بين الخالق والمخلوق معا، ويحصل الانسجام التام مع النفس.

---

(1) المدثر/02.

(2) المدثر/03.

(3) السيرة النبوية ، علي محمد محمد الصلابي، دار الفجر للتراث، مصر، ط1، 2003، ج1، ص111.

(4) المدثر/04.

(5) ينظر: زاد المسير، ج8، ص401.

قال صفي الرحمن المباركفوري [1]: " وغاية تطهير الثياب وهجران الرجس أن يبالغ في تطهير الظاهر والباطن، وفي تزكية النفس من جميع الشوائب واللوثات إلى أقصى حد وكمال يمكن لنفس بشري(..)، حتى يكون أعلى مثل في المجتمع البشري، تجتذب إليه القلوب السليمة، وتحس ببهيته وفخامته القلوب الزائغة، حتى ترتكز إليه الدنيا بأسرها وفاقا أو خلافا " [2].

فالطهارة والتطهير قيمتان حضاريتان عقائديتان، تشملان هجران كل رجس، مهما كان نوعه، حسيا كان أو معنويا، لذلك عقبت هذه الآية بقوله:

* ﴿ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ﴾ [3].

وهذه قيمة حضارية أيضا، واضح امتزاجها بالقيمة العقائدية، فالطهارة والنظافة في معناهما المطلق، واحدة من أهداف الإسلام الكبرى، سواء كانت نظافة عقائدية في القلب

---

(1) هو الشيخ العلامة المحدث الفقيه: صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر بن محمد علي بن عبد المؤمن بن فقير الله المباركفوري الأعظمي (1943-2006م)، هندي الأصل، سلفي النزعة، تولى التدريس والإدارة في الجامعة السلفية في بنارس بالهند، ولما أعلنت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عقد مسابقة حول السيرة النبوية الشريفة خلال المؤتمر الإسلامي العالمي الأول للسيرة النبوية بباكستان سنة 1976، قام الشيخ بتقديم بحث بعنوان: (الرحيق المختوم في سيرة خير المرسلين)، فنال به الجائزة الأولى، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ليعمل باحثا في مركز خدمة السنة والسيرة النبوية من سنة 1409هـ إلى سنة 1418هـ، ثم انتقل إلى مكتبة دار السلام بالرياض، وعمل فيها مشرفا على قسم البحث والتحقيق العلمي إلى أن توفاه الله تعالى، ودفن في مسقط رأسه مباركفور بالهند،للشّيخ عدة مؤلفات منها:بهجة النظر في مصطلح أهل النظر، الأحزاب السياسية في الإسلام، المصباح المنير في تفسير ابن كثير، نظرة إلى القاديانية، الإسلام وعدم العنف وغيرها من الكتب والمقالات العديدة في فنون شتى، الشيخ العلامة صفي الرحمن المباركفوري في سطور،بقلم ابنه طارق،موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف،تاريخ التحميل:2013/03/20م، الساعة:13.20.

(2) الرحيق المختوم، ص85.

(3) المدثر/05.

المملوء بالإيمان والخالي من كل شك أو ريب، أو كانت نظافة حسية في الجسم، أو الثوب، أو المكان، أو البيئة، وكل المحيط. تلك النظافة هي أول شروط تحقيق معنى إجلال الله وتكبيره.

* ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ [1]. تحذير من الغرور، وتحريم العجب بالعمل وتزكية النفس به، وعدم الامتنان على الله بالأعمال الشاقة، وإنما يجب أن تقدم ابتغاء مرضات الله عز وجل ، وطمعا في قبوله، مع الجد والاجتهاد في الطاعة والدعوة بلا كلل ولا ملل.

* ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ [2]. في هذه الآية الكريمة إشارة إلى ما سيلقاه من أذى المعاندين ومكابرة الجاهلين، من السخرية والاستهزاء والمكر والعناد. أخبره بأنه سيتعرض إلى ابتلاءات كبيرة وعوائق كثيرة، ولا عاصم له إلا الاستمساك بخلق الصبر.

فسورة المدثر ترسم صورة المواجهة بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله المؤمن، الذي يبغي العلم والطهارة، والباطل الذي يمثله الكافر، صاحب الهوى، الذي يرى أن في انتشار الحق والعلم والخلق تهديدا لمركزه السياسي والاجتماعي، الذي اكتسبه بغير وجه حق، وإنما كان ذلك بسبب جهل الأتباع الذين مكّنوا له [3].

رابعا: ظلم ذوي القربى وأثره في مسيرة الدعوة ونفسية الداعية

لما طلب من النبي ﷺ أن يجهر بالدعوة بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4]، صعد جبل الصفا ونادى في قريش وهو يهتف: (يا صباحاه)، وكانت

---

(1) المدثر/06.

(2) ينظر التفسير الموضوعي(جامعة الشارقة)، ج8، ص458.

(3)المدثر/07.

(4) سورة الشعراء/214.

كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش أو وقوع أمر عظيم. ثم جعل ينادي بطون قريش، ويدعوهم قبائل قبائل: « يَا بَنِى فِهْرٍ يَا بَنِى عَدِىٍّ يَا بَنِى فُلاَنٍ: لِبُطُونِ قُرَيْشٍ »، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر، وجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا، فقال: « أرأيْتَم لو أخبَرْتُكم أن خَيْلا بالوادي، تُريدُ أن تغير عليكم ، أَكُنْتمْ مُصدِّقيَّ؟»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: « فإني نِذيرٌ لكم بْين يدَىْ عذابٍ شديدٍ ». فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾(1) (2).

ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخص وعم فقال: « يا مَعْشَر قُرَيش أنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ منَ النَّار، يَا معشر بَنِي كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ،.يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ؛ فَإِنِّي والله لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إلا أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا (3) » (4).

ربما استطاع الإنسان أن يواجه الدنيا ويتحدى العالمين، ولكنه في مواجهة الأقارب– سيما الوالدين– قد يضعف، وقد يلين ويستكين ويتنازل عن كثير من مبادئه وحقوقه. ولأمر ما ولد وعاش رسول الله ﷺ يتيم الوالدين.

–

(1) المسد/01.

(2) رواه الإمام النسائي في السنن الكبرى عن سعيد بن جبير، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م، (باب سورة الأحزب)، ج6، ص437.

(3) أي: أصلها، يقال: بل الرحم: إذا وصلها، وفي الحديث: « **بلُّوا أَرْحَامَكُمْ** »، أي: صلوها وندوها، وهم يقولون للقطيعة: يبس، شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، (باب تحريم اللعب بالنرد)، رقم: 3441، ج13، ص30.

(4) الجمع بين الصحيحين، رقم: 1039، ج2، ص40، الرحيق، ص68.

وقد عبر الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد عن هذه الحقيقة حين قال:

وظُلْمُ ذوي القُرْبى أشدُّ مضاضةً على الحُرِّ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ [1]

ولقد نال الرسول ﷺ ذلك البلاء، وكم حز في نفسه كثيرا كفر عمه أبي طالب، الذي يكن له كل الحب والتقدير، لما له من أياد بيضاء عليه، فقد كفله صغيرا ونصره كبيرا.

أما عمه أبو لهب فقد تموقع في صف الكفرة المعادين للإسلام ولابن أخيه، فهاهو وزوجته (أم جميل) يكيلان له أشد الأذى المعنوي والمادي..وهاهما ينفران الناس عنه، ويضعان الشوك والحجارة أمام طريقه [2]، ولذلك جاء الوعيد لهما بجهنم، وقد ذكر الله عمه بالاسم، وأشار إلى زوجته في سورة المسد .

ومع كل ذلك فقد صبر النبي ﷺ وأصحابه الكرام على أذى الأرحام والأقارب، حتى دخل الإسلام منهم الكثير، وعلى أرسال في العهدين المكي والمدني.

لقد عاش الصحابة رضي الله عنهم بين أقاربهم وذويهم، وكان أكثرهم على الشرك، وقد آذوهم أشد الإيذاء وسخروا منهم وألجئوهم إلى ترك الديار والمال والأهل، فما فت ذلك في عضدهم ولا ألان من عريكتهم، بل زادهم ذلك إصرارا على دينهم وحبا لنبيهم وثباتا على مواقفهم، وكذلك ينبغي لكل مسلم في كل زمان ومكان، أن يتمسك بمبادئه، ويجاهد من أجل إعلاء كلمة الله.

وهاهم المسلمون اليوم في وضع لا يحسدون عليه، فقد استبعد الإسلام عن قيادة البشرية– وهي أكبر نكبة في تاريخهم –، وهاهي القدس تحت نير الاستيطان الصهيوني

–

(1) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002م، ص67.

(2) الرحيق، ص74.

البغيض، وهاهي أجزاء كثيرة من أرض الإسلام قد سلخت من حوزة الدين ودائرة الأمة، ولا ناصر لهم إلا بالرجوع إلى هدي سلفنا من الصحابة والتابعين.

لقد نزلت سورة المسد في زمن حساس بالغ التعقيد، قد وصل فيه الصدام درجة خطيرة بين الفئة القليلة المؤمنة، والكثرة الكافرة من العشيرة والرحم، فكان نزولها حينذاك سلوى وتصبيرا للمؤمنين.

وقد لاقى الرسول ﷺ وصحابته الكرام عليهم الرضوان ألوانا شتى من الأذى اللفظي والمعنوي والجسدي، فواجهوه بالصبر والثبات، وقد كان جيرانه المشركون من قرابته يطرحون عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، فكان ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف على بابه، ثم يقول: « يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف: أَيُّ جِوَارٍ هَذَا؟ »، ثم يلقيه في الطريق [1].

وقد لاقى ياسر وسمية وابنهما عمار ألوانا شتى من الأذى، وكان الرسول يمر عليهم بالرمضاء وقت القائلة وهم يعذبون، فيصبرهم بقوله: « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الجَنَّةُ»[2]، فيزيد ذلك في ثباتهم..حتى نالوا الشهادة وهم راضون مستسلمون.

واستقبل المؤمنون الحصار الاقتصادي الذي حوصروا به من طرف قريش مدة ثلاث سنوات، بثبات عظيم وصبر جميل ، حتى أكلوا من جرائه أوراق الشجر [3].

---

(1) الرحيق المختوم، ص75. قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله : "قلت: وهذا إسناد موضوع، آفته محمد بن عمر – وهو الواقدي –، كذبه الإمام أحمد وغيره، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، رقم:4151، ج9، ص175.

(2) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ج4، ص266.

(3) مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج32، ص152.

ورغم شدة ما لاقاه المؤمنون من صنوف الأذى والقتل والهجر والتهجير، إلا أنه ﷺ كان يقول: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » [1].

تلك هي أول الآيات نزولا، والتي رسمت معالم الطريق للعصبة المؤمنة، التي شهدت نزول الوحي، وهي معالم هادية لكل جيل أراد الانعتاق من ربقة الجهل والتخلف والذل، ونحن المسلمين اليوم أحوج ما نكون إلى انتهاج الخطة الربانية في العودة إلى ديننا واستئناف حضارتنا من جديد، وقد أوصانا النبي ﷺ بذلك وهو يودع الدنيا في حجة الوداع ،حين قال: « إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي » [2].

وقد فقه ذلك عنه إمام دار الهجرة فثنى وأكد: " لن يصلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها " [3].

المطلب الثاني: أصول العقيدة الإسلامية

إن الله تعالى الخبير العليم بنفوس عباده يعلم المنهج الذي يصلح لبناء عقيدتهم، ويعلم طبيعة العناصر التي ينبغي أن يتم بها وعليها ذلك البناء، وإن التدبر في السور القرآنية حسب نزولها الكريم يظهر معالم وخطوات ذلك المنهج، ويبين الحكمة من فلسفة ذلك الخطاب الجليل.

وقد تمحورت عناصر البناء العقائدي حول عناوين رئيسة وفرعية،كلها تهدف إلى تأهيل

---

[1] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، رقم: 282، ج1، ص125.

[2] رواه أبو الحسن علي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ/2004م، رقم: 4606، ج5، ص440.

[3] الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2002م، ص161.

وإعداد جيل الصحابة الكرام خصوصا، وكل جماعة مؤمنة من بعدهم عموما: الذين ستوكل إليهم مهمة هداية العالمين إلى الحق والسعادة في الدارين.

وكان أساس ذلك البناء هو تعليق القلوب بعالم ما وراء الطبيعة، الذي يغرس فيها الخوف والرجاء، فتنشط الجوارح لعمل الخير، وتنتهي عن فعل الشر.

أولا: الإيمان بالغيب

لم يكن للعرب – قبل مجيء الإسلام – عهد بعلم الغيب، فهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وما خلا فيهم نذير يعرفهم بالدار الآخرة وما فيها من جزاء أو عقاب، ولذلك عاشوا على تصور أن الموت هو نهاية الرحلة، وأن الدنيا متاع ينقضي بانقضاء عمر الإنسان، وهذا – للأسف – لا يزال تصور الملايين من البوذيين والملحدين في عالمنا المعاصر، بل ويتشدق به كثير ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه، ممن فتنتهم الدنيا فصرفتهم عن الآخرة، فأضاعوا الواجبات وانتهكوا المحرمات.

وفي التخويف باليوم الآخر(النار)، جاء الوعيد لأبي جهل خصوصا، ولكل الطغاة عموما: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ [1]. " قال أبو جهل: هل يعفر[*] محمد وجهه إلا بين أظهركم؟ قالوا: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته. قال:فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه يتقي بيديه، فقيل له: مالك ؟ قال: إن بيني وبينه

---

[1] العلق/15-18.

[*] عفر يعفر عفرا فهو عافر: مرغه في التراب. المعجم العربي الأساسي، تأليف وإعداد مجموعة من كبار اللغويين العرب، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989م، ص850.

خندقا من نار وهؤلاء أجنحة. فقال رسول الله ﷺ: « لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» [1]. وأنزل الله قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ [2]، يعني أبا جهل.

وقوله: ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴾ يعني قومه. وقوله: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ يعني الملائكة [3] ".

أما أولئك العابثين اللاهين فيذكرهم ربهم بقوله: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ [4]. ليرعووا ويستعدوا للقاء المحتوم.

ومن جهة أخرى فقد كانت عقيدة (الإيمان بالله الخالق) مركوزة في لا شعور العرب في الجاهلية، ولذلك اتخذوا الأوثان آلهة لتقربهم إلى الله زلفى، خلافا لأهل الكتاب الذين ساكنوهم في الجزيرة العربية – وقد كان منهم عرب تدينوا بدينهم –، ولكنهم مع ذلك فقد تشوهت تصوراتهم عن عالم الغيب.

فالنصارى يرون أن الإله ثلاثة: الأب والابن وروح القدس.

ولليهود تصورات مشينة عن عالم الغيب، فإذا كانت الدولة لغير اليهود فالله عندهم: "خامل الذكر عن الأمم، وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته (..) ومن عقائدهم في توراتهم أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسي

–

(1) رواه مسلم في صحيحه في بَاب قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾، رقم: 2797، ج4، ص 2154.

(2) العلق/06.

(3) الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر، بيروت، (د.ط) ، 1993م، ج8، ص565.

(4) التكاثر/01-02.

منظره كمنظر البلور" [1].

وقد عاصر عرب الجاهلية أقواما ونحلا لا تدين بدين أصلا وهم الملاحدة الماديون الطبيعيون، الذين نعتهم القرآن بالدهريين[*]. في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٢٩** ﴾ [2]. وقوله عز وجل: ﴿ **وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤** ﴾ [3]. وقوله سبحانه – وهو يخبر عن جحودهم البعث، وإنكارهم الحساب–: ﴿ **أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ۝٣٥ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٣٧** ﴾ [4].

لقد نزل القرآن الكريم ليصحح للجميع تصوراتهم عن عالم الغيب،ويدعو الطبيعيين إلى التأمل في خلق السماوات والأرض،ليعلموا أن الله موجود وواحد.

–

(1) ينظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحي بن عباس المغربي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1990م، ص128، 131.

(*) وهؤلاء الطبيعيون الماديون هم سلف للشيوعيين الملاحدة في عصرنا الحاضر، الذين يعتقدون أنه: (لا إله والحياة مادة). مع ملاحظة أن الشيوعية كاتجاه عقدي وسياسي واقتصادي لم يعد لها نفوذ اليوم، وقد سقطت أواخر الثمانينيات من القرن الفارط، وفي ذلك كتب أحد أساطينها ورئيس آخر نظامها العقائدي (غورباتشوف) كتابين أحدهما بعنوان: (الغلاسنوست) وتعني: الشفافية، والآخر بعنوان: (البروسترويكا) وتعني: إعادة البناء. وفي كليهما تراجع صريح وتوبة نصوحا من الإلحاد، بل وفيه دعوة صريحة إلى العودة إلى الدين. موقع ويكيبيديا(الموسوعة الحرة)، تاريخ التحميل: 2013/03/12م، 9.37سا.

(2) الأنعام/29.

(3) الجاثية/24.

(4) المؤمنون/35-37.

وعليه فقد شمل الخطاب المكي والمدني كلاهما هذه الحقائق الغيبية-تصحيحا وترسيخا-من خلال الدعوة المتكررة إلى التفكر والتأمل في خلق السماوات والأرض، والحث على وسيلتي العلم: القراءة والكتابة.

وقد تفاعل الصحابة الكرام مع خطاب العقيدة إيجابيا حيث: " كانت العقيدة عملية واقعية حية عندهم، تفاعلوا معها بكل مشاعرهم وكيانهم، وليس بعقولهم أو أذهانهم فقط"[1].

ولخطورة الإيمان بالغيب فقد تصدرت به أولى آيات سورة البقرة المدنية، ليظل المسلم مشدود العقل والقلب للقاء الله، فلا يغره وعد دنيوي، ولا يثنيه وعيد بشري: ﴿ **أَلٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣** ﴾ [2].

إن الله عز وجل يعلم أن المؤمنين سيقيمون دولتهم العالمية،التي ستنطلق من المدينة المنورة، وسيحرزون انتصارات هائلة في عالمهم الدنيوي، وربما أغراهم ذلك بالتنافس على الجاه والمال، وربما نسوا يوم الحساب، فكان التذكير باليوم الآخر باكورة التوجيهات الربانية على عتبات الدولة الإسلامية الناشئة.

ثانيا: الغيب النفسي

تعرض القرآن الكريم للحديث عن الغيبيات النفسية، والتي استأثر الله تعالى بعلم حقيقتها، وهي كالتالي:

---

(1) في ظلال القرآن في الميزان، ص48.

(2) الآيات: 01-03.

1- النفس:

جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنماط ثلاثة، فمنها المطمئنة ومنها اللوامة ومنها الأمارة بالسوء:

- فذكرت المطمئنة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1]، أي: المطمئنة " إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله " [2]. ولن يكون لها ذلك إلا بمقام المجاهدة والتزكية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [3].

- ومنها النفس اللوامة في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [4]،"وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت لوامة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة" [5].

- ومنها الأمارة بالسوء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾ ﴾ [6]." أي لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان " [7].

---

(1) الفجر/27.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج2، ص1097.

(3) الشمس/07-09.

(4) القيامة/02.

(5) نفسه، ج2، ص1068.

(6) يوسف/53.

(7) نفسه، ج1، ص467.

فالمطلوب من الإنسان أن يجاهد هذه النفس الأمارة بالسوء حتى تتوب وتستقيم على جادة الحق، فإذا ما حصل له ذلك فعليه أن يلوم نفسه كلما زاغت أو انحرفت، ثم ليعمل- علما وسلوكا – على الرقي بها إلى درجة الإحسان، حيث تطمئن وتسكن إلى ذكر الله تعالى. وقد" حكى بعض أهل المعرفة قال: حياة النفس بالروح، وحياة الروح بالذكر، وحياة القلب بالعقل، وحياة العقل بالعلم " [1].

2- الضمير:

ذلك أن الأصل والمطلوب في الإنسان المسلم أنه: " لا يحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي يرتدع عن الجرائم، لأن رقابة الإيمان أقوى، والوازع الإيماني في قلب المؤمن حارس يقظ، لا يفارق العبد المؤمن ولا يتخلى عنه". قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴿١٦﴾ ﴾ [2].

إنه الضمير الرقابي الذي يغني عن الرقابة القانونية التي ربما غابت في كثير من المواقف الحساسة، فالآية الكريمة تغرس في لا شعور المؤمن الهيبة الإلهية، فلا تمتد عينه إلى حرام، ولا يده إلى مال بغير وجه حق. و" يتوخى في جميع أفعاله ما يرضي ذلك المصدر القوي القاهر فيكون خيرا كله، فلا يماري، ولا يخادع، ولا يغش، ولا يخون، ولا يقصر في حق، ولا يتقاعس عن واجب، فيسلم في الحياة وتسلم له الحياة " [3]. ولذلك تستغني الدولة عن كثير من وسائل الردع، ويرتاح أولياء الأمور من كثير من المتاعب.

وهاهو الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه يعبر بصدق عن ذلكم الضمير الرقابي،

---

(1) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، ص28.

(2) ق/16.

(3) من توجيهات الإسلام، محمود شلتوت، دار الشروق، بيروت، ط7، 1403هـ/1983م، ص16.

فيقول- وهو على المنبر يخطب -: " إني لخائف يوم ينادي مناد فيقول : يا عويمر .فأقول: لبيك رب لبيك. فيقول: أما علمت ؟ فأقول: نعم. فيقال: كيف عملت فيما علمت؟ فتأتي كل آية في كتاب الله زاجرة وآمرة تسألني فريضتها، فتشهد علي الآمرة بأني لم أفعل، وتشهد علي الزاجرة بأني لم أنته أو أترك. فأعوذ بالله من قلب لا يخشع، ومن عمل لا ينفع، ومن صوت لا يسمع، وأعوذ بالله من دعاء لا يجاب " [1].

3- الروح:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [2]. هذه الآية الكريمة ترد على الماديين عباد الجسد، الذين يكرعون من الملذات الفانية، وتوجههم إلى تغذية الروح بالعبادة والتأمل، كما تنهاهم عن الخوض فيما لا علم لهم به.

أما عن مستقر الأرواح بعد انفصالها عن أجسادها، فيقول عبد المجيد الزنداني: "..منها أرواح في أعلى عليين، وهي أرواح الأنبياء، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، ومنها أرواح محبوسة على باب الجنة، كأرواح الشهداء الذين عليهم دين لم يقض، ومن الأرواح ما يكون مقرها باب الجنة كأرواح بعض الشهداء، ومن الأرواح ما تكون محبوسة في الأرض، ومن الأرواح ما يكون مع النسيم الطيب في عليين كأرواح الصالحين، ومنها ما يكون في تنور الزناة والزواني، ومنها أرواح في نهر دم تسبح فيه وتلقم الحجارة " [3].

---

(1) الزهد لأبي داود السجستاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، وقدم له وراجعه: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة، حلوان، مصر، ط1، 1414هـ/1993م، ص202، 203.

(2) الإسراء/85.

(3) كتاب التوحيد، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ/1991م، ص183.

4- الفطرة :

الإنسان مجبول على شعور نفسي وبدني لا ينفك عنه،فالحاجات الروحية مثل الفقرللخالق، والأمل في النجاة من الشر أو نيل المرغوب..والضرورات البدنية مثل الجوع والنوم والمرض والموت ..وغيرها هي من فطرة الإنسان،ولو أنكرها بلسانه،أو حاول دفعها وفي الآية الكريمة التالية بيان لحالة الفطرة المؤمنة بالله،ولو كفر صاحبها بلسانه:﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾**﴾ [1].

إن هؤلاء الجاحدين قبل أن يركبوا البحر كانوا على كفرهم واستغنائهم عن ربهم،فلما اضطرب بهم البحر وأيقنوا أنه لا منجي لهم من الغرق سواه،نطقت فطرهم تلهج بدعاءالله خالقهم أن ينجيهم.ولما كان طبعهم الجحود والنكران،فهاهم أولاء يعودون إلى كفرهم وإعراضهم عن الحق.

وهي توجيهات تربوية للمؤمنين،فربما غلبهم الهوى فتركوا الواجبات أو فعلوا المحرمات حال الصحة والغنى،فإذا أقعدهم المرض وولت عنهم الدنيا قالوا :يا الله.

ثالثا: أركان الإيمان

تناول القرآن الكريم هذه الأركان بالحديث مكررة في العهدين المكي والمدني، ومدللا بذلك على خطورتها في حياة المؤمنين دنيا وأخرى.وهي كالتالي:

1- الإيمان بوجود ووحدانية الله عزوجل:

لقد كان الصحابة أسعد المخلوقات بتلقيهم آيات وسور التنزيل المبارك،وشهودهم

---

[1] الإسراء/67.

الوحي الأعلى وهو ينزل على أعظم مخلوق: محمد ﷺ لسبب ولغير سبب، تعالج أخطر قضية تنازع حولها البشر، وتصادمت بشأنها الفلسفات والأفكار، إنها قضية الألوهية أو الإلهيات.

ومن السور الأولى المكية التي عالجت قضية التوحيد نجد ما يلي:

* سورة العلق، وفيها صفة من صفات الربوبية، وهي الخلق: ﴿ **ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ ۝١** ﴾ (1).

*سورة القلم،وفيها التسبيح للمولى عزوجل،الذي عده القرآن سببا للنجاة من سخط الله وغضبه: ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمَ اَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝٢٩** ﴾ (2).

*سورة المزمل،وفيها الوعيد لمن لا يعترف بتوحيده تعالى،وإنذاره بالانتقام،وأنه الرب الوكيل: ﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩** ﴾ (3).

*سورة الفاتحة،وفيها أن الله تعالى هو رب العالمين،ملك يوم الدين،الذي يفصل بين عباده يوم المعاد:﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤** ﴾(4).

—

(1) العلق/01.

(2) القلم/28-29.

(3) المزمل/17-18-19.

(4) الفاتحة/02-04.

* السورتان الكريمتان: (المعوذتان)، وفيهما الاستعاذة بالله تعالى من شر كل المخلوقات، ولاسيما من رمز الشر وأس الباطل: إبليس اللعين وذريته من الشياطين المطرودين من رحمته تعالى:﴿ **قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥** ﴾ [1]. وقوله عز وجل:

﴿ **قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ** ﴾ [2].

* سورة الإخلاص التي تعرف الله تعالى بها إلى عباده، فأخبر أنه واحد أحد، لم يكن له والد ولا ولد، وأنه لا نظير له ولا مثيل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فقال جل في علاه: ﴿**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ**﴾[3].

* سورة النجم وما تلاها من السور المكية والمدنية على السواء، فيها تعداد لأسماء حسنى وصفات عليا، ومنها أنه تعالى الغفور الرحيم بعباده، وهو الحكيم العليم بمن اهتدى ومن ضـــل: ﴿ **إِن رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡۚ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡۚ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢** ﴾ [4].

* وفي النهي عن الشرك والوعيد عليه نزلت سورة الأعراف: ﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم**

---

(1) الفلق/01-05.

(2) الناس/01-06.

(3) الصمد/01-04.

(4) النجم/32.

مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَّكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ ﴾ [1].

* وقد لبَّس إبليس لعنه الله على عرب قريش دينهم، فدعاهم إلى عبادة الأوثان، وأوهمهم أنها تضر وتنفع، وأنها تشفع لهم عند ربهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلاَ فِى ٱلأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨ ﴾ [2]. تماما كما لبس على اليهود والنصارى دينهم فضلوا وأضلوا.

* ولم يكن عرب مكة – تحديدا – ينكرون الربوبية، ولا يرفضون حقيقة أن الله خالقهم ورازقهم ومميتهم..، وإنما كان شركهم وكفرهم بالألوهية، التي تقتضي منهم الإيمان به إلها معبودا ومشرعا، وقد سجل لهم القرآن الكريم ذلك في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ۝٨٧ ﴾ [4].

* وفي آخر سورة مكية: (المطففين)، جاءت صفة الربوبية في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [5]، على أساس أن العبادة إنما تجب لمن يجازي ويعاقب.

–

(1) الأعراف/03-04.

(2) يونس/18.

(3) الزخرف/09.

(4) المؤمنون/86-87.

(5) المطففين/06.

* أما السور المدنية فقد وردت فيها آيات كثيرة تنوه بشأن التوحيد: نحو ذكر إرادته عز وجل: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[1].

* وأنه إليه المصير يوم المعاد: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْۡ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَاكُمْۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

لقد هانت على المشركين معبوداتهم حين رأوها تتهاوى تحت مطارق الحق، وعلموا أنهم كانوا واهمين وضالين حين اتخذوها وسائط بينهم وبين الخالق عز وجل. ولما دخل المسلمون مكة فاتحين، "دخل رسول الله ﷺ المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بالقوس(..) والأصنام تتساقط على وجوهها. وعندما دخل الكعبة رأى فيها الصور، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يستقسمان بالأزلام، فقال: « قَاتَلَهُمُ اللهُ، وَاللهِ مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطّ » [3]. ورأى في الكعبة حمامة من عيدان، فكسرها بيده، وأمر بالصور فمحيت " [4].

---

[1] البقرة/117.

[2] البقرة/28.

[3] ذكره شمس الدين الذهبي في : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1407،1هـ/1987م، ج2، ص550.

[4] فقه السيرة، محمد الغزالي، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط7، 1998م، ص379، الرحيق المختوم، المباركفوري، ص346.

كل ذلك كان أمام مرأى ومسمع كفار قريش." وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوما، يجدد معالم الإسلام، ويرشد الناس إلى الهدى والتقى، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم، وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره..وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة، وهي أعظم أصنامهم، فبعث رسول الله ﷺ خالدا بن الوليد فهدمها (..) ولما رجعت هند من عهد البيعة الذي أعطته لرسول الله ﷺ زمن فتح مكة، عمدت إلى صنم لها كانت تعبده، فكسرته وهي تقول: كنا منك في غرور(..) وبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فهدمها "[1].

ثم أرسل خالدا بن الوليد إلى الطائف لهدم اللات، وكانت لثقيف، فرجع بحليها وكسوتها، فقسمه رسول الله ﷺ من يومه [2].

وبعث عمرو بن العاص إلى سواع فهدمه، وهو صنم هذيل، ودخل سادنها دين الإسلام لما هانت أمام عينه وهي تهدم.

ولما حج أبو بكر الصديق بالناس في السنة التاسعة للهجرة بعث رجالا ينادون في الناس: ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وكان هذا النداء بمثابة إعلان نهاية الوثنية في جزيرة العرب، وأنها لا تبدئ ولا تعيد بعد هذا العام [3].

---

(1) الرحيق المختوم ،ص351، 352.

(2) نفسه، ص386.

(3) نفسه، ص378.

أ/ **توحيد الأسماء والصفات:** لقد توالت وتعددت الآيات والسور الكريمة التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته تعالى، وتعرف الخالق للمخلوق، وكانت إما أسماء وصفات للذات الإلهية، نحو اليد والساق والسمع والبصر، والعلو: ﴿**سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى** ۝١﴾[1]. ونحوها، وإما أسماء وصفات للأفعال نحو القوي القهار الجبار المحيي المميت وغيرها.

وقد نجد في السورة الواحدة أو الآية الواحدة تعداد لتلك الأسماء والصفات العظيمة، كقوله تعالى في سورة البروج: ﴿**وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ** ۝٨﴾[2].

وقوله: ﴿**وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ** ۝١٤ **ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ** ۝١٥ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ۝١٦﴾[3].

وقد ترد الصفات الإلهية في القرآن الكريم مضافة نحو: (ذي العرش)، في قوله تعالى: ﴿**رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ** ۝١٥﴾[4].

وقد تكرر ذكر الأسماء والصفات في المرحلة المدنية، للتأكيد على عظمة التوحيد، نحو:

- اسم: (القوي)، في قوله تعالى: ﴿ **كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ۝٥٢﴾[5].

---

(1) الأعلى/01.

(2) البروج/08.

(3) البروج/14-16.

(4) غافر/15.

(5) الأنفال/52.

- و(البصير)، في قوله عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1].

- الأسماء والصفات العلية: (الأول،الآخر،الظاهر،الباطن)، في قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [2].

- وقد تضمن آخر سورة الحشر (سبعة عشر) اسما كريما وصفة عظيمة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3].

- وفي آخر سورة مدنية جاءت صفة (التواب): ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [4].

وهكذا فقد جاءت هاته الأسماء والصفات في أغلب السور الكريمة، مكيها ومدنيها، لتؤكد على عظمة التوحيد، وأنه أساس العمل والتشريع، ومفتاح السعادة والنجاة في الدارين.

---

(1) الأنفال/39.

(2) سورة الحديد/03.

(3) الحشر/22-24.

(4) النصر/03.

ب/ الأدب مع الله تعالى: فمن مقتضيات التوحيد ومتطلباته وجوب الأدب مع الله تعالى، وفي ذلك وردت نصوص عديدة:

– ففي خشيته وتقواه، جاء قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾** ﴾[1].

– وفي التوكل عليه نزل قوله تعالى: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾** ﴾ [2].

– وفي رجاء ما عنده من الثواب والرضوان جاء قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾** ﴾ [3].

– وقد ربط حبه تعالى باتباع سنة رسوله ﷺ، فقال: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾** ﴾[4].

– ولما كانت التقوى هي مقصود المعبود جل وعلا، فقد ختمت بها آي الكتاب الحكيم، في قوله جل ثناؤه: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾** ﴾ [5].

إن الذين تليت عليهم هذه الآيات زمن نزول الوحي، أو الذين وصلتهم فيما بعد، قد أثّرت في تصورهم وسلوكهم إيجابا، فقرأنا صفحات مشرقة عنهم، ومما يلي بيان ذلك:

–

(1) فاطر/18 .

(2) الشعراء/217.

(3) العنكبوت/05.

(4) آل عمران/31.

(5) البقرة/281.

* ما ورد في السيرة النبوية أنه وفي السنة السابعة للهجرة وقعت غزوة ذات الرقاع، وعند منصرف المسلمين منها، كان أحدهم قد سبى امرأة من المشركين، فنذر زوجها أن لا يرجع حتى يهريق دما فيهم، فجاء ليلا، وقد أرصد رسول الله ﷺ رجلين ربيئة [1] للمسلمين من العدو، وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر فضرب عبادا – وهو قائم يصلي– بسهم فنزعه، ولم يبطل صلاته، حتى رشقه بثلاثة أسهم، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: سبحان الله، هلا نبهتني، فقال: إني كنت في سورة فكرهت أن أقطعها [2].

* ومن الأدب معه سبحانه ما ورد عنه ﷺ حين دخل مكة فاتحا، فكان يضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل [3].

* ومما أثر عن خشية أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما حدثت به زوجه فاطمة بعد وفاته أنه كان إذا " فرغ من حوائج يومه، دعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين، ثم أقعى – استند – واضعا رأسه على يده، تسايل دموعه على خده، يشهق الشهقة، فأقول: قد خرجت نفسه، أو انصدعت كبده، فلم يزل ليلته حتى يرق له الصبح، ثم أصبح نائما، قالت: فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين لسي–كثر– ما كان فيك الليلة، ما كان منك، قال: أجل، فدعيني وشأني، وعليك بشأنك، قالت: قلت له: لأني أرجو أن أتعظ، قال: إذن أخبرك، إني نظرتُ إلَيَّ ، فوجدتني قد

–

(1) الربيئة والربيء في اللغة: اسم الطليعة – عين القوم –، يرقب العدو من مكان عال، لئلا يدهم قومه (..)، وإنما أنثوه، لأن الطليعة يقال له : العين، والعين مؤنثة، إذ بعينه ينظر ويرعى أمور القوم، ويحرسهم، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، دار السلاسل، الكويت،ط2، 1404هـ/1984م، ج22، ص90.

(2) ينظر: الرحيق المختوم، ص326.

(3) نفسه، ص345.

وليت أمر هذه الأمة: صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم، في أقاصي البلاد، وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمدا ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر، ولا يقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة، فخفت على نفسي خوفا دمعت له عيني، ووجل له قلبي، وأنا كلما ازددت لها ذكرا، ازددت منه وجلا، وقد أخبرتك، فاتعظي الآن أو دعي"[1].

2- الإيمان بالملائكة الأبرار عليهم السلام:

ومن الغيبيات التي قرعت سمع الناس فيما نزل في مكة ثم في المدينة،عوالم غيبية لم يدر بخلدهم حقيقتها وماهيتها وسلوكها،وهي عالم الملائكة والجن والشياطين،التي كان للعرب وغيرهم من الملل تصورات نحوها أبطلها الوحي،ومنها أنهم كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله،وأن الجن والشياطين ينفعون ويضرون ويسيطرون على حياتهم،ولذلك قدموا لهم النذور والذبائح بل وفلذات الأكباد من الذكور والإناث.

- وفي سورتي العلق والقدر ذكر للملائكة عليهم السلام ورئيسهم أمين الوحي جبريل عليه السلام، الذي سماه الله تعالى الروح الأمين، ومنهم الزبانية ملائكة العذاب: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ [2].

---

[1] سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (الخليفة الزاهد)، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتعليق السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2003م، ص248، 249.

[2] العلق/17-18.

- وفي ليلة الإسراء أكرم مولانا عز وجل نبيه ﷺ برؤية سيد الملائكة جبريل عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً اخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ [1].

- وأعلم الله عباده المؤمنين بأن الملائكة سوف تشفع لهم يوم الدين، بعد إذنه ورضاه جل وعلا: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦ ﴾ [2].

- وفي ليلة القدر من رمضان الكريم : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ ﴾ [3].

- وأن دأبهم وديدنهم العبادة والذكر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦ ﴾ [4].

- ثم أشار مولانا إلى عظم خلقتهم، وأن لهم أجنحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [5].

-

(1) النجم/13-14.

(2) النجم/26.

(3) القدر/04.

(4) الأعراف/206.

(5) فاطر/01.

- وأنهم يحملون العرش ويستغفرون للمؤمنين -رأفة وشفقة-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [1].

- وأن منهم المكلف بكتابة أعمال العباد، ليبقى خلق الرقابة حاضرا في النفوس: ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2].

صور من التأييد الرباني بالملائكة: وإن كان عالم الملائكة الأبرار عالما غيبيا، فلا يرون بالأبصار، إلا أن الله تعالى جعل لهم حضورا في عالم الشهادة، وأقدرهم على التشكل في صفة البشر، فهم مع المؤمنين في سرائهم وضرائهم، يثبتونهم ويؤازرونهم، ومن صور ذلك ما يلي:

* في غزوة بدر الكبرى قاتل المسلمون قتالا شديدا، ونصرتهم الملائكة، ففي رواية ابن سعد عن مكرمة قال: "كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدري من ضربها ".

* وقال أبو داود المازني:" إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري".

---

(1) غافر/07-09.

(2) الزخرف/80.

* وجاء رجل من الأنصار للعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: « اسْكُتْ فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ» [1].

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: " رأيت رسول اللّه ﷺ وسلّم يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض، كأشدّ القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد" [2].

* و عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: « اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » [3].

* وفي صحح الترمذي من حديث أنس، قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال رسول الله ﷺ: « لَا، وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ » [4].

3- الإيمان بوجود الجن والشيطان:

تمت الإشارة إلى الجن الكافر"الشيطان" في سورة الناس،من خلال ذكر سلوكه الشيطاني المتمثل في الوسوسة.

وفي أواخر سورة (ص) تأكيد لوجود الجن والشياطين، وتقرير لمبدأ عظيم في التعامل مع المخالف، من خلال المحاورة التي تمت بين رب العزة، وإبليس رئيس الشياطين.

وهاهو نص الحوار الكريم:

---

(1) الرحيق المختوم، ص185، 186، تاريخ الإسلام، الذهبي، ج2، ص90.

(2) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، رقم: 4054، ج3، ص105.

(3) رواه مسلم في صحيحه في باب من فضائل سعد بن معاذ، رقم: 2466، ج4، ص 1915.

(4) رواه أبو عيسى الترمذي في سننه، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م، في باب: مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، رقم: 3849، ج5، ص 690.

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقَّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾ [1].

وفي هذا النص الكريم تعليم للمؤمنين فن الحوار، الذي ينبغي لهم أن يمارسوه مع مخالفيهم بل وحتى مع أعدائهم، في حالي السلم والحرب.

أ/ **عداوة الشيطان لآدم وذريته:** حذر تعالى من عداوة الشيطان للإنسان، ونهى عن طاعته وإتباع خطواته،كيف وهو الذي كان سببا في خروج أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام من الجنة، وهو لا يفتأ يغوي الناس ليصدهم عن التوحيد والعمل الصالح، فقال مولانا: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ [2].

أما سورة (الجن) التي نزلت بعد، ففيها ذكر لطائفة الجن الذين آمنوا بدعوة الإسلام.

وقد ثبت في السيرة النبوية أن إبليس لعنه الله ظهر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، في غزوة بدر، فارا ناكصا على عقبيه، لما رأى ما تفعله الملائكة بالمشركين،

---

(1) ص/75-85.

(2) الأعراف/27.

فلما تشبث به الحارث بن هشام – وهو يظنه سراقة – وكزه في صدره فألقاه، ثم خرج هاربا، وقال له المشركون: إلى أين يا سراقة؟ ألم تكن قلت: إنك جار لنا، لا تفارقنا؟ فقال: ﴿ **إِنِّيَ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [1]. ثم فرّ حتى ألقى نفسه في البحر [2].

ب/ السحر: ولما كان السحر من عمل الشيطان، فقد وردت بشأنه عدد من الآيات في سور مكية ومدنية، منها سورة الفلق، والتي تضمنت وجوب الاستعاذة من شر السحرة الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ** ﴿٤﴾ ﴾ [3].

وقد رد ذكر سحرة فرعون على سبيل الذم، وأنهم أرادوا بباطل سحرهم غلبة حق الوحي الذي جاءهم به موسى عليه السلام من ربهم، فقال الله لنبيه الكريم: ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾[4].

لقد حصحص الحق وزهق الباطل، وبان للعالمين أن ما كان يفعله أولئك من السحر إنما هو غثاء وزبد، سرعان ما ذهب ريحه، وانتزع سلطانه من قلوب السحرة أنفسهم.

وفي سورة البقرة ذكر المولى عز وجل فتنة الملكين هاروت وماروت، وما كانا يعلمانه للناس من السحر، ومن أثره التفريق بين الزوجين: ﴿ **وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ**

–

(1) الأنفال/48.

(2) الرحيق/186.

(3) الفلق/04.

(4) طه/69.

ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ آحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ آحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1].

وإنما ذكر التفريق بين الزوجين على وجه الخصوص، لأنه غاية ومنتهى أمل ومخطط الشيطان في الشر والغواية. وقد جاء بيان ذلك في حديث النبي ﷺ:« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصِبُ عَرْشَهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَبْعَثُ جُنُودَهُ فَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، فَيَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى شَرِبَ الْخَمْرَ. فَيَقُولُ: السَّاعَةَ يَتُوبُ. وَيَأْتِي الْآخَرُ فَيَقُولُ: مَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى فَرَّقْت بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. فَيُقَبِّلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. وَيَقُولُ: أَنْتَ، أَنْتَ » [2].

وأما حكم السحر شرعا فقد قال القرطبي في تفسيره: " من السحر ما يكون كفرا من فاعله، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة، وقطع مسافة شهر في ليلة، والطيران في الهواء، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه".

واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك. وقال الشافعي رحمه الله: " إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر" [3].

---

(1) البقرة/102.

(2) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م، ج3، ص211.

(3) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، تهذيب: سعد بن عبد الرحمن الحصين، دار نور الكتاب للاستيراد والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص87، 88.

ت/ العين: وهذه أيضا من عمل الجن وكذا الإنس. وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَّكَادُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ**﴾[1]. قال السدي : يصيبونك بعيونهم. وقال الحسن : دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية[2]." والعين عينان: عين إنسية، وعين جنية، فقد صح عن أم سلمة، أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة- سواد في الوجه من أثر عين الجن – فقال: « اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ » [3].

والعين حق كما ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا »[4]. وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« لَا رُقْيَةَ إِلَّا فِي نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ لَدْغَةٍ » [5]. وفي معنى (النفس) الواردة في الحديث الشريف، وما ينبغي لها من التعوذات الشرعية يقول ابن القيم رحمه الله: " والنفس: العين، يقال: أصابت فلانا نفس، أي: عين. والنافس: العائن.. فمن التعوذات والرقى الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية. نحو: « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ »[6]"[7].

---

(1) القلم/51.

(2) الكشف والبيان، ج10، ص24.

(3) رواه البخاري في صحيحه، عن أم سلمة رضي الله عنها، في كتاب الطب باب رقية العين، رقم: 5739، ج4، ص43.

(4) رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، في باب الطب والمرض والرقى، رقم: 2188، ج 4، ص1719.

(5) رواه أبو داود في سننه، عن سهل بن حنيف، في باب ما جاء في الرقى، رقم: 3888، ج4، ص11. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "الحُمَةُ: مِنَ الْحَيَّاتِ وَمَا يَلْسَعُ ". ورواه أحمد في مسند سهل بن حنيف رضي الله عنه، رقم: 16021، ج3، ص486.

(6) الجمع بين الصحيحين، رقم:2642، ج3، ص215.

(7) زاد المعاد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ/1984م، ج4، ص164.

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول:«إِنَّ أَبَاكُمَا – يعني إبراهيم عليه السّلام – كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامّة » [1].

4- الرسل والرسالات:

أكرم الله تعالى الإنسان بالعقل وجعله مناطا للتكليف، وأقدره على تمييز النافع من الضار، والصحيح من الخطأ، كما جعل فطرته مهتدية إلى الحق في عالم الذر[*]، غير أن ذلك لا يكف للزوم الحق تصورا وسلوكا، لاجتيال الشياطين[**]، وتلاعب أهل الأهواء بالفطر والعقول إضافة إلى النفس الأمارة بالسوء، التي قد تضطرب أمامها السبل، ناهيك عن قصور العلم البشري عن عالم ما وراء الطبيعة، وعالم ما وراء رحلة الحياة..كل ذلك جعل بعثة الرسل عليهم السلام لهداية البشر إلى سعادة الدارين، أكثر من ضرورة الجسد

---

[1] رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، رقم: 3371، ج 2، ص 467.

[*] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ**﴾،الأعراف/172. ففيها إخبار من رب العالمين أن كل البشر قد دانوا لله تعالى بالوحدانية في عالم الذر. ينظر: رسالة التوحيد، الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ، ص54.

[**] إشارة إلى الحديث الشريف – عن عياض بن حمار– فيما يرويه ﷺ عن ربه تعالى: « **إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ** »، أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق : يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم ،بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، ج2، ص1048. وكذا إلى الحديث الشريف: « **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ** »، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق : د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض،(د.ط)، 1402هـ،ج3، ص563.

الفاني إلى الطعام والشراب والهواء [1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة. وكذلك العبد، ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وينالـه من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات " [2].

وقريبا من هذا المعنى يقول تلميذه شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: "..فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث –على التفصيل–إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله – ألبتة – إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي، **وَمَا لَجُرْح بِمَيّت إيلَامُ** [3] " [4].

---

[1] ينظر: النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط.ت)، ص25، 26.

[2] ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب، البليدة، ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر،(د.ط)، 1989م، ص32.

[3] وصدره: **وَمَنْ يَهُن يَسْهُلُ الهَوَانُ عَلَيْهِ****...، من أروع ما قال المتنبي، إميل ناصيف، دار الجيل، دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط.دت)، ص73.

[4] زاد المعاد، ج1، ص69.

أ/ **الكتب المنزلة:** يحتاج الرسل عليهم السلام إلى منهج متكامل لهداية البشر(عقديا وسلوكيا)، ولذلك زودهم ربهم بصحف هادية، وكتب راشدة، ومما ذكر منها في القرآن الكريم:

* **صحف إبراهيم وموسى:** وقد جاء ذكر الكتب السماوية المنزلة في عدة مواضع، منها صحف إبراهيم وموسى المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩** ﴾ [1]. وفي قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧** ﴾ [2].

* **التوراة والإنجيل:** وقد ذكرا في معرض الحديث عن صدق نبوة محمدﷺ ، وكونه مذكورا في هذين الكتابين المقدسين، فقال جل وعلا: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧** ﴾ [3].

* **الزبور:** نزل فيه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُوراً ۝٥٥** ﴾ [4].

* **القرآن الكريم:** نزلت عدة سور تتحدث عن القرآن الكريم، الكتاب الخاتم والناسخ

---

(1) الأعلى/18-19.

(2) النجم/ 36-37.

(3) الأعراف/157.

(4) الإسراء/55.

لجميع الكتب السماوية، الذي تضمن كل ما جاء فيها، بل زاد عليها أحكاما أخرى،صلحت لكل زمان ومكان وإنسان. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [1].

وقد ورد الحكم عاما في وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الكتب، وما شرعه فيها من شرائع، وحكم على الذين يعطلون العمل بما فيها بالكفر أو الظلم أو الفسق.

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤ ﴾ [2].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥ ﴾ [3].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤٧ ﴾ [4].

ب/ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: إن حاجة البشر للرسل والرسالات تربو عن حاجتهم للطعام والشراب والهواء، فذلك قوام أبدانهم وحياتهم الدنيا الفانية، أما الوحي فغذاء عقولهم وزاد أرواحهم وقوام حياتهم الأبدية، وشتان بين الدنيا والآخرة.

ويزعم الماديون والملاحدة عباد الشهوات أنه بإمكانهم الاستغناء بعقولهم عن مدد السماء، " ولذلك نراهم يسنون القوانين، ويحلون ويحرمون، ويخططون ويوجهون، ومستندهم في ذلك كله أن عقولهم تستحسن ذلك أو تقبحه، وترضى به أو ترفضه، وهؤلاء لهم سلف قالوا مثل مقالتهم هذه، فالبراهمية – وهم طائفة من المجوس– زعموا أن

---

(1) الإسراء/09.

(2) المائدة/44.

(3) المائدة/45.

(4) المائدة/47.

إرسال الرسل عبث، لا يليق بالحكيم " [1].

وقد اختار الله عز وجل لمهمة التبليغ وهداية البشر أفضل الناس، وميزهم بصفات الكمال والرشد، وأهلهم لحمل أمانة الدعوة والتبليغ، وزودهم بالوحي، عن طريق الملك أو الإلهام أو الكلام، يبشرون وينذرون ويذكرون الإنس والجن بما ينبغي أن يعتقدوه ويسلكوه، فكانت عقيدتهم واحدة،وربما اختلفت شرائعهم على حسب الزمان والمكان والإنسان.

وفي القرآن الكريم قصص كثير عنهم وعن أقوامهم، وكان الغرض من إيرادها تسلية المؤمنين، وأخذ العبرة والدروس، التي تنفعهم في مواجهة أهل الباطل من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم.

وقد ذكر القرآن الكريم منهم خمسة وعشرين نبيا ورسولا، ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام، والسبعة الباقون ذكروا في مواضع متفرقة منه. فقال عز وجل: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ آخَاهُمْ هُوداً** ﴾ [2]. وقال: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً** ﴾ [3]. وقال: ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً** ﴾ [4].

وعلى المؤمن أن يعرف فضلهم على غيرهم من الناس، ويعتقد أنهم أفضل البشر، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى، إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل .

---

(1) الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ص35.

(2) هود/50.

(3) هود/61.

(4) هود/84.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [1].

وقال: ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [2].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴿٣٣﴾﴾ [3].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴿٢٩﴾﴾ [4].

وفي عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ورد حديث أبي أمامة أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنهما قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟. قَالَ: « مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا » [5].

والعرب منهم أربعة: هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سِرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثٌ، وَخَنُوخٌ – وَهُوَ إِدْرِيسُ –، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ. وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودُ، وَصَالِحٌ ،

–

(1) الأنعام/83-86.

(2) الأنبياء/85.

(3) آل عمران/33.

(4) الفتح/29.

(5) رواه أحمد في مسند أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، (مؤسسة الرسالة)، رقم: 22342، ج5، ص265، قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدا.

وَشُعَيْبٌ، وَنَبِيُّكَ يَا أَبَا ذَرٍّ » [1].

- **من دلائل النبوة (الإخبار بالغيب):**

أيد الله تعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام بمعجزات باهرة وآيات ظاهرة، ومنها أن الله تعالى نجى سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار فلم تحرقه عندما ألقي فيها، ونجى سيدنا يونس من الغرق عندما رمي في البحر، وأيد سيدنا عيسى عليه السلام بإحياء الموتى..وهكذا فكل منهم إلا ومؤيد بالوحي والمعجزة، ولخاتم الرسل محمد ﷺ المعجزة الكبرى والآية العظمى، المتمثلة في القرآن الكريم، الذي تضمن كل أنواع الإعجاز: الغيبي منه والبلاغي والعلمي، ومع ذلك وجدنا أحاديث نبوية شريفة تضمنت هي أيضا ألوانا من الإعجاز، وقد أرجأنا الحديث عن الإعجاز البلاغي والعلمي فيهما إلى آخر البحث، لملاءمته لعنوان (التواصل مع الغير)، فهم في حاجتهم لهما أكثر، أما هنا فلبيان أثر الإعجاز الغيبي في تثبيت العقيدة والإيمان في قلوب المؤمنين، تصديقا لقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين سأله: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2]. وقد ورد في السيرة العطرة العديد من ذلك، نذكر منها:

– في غزوة مؤتة أخبر النبي ﷺ أصحابه بخبر الجيش الإسلامي، فقال: « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ عبد الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ثم أَخَذَ الراية سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ خَالِد بْن الْوَلِيدْ ». قال أنس: فجعل يحدّث الناس وعيناه تذرفان [3].

–

(1) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، نشر دار السعادة بجوار محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م، ج1، ص166،167.

(2) البقرة/260.

(3) رواه البيهقي في سننه الكبرى، عن أنس بن مالك، في: باب جواز تولية الإمام من ينوب، رقم:16374، ج8، ص154.

– وفي فتح مكة، لما حانت الصلاة، أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة، فتهامس أبو سفيان وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام بكلام سيء، وكانوا جلوسا بفناء الكعبة، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: « قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ »، ثم ذكر ذلك لهم. فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك [1].

– لما فتح رسول الله ﷺ مكة فر منها عدي بن حاتم إلى الشام ،فلحقته أخته تأمره بأن يلحق بالرسول ﷺ بالمدينة قائلة: ائته راغبا أو راهبا. فجاءه بغير أمان ولا كتاب، فأجلسه بين يديه في داره، ثم قال له: « إِيهِ يَا عدي بن حاتم، ألم تَكُن رَكُوسِيّا؟ ». قال: قلت: بلى. قال: « فَإِنّ ذَلكَ لمَ يَحِل لَكَ فِي دِينِكَ ». قال: قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل، يعرف ما يجهل [2].

– وعن عدي بن حاتم، قال:" بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: « يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ ؟ » قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قَالَ « فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى »، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: « كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ »(..) قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه "[3].

–

(1) السيرة النبوية لابن هشام، ج5، ص76.

(2) الرحيق، ص367. والركوسية: هي نصرانية مشوبة بعقائد الصابئة، التحرير والتنوير(مؤسسة التاريخ العربي)، ج16، ص39.

(3) رواه البخاري في صحيحه في: كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم:3595، ج2، ص 527، 528.

نماذج من حب وتوقير الرسول ﷺ: إن الحب والتوقير للنبي ﷺ من ركائز الإيمان، ولا يكتمل إيمان المؤمن ما لم يكن ذلك واقعا في حياته، مغروسا في حناياه. بل إن حب الله تعالى مشروط بالمتابعة للرسول ﷺ، ولا تصدق المتابعة إلا بالحب الصادق، والأدب العالي معه، قال تعالى: ﴿**قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾**﴾ [1].

وعندما نتحدث عن محبته ﷺ والأدب معه، تبرز لنا القمم الشامخة من أصحابه عليهم الرضوان، الذين ضربوا للأجيال اللاحقة أسمى المثل في ذلك الحب العظيم. لقد امتزجت محبته مع أرواحهم وأجسامهم، حتى غدا مثل الأوكسجين الذي يتنفسونه، ومثل الماء للحوت. سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: "كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ" [2].

ولبيان ذلك أكثر نسوق هذه النماذج السامقة:

– لما وطئ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما بمكة، وضرب ضربا شديدا، دنا منه عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، ويحرفها لوجهه، ونزل على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب، حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار، فقال: " ما فعل رسول الله ﷺ ، فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه شيئا، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت: والله لا علم لي بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل،

---

(1) آل عمران/31.

(2) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م، ج2، ص179.

فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، فقال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا، حتى إذا هدأت الرجل، وسكن الناس، خرجتا به، يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ " [1].

– في غزوة أحد كان القتال محتدما حول رسول الله ﷺ ، ولم يكن معه سوى تسعة نفر، فلما نادى المسلمين: « هَلُمَّ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ » [2]، سمع المشركون صوته وعرفوه، فكروا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف، ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني.

– روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رفيقي في الْجَنَّةِ؟»[3]، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة.

–

[1] الرحيق، ص103.

[2] رواه الإمام أحمد في مسنده، (تحقيق شعيب الأرنؤوط)، (مسند جابر بن عبد الله)، رقم:15027، ج23، ص274.

[3] الجمع بين الصحيحين، رقم: 2124، ج2، ص489.

– وبلغ من حب مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنه لما جرح النبي ﷺ يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض، فقيل له: مجه، فقال: لا والله لا أمجه أبدا، ثم أدبر يقاتل، فقال رسول اللّه ﷺ: « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ». فاستشهد [1].

– وهاهي امرأة من بني دينار يقتل زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل – تريد: صغيرة – [2].

– وجاءت إلى رسول الله ﷺ أم سعد بن معاذ تعدو، وسعد آخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله أمي، فقال: « مَرْحَبا بِهَا ».ووقف لها. فلما دنت عزاها بابنها عمرو بن معاذ. فقالت: أما إذ رأيتك سالما، فقد اشتويت المصيبة — أي: استقللتها –. ثم دعا لأهل من قتل بأحد وقال: يا أم سعد أبشري وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا، وقد شفعوا في أهلهم جميعا. قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟. ثم قالت: يا رسول الله، ادع لمن خلفوا منهم، فقال: « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حزنَ قُلُوبِهِم، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنِ الخَلَفَ عَلَى مَنْ خُلِّفُوا » [3].

–

[1] رواه سعيد بن منصور الخراساني في سننه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط1، 1403هـ/1982م، (باب من جرح في سبيل الله)، رقم: 2573، ج2، ص261.

[2] تفسير القرآن الكريم، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، قدم له: أ.د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، ط1423،1هـ/2002م، ج1، ص374.

[3] السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1400هـ/ 1980م، ج2، ص546، الرحيق، ص241.

– وفي شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، قدم على رسول الله ﷺ قوم من عضل وقارة[1]، وذكروا أن فيهم إسلاما، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث معهم ستة نفر، فيهم الصحابي الجليل خبيب بن عدي، فلما كانوا بموضع يدعى الرجيع، غدروا بهم فقتلوهم، وباعوا خبيبا بمكة، فأجمع المشركون على قتله، فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال: لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه [2].

– وفي وقعة الحديبة، أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي مفاوضا للنبي ﷺ، فلما أتاه جعل يرمق أصحابه رضي الله عنهم وعلاقتهم به، فلما رجع إلى المشركين أخبرهم عن حبهم وتوقيرهم وتعظيمهم إياه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له [3].

– وقد بلغ من شدة تعلق عمر رضي الله عنه بالنبي وحبه الشديد له، أنه ما صدق ولا استوعب خبر وفاته ﷺ، بل أخرجه هذا الخبر الجلل عن وعيه، فطفق يقول: " إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل

–

(1) عضل:حي من كنانة، أطلس الحديث النبوي، ص271. قارة: قبيلة، أبناء الهون بن خزيمة بن مدركة، نفسه، ص300.

(2) زاد المعاد ج3، ص245.

(3) مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط2، 1403هـ/1983م،ج5، ص332.

قد مات. ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات. ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد محمدا ﷺ ، فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت.قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾[1] .

– وقبل فتح مكة بأيام قلائل، قدم أبو سفيان إلى النبي ﷺ ليعتذر عما اقترفه حلفاؤه من نقض لصلح الحديبية، وليمدد العهد، فقدم المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك نجس. فقال: والله لقد أصابك بعدي شر " [2].

إن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها – بفعلها هذا – إنما تحذر قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [3].

–

(1) آل عمران/144.

(2) زاد المعاد، ج3، ص397.

(3) التوبة/24.

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية – من شدة ذهولهم –حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: " والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات"[1].

5- بين يدي الساعة أشراط وعلامات:

أشار الكتاب العزيز إلى بعض الأمور العظام التي تحدث بين يدي الساعة، فقال جل من قائل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَاتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَاتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَاتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَاتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْراً قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [2]. وعليه فالمؤمن يصدّق بأن لهذه الحياة الدنيا ساعة تنتهي فيها، ويوما آخر ليس بعده من يوم، ثم تأتي الحياة الثانية، واليوم الآخر للدار الآخرة، فيبعث الله سبحانه الخلائق بعثا، ويحشرهم إليه جميعا ليحاسبهم، فيجزي الأبرار بالنعيم المقيم في الجنة، ويجزي الفجار بالعذاب المهين في النار.

وأنه يسبق هذا أشراط الساعة وأماراتها، فمنها الصغرى، ومنها الكبرى التي تنذر بقرب قيام الساعة، وقد وردت بشأنها بعض الأحاديث الشريفة الصحيحة، التي منها:

- قوله ﷺ: « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ »[3].

---

(1) الرحيق، ص404، 405.

(2) الأنعام/158.

(3) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة باب: بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، رقم:5175، ج4، ص2231.

– ومنها ما جاء عن عن أبي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، قال: " كان النبي ﷺ في غرفة ونحنُ أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال: « مَا تَذْكُرُونَ؟ ». قلنا: الساعة، قال: « إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ ». وفيه أيضا: « نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ »" [1].

– وفي شأن السيد المسيح عيسى عليه السلام ورد الحديث التالي: « إِنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ نَازِلٌ فِيكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ حَتَّى تَرْعَى الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ مَعَ الْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ » [2]. وذكر ابن قدامة أن عيسى عليه السلام يدفن مع النبي ﷺ [3].

6- الحياة البرزخية:

ومما يعتقده المسلم أيضا: النعيم والعذاب في القبر، وهو ما يسمى بعالم البرزخ، وقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿ **أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝** ﴾ [4].

–

[1] نفسه، بَاب: فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رقم: 2901، ج 4، ص2226.

[2] رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة، باب: ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم، رقم: 4163، ج 2، ص 651.

[3] لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ،موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: هاني الحاج، دار الإمام مالك للكتاب، باب الوادي، الجزائر، ط1، 1425هـ-2004م،ص103.

[4] التكاثر/01-02.

ولا يهم بما مات عليه، سواء كان بالحرق أو الغرق أو بالموت الطبيعي، فإن الله بقدرته يجمعه جسدا وروحا ويحاسبه. قال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾[1].

فإذا مات ابن آدم قامت قيامته، وللحياة نهاية – وإن طال مداها –، ثم يقوم الناس ليوم الحساب، وقد سجل القرآن هذه الحقيقة في كتابه الكريم حين قرر: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠ ﴾[2].

فالإنسان يتعرض للحساب والجزاء على أعماله مباشرة بعد موته، إلا أن الحساب الكامل يكون يوم القيامة.

وقد ورد في عالم البرزخ حديث طويل عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصَّوْمُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصَّوْمُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْعُدْ فَيَقْعُدُ، وَتُمَثَّلُ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيُقَالُ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ؟

---

(1) عبس/17-21.

(2) المؤمنون/99-100.

فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِّي عَنْهُ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِّي؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدًا، أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ، لَوْ عَصَيْتَ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1].

فَيُقَالُ لَهُ: أَرْقِدْهُ رَقْدَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَعَزُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، وَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْعُدْ فَيَقْعُدُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيَقُولُونَ: الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ. قَالَ: فَلَا يَهْتَدِي لَهُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ:سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَيَقُولُونَ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ لَوْ كُنْتَ

---

(1) إبراهيم/27.

أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، قَالَ: ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [1] » [2].

7- الإيمان باليوم الآخر:

إن القرآن الكريم بخطابه عن الدار الآخرة وما فيها من جزاء وعقاب يشحن القلوب بمعاني الخشية والرجاء، ويذكر النفوس اللاهثة وراء المادة بمصيرهم ومستقبلهم الأبدي، والذي ينبغي أن يعدوا له عدته من زاد التقوى والعبادة لله رب العالمين.ولذلك كثر التذكير باليوم الآخر في القرآن الكريم والسنة المطهرة – ترغيبا وترهيبا –، " وقد وصف الله بعض دواهي يوم القيامة، وأكثر من أساميه، لتقف بكثرة أساميه على كثرة معانيه، فليس المقصود كثرة الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر، وفي كل نعت من نعوتها معنى..فمن أساميها: يوم القيامة، ويوم الحسرة ويوم الندامة، ويوم المحاسبة ويوم الزلزلة.." [3].

وفي أول سورة مكية ذكر الله تعالى وعيد الكفار من خلال وعيده لأبي جهل، الذي ناصب الرسول العداء، فآذاه عند الحرم المكي، ونهاه عن الصلاة فيه، فذكره بالمآب إلى الرب الأعلى، الذي سوف يجازيه بما يستحق من العقوبة، فقال مهددا ومتوعدا:

---

(1) طه/124.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، في: (ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ، قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ لَا يُحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَنْ يَبْلَى)،رقم: 3113، ج7، ص380.

(3) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، مطبعة أمزيان، مكتبة رحاب، الجزائر، (دط.دت)، ص401.

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ [1]. ومن أوائل ما نزل في ذكر مشاهد القيامة سورة القارعة،فقال تعالى فيها: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ [2].

يقول سيد قطب رحمه الله:".. فيبدو الناس في ظله صغارا ضئالا على كثرتهم: فهم ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك ، وهو لا يملك لنفسه وجهة ، ولا يعرف له هدفا! وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام، فمن تناسق التصوير أن تسمى القيامة بالقارعة ، فيتسق الظل الذي يلقيه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء. وتلقي إيحاءها للقلب والمشاعر، تمهيدا لما ينتهي إليه المشهد من حساب وجزاء [3].

وقد نعى على المكذبين بيوم البعث، ومنهم أبيّ بن خلف الذي جاء النبي ﷺ بعظم قد دقه ثم نسفه وهو يقول: كيف يحيي الله هذه بعد أن تكون رميما؟ فرد عليه القرآن بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [4]" [5].

---

[1] العلق/08.

[2] القارعة/01-11.

[3] في ظلال القرآن، ج6، ص3960.

[4] يس/77-79.

[5] ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، ج3، ص171.

وفي المرحلة المدنية استمر خطاب الوعظ وظل سلطانه قائما، لئلا يجور الحاكم وينحرف المحكوم، فنزلت كثير من السور المدنية تعد المؤمنين الجنة والرضوان، وتتوعد الكافرين بالسخط والنيران. ومما نزل في المدينة بهذا الشأن قوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾** ﴾[1].

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة تصف الجنة ونعيمها، وما أعده الله لعباده المؤمنين فيها، وتصف النار وجحيمها، وما هيأه الله للمكذبين الكافرين من العذاب الأليم. ومن ذلك:

– عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ » [2].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ –في وصف أهل الجنة–: « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا »[3].

–

[1] البقرة/ 24-25.

[2] رواه مسلم في صحيحه باب في صفات الجنة وأهلها، رقم: 2835، ج4، ص2181.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: 3245، ج2، ص 432.

– عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] » [2].

وفي الحديثين المواليين يذكر النبي ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة له خمسون مرة مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا،أو له مثل الدنيا عشر مرات:

– فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ،وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَمِصْدَاقُهُ، فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [3]» [4].

---

[1] الأعراف/43.

[2] رواه مسلم في باب أول زمرة تدخل الجنة، رقم: 2837، ج4، ص2182.

[3] السجدة/17.

[4] رواه مسلم في صحيحه باب أدني أهل الجنة منزلة، رقم: 189، ج1، ص 176.

– وزيادة في الترغيب في نعيم الجنة، ذكر الحديث الموالي أن آخر من يخرج من النار ثم هو آخر من يدخل الجنة ، له مثل هذه الدنيا عشر مرات، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا – أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا – ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بي– أَوْ أَتَضْحَكُ بِي – وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ » ، قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: « فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً » [1].

*** الرؤية: أعظم نعيم أهل الجنة**

إن أعظم ما يتنعم به المؤمنون في الجنة هو رؤية المولى تبارك وتعالى، فقد ثبتت بقوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣** ﴾ [2]. وفي معنى (ناضرة)، قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة، وقال ابن زيد: ناعمة، وقال مقاتل: يعلوها النور، وقال السدي: مضيئة، وقال يمان: مسفرة، وقال الفراء: مشرقة بالنعيم.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩** ﴾ [3]» [4].

–

(1) رواه مسلم في صحيحه باب آخر أهل النار خروجا، رقم: 186، ج1، ص173.

(2) القيامة/22-23.

(3) سورة ق/39.

(4) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الصلاة – باب فضل صلاة العصر)، رقم: 554، ج1، ص 190.

وفي معنى (ناظرة)، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب، وقال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن (تنضر)، وهي تنظر إلى الخالق [1].

وقد جاء في التفسير أن الزيادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [2]، بأنها رؤية وجه الله عز وجل [3]. وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»[4].

وإن قوما من أهل القبلة أنكروا الرؤية يوم القيامة، واستدلوا على ذلك بقولهم: إن موسى عليه السلام لما سأل ربه الرؤية منعها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۖ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [5]، فرد عليهم أبو الحسن علي الأشعري[6] بأن الرؤية ممنوعة في الدنيا، أما الآخرة فثابتة لأهل الجنة. ثم ساق حكاية أهل السنة والجماعة في ذلك فقال رحمه الله تعالى: " ويقولون: إن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون. قال الله عز وجل:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [7]" [8].

---

[1] ينظر: معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، السعودية، ط4، 1417 هـ/1997م، ج8، ص285.

[2] يونس/26.

[3] نفسه، ج1، ص10.

[4] رواه مسلم في صحيحه، (باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى)، رقم: 180، ج1، ص163.

[5] الأعراف/143.

[6] هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن (260-324هـ/874-936م): مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وكان من أئمة المعتزلة، ثم خالفهم، توفي ببغداد. بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها: (مقالات الإسلاميين)، جزءان، و:(الإبانة في أصول الديانة)، و:(مقالات الملحدين)، الأعلام، الزركلي، ج4، ص263.

[7] سورة المطففين/15.

[8] مقالات الإسلاميين، ج1،ص321، 322.

ومن الأحاديث النبوية التي جاءت ترهب الكفرة والمكذبين وعصاة المؤمنين من النار ولهيبها ما يلي:

- في شدة حر جهنم وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين جاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ »، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: « فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » [1].

- وفي كونها مأوى المتكبرين والمتجبرين ورد حديث أبي هريرة أيضا قال: قال النبي ﷺ: « تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا » [2].

وقد ذكر الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى الأسباب الموجبة لدخول النار فيما يلي: الكفر والشرك والنفاق الاعتقادي(وهذا صاحبه مخلد في جهنم)، المعاصي العملية التي تدخل تحت مسمى الفسق، وهذه وإن كان صاحبها مسلما، إلا أنه يستحق بها دخول النار، لعموم الأدلة الشرعية، ولكنه لا يخلد بها في النار، ومنها: عقوق الوالدين/قطيعة الرحم/أكل الربا/أكل مال اليتامى/شهادة الزور/الرشوة في الحكم/اليمين الغموس/القضاء بين الناس بغير علم/الغش للرعية وعدم النصح لهم/التكبر ..وغيرها من كبائر الذنوب[3].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، (كتاب بدء الخلق - باب صفة النار وإنها مخلوقة)، رقم: 3265، ج2، ص436.

[2] رواه البخاري في صحيحه في (كتاب التفسير - باب تفسير سورة ق)، رقم: 4850، ج3، ص296.

[3] مجالس شهر رمضان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط4، 1408هـ/1988م، ص135.

- **الزهد من ثمرات التعلق بالآخرة:**

في غمار الشهوات الطاغية على الناس، وفي لهيب التنافس على الدنيا، وفي سعار الاقتتال على المال والجاه والنساء وغيرها من لذات الدنيا الفانية، يقف المؤمن موقفا وسطا، فلا يكرع من الدنيا حلالها وحرامها، ولا ينغمس في العبادة والبعد عن حقوق النفس من الشهوات الحلال.

وفي حديث الثلاثة الذين تقالوا أعمال النبي ﷺ ، والتي تمثل منهجا للوسطية والاعتدال، والتوازن بين أشواق الروح ومطالب الجسد، جاء هذا الحديث الشريف: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته. فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها. قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاَللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ؛ فمَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » [1].

غير أن التقلل من الحلال وإيثار الباقية على الفانية أمر مرغوب في شرعنا، فالأصل هو الآخرة، وما الدنيا إلا كشجرة يستظل تحتها المسافر، ثم يواصل المسير.كما أخبر به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا:يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » [2].

" وينبغي أن يعول الزاهد في باطنه على ثلاث علامات:

---

(1) الجمع بين الصحيحين، رقم: 1998، ج2، ص456.

(2) رواه الترمذي في سننه، رقم: 2377، ج4، ص588.

- **الأولى**: أن لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، كما قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَاسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1].

- **الثانية**: أن يستوي عنده ذامه ومادحه.

- **الثالثة**: أن يكون أنسه بالله تعالى ، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة " [2].

وقد فقه السلف هاته الحقيقة جيدا فكانوا أزهد الناس في هذه الحياة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد " [3].

ومن عيون شعر الزهد جاء قول أبي الطيّب المتنبّي:

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاَهُ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ [4]

وفيما يلي دروس عملية من الزهادة في الدنيا والتعلق بالآخرة:

- كان المغيرة بن شعبة صاحبا لقوم في الجاهلية، فلما جاء الإسلام قتل أصحابه وأخذ أموالهم، وجاء بها مسلما إلى النبي ﷺ ، فقال: « أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ » [5]. وهذا من زهده ﷺ، فلو كان ملكا يريد الدنيا لأخذ المال واستحله.

- ولما حضرته الوفاة ﷺ قال: « إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ،

---

(1) الحديد/23.

(2) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ص369.

(3) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني و صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5 ،1401هـ/1981م، رقم: 8550، ج3، ص715.

(4) من أروع ما قال المتنبي، ص37.

(5) رواه البخاري عن المسور بن مخرمة، في (كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة)، رقم: 2731-2732، ج2، ص279، 284.

وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ». قال أبو سعيد الخدري: " فبكى أبو بكر، قال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس: انظروا هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا " [1].

– لما تهيأ الجيش الإسلامي للخروج إلى مؤتة، حضر الناس، وودعوا أمراء الجيش وسلموا عليهم، وحينئذ بكى أحد أمراء الجيش(عبد الله بن رواحة)، فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ [2].

فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين غانمين [3]، فقال عبد الله بن رواحة:

لَكِنّنِي أَسْأَلُ الرّحْمَنَ مَغْفِـــرَةً وَطَعْنَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الزّبَـــدَا

أو طَعْنَـــةً بِيَدي حَرَّانَ مُجْهِـــزَةً بِحَرْبَةَ تَنفُذُ الأَحْشَـــاءَ وَالكَبِـــدَا

حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جثتي يا أَرْشَدَ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَد رَشَدا [4]

وكان خلق الزهد وراء انتصار المسلمين في أعظم مواجهة في تاريخهم: مع التتر، الذين سارت الركبان بمقولة عنهم: "من حدثك أن التتر هزموا فلا تصدقهم"، فقد كانوا القوة العظمى المرهوبة في ذلك الزمان، تماما مثل الإتحاد السوفييتي في القرن المنصرم، والولايات المتحدة الأمريكية في قرننا الحالي، نعم لقد كان زهد قائد المسلمين المظفر قطز في متاع

---

(1) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، رقم: 1541، ص516.

(2) مريم/71.

(3) الرحيق، ص332.

(4) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/ 1980م، ج14، ص507.

الدنيا وتعلقه بالآخرة لمن أعظم الأسباب في هزيمة التتر في موقعة عين جالوت العظيمة، حيث أنه رحمه الله "لم يطمع في كرسي الحكم، بل عرض القيادة على الناصر يوسف الأيوبي – على قلة شأنه – إذا قبل بالوحدة بين مصر والشام، ولم يطمع في استقرار عائلي أو اجتماعي أو أمن وأمان، فكرس حياته للجهاد والقتال، على صعوبته وخطورته، ولم يطمع في أن يمتد به العمر، فخرج بنفسه على رأس الجيوش ليحارب التتار في حرب مهلكة، ولا شك أنه يعلم أنه سيكون أول المطلوبين للقتل، ولا شك أنه يدرك كذلك أنه إن لم يخرج بنفسه، وأخرج من ينوب عنه، فإن أحدا لن يلومه، لأنه الملك الذي يجب أن يحافظ على نفسه لأجل مصلحة الأمة، لكنه اشتاق بصدق إلى الجهاد في سبيل الله، وتمنى الموت بين صليل السيوف وأسنة الرماح، وزهد في هذه الدنيا الفانية، فلم يتردد لحظة، ولم يجزع أبدا، وكانت حياته تطبيقا عمليا كاملا لكلماته..ولذلك أعطاه الله عز وجل الدنيا التي فر منها، وأعطاه الكرسي الذي زهد فيه، وأمده بالغنائم الهائلة، والمال الوفير الذي لم يفكر في الحصول عليه أبدا "[1].

إن قوما من المتدينين فهموا أنّ الزهادة في الدنيا تعني الانسحاب منها، والإقبال على الآخرة بالكلية، وهذا تدين فاسد مغشوش، لأن عمارة الأرض والسعي في مناكبها هو من العبادة أيضا.

يتساءل الشيخ محمد الغزالي في هذا الشأن فيقول :" هل السعي لجعل الأمة ترقى في ميدان الصناعات المدنية والعسكرية يتم على حساب الصفاء الروحي وانتعاش عواطف الحب الإلهي؟ مستحيل. إن الذين يفهمون الروحانية على أنها لون من الخدر النفسي، والغيبوبة الفكرية، أناس لا يعرفون الإسلام، بل هم أعداء له. أولى منهم بالله وكتابه ناس يغبر أيديهم وجباههم تراب الحقول، أو دخان المصانع، أو الركض في الأسواق، ثم هم من

---

(1) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، راغب السرجاني، دار الأريب، بيروت، (د.ط.ت)، ص284.

قبل ومن بعد يحبون ربهم حبا جما، ويجعلون حراكهم الدائم، إعلاء لكلمته، وسياجا لشريعته، وذخيرة يلقونه بها يوم الحساب " [1].

8- الإيمان بالقدر خير وشره:

إن أعظم زاد يتزود به المسلم ليواجه مصاعب الحياة ومصائب الزمان، هو الإيمان الجازم بأن كل ما يصيبه من خير أو شر، أو نعماء أو ضراء، إنما يقع بقدر الله تعالى، الذي كتبه عليه قبل خلق المخلوقات، وفي الحديث الشريف ما يؤكد ذلك، فقد روى الترمذي عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَم، قَالَ له: اكْتُبْ، قَالَ:يا ربّ، ومَاذا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْء حتّى تَقُومَ السَّاعَةُ » [2].

إن الاعتقاد في القدر من أصول الإيمان التي ورد ذكرها في حديث جبريل ومنها قوله ﷺ: « وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » [3].

يقول صاحب العقيدة الطحاوية: " وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم: السعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله. وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل..فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين ". وفي شرح هذه العبارات يقول عبد المنعم صالح العزي: " والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وخالف في

---

[1] المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص77.

[2] جامع الأصول في أحاديث الرسول، رقم: 7576، ج10، ص106.

[3] الجمع بين الصحيحين، رقم: 82، ج1، ص62.

ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد " [1].

ومن الآيات الدالة على نفاذ قدرته وإرادته تعالى في خلقه قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2].

وقد ذكر لفظ (القدر) صريحا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [3].

والعلم السابق بما استكن في الأرحام، وما سوف يعيشه الإنسان في الحياة الدنيا من عمر قصير أو طويل، كل ذلك مكتوب في الأزل: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ انثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [4].

وإن كل ما يصيب العبد من نعماء أو بأساء، إلا وقد سطرته اليد العليا قبل خلق النسمة، وذلك من كمال قدرته وواسع علمه وحكمته: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5].

إن الإيمان بالقدر هو سبب كل الانتصارات التي أحرزها الصحابة ومن بعدهم، بل هو سببها إلى يوم القيامة، فلم يكن الإقدام ليعجل بالموت، ولم يكن الإحجام ليؤخر من ساعة

---

(1) أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي مع منتخبات اختارها عبد المنعم صالح العزي، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، باتنة، الجزائر،(دط.دت)، ص79، 80.

(2) البروج/16.

(3) القمر/49-50.

(4) فاطر/11.

(5) الحديد/22.

الرحيل. ولذلك أظهر الصحابة شجاعة نادرة في مواجهة آلة العذاب والقتل، سواء في مرحلة مكة حين أوذوا من طرف سادة قريش – وقد كانوا قلة مستضعفة –، أو حين تجمعت عليهم الأحزاب في المرحلة المدنية.

إن الموت في ضمير من يؤمن بالقدر هو بداية رحلة الحياة، وما هو إلا فاصل بين دنيا فانية وجنة خالدة، وقد عبر عن ذلك أحسن تعبير الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة حين أنشد وهو يواجه القتل:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي [1].

المطلب الثالث: الشعائر والمناسك

إذا كانت العقيدة تحث العقل على النظر في ملكوت الله تعالى للوصول إلى الإيمان بوجوده تعالى وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فإن تشريع العبادات كان الغرض منها التطهر والتزكي والتزود بمعاني الخير والجمال، وقد بدأ تشريع جزء منها في المرحلة المكية، كالصلاة والإشارة إلى الصوم والحج والجهاد، ثم فرضت على وجه الحتم والإلزام في المرحلة المدنية.

وفي حجة الوداع تأكيد منه ﷺ على أداء تلك الشعائر التعبدية، فعن أبي أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أيّهَا النّاسُ إنَّهُ لَا نبيَّ بَعْدِي وَلا أُمّةَ بَعدَكُم أَلا فَاعْبدُوا ربّكُم وَصَلُّوا خَمْسَكُم وصُومُوا شَهْرَكُم وأدّوا زَكاةَ أَموَالِكُم طَيّبَة بِها أَنفسُكُم وأَطِيعُوا ولّاة أمْرِكُم تَدخُلُوا جنّةَ ربِّكُم » [2].

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب، ج17، ص98.

[2] المعجم الكبير، الطبراني، رقم: 7535، ج8، ص115.

وفي بيان ما اشتمل عليه الإسلام من أركان عظيمة، وقواعد متينة، ورد حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « بُنِيَ الإسْلامُ على خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، وأَنَّ مُحمداً رسول اللهِ ، وإقَامِ الصَّلاةِ ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ ، والحَجِّ ، وصَومِ رَمَضَانَ » [1].

وقد اشتمل على أربعة أنواع مهمة من العبادات،وهي: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذا دليل على عظمتها وعلو منزلتها.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسبق الصحابة عليهم الرضوان إلى تنفيذ الأوامر والشعائر التعبدية، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » [2].

وليست العبادات في الإسلام مجرد أداء الشعائر والمناسك المقررة، وإنما الحياة كلها محراب للمسلم، فيغدو الأكل والنكاح واللهو المباح وغيرها من العادات المباحات من صميم العبادة، إذا خلصت فيها النية، وصدق التوجه فيها للباري عز وجل.

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بأنها: " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، رقم: 8، ج1، ص20.

[2] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص207.

بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله"[1].

وقد فاصل القرآن بين المؤمنين والكافرين في موضوع العبادة، فقال: ﴿ **قُل يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦** ﴾ [2].

بل قد وجه الخطاب لأهل مكة أنفسهم أن يعبدوا الله وحده، فالذي يرزقهم وينعم عليهم بالأمن أحق أن يعبد، وليست الأوثان التي اتخذوها معبودات لهم، وهي جمادات لا تنفع ولا تضر: ﴿ **فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤** ﴾[3].

وفي سورة الذاريات جعل الغاية من الخلق أصلا هي العبادة: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلِانسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦** ﴾ [4].

وقد جاءت النصوص الكريمة بعد ذلك تفرض ترجمة الإيمان إلى الواقع المشهود، من خلال أداء المناسك والشعائر التعبدية، وعدت ذلك امتحانا يميز الصادقين من الكاذبين.

أولا: الطهارة

والطهارة في اللغة تعني: " النظافة والنزاهة من الأدناس والأوساخ، وتستعمل مجازا في التنزه من

---

(1) العبودية، عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7، 1426هـ/2005م، ص44.

(2) الكافرون/01-06.

(3) قريش/03-04.

(4) الذاريات/56.

العيوب والمعاصي " [1].

يعنى التوجيه القرآني بطهارة القلب والجوارح على السواء، بل إن اهتمامه واحتفاله بتنقية السرائر من نجاساتها المعنوية كالحسد والحقد أكثر من احتفاله بموضوع الجوارح، وما الفرق بين ذنب إبليس القلبي: (الكبر) الذي خلده لعنة الخلد وعذاب الأبد ،وبين خطيئة آدم عليه السلام العملية: (شهوة البطن) التي كانت سببا في توبته ورجوعه إلى جنة الخلد، إلا إشارة إلى البون الشاسع بين نجاسة القلب ونجاسة الجوارح.

1- الطهارة الباطنية

ونعني بها طهارة القلب من كل اللوثات المعنوية، وعلى رأسها الشرك والنفاق والهوى وغيرها من الشهوات التي تحرك وتدفع صاحبه إلى الفساد والإفساد، وقد شرع القرآن لطهارته ما يلي:

أ/ الإخلاص وصدق النية: فالقراءة(باسم الله تعالى) في سورة العلق تزكية للقلب مما قد يشوبه من الزهو والرياء والعجب والغرور وغيرها من أمراض القلوب، التي يجب أن تنأى عنها أمة العلم والقراءة، ويتنزه عنها العلماء والدعاء على وجه الخصوص: وفي الحديث الشريف تأكيد على ذلك: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى» [2].

ب/ ذكر الله تعالى: يعد تشريع ذكر الله تعالى من أول ما نزل، ففي سورة القلم ذكر المولى عز وجل قصة أصحاب الجنة، الذين كان من أسباب خراب جنتهم، أنهم لم يكونوا من المسبحين: ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾[3].

---

(1) الوافي في الفقه المالكي بالأدلة، أحمد بوساق، دار البصائر، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، ص09.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (باب النية في الطهارة)، رقم: 184، ج1، ص41.

(3) القلم/ 28-29.

وفي سورة المزمل أمر الله تعالى بترتيل القرآن الكريم، وهو أفضل الذكر: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [1].

وفيها طلب الذكر والتبتل والتسبيح الطويل واستغفار رب العالمين: ﴿ إِن لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾ [2].

وأما ذكر الله تعالى بالتكبير فقد نزل في سورة المدثر: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ [3].

وفي التحميد، والتكبير – أيضا – جاء أمره تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾[4].

وكان التسبيح سبب نجاة سيدنا نوح من ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ [5].

قال رسول الله ﷺ مؤكدا على فضل الذكر والباقيات الصالحات: « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ » [6].

ومعنى أنها باقيات صالحات أنها: " تضمنت أوصافا حسنة لله – وهو أهل كل كمال –،

–

(1) المزمل/04.

(2) المزمل/07-08.

(3) المدثر/03.

(4) الإسراء/111.

(5) الأنبياء/87.

(6) رواه مسلم في صحيحه، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه،(بَابُ كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعٍ وَنَحْوِهِ)، رقم: 2137، ج3، ص1685.

تضمنت نعوتا جميلة لذي الجلال والإكرام، معنى بقائها أنها خالدة لا تفنى، أنها مستمرة لا تتلاشى، قد تصف وطنا، الوطن يزول، قد تصف قصرا، القصر ينهدم، قد تصف كوكبا، الكواكب تأفل وينتهي سناها وتنطفئ نارها، لكن ما انضم إلى الله، ما أضيف إلى ذاته العليا، ما اتصف به رب العالمين يبقى ولا ينتهي، ولذلك سميت هذه الكلمات: الباقيات الصالحات"[1].

- **أفضل الذكر**: قراءة القرآن الكريم بالتدبر والخشوع، ففي سورة المزمل أمر الله تعالى بترتيل القرآن الكريم، وهو أفضل الذكر: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [2].

وإن أفضل ما يتعبد به من الذكر قراءة القرآن الكريم في الصلاة فجرا: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ ﴾ [3]. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: " وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد الصبح، ولا كراهة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة، ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة، وقيل إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن، وإن الرحمة تنزل عند ختمه، ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا "[4].

وقد عده إبراهيم الخواص – أحد أطباء القلوب – واحدا من أدوية القلب العليل، فقال رحمه الله تعالى: " دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين " [5].

---

(1) خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، مراجعة: محمد عاشور، مكتبة رحاب، الجزائر،ط1، 1408هـ/1988م، ج2، ص82.

(2) المزمل/04.

(3) الإسراء/78.

(4) كتاب الأذكار، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، مكتبة النهضة الجزائرية، طبع شركة سيراقرافيك، الرويبة، (د.ط)، 1994م، ص97.

(5) الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م،ج1، ص311.

وفي الترغيب في تلاوته وترتيب الأجر العظيم عليه ورد حديث ابن مسعود عنه ﷺ قال: « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةُ مَنْ تَبِعَهُ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: { الم } [البقرة: 1] حَرْفٌ، - زاد ابن بِشْران في روايته - : وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً » [1].

ولما كان من شأن القلوب أنها تصدأ بالغفلة والمعاصي ولمات الشيطان، كان جلاؤها ودواؤها قراءة القرآن.

وكان هدي الصحابة الكرام مع كتاب ربهم أنهم يحفظوا منه خمس أو عشر آيات، ثم إذا فقهوها حق الفقه، راحوا يطبقونها في واقع حياتهم، وهكذا لا يجاوزون هذا العدد ما لم يعلموه ويعملوا به. " قال أبو عبد الرحمن السلمي – أحد أكابر التابعين الذين أخذوا القرآن ومعانيه عن مثل عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وتلك الطبقة –: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلمنا القرآن والعمل.

فالعمل بالقرآن هو الذي يحقق التزكية، قال تعالى: ﴿ **وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿١٥٥﴾ ﴾ [2]. روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: والله ما تدبره من حفظ حروفه وأضاع حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ولا يرى للقرآن عليه في خلق ولا عمل.

---

[1] شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423 هـ/2003 م، رقم: 1786، ج3، ص333.

[2] الأنعام/155.

وقد أثر عن عبد الله بن مسعود قوله – في معنى: ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴿١٢١﴾ ﴾ [1]–: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله. ولذلك لما سأل سعد بن هشام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما بقوله: سألت عائشة، فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: " كان خلقه القرآن " (2)" [3].

ت/الاستغفار والتوبة: الإنسان نفخة من الروح وقبضة من الطين، فالأولى تسمو به إلى عالم الملائكة في طهرهم وصفائهم، والثانية تجتذبه إلى وهدة الشهوات الحيوانية والسلوكات الشيطانية، وهو بذلك في صراع مستمر، وقد وجهه ربه إلى الاستغفار والتوبة والأوبة، مهما كانت ذنوبه وخطاياه، فالله غفور رحيم يقبل توبة التائبين.

– ولما زلت قدما أبوينا آدم وحواء عليهما السلام، فأكلا من الشجرة التي نهاهما عنها ربهما، استجابة لغواية النفس والشيطان، هرعا إلى مولاهما الرحيم الحليم يستغيثانه ويسترحمانه بقولهما: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4].

– ومن جميل عفوه وإحسانه تعالى أنه يبدل السيئات حسنات، ناهيك عن محوها وغفرانها. قال عز وجل: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [5].

–

[1] البقرة/121.

[2] رواه أحمد في (مسند عائشة أم المؤمنين)، مؤسسة قرطبة،القاهرة، رقم:25341، ج6، ص163.

[3] دور التفسير الشفهي في الإصلاح– تحليل في ضوء نظرية العقل الفاعل والعقل السائد –، أحمد رحماني، مجلة الصراط، كلية أصول الدين، الجزائر، س2، ع4، محرم1422هـ، مارس2001م، ص291، 292.

[4] الأعراف/23. وهي الكلمات التي تلقاها ربهما عنهما، فقبلها وتاب عليهما: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾، البقرة/ 37.

[5] الفرقان/70.

– ومن جزيل نعمائه تعالى أن جعل الاستغفار مجلبة للرزق والخير والبركة في المال والجسد، فضلا عن أنه مطهرة للقلب والجوارح مما اجترحته من السيئات، فقال على لسان نبيه الكريم هود عليه السلام وهو يعظ قومه: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾** ﴾ [1].

– ويفتح ربنا عز وجل باب الأمل حتى لأولئك القانطين اليائسين، فيبشرهم بالمغفرة والرحمة والعفو، محذرا إياهم من فوات الأوان، بحلول الموت أو الساعة: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾** ﴾ [2]. وقد قص علينا رسول الله ﷺ قصة ذلك الرجل الذي قتل مائة نفس، ثم تاب إلى الله فتاب الله عليه [3].

ومن الصور العملية للتوبة والاستغفار ومراجعة النفس هذين النموذجين من الجنسين: *

ففي عهده ﷺ قصة الغامدية التي زنت، وهي محصنة، ثم لما تابت تاب الله عليها. وبعد أن رجمت، صلى عليها رسول الله، فقال عمر بن الخطاب: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال ﷺ: « لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى » [4] .

* وكان أبو لبابة رضي الله عنه حليفا ليهود بني قريظة، ولما طلبوه للاستشارة، رق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، يقول

–

(1) هود/52.

(2) الزمر/53-54.

(3) رواه مسلم في: (باب من اعترف على نفسه)، رقم: 1696،ج3، ص13.

(4) ذكر الحديث بطوله الإمام النووي في رياض الصالحين، قدم له وراجعه: حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دط.دت)، رقم: 10، ص14، 15، وأخرجه مسلم في: (باب قبول توبة القاتل)، رقم: 2766، ج4، ص 2118.

إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ، حتى أتى المسجد النبوي بالمدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدا. فمكث في مكانه ست ليال، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، ثم نزلت توبته على رسول الله ﷺ سحرا، وهو في بيت أم سلمة، فقامت على باب حجرتها، وقالت – وذاك قبل أن يضرب علينا الحجاب –: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس يطلقوه، فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله ﷺ ، فلما مر النبي ﷺ خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه [1].

ث/ الاستعاذة والدعاء [*]: ولما كان الدعاء مخ العبادة فقد وردت بشأنه آيات كثيرة حاثة ومعلمة،ومن أوائل ما نزل بشأنه في العهد المكي: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ ۝** ﴾ [2].

وتعتبر الاستعاذة من شر العين والسحر والنفس والشيطان وسائر المخلوقات من صميم الدعاء، وفيها نزلت سورتان كريمتان هما: (الفلق والناس).

وفي الحث على الدعاء والترغيب فيه نزلت آيات كثيرة منها قوله الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝** ﴾[3]. فجعل ربنا سبحانه وتعالى الاستنكاف عن الدعاء من الكبر الممقوت.

يقول محمد الغزالي: " وترى العبودية الخاشعة عندما تسمع لنوح عليه السلام بعد قرون من

---

(1) الرحيق، ص263. والحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: 13913، ج7 ،ص92.

(*) لا يكاد يبرح فؤادي شعور حميم بلذة (دعاء ختم القرآن الكريم) من النسخة المعتمدة في رسالتي هذه، فقد كنت في زمن الطفولة أترنم به كلما فرغت من ختم القرآن، وكان والدي رحمه الله يحثني على الدعاء لجدّي رحمه الله كلما دعوت به.

(2) الفاتحة/06-07.

(3) غافر/60.

الدعوة يغلب على أمره، ويكاد ينهزم أمام الأمة التي عجز عن هدايتها فيقول: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [1] ".

وقبل ذلك قال: " وقد تتبعت أولي العزم من الرسل، وتتبعت أهل التقوى من الصالحين فوجدت أن جميعهم يتعلق بالله ويلجأ إليه كلما حزبه أمر، وكلما أحاطت به أزمة، انظر إلى موسى بعد أن قتل الرجل الذي كان يعادي شيعته، ويخاصم قومه، ويشارك الفراعنة في إيقاع النكال بهم، جاءه من ينذره بأن يخرج: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2]. ولما ورد ماء مدين (..) وجد نسوة تستقي فسقى للنسوة، ثم أوى إلى الظل وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3]. دعوة كلها رقة، وكلها حنان وتأدب. طبيعة العباد كلهم، الكبير والصغير والصحيح والمريض..طبيعة العباد كلهم أنهم عبيد عند المولى الكبير، وكما جاء في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ » [4]. العبادة لله أساسها أن أكثر من الصلاة له ومن دعائه"[5].

---

(1) القمر/10-12.

(2) القصص20-21.

(3) القصص/24.

(4) الجمع بين الصحيحين، رقم: 375، ج1، ص157.

(5) حديث الاثنين للشيخ محمد الغزالي التي سجلها للإذاعة والتلفزيون الجزائري، إعداد: الأستاذ عبد القادر نور، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، ط1، 2011م، ص64، 65.

إن الله تعالى أقرب إلى الإنسان من نفسه، فلم لا يلهج بقلبه داعيا، أو يرفع يديه متضرعا بلسانه؟ فحينها سيجد مولاه حنانا منانا رحمانا، قد قبل دعاءه، وزكى أوبته: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1].

ومن مأثور الدعاء في القرآن الكريم، اخترنا هذه النماذج المباركة:

*** في العهد المكي:**

- ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[2].

*** في العهد المدني:**

- ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3].

- ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[4].

---

(1) البقرة/186.

(2) غافر/07-09.

(3) البقرة/201.

(4) الحشر/10.

ج/ الدعاء من أسباب النصر: قد رأينا أن الدعاء هو مخ العبادة، فليس هناك أعظم –مما يتعبد به– من الدعاء. والفرد والجماعة، بل والقادة والجيوش، مهما بلغت قوتهم واشتد بأسهم فهم إلى الله أحوج وأفقر وأذل، والتاريخ يحدثنا عن انتصارات ومواقف عجيبة كانت فيها كفتا الميزان بين الخصوم غير متراجحتين، لا من حيث العدة ولا من حيث العدد، ومع ذلك رجحت كفة أهل الدعاء والإيمان، وفيما يلي نماذج حية، وقعت في حياة المسلمين الأولين، شرحت هذا المعنى الذي نحن بصدده:

– لما احتدم القتال في موقعة الخندق، وبلغت القلوب الحناجر، لهج المقاتلون بالدعاء: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا". ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب، فقال: « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ » [1]. وقد سمع الله دعاء رسوله والمسلمين، فبعد أن دبّتِ الفرقة في صفوف المشركين –بدهاء نعيم بن مسعود–، وسرى بينهم التخاذل، أرسل الله عليهم جندا من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدرا إلا كفأتها، ولا طنبا إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وأرسل جندا من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف [2].

– ودعا رسول الله ﷺ دعوة خاصة لفتح حصن من حصون خيبر، كان الحباب بن المنذر قد حاصر فيه يهود ثلاثة أيام، فقال:«اللّهُمّ إنّك قَدْ عَرَفْت حَالَهُمْ وَأَنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوّةٌ وَأَنْ لَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِمْ إيّاهُ فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حُصُونِهَا عَنْهُمْ غِنَاءً وَأَكْثَرَهَا طَعَامًا وَوَدَكًا».فغدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ، وكان أفضل الحصون وأغناها. [3]

–

(1) رواه البيهقي في سننه الكبرى، عن عبد الله بن أبي أوفى، (باب كراهية تمني لقاء العدو)، رقم: 18929، ج9، ص152.

(2) الرحيق، ص267.

(3) السيرة النبوية لابن هشام، (ذكر المسير إلى خيبر)، ج4، ص303.

2- الطهارة الظاهرية:

بعد تشريع طهارة العقل والقلب بالقراءة والكتابة والذكر جاء تشريع طهارة البدن والثوب والمكان في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ﴾ [1].

وجاء تشريع الغسل حال الجنابة والوضوء لجواز مس المصحف الشريف: ﴿ لاَّ يَمَسُّهُۥٓ إِلاَّ ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ [2].

إن الله تبارك وتعالى يحب المتطهرين الذين ينأون عن الجماع حال الحيض والنفاس:

﴿ و يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ ﴾ [3].

الوضوء والغسل والتيمم [*]: شرع المولى تبارك وتعالى ثلاثة أنواع من الطهارة البدنية للجنب والمريض والمسافر ومنتقض الوضوء، فإن وجدوا الماء وجب الغسل والوضوء، وإن

---

[1] المدثر/04-05.

[2] الواقعة/82.

[3] البقرة/222.

[*] في سورة المائدة (الآية06)، بيان لفرائض الوضوء، وتشريع الغسل للجنب، والتأكيد على مشروعية التيمم للمريض والمسافر، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ ﴾.

عدموه جاز لهم التيمم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴿٤٣﴾ ﴾ [1].

وفي طهارة مكان الصلاة والطواف في الحج ،جاء الأمر الإلهي لسيدنا إبراهيم عليه السلام أن: ﴿ طَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2].

وفي هذا المضمار يقول الشيخ محمد الغزالي: " إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحا في ميزان الإسلام، محترم الجانب، إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب " [3].

ثانيا: مكانة المساجد وحرمتها

والمساجد في الإسلام أمكنة للتعبد والذكر، وفيها تتوطد أواصر المحبة والتآخي بين المؤمنين، ولذلك أولاها عناية خاصة، وحفظ لها حرمتها، فشرع التزين والتجمل عند ولوجها: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [4].

وعند تدبر النص الكريم نرى أن القرآن الكريم ربط بين الأخلاق:(التزين وعدم السرف

---

(1) النساء/43.

(2) الحج/26.

(3) خلق المسلم، مكتبة رحاب، الجزائر، ط15، 1408هـ/1987م، ص148.

(4) الأعراف/31.

في الطعام والشراب)، وبين العبادة المتمثلة في صلاة الجماعة في المساجد، تماما مثلما ربط النبي ﷺ قولا وعملا بين العبادة والأخلاق، فقد ورد في السنن أنه ﷺ كان من دعائه عند استفتاح الصلاة: « اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَقِنِي سِيِّئَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ » [1].

وفي شرعنا جاء النهي عن أكل ما فيه رائحة كريهة كالبصل والثوم في الصلوات الجامعة، لئلا يتأذى بها المصلون.

وإنما شرع السواك – عند قراءة القرآن وقبيل الصلاة– من باب التأكيد على ذلك فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: « السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » [2].

وإن المداومة على الصلوات في المساجد والبيوت على السواء مما يلجم شهوات النفس، ويربيها على خلق الرقابة والحياء من فعل المعاصي. قال تعالى: ﴿ **اتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [3].

قال القرطبي رحمه الله: " أخبر حكما منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل كل بدن المصلى فإذا دخل المصلي في محرابه، وخشع وأخبت لربه، وادّكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى،

---

[1] رواه الدارقطني في سننه، (باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير)، رقم: 1139، ج2، ص58.

[2] رواه البخاري في صحيحه، (باب سواك الرطب)، بدون سند، ج2، ص 40.

[3] العنكبوت/ 45.

وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة، فهذا معنى هذه الأخبار، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون(..). وروي عن بعض السلف: أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكُلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك؟ فهذه صلاة تنهى – ولا بد – عن الفحشاء والمنكر " [1].

ومن التطبيق العملي لهذه الآية ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي ﷺ ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه، فذكر للنبي ﷺ، فقال: « إِنَّ الصَّلَاةَ سَتَنْهَاهُ ». فلم يلبث أن تاب، وصلحت حاله، فقال ﷺ : «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ » [2].

وقد تعجب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن يصلي بالجسد دون الروح، فقال – وهو على المنبر –: " إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة. قيل:وكيف ذلك؟ قال: لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه وإقباله على الله فيها " [3].

وإن أمر الصلاة لعظيم، وإن شأنها لكبير. تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لا يعرفنا، ولا نعرفه " [4].

والصلاة نعم المعين على أزمات الحياة وشدائدها، سيما في هذا العصر الذي نعيشه، فقد كثرت فيه العقد النفسية، والضغوط العملية، والأعباء الأسرية، والمشاكل الاجتماعية

–

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص348.

(2) التفسير المنير، ج20، ص250.

(3) المستطرف، ص12.

(4) المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض،(د.ط)، 1415هـ/1995م، ج1، ص105.

وغيرها..، ولا مفر إلا إلى الصلاة، فنعم الزاد والسلاح والدواء هي. ولقد كان رسول الله ﷺ – وهو من هو في كمال الإيمان واليقين – " إذا حزبه أمر ، فزع إلى الصّلاة "[1]، وكان يقول لبلال: « أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ » [2].

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: " يا داود كذب من ادعى محبتي، وإذا جن عليه الليل نام عني، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه؟ ".

ولعبد الله بن المبارك [3] رحمه الله في هذا المقام:

إِذَا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كَابَــدُوه فيُسْفِرُ عَنْهُـمُ وَهُمُ رُكُـــوعُ

أَطَارَ الخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا وَأَهْلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ [4]

أما قيام الليل فأعظم الزاد، فقد جربه أهل الجهاد والدعوة. سئل صلاح الدين الأيوبي: بم انتصرت على الروم في فتح بيت المقدس؟ فقال: بقيام الليل. وكان رحمه الله إذا مر على خيمة لا يقوم أهلها الليل، أو لا يقومون لصلاة الفجر، قال –متأسفا –: من هذه تأتي الهزيمة.

وقد توعد رب العالمين أولئك الذين ينتهكون حرمة المساجد – مواضع الصلاة، فيمنعون الناس عن الصلاة فيها، أو يهدمونها على رؤوسهم ظلما وعدوانا:

–

(1) زاد المعاد، ج4، ص331.

(2) شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1408هـ/1987م، رقم: 5549،ج14، ص167.

(3) هو عبد الله بن واضح الحنظلي بالولاء، أبو عبد الرحمن (118-181هـ/736-797م): الحافظ، المجاهد، التاجر، أفنى عمره في الأسفار: حاجا ومجاهدا وتاجرا. كان من سكان خراسان، ومات بهيت(على الفرات)، منصرفا من غزو الروم. جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. له كتاب في (الجهاد)، وهو أول من صنف فيه، وكتاب في (الرقائق)، الأعلام، الزركلي، ج4، ص115.

(4) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1399،ج1،ص44.

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [1].

وفي سورة النور ثناء عطر على الذين يعمرون بيوت الله ماديا ببنائها وتشييدها أو معنويا بالصلاة وذكر الله ورفع الآذان فيها: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[2].

وإظهارا لعظمة الإسلام وفضل الصلاة، شرع الآذان تنبيها للغافل، وتذكيرا للناسي، وإيقاظا للنائم، ودعوة إلى الله تعالى، سيما إذا كان في بلاد غير المسلمين، وفي فضله يقول النبي ﷺ: « يَغْفِرُ اللهُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ » [3]،

ويقول: « لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4]،

---

(1) البقرة/114.

(2) النور/36-38.

(3) رواه أحمد في مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (مؤسسة قرطبة-القاهرة)، رقم: 6202، ج2، ص13.

(4) رواه البخاري في صحيحه، مراجعة وضبط وفهرسة: الشيخ محمد علي القطب و هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، (كتاب الأذان- بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالنِّدَاءِ)، رقم: 609، ج1، ص125. وفي كل ما سوف يرد من صحيح البخاري هو من هذه النسخة الثانية.

المسجد الحرام مهوى الأفئدة (*):

شاء المولى عز وجل أن يسوق عبده الصالح إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وزوجه هاجر إلى مكة المكرمة، حيث لا ماء ولا كلأ، ففتح الله عليه بالدعاء والاستغاثة والاستسقاء، ففجر لهم ماء زمزم، وساق لهم من يؤنسهم في وحشتهم، فعمرت الأرض، وكثر الزرع، وامتلأ الضرع، ورفعت قواعد البيت الحرام، وحينها دعا إبراهيم عليه السلام، أن تكون الكعبة مهوى أفئدة الموحدين في كل زمان ومن سائر الأوطان: ﴿ **رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ** ﴾ (1).

لقد عظم الله تبارك وتعالى بيته الحرام ،فجعل قبلة المسلمين إليه في أفضل عباداتهم، وهي الصلاة، قبلة واحدة للمسلمين، مهما اختلفت أوطانهم وجهاتهم الأربع: ﴿ **قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤** ﴾ (2).

ثم أكد على التوجه إلى القبلة في الصلوات الخمس، إظهارا لنعمة التوحيد، وإرساء لمعاني الوحدة بين المؤمنين في العالم، فقال عز وجل:﴿ **وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ**

(*) ينظر: فصل: (كيف كان بناء الكعبة؟)، ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة: عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، ج4، ص226-229.

(1) إبراهيم/37.

(2) البقرة/144.

خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [1].

وقد أخبر مولانا أن اليهود الذين غضبوا من تحويل القبلة، أنهم لن يتبعوا قبلة المسلمين عنادا واستكبارا، ولذا نهى الله نبيّه والمؤمنين عن إتباع أهوائهم، فهم قد جعلوا من موضوع القبلة شغبا على الله ورسوله، وليس حماسا لقبلتهم: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ إِتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [2].

ولما كان المسجد الحرام هو أفضل ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال، جعله الله تعالى موئلا للآمنين، ومقصدا للحجاج الميامين: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ إِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3].

وللدلالة على عظمة الكعبة المشرفة وقداستها أورد ابن كثير أن: " الكعبة بحيال البيت المعمور، بحيث إنه لو سقط لسقط عليها، وكذلك معابد السماوات السبع. كما قال بعض السلف: إن في كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء، وهو فيها كالكعبة لأهل

—

(1) البقرة/149-150.

(2) البقرة/145.

(3) آل عمران/96-97.

الأرض " [1].

وكان " أول من حدد حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بأمر من جبريل عليه السلام، ونصب عليه الحجارة، وبعد فتح مكة المكرمة بعث رسول الله ﷺ تميم بن أسد الخزاعي فجددها " [2].

ثالثا: الزكاة أساس التكافل الاجتماعي

يعتبر الإسلام المال مال الله، وما الإنسان المملوك لله إلا مستخلف فيه، ومسؤول عنه. ولما كانت سنة الله في الناس التفاوت في الأرزاق والمكاسب، فمنهم الفقير ومنهم الغني، فقد شرع القرآن فريضة الزكاة. ولها " معنيان لغوي: وهو النمو والزيادة، يقال زكا الزرع وزكا المال إذا كثر، وشرعي: وهو مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص إذا بلغ قدرا مخصوصا في وقت مخصوص يصرف في جهات مخصوصة، ووجه تسميته زكاة أن فاعلها يزكو بفعلها عند الله تعالى" [3].

وأما وجه الحكمة من تشريعها فهو حصول المعروف والتضامن بين الناس، ولئلا يطمع الفقير في مال الغني، فيحصل عليه بوسائل غير مشروعة نحو السرقة وما ينجر عنها من جرائم كالقتل وغيره، وللقضاء على الأخلاق الذميمة مثل الشح والحسد والبخل والطمع، وهي أخلاق من شأنها تقويض بنيان الحضارات، ونسف العلاقات الاجتماعية، التي ما جاء الإسلام إلا لتمتينها وتقويتها.

---

(1) قصص الأنبياء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، علق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه: أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م، ص133.

(2) أطلس السيرة النبوية، ص253.

(3) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، أبو الحسن المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ/1992م، ج1، ص593.

لقد انطوت الزكاة في الإسلام على" ضمانات عقدية، بحيث أنها عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، وقد ارتبط ذلك بمجموعة من النصوص تحذر العباد من منع أداء زكواتهم، مثل حديث الرسولﷺ: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1]"[2].

وفي هذا السياق جاءت الأوامر الإلهية، فكان أول ما نزل، قوله تعالى لرسوله، بعد أن ذكره بنعمه عليه، والمتمثلة في الرعاية والوعد الحسن في الدنيا والآخرة والإيواء والهداية والغنى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [3].

ونعى على الكافر المكذب بيوم الدين، فمن صفاته البخل وازدراء الفقراء: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [4].

والزكاة ركن ركين من قواعد الإسلام، وهي ومن حقوق الفقراء ونحوهم في أموال

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وفيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، (باب العقوبات)، رقم: 4019، ج2، ص1332.

(2) مقال بعنوان: (الزكاة من منظور اقتصادي)، عبد المجيد قدي، مجلة كلية أصول الدين للبحوث والدراسات الإسلامية،كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، س1، ع1، جمادى الثانية 1420هـ/سبتمبر1999م، ص152.

(3) الضحى/10.

(4) الماعون/03.

الأغنياء، ليست على سبيل المنحة والمنة: ﴿ وَالذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ ﴾ [1].

وفي أول السور المدنية جاء ذكر الزكاة مقرونا بالصلاة، وأن ما يقدمه المسلم من صدقات وزكوات محفوظ عند الله عز وجل، وسيجد أجره ومثوبته عند مولاه:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠ ﴾ [2]. للدلالة على عظمتها ومكانتها، فإذا كانت الصلاة علاقة مع الخالق، فالزكاة هي العلاقة مع المخلوق، وللعبادتين قداستهما، وقد جاء الحديث الشريف ليؤكد على الرحمة والحنو على الخلق أجمعين، فقال ﷺ: « الخَلقُ عِيَالُ الله ، وأحبُّ الخَلقِ إلى اللّهِ أنفعهُمْ لِعيَاله » [3]. وفي الوعيد على مانعيها بالنار ورد قوله ﷺ: « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » [4].

إن سورة التوبة تعلن الحرب على المنافقين، الذين اتخذوا من المال وسيلة للتعالي على المؤمنين، فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ وَالذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥ ﴾ [5].

---

[1] المعارج/24-25.

[2] البقرة/110.

[3] شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، ج6، ص42.

[4] رواه البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم، (كتاب الزكاة بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ)، رقم: 1417، ج2، ص 109.

[5] التوبة/34-35.

إن الإيمان والصدق مع الله تعالى شرط لقبول الأعمال، ولذلك نعى على أولئك المنافقين واعتبر فسقهم وكفرهم ورياءهم حائلا دون قبول نفقاتهم، بل جعل أموالهم وأولادهم نكالا عليهم في الدارين، فقال عز وجل: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1].

وبعد هذه النصوص الكريمة جاءت الآية الكريمة التي تحدد مصارف الزكاة،لأن النفوس المؤمنة غدت على استعداد تام للبذل والعطاء:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [2].

في غزوة تبوك استنفر القرآن الكريم المسلمين إلى الاستعداد التام للمواجهة مع الروم، وحثهم الله ورسوله ﷺ على بذل الصدقات، وإنفاق كرائم أموالهم في سبيل الله تعالى و"كان عثمان بن عفان قد جهز عيرا للشام، مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية، فتصدق بها ثم تصدق بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجره ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، ثم تصدق وتصدق، حتى بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير ، ومائة فرس سوى النقود.

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة،وجاء أبو بكر بماله كله،ولم يترك لأهله

---

(1) التوبة/53-55.

(2) التوبة/60.

إلا الله ورسوله – وكانت أربعة آلاف درهم –، وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقا من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مدا أو مدين لم يكن يستطيع غيرها، وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخل وقرط وخواتم " [1].

ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون : ﴿ **ٱلذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَالذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ آلِيمٌ ﴿٧٩﴾** ﴾ [2].

رابعا: الصوم مدرسة لتربية الضمير

يعد الصوم عبادة تسمو بالروح وتطهر البدن من فضلاته الضارة،وقد ورد في الكتاب أنه فرض على الأمم من قبلنا،وعد واحدا من أركان الإسلام الخمس،وهذا يكسبه فضلا وقيمة ،يحرص المسلم على تأديته وعدم التهاون فيه.

وهنا يرتب القرآن الكريم الجزاء الأخروي الحسن نظير أداء هذه الشعيرة الطيبة. " قال وكيع في قوله تعالى: ﴿ **كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيـَٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلاَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾** ﴾ [3]: إنها أيام الصوم، تركوا فيها الأكل والشرب " [4].

---

(1) الرحيق المختوم، ص371.

(2) التوبة/79.

(3) الحاقة/24.

(4) المستطرف، ص20.

*وجوبه: نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ اخَرَ وَعَلَى ٱلذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[1].

" وقد فهمها العلماء جميعا على أنها معنى التقوى، أما أنا فأولتها من الاتقاء، فبالصوم يتقي المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذي شريعته معدته، وألا يعامل الدنيا إلا بمواد هذه الشريعة، ويتقي المجتمع على إنسانيته وطبيعته مثل ذلك، فلا يكون إنسان مع إنسان كحمار مع إنسان: يبيعه القوة كلها بالقليل من العلف " [2].

لقد كان شهر رمضان من الشهور التي تقدرها العرب في الجاهلية، فكانوا يعتكفون فيه في غار حراء، ويعتزلون عبادة الأصنام، ولذا أكرم الله نبيه وأمته به، فجعله شهرا للصوم، وأنزل فيه أعظم كتاب في الوجود: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ اخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدِيكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [3].

وقد ورد في فضل صوم رمضان أحاديث كثيرة، تبين ما فيه من الجزاء العظيم، والثواب

---

(1) البقرة/183-184.

(2) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ضبطه: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط.ت)، ج2، ص71.

(3) البقرة/185.

الجزيل، ومنها ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[1]. وقال- عن أبي هريرة أيضا -: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » [2].

ومن عظيم شأنه أن رب العزة استأثر بثوابه والجزاء عليه، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال - مخبرا عن ربه عز وجل -: « قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » [3]، ويكفي رمضان عزا وبركة أن المسلمين خلال تاريخهم الطويل قد أحرزوا فيه انتصارات هائلة وفتوحا للإسلام عظيمة، ومن أعظمها شهرة وذكرا غزوة بدر الكبرى في السابع عشرة منه، وفتح مكة في اليوم العشرين منه.

خامسا: النذور والكفارات

تحتاج النفس إلى تربية وتعويد على فعل بعض الطاعات أو ترك بعض المنهيات،أو تكفيرا عن بعض المخالفات،فجاء تشريع النذر والكفارة،وقد مدح القرآن الكريم أولئك الذين

يوفون بنذورهم،ويكفرون عن سيئاتهم،فقال: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيراً** ۝٧ ﴾ [4]. وقال في موضع آخر، وفي مقام آخر من مقامات النسك والتبتل: ﴿ **ثُمَّ لِيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ** ۝٢٩ ﴾ [5].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، (باب فضل شهر رمضان)، رقم: 1079، ج2، ص 758.

(2) رواه البخاري في صحيحه،(كتاب الصوم- بَابُ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً)، رقم: 1901، ج3، ص26.

(3) رواه مسلم في باب فضل الصيام، عن أبي هريرة، رقم: 1151، ج2، ص807.

(4) الإنسان/07.

(5) الحج/29.

وتنفيذا لهذه الشعيرة، فقد كفّر عمر بن الخطاب عن ذنبه في صلح الحديبية ، حين لم يرض بالهدنة، وراح يقول – غضبا لدينه –: كيف نقبل الدنية في ديننا؟ فلما نزلت سورة الفتح، وأدرك أنه أخطأ، راح يكفر عن ذلك بمزيد من نفل الصلاة والصدقة وعتق الرقاب، قال رضي الله عنه: " ما زلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا " [1].

سادسا: الحج مؤتمر جامع

يحرص الإسلام أشد الحرص على توحيد الأمة على عمل الخير وخير العمل، ولذلك الغرض فهو يهتبل كل فرصة جامعة ليؤكد على تلك القيم، ومن ذلك الحج والجمعة والجماعة ورمضان والقرآن...وأعداء الإسلام في كل زمان ومكان يدركون ما لهذه الوحدة من خطر على مخططاتهم، فهم يدأبون بالليل والنهار على تقويض كل ما يجمع المسلمين ويقوي لحمتهم [2]. والحج مؤتمر عالمي، يجتمع فيه المسلمون من سائر أقطار العالم، على اختلاف لهجاتهم وأعراقهم، فيتعارفون بينهم، ويتدارسون فيه شؤونهم وأحوالهم الدينية والدنيوية: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾** ﴾ [3].

منذ أن سمع المسلمون هذا النداء العلوي الجليل، تدافعوا إلى بيت الله الحرام يحجون

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3310.

[2] ينظر: الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها، أنور الجندي، محاضرات أعلام الفكر الإسلامي، ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرون، منشورات المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر، ج3، ص09، 10. وينظر أيضا: المغرب العربي في نطاق وحدة الثقافة الإسلامية، عبد المجيد النجار، (التاريخ والمصير)، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ع2، ذو الحجة1413 هـ/جوان1993م، ص53 وما بعدها.

[3] الحج/27-28.

ويعتمرون، وقد يعدون بالملايين. وزيادة في الترغيب فيهما جاء حديث النبي ﷺ: « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » [1].

وفي الحث على العمرة قال ﷺ: « عمْرَة فِي رَمَضَانَ تَعْدِل حجَّة مَعِي » [2].

و" لتكن سياحتنا إلى البيت العتيق ومسجد النبي ﷺ كلما سنحت ظروفنا وتيسر حالنا،

قال ﷺ: « تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ » [3]" [4].

* **النحر**: من المناسك العظيمة في دين الله عز وجل، ويتعين في موسم الحج خاصة، لما فيه من إظهار لعظمة الله تعالى، وتقديس لبيت الله الحرام، ومن أوائل ما نزل في النحر في الفترة المكية ، قوله تعالى: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ** ۝٢ ﴾ [5]. قال قتادة: هي صلاة الأضحى، وقال عطاء: وانحر البدن بمنى [6].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الحج بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُور) رقم: 1521، ج2، ص133.

(2) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط5،(د.ت)،رقم: 1118، ج2، ص6.

(3) رواه الترمذي في سننه ، عن عبد الله بن مسعود، (باب ثواب الحج والعمرة)، رقم: 810، ج3، ص166.

(4) الإيمان أولا (فكيف نبدأ به)، مجدي الهلالي، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص249.

(5) الكوثر/02.

(6) تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ /1990م، ج3، ص401، 402.

ثم نزل تفصيل ذلك في سورة الحج: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1].

قال أبو بكر الوراق: " الحكمة في البدن وما ذكر الله من شعائره فيه وحصول الخيرية، هو تطهير بدنك من جميع البدع والمخالفات، وقتلها بسيوف الخوف والخشية، وأن تجعل التقوى شعارها، والرضا دثارها فإذا فعلت ذلك كان لك فيه أوائل الخيرات وهو أن يفتح لك السبيل إلى الله وإلى الخيرات، وينور قلبك بنور اليقين ويطهر سرك عن طلب كل شيء سوى الله"[2] .

ويربط مولانا بين منسك النحر وموضوع التقوى فيقول جل جلاله: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [3].

قال بعضهم: " التقوى ترك المخالفات أجمع. وقال سهل رحمه الله: من أراد التقوى فليترك الذنوب كلها وكل شيء يقع فيه خلل فيدخل عليه التقوى شاء أم أبى" [4] .

---

(1) الحج/36.

(2) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، 1421هـ/2001م، ج2، ص24.

(3) الحج/37.

(4) نفسه، ج1، ص139.

المطلب الرابع: أثر التربية بالقصص القرآني في توجيه السلوك الحضاري

تعتبر التربية بالقصص وسرد الأحداث الغابرة من أبلغ وسائل التربية، ولذلك وجدنا عشرات القصص في القرآن الكريم، إنما سيقت للعظة والعبرة والتسلية. والنواميس البشرية والكونية تتسم بالثبات والاطراد، فكلما توفرت الأسباب والدواعي لظاهرة ما- سواء كانت فردية أو جماعية- كلما تبعتها نتائجها، ومن ذلك زوال العمران بسبب الظلم، والمعيشة الضنك للذي يبتعد عن ذكر الله تعالى، والتاريخ القديم والقريب يؤكد هذه الحقائق.

والملاحظ في القصة القرآنية تركيزها أكثر على الظواهر الاجتماعية لما اتسمت به من البعد الحضاري الشامل، ولما انطوت عليه من قوانين وسنن ثابتة، في فلسفة الصراع بين قوى الحق والباطل [1].

والناظر في القصص القرآني يجد أنها شغلت مساحة كبيرة من السور والآيات الكريمة، فقد " جعل الله عز وجل ثلث القرآن قصصا، حتى يستقرئ المسلمون سنن الله عز وجل في الأقوام السابقين، وليعلموا حتما أن هذه السنن ثابتة، فيستطيعوا توقع الشيء قبل حدوثه، ومن ثم الاستفادة منه، ولا يأتي هذا إلا بتفكر عميق في كل قصة، ودراستها من كل زاوية"[2].

وقد تكرر حديث القرآن عن القصة الواحدة، مثل قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل، وليس المقصود مجرد التكرار والتوكيد -كما يظهر للوهلة الأولى -، " وإنما يأتي التكرار لمعان عميقة لا تتجلى إلا بالتدبر الكافي، والتأمل الواعي، إذ تشتبك بذلك التكرار

---

(1) ينظر: ترسيخ العقيدة بالقصص القرآني(سورة هود نموذجا)، أحمد رحماني، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1423هـ/2002م، ص124، وينظر أيضا: تفسير القرآن المرتب(منهج لليسر التربوي)، د.أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1399هـ/ 1979م، ص177 وما بعدها.

(2) من مقدمة كتاب قصة التتار من البداية إلى النهاية، راغب السرجاني، ص03.

أفكار، وتلتف حوله معان، التفاف الأغصان والفروع بشجرتها، وذلك إذا ارتبط التكرار بالمعنى الغزير العميق –كتكرار آية القبلة –، كلما أردت حصر المعاني فيها، تفتقت لك عن أخرى وراءها، وطالعتك بما لم ينكشف من قبل في الوهلة الأولى "[1].

"وليس الغرض من ذكر القصص في القرآن التسلية أو الترفيه عن النفس، وإنما الغرض العظة والعبرة(..)،وللقرآن الكريم في ذكر القصة أغراض عديدة وجليلة نوجزها فيما يلي:

أولا: إثبات الوحي والرسالة.

ثانيا: الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية.

ثالثا: بيان الغرض من دعوة الرسل.

رابعا: موقف الأمم من الأنبياء والرسل.

خامسا: الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان.

سادسا: النصر للرسل والهلاك للمكذبين.

سابعا: بيان قدرة الله تعالى على الخوارق.

ثامنا: عاقبة الخير والصلاح وعاقبة الشر والفساد.

هذه أهم أغراض القصة في القرآن،وهناك أغراض أخرى غير هذه الأغراض لا يمكن استقصاؤها "[2].

---

[1] ظاهرة التكرار في القرآن الكريم (أغراض وأسرار)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراة، إعداد الطالب: مصطفى شريقن، تحت إشراف: أ.د.عبد الكريم بكري، السنة الجامعية: 2009-2010م، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والآداب والفنون، جامعة وهران، ص326.

[2] النبوة والأنبياء، ص98.

وقد طلب الصحابة من الرسول أن يقص عليهم، قالوا: " يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزلت سورة يوسف " [1]. وفيها من العبر ما فيها، فقد تحدثت عن الغيرة والحسد بين الإخوة، والبلاء الذي أصاب يوسف وأباه يعقوب، بداية من الرمي في البئر، إلى السجن، إلى فتنة النساء، إلى الابتلاء بالجاه وسياسة الأمة ودعوتها إلى دين التوحيد، كما أنها نوهت بشأن صبر سيدنا يعقوب على محنة فقد أعز ولدين له: يوسف وبنيامين ..كل هذا كان يعتلج في قلوب الصحابة، فيتفاعلون مع أحداث القصص إيجابيا، فيأخذون منها الزاد، وينطلقون إلى ساحات الحياة بكل جد واجتهاد وصبر ومصابرة.

ومن أهم السور التي تناولت القصص: سورة البروج، التي تناولت قصة الصراع بين الحق الباطل، بين التوحيد والشرك، كما نوهت بشأن الصبر والثبات عند ملاقاة القتل والعذاب. وفي القصص عبر وعظات، وأحداث التاريخ تتشابه، وقديما قالوا: " ما أشبه الليلة بالبارحة ".

وقد أخبر القرآن أن العاقبة للمتقين،وجزاء الظالمين الهلاك وذهاب الريح: ﴿ **فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضىٰ مَثَلُ ٱلاَوَّلِينَ ۝** ﴾ [2] .

وقد حث القرآن على السير في الأرض والنظر فيمن سلف، ليحذروا المآل الذي آلوا إليه: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلاَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا** ﴾ [3].

والقرآن المكي أوفر حظا في إيراد القصص ،لحاجة الصحابة للتسلية والاعتبار، سيما

---

(1) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص153.

(2) الزخرف/08.

(3) محمد/10.

أنهم كانوا قلة قليلة مستضعفة، قد فشا فيم العذاب والحبس وحتى القتل. فهاهي سمية وزوجها ياسر يعذبان ثم يقتلان أمام مرأى ومسمع ابنهما عمار، وقد كان الرسول ﷺ يمر عليهم وهو يقول: « صَبْرًا آَلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الجَنَّةُ » [1]. وهاهو بلال توضع فوق صدره صخرة لا يطيق زحزحتها، وهو صابر ثابت يردد: أحد أحد، تحديا لأميّة الذي كان يرغمه على ذكر الآلهة المزعومة [2].وغير هؤلاء من الصحابة الكرام عليهم الرضوان، الذين كانوا يجدون في القصص القرآني والنبوي نعم الزاد والسلوى.

أولا: نماذج من القصص المكي

1- قصة أصحاب الأخدود:

مما قصه القرآن على المؤمنين قصة أصحاب البروج، أولئك الذين واجهوا آلة العذاب والقتل بالحريق، وما كانت جريرتهم سوى أنهم آمنوا بالله الواحد.

ويتفق المفسرون على أن قوما من المؤمنين أبوا الارتداد عن عقيدتهم، وآثروا الموت قتلا وحرقا في أخدود أعده لهم ملك ظالم، ويذكر بعض المفسرين والمؤرخين أن هذا الملك هو: (يوسف ذو نواس) من ملوك حمير، المتوفى سنة خمسمائة وأربعة وعشرون للميلاد، الذي كان متعصبا لليهودية، فاضطهد نصارى نجران، وخيرهم بين الحريق بالنار أو الخروج عن دينهم، فأبوا فحرقهم سنة خمسمائة وثلاثة وعشرون للميلاد، مما دفع نجاشي الحبشة النصراني للانتقام منهم.

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، رقم: 4035، ج4، ص266، فقه السيرة،ص103.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تحقيق : أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م،ج3، ص492.

بعد أن أمر الملك بشق الأخدود وأضرم فيها النيران، أمر زبانيته وجنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة، ويعرضون على النار، فمن لم يرجع عن دينه يلقوه فيها ففعلوا، « حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ يَا أُمَّاهُ اصْبِرِى فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1]"[2]. فقال تعالى وهو يقسم بما خلق، متهددا الطغاة الظالمين: ﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [3] .

ثم يتوعد أولئك الطغاة الذين لم يتوبوا بعذاب جهنم، ويعد المؤمنين الصابرين بالنعيم المقيم، فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ [4].

2- قصة السحرة مع فرعون:

ومن القصص القرآني ذلك الثبات العظيم الذي ثبته سحرة موسى أمام تهديد ووعيد فرعون لهم بالصلب والقتل، والذي حدث فعلا على أرض مصر، فما أثناهم ذلك عن دينهم ولا ألان لهم قناة، بل واجهوا مصيرهم المحتوم بالرضى والتسليم، فقال تعالى يسلي المؤمنين ويتوعد البغاة الظالمين:

---

(1) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، رقم: 3086، ج3، ص397.

(2) أطلس القرآن، ص149، 150.

(3) البروج/01-08.

(4) البروج/10-11.

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَاٰمَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ۝٧١ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَالذِي فَطَرَنَاۖ فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ ﴾ [1].

إن برد اليقين الذين امتن الله به عليهم، جعلهم يقفون هذا الموقف العظيم، وإنها لفرصة سانحة أن يعودوا إلى ربهم، ويتوبوا عن غيهم وضلالهم. حين ذلك يعدهم ربهم بالجنات العلى في دار المقامة، ويتوعد قتلتهم بالخلود في الجحيم: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦ ﴾ [2].

3- قصة يوسف مع إخوته:

أما قصة يوسف مع إخوته وعزيز مصر ففيها الاعتبار بضرورة الصبر على أذى الأقارب، فقد واجه الصحابة أذى قريش، وكانت لهم عشيرة وأرحام، فمنهم من أوذي من أمه، وآخر من عمه، وآخر من زوجه...وهكذا، وفي قصة يوسف الذي أوذي من طرف إخوته سلوى للصحابة، الذين هجرهم أهلوهم، بل وأوغلوا في عداوتهم ونفيهم.

---

(1) طه/70-72.

(2) طه/73-76.

" إن الله تعالى يقص فيها قصة حياة الإنسان أحسن القصص، إنها قطعة من الحياة بعروقها النابضة ومشاعرها المتأججة ونوازع الخير والشر فيها. إننا نرى فيها أنفسنا، ولكن نرى مع ذلك يد القدر ونحس أثرها فينا وفي أعمالنا. إننا نراها تخط في الحوادث مصيرنا وتبلغ بنا الغايات المقدرة. إنها تفتح أمامنا أفق القدر لنجعل إرادتنا من إرادة الله، منفذة لقضائه منسجمة مع غايات قدره التي هي الخير المحض، فنجمع بذلك بين الطاعة والإرادة والعمل والتفاؤل بالمستقبل. ذلك هو السبب الذي يجعل لسورة يوسف هوى في نفوسنا " [1].

أما حادثة الإغراء بالجاه والنساء والصبر على ذلك ولو بالدخول إلى السجن ففيه إعداد لجيل الصحابة، وكان أكثرهم شبابا، لئلا يغرهم متاع الدنيا، إن هم بلغوه يوما ما. فهاهو القرآن يقص على المؤمنين ما لاقاه سيدنا يوسف بعد محنة الإخوة، بلاء من نوع آخر، وفتنة لا يصبر على لأوائها إلا القليل، إنها فتنة النساء، المتمثلة في شهوتي البصر والفرج، التي بلغ من سعارها ولهيبها، أن امرأة العزيز طلبت سيدنا يوسف لممارسة الزنى، بعد أن أعدت لهذه الجريمة الأخلاقية كل الأسباب،ووفرت كل الاحتياطات اللازمة، من غلق للأبواب ومبالغة في التستر. ولكن الله كان لطيفا بنبيه فعصم وحفظ وسلم: ﴿ **وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [2].

ولما شاع خبر هذا الهيام الحرام، وتحدثت به نساء المدينة، حز ذلك في نفسها، فراحت تعد لهن مجلسا، تمتحنهنّ. ولما أقررن لها بجريرتها، وبررن موقفها، أصرت على مواصلة المخطط اللئيم، بل راحت تتهدد وتتوعد:

---

(1) دراسة أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط4، 1392هـ/1973م، ص80.

(2) يوسف/23.

﴿ قَالَ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]. فهل فت ذلك في عضد سيدنا العفيف الصبور يوسف، وهل لانت عريكته؟ كلا، لقد رضي بالسجن مقابل أن تزل قدمه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] . إن سيدنا يوسف عليه السلام رجل أمين، قد حفظ أمانتي: (التقوى والضمير)،كما شكر نعمتي: (الإكرام والإيواء).

ثانيا: نموذجان من القصص المدني

رغم أن الفترة المدنية كان حال الصحابة فيها أفضل،فقد تكونت لهم دولة لها سلطانها وهيبتها،إلا أنهم واجهوا تحديا من نوع آخر،فهؤلاء المنافقون يتربصون بهم الدوائر،وهؤلاء اليهود والنصارى (أهل الكتاب)أشد مكرا وأذى،فإن شبهاتهم وأكاذيبهم على الله وأنبيائه ربما أثرت على النفوس،التي لم تواجه مثل هذا التحدي في الفترة المكية.فجاءت قصص كثيرة وطويلة تفضح نفوس هؤلاء،وتدحض شبهاتهم، وتحذر من معتقدهم وسلوكهم.

1- قصة بني إسرائيل مع موسى:

ففي سورة البقرة قصة بني إسرائيل الذين خذلوا نبيهم موسى عليه السلام، فبعد أن نجاهم الله تعالى من فرعون وجنوده فأغرقهم في اليم، وتحرروا هم من كابوس الظلم، الذي ظل جاثما على صدورهم لعقود من السنين، هاهو نبيهم الكريم يذهب إلى ربه كي يأتيهم بالهدى والشريعة، فلما عاد إليهم بعد أربعين ليلة من لقاء ربه، فإذا به يفاجأ بهم قد عبدوا العجل، وخانوا العهد:

---

(1) يوسف/32.

(2) يوسف/33.

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [1].

2- قصة عيسى وأمه مريم:

وفي رده على فرية التثليث التي تفوه بها النصارى، قص الله تعالى في سورة آل عمران خبر عيسى عليه السلام، وبين أنه عبد لله، وأنه روحه وكلمته ألقاها إلى أمه مريم: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [2].

حين نزلت هذه الآيات والتي قبلها في سورة مريم المكية أسلم كثير من النصارى النزهاء، ومنهم الذين كانوا قبل نزول القرآن ممتعضين مما درسوه عن سيدنا عيسى عليه السلام، وكانوا يدركون وجه الحق في خلقه ومولده ورسالته، بل كانوا في شوق لمبعث النبي الخاتم محمد ﷺ، الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام، ولكن كثيرا من كهنة اليهود وأحبار النصارى دلسوا على الناس، وجحدوا الحق، ولا يزالون. ومن بين أولئك الذين أعلنوا شهادة الحق: النجاشي وكثير من أساقفته، الذين بكوا حين سمعوا شهادة القرآن في عيسى عليه السلام.

---

(1) البقرة/49-51.

(2) آل عمران/45-47.

الفصل الثالث:

مظاهر السّلوك الحضاري حسب ترتيب النزول

استهلال

المبحث الأول: مفهوم السّلوك الحضاري وعلاقته بالعقيدة

المبحث الثاني: مظاهر السّلوك الحضاري

الفصل الثالث: مظاهر السّلوك الحضاري حسب ترتيب النزول

استهلال:

الإسلام دين يراعي علاقة المسلم بربه وبغيره من بني البشر وسائر المخلوقات، حتى ولو كانت جمادا. ولذلك جاءت التوجيهات القرآنية ترسم معالم العلائق التي يجب أن تسود بين بني البشر، وبينهم وبين الكون الذين يأنسون بالعيش معه وفق السنن الربانية التي تحكم الجميع.

فالكلمة الطيبة، وحسن الجوار، ونظافة المحيط، والتواصل الإيجابي مع المخالفين، والإحسان للدواب، وغرس الأشجار، وإصلاح الطرقات، والاقتصاد في استغلال الماء والكهرباء،.. وغيرها من السلوكات تعد من بين العناصر الحضارية التي ينبغي أن تسود عالم الشهادة. وهنا يظهر العامل الإيماني في ضرورة أن تصدق النوايا وتصلح المقاصد حال الممارسة والنشاط، لكي تتحقق الغايات الكبرى في عالم الغيب، وعلى رأسها رضوان الله تعالى ونيل النعيم الأبدي في الجنة.

وقبل التفصيل في تلك العناصر الحضارية يحسن بنا أن نبين مفهوم السلوك الحضاري ومدى العلاقة التي تربطه بالعقيدة.

المبحث الأول: مفهوم السّلوك الحضاري وعلاقته بالعقيدة

المطلب الأول: مفهوم السّلوك الحضاري

أولا: معنى السّلوك

1- السّلوك لغة: مأخوذ من مادة سلك، والسلك مصدر سلك طريقا وسلك المكان يسلكه مسلكا، وسلكه: عبره، وسلك (بالفتح) مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلك، أي أدخلته فيه فدخل، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [1]. والمسلك: الطريق [2].

2- السّلوك اصطلاحا: يعرف السلوك الإنساني بأنه كل الأفعال والنشاطات التي تصدر من الفرد، سواء كانت ظاهرة أم غير ظاهرة، ويعرف بأنه كل نشاط يصدر عن الإنسان سواء كانت أفعالا يمكن ملاحظتها وقياسها،كالنشاطات الفسيولوجية أو الحركية أو نشاطات تنتج على نحو ملحوظ،كالتفكير والتذكر والوسواس وغيرها[3].

و" الأصل في السّلوك الإنساني أنه يهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو فكرية أو روحية، سواء أكان ذلك لصالح الفرد أو لصالح الجماعة، أو السلوك لتحقيق مطالب من هذه المطالب، إما أن يكون سلوكا خلقيا، وإما أن يكون سلوكا لا علاقة له بالأخلاق إيجابا وسلبا" [4].

---

(1) الشعراء/200.

(2) لسان العرب، (مادة: سلك)، ج10، ص442.

(3) السلوك الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)،رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالب: عماد محمد فارس أبوكرش، إشراف الدكتور:جمال محمود محمد الهويي،ص2، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة،1430هـ/2009م.

(4)الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ-1999م، ص13.

ثانيا: معنى الحضارة

1- الحضارة لغة: هي الإقامة في الحضر، والحضر خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار وعمران، بخلاف الباد في البادية فهو في تنقل دائم يبحث عن الكلأ والماء، لا يعرف القرار ولا العمران [1].

2- الحضارة اصطلاحا: فالحضارة هي عبارة عن مجموع المفاهيم، والقيم، والتصورات، والعقائد، والقوانين، والمبادئ، والعادات التي تشكل سلوكا معينا ومحددا عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم، والعيش، والحياة، والتعامل مع الآخرين [2].

وباعتبار التركيب فإن **السلوك الحضاري:** هو السلوك الذي يتفق مع القيم الأخلاقية العليا للإنسانية، وهو يعتمد على ركائز أساسية، منها احترام حرية وخصوصية الآخر، وهو بالتأكيد يرتبط بالحوار والتواصل الإيجابي مع الجميع.

ولما كان الإنسان هو محور الكون فإن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة [3].

---

(1) ينظر: لسان العرب، ج4، ص196، (مادة حضر).

(2) الصراع بين الحضارات حق واقع أم ادعاء كاذب، عبد المنعم مصطفى، موقع منبر التوحيد: ص1، تاريخ التحميل:2013/01/14، 16.47سا.

(3) العالمية ورسالة الحضارة والثقافة في فكر مالك بن نبي، عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط1، ربيع الأول 1426هـ/أفريل 2005م، ص26، ينظر: الفصل الرابع (الحضارة والأفكار)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، إشراف وتقديم: عمر مسقاوي، ترجمة: بسام بركة و أحمد شعبو، دار الوعي، الرويبة، الجزائر، ط11، 1433هـ/2012م، ص41 وما بعدها.

المطلب الثاني: علاقة العقيدة بالسلوك (الإيمان والعمل)

" إن الدين الإسلامي ليس بعقيدة فحسب، ولا هو مجموعة لعدد من الأعمال والطقوس الدينية ليس إلا، بل هو برنامج تفصيلي لحياة الإنسان الكاملة، ليست العقائد والعبادات ومبادئ الحياة العملية وضوابطها فيه أشياء مختلفة منفصلة بعضها عن بعض، بل تتلاحم هذه كلها فيه، وتؤلف مجموعة لا تقبل التجزئة، ويكون بين أجزائها كمثل الارتباط الذي يكون بين أعضاء الجسم الحي " [1].

وإن المتصفح لكتاب الله عز وجل من الفاتحة إلى الناس يجده كثير الحديث عن الإيمان والعمل، وهو دلالة على أن الإيمان وحده لا يكفي، كما أن العمل ولو كان صالحا لا ينفع صاحبه ما لم يكن مؤمنا الإيمان الحقيقي في التصور الإسلامي.

وفي السنة أحاديث كثيرة تقرن الإيمان بالسلوك، منها:

- عن أبي شريح، أن النبي ﷺ قال: « وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ». قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: « الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه » [2].

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قال: « لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» [3].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ (أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ) شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ،

---

(1) نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بيروت، (دط.دت)، ص316.

(2) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الأدب- بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ)، رقم: 6016، ج8، ص10.

(3) رواه مسلم في صحيحه،(باب بيان نقصان الإيمان)، رقم: 57، ج1، ص 76.

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » [1].

فشرائع الدين كلها محصورة بين العقيدة: (لا إله إلا الله)، والسلوك: (إماطة الأذى عن الطريق). "وفي كل مكان يتكلم فيه القرآن عن (الذين آمنوا) يقرن هذا الإيمان بالعمل..في عشرات الآيات يتكرر هذا التقارن والتلازم. وهو تكرار مقصود به أن يثبت تماما في الذهن أنه لا إيمان إلا بالعمل ومع العمل..وأن الأعمال هي التي تفصح عن دخائل القلوب، وهي التي تبرهن على فضيلة الفاضل وطاعة المطيع وإحسان المحسن. ولأن أول أمر في القرآن وفي الإسلام هو أمر صريح بالقراءة والتعلم، فلا يصح أن يدعي الإسلام جاهل لا يقرأ مهما صلى وصام وحمل المسابح وحوقل وبسمل ورتل.

والشرق العربي الآن بما هو فيه من جهل وكسل هو كافر – كفر عملي – بأوليات كتابه ودينه..فلا هو يقرأ ولا هو يتعلم ولا هو يعمل..وبدل العلم والعمل لا نرى حولنا إلا الجهل والكسل..بل إن العالم الغربي الأوروبي بما فيه من علم وعمل وفكر ونشاط دائب خلاق، هو أقرب لجوهر الإسلام وجوهر القرآن من هذا الشرق الكسول المتخاذل الغارق لأذنيه في الجهل المزري. علينا أن نفهم القرآن قبل أن ندعي أننا من أهل القرآن. والذين يمسحون كسلهم وجهلهم في عباءة التصوف ويقول الواحد منهم وقد أخلد إلى خلوة فارغة وتأمل خاو: أنا متصوف، ينسى أن الهجرة إلى الله عند المتصوف لا تكون إلا بالعلم والعمل، وأن المتصوف عليه أولا أن يطلب العلم، فإذا علم كان عليه أن يعمل بما علم، فإذا أصبح من ذوي الأعمال ارتقت به أعماله من حال إلى حال، فإذا دام له الحال وثابر على الأعمال انتقل من مقام إلى مقام، وهذه هي الدرجات التي يتسلق عليها الصوفي كادحا إلى الله: العلم والعمل والحال والمقام..والمتصوفون الأوائل كانوا مرابطين يحملون

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، (باب شعب الإيمان)، رقم: 35، ج1، ص63.

السلاح ويدافعون عن الأوطان، المصحف في يد، والسلاح في يد، والشمال الأفريقي يمتلئ بأضرحة هؤلاء المرابطين، حيث ماتوا في مرابطهم، بعد أن حاربوا لآخر طلقة، وآخر شهقة في صدورهم " [1].

ولبيان ذلك في القرآن الكريم – حسب ترتيب النزول – فإننا نسرد بعض النصوص القرآنية التي يرد فيها الإيمان مقرونا بالعمل:

1- قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [2].

2- قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ [3].

3- قوله جل وعلا: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾ [4].

4- وأحيانا يقدم العمل على الإيمان – ممثلا في صاحبه –، بصيغة فعل المضارع، خلافا لما سبق من النصوص، فقد جاء الإيمان أولا ثم العمل بصيغة فعل الماضي: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝١١٢ ﴾ [5].

---

(1) القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1973م، ص108-110، ينظر: ملامح التجديد في الفكر الصوفي، جمال أحمد بشير بادي، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، س6، ع22، خريف 1421هـ/2000م، ص163.

(2) العصر/01-03.

(3) البروج/11.

(4) الفرقان/70

(5) طه/112.

5- وفي النص التالي جاء ذكر جزاء السيئة أولا، ثم قدم العمل الصالح بصيغة الماضي، أما الإيمان فجاء وصفا لصاحبه بصيغة الجملة الاسمية: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ انثَىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [1].

6- ثم جاء ذكر الإيمان والعمل الصالح في مقابلة الذين يعملون السيئات: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2].

7- وجعل النفاق- وهو إظهار الإيمان والعمل الصالح وإخفاء التكذيب والكفر - والإيمان الصحيح على طرفي نقيض: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [3].

8- ويظل خطاب الإيمان مقرونا بالعمل الصالح ديدن القرآن مكيه ومدنيه، وهاهو في أول سورة مدنية يؤكد على ذلك، فيقول عز وجل: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [4].

9- وربما جاء ذكر الإيمان أولا ثم العمل الصالح ،بصيغة فعل المضارع، نحو قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُومِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَنُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[5].

---

(1) غافر/40.

(2) الجاثية/21.

(3) العنكبوت/11.

(4) البقرة/82.

(5) التغابن/09.

10- وقد امتزج ذكر التقوى بمسائل العقيدة والعبادات والتشريع والسلوك في كثير من آيات سورة البقرة، للدلالة على خطر التقوى، وأنها سبب لرضوان الله عز وجل، وكونها حلا لكل المشكلات، وضابطا لسائر السلوكيات:

* ففي شعيرة الصيام نزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1].

* وفي موضوع القصاص جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلاَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [2].

* وفي دفع الصائل وجهاد المعتدي ورد قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [3].

* وفي موضوع الطلاق قال تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾ [4].

* وقد جاءت آية البر –التي تشمل كثيرا من القيم التعبدية والخلقية– مشيرة إلى قيمة خلق التقوى في حياة المؤمنين: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَالْمَلَـٰٓئِكَةِ وَالْكِتَـٰبِ وَالنَّبِيِّـۧنَ

–

(1) البقرة/183.

(2) البقرة/179.

(3) البقرة/194.

(4) البقرة/241.

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

- **الكافر لا ينفعه عمله الصالح:** " إن الذين لا يؤمنون بالله ولا يرجون ثوابه ولا يخافون عقابه يعملون أعمالهم وهم لا يريدون بها وجه الله، ولا يبتغون بها رضاه، ولا يهمهم هل عملوا حلالا أم حراما، فهم بهذا لا يستحقون الثواب على العمل وإن كان صالحا، لأنهم كفار لم يقصدوا به أن ينالوا ثواب ربهم، ولا ابتغوا به رضا خالقهم.

والكافر معاقب على كفره وضلاله، لأنه لم يبحث عن دين الله، ولم يحاول الاستماع إلى البيان الإلهي الذي جاء به المرسلون، زيادة على ذلك فهو إذا سمع آيات الله تتلى عليه، اتخذها هزوا، لذلك فعمله مردود، وهو معاقب على كفره" [2]. قال تعالى في هذا المعنى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3]. وقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [4].

ولما كانت النار دركات، فإن الذين نفعوا الناس- من الكفار - بعلمهم أو بخدماتهم الاجتماعية، ليسوا كالمفسدين في الأرض، ولذلك هم في الدركات العليا من النار، أقل وأخف عذابا، والدليل ما ورد عنه ﷺ في حق عمه أبي طالب، الذي كان يشد عضده

---

(1) البقرة/177.

(2) كتاب التوحيد، الزنداني، ص12.

(3) الفرقان/23.

(4) إبراهيم/18.

ويحميه من أذى قريش، فعن عباس بن عبد المطلب، قال: يا رسول الله، هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: « نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» [1]. أما الدركة السفلى في أسفل النار فهي لأولئك المنافقين عقديا، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرَكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾ ﴾ [2].

- **أثر العقيدة في السّلوك:**

رأينا الارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل، أو العقيدة والسلوك، الذين يتناسبان طرديا، فكلما زاد منسوب الإيمان وقوي واشتد في قلب المؤمن، وظاهره على ذلك سعة العلم والفكر، كلما اندفع صاحبه إلى أتون الحياة ومعترك الأحداث: عاملا، بانيا، ساعيا إلى الخيرات، بل منافسا غيره فيها. أما الشوق إلى الله والحياة الأخرى فيحتاج المزيد من الزاد الروحي، لأنه يستدعي التضحية بالنفس والنفيس، وقد وجدنا المجتمع الإسلامي النبوي رائدا في هذه الرحاب الطاهرة: صدق العبادة وإخلاص العمل الصالح وتجريد الجهاد في سبيل الله تعالى. " ولا شك أن عامل الخوف من الجزاء، كعامل الرغبة فيه، ممن هو صاحب الأمر كله في الوجود، من البواعث على إنجاز العمل المتقن، والسلوك الحسن مع الآخرين " [3].

وإن التربية التي يوجهنا إليها القرآن والسنة الشريفة، إنما تنبني على مقومين أساسيين: (أحدها: ترسيخ العقيدة، وثانيها: تقويم السلوك)،مما يعمق الوعي، ويوقظ الضمير، وينمي

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، (باب شفاعة النبي ﷺ)، رقم209، ج1، ص194.

(2) النساء/145.

(3) تهافت الفكر المادي التاريخي(بين النظرية والتطبيق)،محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1973م، ص62.

المدارك والقدرات العامة والخاصة، التي تشكل شخصية الإنسان المتوازن والمكتمل، فيرتقي بحاضره، ويصنع مستقبله [1].

وقد اقترن وصف الإيمان بالسّلوك الاجتماعي في قوله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

" والمجتمع المؤمن مجتمع متعاون على البر والتقوى، يتناهى أفراده عن الإثم والعدوان، كل منهم يعمل ليفوز برضا ربه، يخشى أن يظلم أو يسرق أو يغش أو يقتل أو يخدع أو يزني أو يرشو أو يرتشي أو يكذب أو يحسد أو يغتاب أو يسيء إلى أحد، لأنه يخشى الله ويخاف من الوقوف بين يديه " [3].

هذا هو الإيمان الذي فهمه وطبقه الصحابة الكرام عليهم الرضوان وكل من تبعهم بإحسان، فعاشوا آمنين على دينهم وأعراضهم وممتلكاتهم، وساد العدل في أمرائهم، وأحبتهم الرعية، فتعاونت معهم على تقرير أسس الدولة، فانتظم الأمر، وكثر العمران، ورغب الكافر في الدخول إلى الإسلام.

وهاهو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه واحدا من أولئك الذين دفعهم تقواهم وخشيتهم الله عز وجل إلى العودة بالأمة إلى سابق مجدها، بعد أن ساد الفساد

---

[1] ينظر: التربية المتكاملة في المنظور القرآني، عبد القادر فضيل، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم، ص99.

[2] رواه مسلم في صحيحه، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، (باب تراحم المؤمنين)، رقم: 2586، ج4، ص 1999.

[3] كتاب التوحيد، ص18.

ربوع العالم الإسلامي آنئذ. إن ميزة هذا الرجل ليست في الزهادة والتقشف، فإن ذلك قد يشاركه فيه كثير من الناس، ولكن ميزته الكبرى والسمة التي اتسم بها، هو أن الدافع إلى كل ذلك هو إيمانه القوي بالآخرة، وخشية الله، والشوق إلى الجنة، فلم يعش هذه الحياة الزاهدة إلا خوفا من الله وشوقا إلى الجنة وإيثارا للآخرة على الدنيا،وإيمانا بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ** ﴾ [1]. وإيمانا بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾ [2].

إن هذه المدة التي كانت أشبه بفصل الربيع في عالم الدين والأخلاق وفي تاريخ الإنسانية، وكانت فلتة من فلتات الدهر لم تطل، جعلت من صاحبها معجزة من معجزات الإسلام، وآية من آيات الله العظام، في جلالة عمله وضخامة إنتاجه وبعد أثره، وكان معجزة لأن كل ذلك قد تم في مدة قصيرة، لم تعرف عن مصلح وعبقري وإداري، سنتان وبضعة أشهر يحقق فيها مالا تحققه الحكومات والمنظمات في عقود من السنين، ويغير اتجاه أمة ومجتمع بأسره، إن هاتين السنتين لترجحان على الأعمار الطويلة، وإن عصرنا الحالي، الذي تكالبت فيه الأمم على أمة الإسلام، فمزقت أراضيها، وطمع فيها القاصي والداني، بسب بعدها عن منهج الله تعالى، شعوبا وحكومات وأفرادا، لهي في أمس الحاجة إلى رجل من طراز عمر بن عبد العزيز، وقد خلت القرون والأجيال ولم يظهر مثله، ولا يزال التّاريخ منشدا :

حَلَفَ الزمانُ ليَأتِيَنَّ بمثلِهِ حَنِثَتْ يمينُك يا زمانُ فكَفِّرِ [3]

---

[1] القصص/60.

[2] العنكبوت/64.

[3] البيت للفقيه عمارة اليمني، وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار بولاق، مصر، ط2، 1972م، ج3، ص1511.

إن التقوى هي أساس كل قول وعمل" ومتى رأيت تكديرا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عجل انقباضه، وكان أبو علي الروذباري يقول: من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك، فتترك التوبة، توهما أنك تسامح في الهفوات " [1].

ومن جهة أخرى فإن الناظر إلى الواقع المعيش ليعتريه العجب، حين يرى هذا الانفصام النكد بين الأقوال والأفعال. يقول الدكتور مجدي الهلالي: " إن المشكلة الحقيقية التي يعاني منها المسلمون هي انفصال العلم عن العمل، فترى الواحد منا عالما بالحلال والحرام، والحقوق والواجبات، بل وبكثير من الفضائل والمستحبات، حافظا للعديد من النصوص والأحاديث النبوية، التي كثيرا ما يذكرها لغيره كلما سنحت الفرصة لذلك، فإذا ما نظرنا إلى واقعه، نجد أنه يختلف عما ينادي به، لأنه لم يروض نفسه ويعودها على ذلك، فالتربية تختلف عن التعليم، ولكن لا يكتسب شخص صفة ما إلا بممارستها فترة طويلة حتى تصير طبعا فيه " [2].

وفي بيان أثر العقيدة في سلوك المسلم يقول عبد المجيد الزنداني: " التوحيد يجعل قلوب الناس جميعا موحدة حول رب واحد وكتاب واحد ورسول واحد وقبلة واحدة، والإيمان يجعل الناس متحابين متآخين كما وصفهم الله بقوله: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ۝١٠ ﴾ [3]" [4].

---

(1) صيد الخاطر، عبد الرحمن بن الجوزي، ضبط وتحقيق محمد الغزالي، مكتبة رحاب، الجزائر، ص19.

(2) الإيمان أولا، ص46.

(3) الحجرات/10.

(4) التوحيد، ص18.

المبحث الثاني: مظاهر السّلوك الحضاري

من خلال ما سلف رأينا أن السلوك الحضاري يتعلق بكل نشاط الفرد والجماعة، في شتى أنشطة الحياة وميادينها، ولا يتسم بالحضارية ما لم يتوافق مع الفطرة، وينسجم مع التوجيهات الربانية، فالسلوك الحضاري الإسلامي يختلف عما سواه من السلوكيات الحضارية المادية، التي لا ترعى جانب الروح والدار الآخرة.

وقد رأيت أن أبرز تلك المظاهر الحضارية القرآنية من خلال جملة من القيم الهادية إلى عز وسعادة الدارين:

المطلب الأول: القيم الفكرية والثقافية

مر معنا أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان ثورة في عالم الفكر والعقل، بالدعوة إلى القراءة والكتابة، ومن خلال الدعوات المتكررة إلى التأمل في خلق الأحياء والسماوات والأرض، والسير في الأرض لأخذ العبرة ممن مضى، هذه الحركة الفكرية كانت أساس حضارة الإسلام فيما بعد، فقد انكب المسلمون على كتاب الله وسنة رسوله يدرسونهما ويتدبرونهما، وانفتحوا على علوم وثقافات غيرهم يأخذوا سمينها ويحذروا من غثها، فاصطبغت علوم الدين بعلوم الدنيا، مما بوأ المسلمين ريادة العالمين لقرون طويلة.

ومن العلوم ما لا يحصل إلا عن طرق الوحي، وهذا يحتاج إلى رسالة ورسول، مثل العلم بالغيب كالجنة والنار ومشاهد القيامة وغيرها، ومن العلوم ما تكتسب بالعقل والوحي معا. وهذا يحتاج إلى الحجة والبرهان والنظر والاستدلال [1].

---

[1] ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م،ج4، ص12.

أولا: تمجيد العلم والعلماء

"إن العلم وسيلة من وسائل الدين وحسبه شرفا أن الإسلام دعا إليه، ونوه به، وحض عليه، وأن العربية لسان الدين المترجم من حقائقه، وحسبها شرفا أن اختارها لغة لقرآنه"[1].

وفي الكتاب العزيز نصوص كثيرة تمجد العلم والعلماء، منها قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾** ﴾[2].

وقد شبه الله جل وعلا العالم بالبصير السميع، والجاهل بالأعمى والأصم، ونفى المساواة بينهما، فقال جل شأنه في سورة هود: ﴿ **مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾[3] [4].

وفي الكتاب العزيز نصوص أخرى تحث على التفكر واستخدام العقل للوصول إلى الحقائق الإيمانية والكونية، منها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾** ﴾[5].

---

[1] آثار محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ج4، ص123.

[2] فاطر/28.

[3] هود/24.

[4] ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الجيل، بيروت، (دط.دت)، ج1، ص105.

[5] سبأ/46.

وفي الحث على طلب العلم وسؤال العلماء يقول المنذري: " قد رأيت رسول الله ﷺ يحث المسلمين على التفقه في الدين- وهذا الخير نفسه -، والفقه تفهم مسائل الدين، من صلاة وصوم ومعاملة ونكاح، وعلوم الشريعة، وثمرته الزهد في الدنيا والورع، واجتناب الشبه، والإكثار من العمل الصالح والعبادة، والفقيه قدوة حسنة، ومثل كامل، وعنوان المكارم، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النحل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [1]" [2]. فهم كالمصابيح المضيئة في الليل الحالك.

إن علم الدين والدنيا سواء في الفضل، وقد عناهما الرسول ﷺ في كل أحاديثه الشريفة التي ترغب في طلب العلم، ومنها ما رواه عنه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » [3].

وفي بيان درجة العالم على العابد ورد قوله ﷺ: « فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ » [4].

وفي التأكيد على العلم قبل العمل، وعلى البدء بتعليم النفس أولا قبل الدعوة قال علي كرم الله وجهه: " من نصب نفسه للناس إماما، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه".

---

(1) النحل/43.

(2) الترغيب والترهيب، ج1، ص105.

(3) رواه أبو داود في سننه، (باب الحث على طلب العلم)، رقم: 3641، ج3، ص317.

(4) رواه الترمذي في سننه، عن أبي أمامة الباهلي، قال:" ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ"، فذكر الحديث، (بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ)، رقم: 2685، ج5، ص50.

وقد قيل:" مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من مؤدب الناس ومعلمهم " [1].

و في ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي:

يَا أَيُّهَا الرَّجُـــلُ المُعَلِّـــمُ غَيْرَهُ هَلاَّ لِنَفْسِكَ كانَ ذَا التّعْلِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّــهَـا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التّعْلِيــمُ

لاَ تَنْـه عَنْ خُلُقٍ وَتَأتــي مَثْلَــهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ [2]

وسناء العلم وجلاله إنما يحفظ بالتقوى، فإن عدمت بالمعاصي خبا نوره وذوى، شكا الإمام الشافعي إلى شيخه وكيع سوء حفظه، فقال له: استعن على الحفظ بترك المعاصي، فأنشأ يقول:

شَكَوتُ إلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي فَأَرشَدَني إلى تَركِ المَعاصي

وَأَخبَرَنـــي بِأَنَّ العِلمَ نـــورٌ وَنورُ اللَهِ لا يُهدى لِعــاصــي [3]

ولما كمل يقين سيدنا عمر بن الخطاب، وتطابق قوله مع فعله، صار الشيطان يتحاشاه وينفر منه، قال ﷺ له ذات يوم: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » [4].

وقد نعى الله تعالى على من يخالف قوله فعله في قوله الكريم: ﴿ **كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ** ﴿٣﴾ ﴾ [5]. ولم يكتف خطاب القرآن بتشريف العلم وأهله، بل جعل نشره وتبليغه إلى الناس من الفروض والواجبات، وتوعد كاتميه باللعنة وسوء المصير.

---

(1) المستطرف، ص37.

(2) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1، 1984، ج1، ص310.

(3) ديوان الإمام الشافعي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م، ص18.

(4) الجمع بين الصحيحين، رقم: 2672، ج3، ص224.

(5) الصف/03.

1- الحث على نشر العلم وعدم كتمانه: لا ينبغي لأمة أكرمها الله بخير الكتب، وأبلغها وأعجزها بيانا وعلما وتشريعا، أن تكتم ماحباها الله به من علوم دنيوية أو أخروية، بل قد شدد القرآن النكير على كتمة العلم، واعتبرهم ملعونين مطرودين من رحمة الله تعالى: ﴿**إِن ٱلذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠**﴾ [1].

لقد عبر أبو هريرة رضي الله عنه عن خوفه من وعيد هاتين الآيتين، فكانتا سببا لطلب الحديث ونشره. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا. ثم يتلو: ﴿**إِن ٱلذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ**﴾ إلى قوله: ﴿ **ٱلرَّحِيمُ** ﴾:إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق.وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أحوالهم.وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ يشبع بطنه. ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون" [2].

إن مقولة أبي هريرة لتعبق بأريج التواضع، حين يرفع من ذكر المهاجرين والأنصار، وينعت نفسه بأنه بطال، يشبع بطنه، ولكن من يستبطن حاله يجد أنه رجل قد قام على ثغرة ربما لو اجتمع لها كثير من الصحابة لما أحسنوا أداءها، تلك هي ثغرة العلم، وذلك هو الرباط.

فعلى أمة الإسلام أن تعرف للعلم منزلته، وللعلماء فضلهم، وإلا نالتها لعنة السماء، واستباح بيضتها الأعداء.

---

[1] البقرة/159-160.

[2] رواه البخاري في صحيحه عن الأعرج، (كتاب العلم- باب حفظ العلم)، رقم: 118، ج1، ص35.

وفي الإشارة إلى نعمة العلم والبيان تصدرت به سورة الرحمن في قوله عز وجل: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [1].

وكان الصحابة الكرام أول من سن سنة الرحلة في طلب العلم، فقد ساحوا في أرض الله، وجابوا الفيافي والصحارى يبلغون كلمة الله للعالمين، فاقتدى بهم من جاء بعدهم فجمعوا العلم وحفظوا السنة، وكتبوا عشرات الكتب في شتى الفنون.

ومن الآفات التي ينبغي التنبيه لها في هذا المقام :الجهل، وأخطر منه عدم العمل بالعلم، قال أبو الدرداء: " ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات".

وقال بعض الحكماء: " لولا العقل لم يكن علم، ولولا العلم لم يكن عمل، ولأن أدع الحق جهلا به خير من أدعه زهدا فيه " [2].

2- **تحريم الجدال بغير علم:** ومما يزري بالعلم والعلماء الخوض فيما لا يعني، والجدل العقيم الذي ربما أفضى إلى التخاصم والتشاحن، سيما مع قوم لهم علم بالكتاب ولكنهم يلوون النصوص ويحرفونها ويبغونها عوجا، وهم أهل الكتاب، فجاء التحذير القرآني: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥ ﴾ [3]. و: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4]،وفي السنة ضمان منه ﷺ بالدخول إلى الجنة لمن ترك المراء والجدل،

---

[1] الرحمن/01-04.

[2] جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت)، ج2، ص4.

[3] النحل/125.

[4] العنكبوت/46.

ولو كان محقا. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ » [1].

ثانيا: الفنون

نوه القرآن الكريم بشأن الثقافة والفنون، بل دعا إلى احترافها وإتقانها، شريطة أن توافق مبادئ الدين وتوافق الذوق الفطري السليم، فلا تنحت الصور العارية – مثلا –، كما كان الشأن عند قدماء اليونان والرومان، ولا ترسم رسوما أو تعرض أفلاما تسيء إلى الإنسانية ناهيك عن رموزها وشخصياتها.

وفي القرآن الكريم أمر للنبي داود عليه السلام بإلانة الحديد والاستفادة منه في صنع الدروع وغيرها، قال تعالى: ﴿ **أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ** ﴿١١﴾ ﴾ [2]. وللصوت الحسن أثر في النفس:(الترتيل والأناشيد والموسيقى)، ولذلك أوتي سيدنا داوود عليه السلام مزمارا في حلقه،والفطرة تنجذب لمستحسنات الصور، وتتفاعل مع ما يدخل السرور في النفس: (الأفلام والمسرح)..وغير ذلك[3].

ثالثا: التقويم والحساب

اعتنى الكتاب العزيز بعلم الحساب والتقويم، ومما نزل بشأنهما:قوله تعالى – على لسان نبيه

---

(1) رواه أبو داود في سننه، (باب في حسن الخلق)، رقم: 4800، ج4، ص253.

(2) سبأ/11.

(3) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، ج3، ص123، يستفاد في موضوع: (الفن في الإسلام)، من الملتقى الدولي الذي عقد بخصوصه في جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة عام1991م.

يوسف عليه السلام –: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [1].

قال السيوطي في تفسيرها: "حفيظ للحساب، عليم بالألسن " [2].

كما ظهر اهتمام القرآن بالعد والحساب من خلال ذكره مقدار اليوم عند الله:

﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾ [3].

وظهر أيضا من خلال ذكره عدة شهور السنة القمرية ليلتزم المسلمون بها في شعائرهم وشرائعهم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ۝٣٦ ﴾ [4].

المطلب الثاني: القيم الخلقية

الأخلاق جمع خلق، وهو الأدب وطبيعة السلوك الذي ينبغي أن يتعامل به الإنسان عموما والمسلم خصوصا مع خالقه ومع نفسه ومع غيره من المخلوقات. ولقد كان النبي ﷺ – قبل بعثته وبعدها – يتعامل مع كل الناس بأمانة وصدق وإنسانية، حتى لقبه أهل مكة بالصادق الأمين، ولذلك كانوا لا يثقون في أنفسهم بقدر ما يثقون في أمانته ، فكانوا يستودعونه أغلى ما يملكون، واستمر ذلك حتى في أحرج المواقف، ففي ليلة هجرته كلف عليا بن أبي طالب بإرجاع الودائع إلى أصحابها من الكفار، وهم يترصدون قتله [5].

---

[1] يوسف/55.

[2] الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ، ج4، ص552.

[3] المعارج/04.

[4] التوبة/36.

[5] تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ/ 1952م، ج1، ص149.

إن الأخلاق الفاضلة لمما يقوي النسيج الاجتماعي، وينشر قيم السلم والأمان والمودة بين الناس. قال ﷺ – وهو يأمر بحسن المعاملة وطيب الأخلاق، وينهى عن مساوئها –: « مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ»[1].

إن صاحب الأخلاق الحسنة ليبلغ درجات عظيمة في سلم العبادات والمعاملات، حتى لكأنه ملك كريم، أو عابد زاهد، ففي الحديث: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» [2].

وإن المتصف بالخلق الحسن – يوم القيامة – ليرتقي إلى درجة القرب من مجلس أعظم مخلوق محمد ﷺ، كما أن سيء الخلق يغدو أبعد منه مجلسا يوم القيامة.

أخرج الترمذي بسنده عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المُتَكَبِّرُونَ» [3].

وإن الناظر في الآيات والسور القرآنية المكية والمدنية على السواء ليجد أنها تؤكد على معاني الإخلاص والصدق في التعامل مع الخالق والمخلوق على السواء، فعلاقة العقيدة بالأخلاق قوية ورصينة، وكلما قوي الإيمان في القلب، كلما انطلقت الجوارح تنفذ أوامره الخيرة، مسقيمة على هدي الشرع الحنيف.

وقد وجدنا هذا التوجيه الكريم في أول الآيات نزولا، ففي سورة العلق توجيه للمسلم

–

(1) رواه الترمذي في سننه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، (باب ما جاء في حسن الخلق)، رقم: 2002، ج4، ص 362.

(2) رواه أبو داود في سننه، عن عائشة رضي الله عنها، (باب حسن الخلق)،رقم: 4798، ج4، ص252.

(3) السنن، (باب ما جاء في معالي الأخلاق)، رقم: 2018، ج4، ص370.

أن يطلب العلم باسم الله ولوجه الله، فهو الخالق المعلم الأكرم، الذي ينبغي أن يكون طلب العلم منه وإليه، ولا يكون طلبا للجاه أو الاستعلاء على البشر أو لنشر الفساد في الأرض.

وفي السورة الكريمة ذاتها تقريع للطغيان والطغاة، الذين غرهم ما هم فيه من الغنى والجاه، فراحوا يستذلون المستضعفين، فيمنعونهم من أداء شعائرهم التعبدية. والظلم خلق ذميم، ولذا كان أول ما نهى الله عنه في هذه السورة الكريمة: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝﴾ [1].

وفي السورة التي تليها في النزول: سورة القلم، تنويه جليل بأخلاق النبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝ ﴾ [2]. وقد عبر عن ذلك بقوله: « أَدَّبَنِي رَبِّي فأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » [3].

وفي النصين الشريفين إشارة إلى ضرورة أن يقتدي كل إنسان — فضلا عن المسلم – بأخلاق هذا الإنسان العظيم.

وفيها– أي سورة القلم– ذكر لطائفة من الأخلاق الذميمة التي يجب أن يتنزه عنها، كالكذب والمداهنة والحلف الكاذب وغيرها من الأخلاق الذميمة التي جاء ذكرها فيما يلي: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ

–

(1) العلق/06-10.

(2) القلم/04.

(3) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص327. قال الشوكاني فيه: " لا يعرف له إسناد ثابت ".

بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ آثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [1].

ولما كان الصبر من أعظم الأخلاق أمر الله به رسوله وكل من اتبعه أن يتخلقوا به، فقال تعالى في سورة المزمل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[2].

وفي سورة المدثر جملة من السجايا، كتطهير الثوب، والنأي عن النجاسات، وعدم المن، والتحلي بالصبر الجميل: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [3].

وإن أسوأ الأخلاق التي تزرع العداوة بين الناس- بل ورأيناه حتى بين العلماء والصالحين للأسف الشديد -: الحسد، ولذلك جاء ذكره في معرض الذم والاستعاذة من شر صاحبه في قوله عز وجل: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[4].. وهكذا فقد نزلت آيات كريمة كثيرة تدعو إلى محاسن الأخلاق، وتمدح المتخلقين بها، كما تنهى عن مساوئها، وتذم المتلبسين بها.

وفيما يلي منتخبات من تلكم الأخلاق القرآنية، التي وجب على المسلم الالتزام بها-تنفيذا وتركا -، وهي في الكتاب العزيز كثيرة ومتنوعة، ولذلك اقتصرنا على بعضها. من باب أن الالتزام بها يعين على غيرها وعلى أضدادها، فمن اتصف بالتواضع – مثلا – سهل عليه الحلم والعفو، ولم تطاوعه نفسه على الكبر والبغي، وهكذا..

-

(1) القلم/08-13.

(2) المزمل/10.

(3) المدثر/04-07.

(4) الفلق/05.

أولا: الأخلاق الحميدة

وقد ورد في السنة ما للخلق الحسن من فضل عظيم، نذكر من بينها قوله ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » [1] ،كما ورد فيها أن أبغض الخلق إلى الله من تركه الناس لسلاطة لسانه، وسوء منطقه. قال ﷺ: « إِنَّ أَثْقَلَ مَا وُضِعَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ خُلُقٌ حَسَنٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ » [2].

ومن الأحاديث الشريفة ما يجعل العلاقة وطيدة بين الإيمان والأخلاق، أو العقيدة والسلوك، أو السريرة والسيرة، منها قوله ﷺ: « أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » [3].

فكما أن الإيمان هو علاقة المؤمن بربه، فإن الأخلاق هي جسر العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن خصوصا، وبينه وبين غيره من المخلوقات عموما.

وفي بيان ما لعلاقة القلب: (مقر العقيدة) بالجوارح: (أدوات السلوك) يقول الدكتور مجدي الهلالي: " فالأمر لا يقتصر على وجود الفكرة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى تحويل الفكرة إلى إيمان في سلوك الإنسان(..) فالأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء، لتصير طبعا انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح " [4].

---

(1) رواه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 8939، ج2، ص381.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، (باب الاستماع المكروه وسوء الظن)، رقم: 5693، ج12، ص506.

(3) رواه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة رضي الله عنه،(باب ما جاء في حق المرأة على زوجها)، رقم: 1162، ج3، ص458.

(4) الإيمان أولا، ص45.

ومن محاسن السجايا التي نوه القرآن بشأنها:

1- التواضع: وضده الكبر والاستعلاء والعجب والغرور وتصعير الوجه. وفي سورة لقمان جملة من السجايا الحميدة التي يعظ بها لقمان الحكيم ولده، ومنها خلق التواضع: ﴿ **يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ۝١٩** ﴾ [1].

وهاهو عمر بن الخطاب وهو خليفة المسلمين يعطينا درسا في التواضع، فقد أخرج الحاكم بسنده عن طارق بن شهاب قال: " خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له، فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوه، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد ﷺ. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " [2].

ومما حفظه لنا التأريخ الإسلامي المجيد أن محرر بيت المقدس القائد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله قد شارك المسلمين في بناء سور القدس، وحفر خندقه، وكان ينقل الحجارة على عاتقه، فكان يتأسى به الوزراء والقضاة والكتاب [3].

---

(1) لقمان/17-19.

(2) رواه الحاكم في مستدركه، عن طارق بن شهاب، رقم: 207، ج1، ص130.

(3) ينظر: الحرب النفسية من منظور إسلامي، أحمد نوفل، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987م، ج2، ص181.

2- الصّدق: وهذا من أعظم الشيم، ولذلك استحق صاحبه درجتي التقوى والإحسان: ﴿ وَالذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1].

3- العفو والتّسامح: ليس الكبير والقوي من الناس من يصرع غيره، وينتقم حال الظفر بخصمه، وإنما هو من عناه رسول الله ﷺ بقوله الكريم: « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ » [2].

وقد بشر صحابيا من أصحابه وهو الأشج العصري رضي الله عنه بحب الله ورسوله لخلتين كريمتين فيه: « إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ » [3].

وفي ذلك يقول تعالى-مادحا-: ﴿وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [4]. ويقول: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[5].

وذهب الحديث الشريف إلى أن التسامح عنوان الدين وركيزته: « أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ » [6].

---

(1) الزمر/33-34.

(2) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الأدب- باب الحذر من الغضب)، رقم: 6114، ج8، ص28.

(3) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، (باب الأمر بالإيمان بالله)، رقم: 18، ج1، ص48.

(4) الشورى/37.

(5) الشورى/43.

(6) رواه البخاري في صحيحه،(كتاب الإيمان-باب الدين يسر)، ج1، ص16.

وفي باب المعاملات المالية والقانونية يظهر ثواب هذا الخلق العظيم، فيدعو النبي ﷺ لمن اتصف به في قوله: « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى » [1].

وهاهنا عبارة لطيفة لابن الجوزي ينصح فيها بأدب المعاملة مع الخصم الحسود فيقول: "من البله أن تبادر عدوا أو حسودا بالمخاصمة، وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما، إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب(..)، ومن أعظم العقوبة له العفو عنه لله، وإن بالغ في السب فبالغ في الصفح تنب عنك العوام في شتمه، ويحمدك العلماء على حلمك، وما تؤذيه به من ذلك، وتورثه به الكمد ظاهرا، وغيره في الباطن أضعاف، وخير مما تؤذيه به من كلمة إذا قلتها له سمعت أضعافها، ثم بالخصومة تعلمه أنك عدوه فيأخذ الحذر منك ويبسط اللسان، وبالصفح يجهل مما في باطنك، فيمكنك حينئذ أن تتشفي منه " [2].

ورغم ما نال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من قومهم من العداوة والأذى، ولكن كان خلقهم العفو والصفح الجميل. فعن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » [3].

ولما اقتيد (ثمامة بن أثال الحنفي) سيد بني حنيفة إلى رسول الله ﷺ، وكان قد خرج قبل متنكرا لاغتيال النبي ﷺ بأمر من مسيلمة الكذاب، "فلما جاؤوا به ربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ،(كتاب البيوع-باب السهولة والسماحة في الشراء)، رقم: 2076، ج3، ص57.

(2) صيد الخاطر، ضبط وتحقيق محمد الغزالي،ص339، 340.

(3) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الدعوات)، رقم: 6929، ج9، ص16.

شئت، فتركه، ثم مر به مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، فرد عليه كما رد عليه أولا، ثم مر مرة ثالثة فقال بعدما دار بينهما الكلام السابق: أطلقوا ثمامة، فأطلقوه، فذهب إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم جاءه فأسلم، وقال: والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، ووالله ما كان على وجه الأرض دين أبغض علي من دينك، فقد أصبح دينك أحب الأديان إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم على قريش قالوا: صبأت يا ثمامة، قال: لا والله، ولكني أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ (وكانت يمامة ريف مكة)، فانصرف إلى بلاده، ومنع الحمل إلى مكة، حتى جهدت قريش، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ " [1].

ومن أظهر معاني العفو عند المقدرة ما تجلى في فتح مكة، فإنه لما سمع سعد بن عبادة- حامل لواء الأنصار حينئذ- يقول لأبي سفيان: " اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا". لم يرضه ذلك الاعتداد بالقوة والغلبة، فنزع منه اللواء ودفعه إلى ابنه قيس، وهو يقول: " بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا " [2].

وصدق رسول الله ﷺ، فإنه لا ذل مع راية التوحيد التي أظلت قريشا في عقر دارها. ولما أمسك ﷺ بتلابيب أساطين الكفر عند الكعبة، قال لهم: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِل بِكُم؟ »، قالوا: " خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم "، قال: « فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ » [3].

---

[1] الرحيق، ص275، 276.

[2] أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط2، 1414هـ/1994م، الرحيق، ص344.

[3] السنن الكبرى للبيهقي، (باب فتح مكة حرسها الله)، رقم: 18739،ج9، ص118.

إن من دواعي العفو كظم الغيظ، فإنه كلما تحكم المؤمن في أعصابه فلم يغضب ولم يتغيظ، كلما كان ذلك أدعى للعفو والصفح، وقبر الأحقاد والضغائن، قال رسول الله ﷺ: « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ » [1].

ولما دخل يهود على رسول الله ﷺ وحيوه بتحية فيها الشتم: " السأم عليك يا محمد"، فيقول: « وَعَلَيْكَ » ، لم تتمالك عائشة رضي الله عنها أن ردت عليهم بقسوة، قائلة: وعليك السام وغضب الله ولعنته إخوان القردة والخنازير أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه الله. فقال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلا فَرَدَدْنا عَلَيْهِم إِنَّ اليَهُودَ قَوْم حُسَّد وَهُمْ لَا يَحْسدُونَا علَى شَيء كَما يَحْسدُونَا عَلى السَّلامِ وَعَلَى آمِين » [2].

وهاهو سبطه الشريف الحسن بن علي رضي الله عنهما، الذي رضع لبان النبوة، يعبر عن تسامحه مع شانئه فيقول:

وَإِنّـي لأَلْقَى الْمَرْءَ أَعْلَمُ أَنَّهُ عَدُوٌّ وَفِي أَحْشَـائِهِ الضِّغْنُ كَامِنُ

فَأَمْنَحُهُ بِشْرًا فَيَرْجِعُ قَلْبُــهُ سَلِيـمًا وَقَدْ مَـاتَتْ لَدِيهِ الضَّغَائِـنُ [3]

لقد أمر الله تعالى بالتخلق بخلق بالعفو: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ [4]. وذلك في أقسى حادثة على نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنته الصديقة الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (حادثة الإفك).

---

[1] رواه الترمذي في سننه، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه، رقم: 2493، ج4، ص656.

[2] صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ/1970م، رقم: 574، ج1، ص288.

[3] المستطرف، ص198.

[4] النور/22.

وفي سبب نزول هذه الآية تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: " لما نزل هذا، يعني قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾ [1] في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر – وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته – : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، ولا أنفعه بنفع أبدا، بعد الذي قال لعائشة ما قال، وأدخل عليها ما أدخل، قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [2]. قالت: فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا"[3].

ومراعاة لعهد الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش في الحديبية، فإنه أطلق سراح شباب مكة المغامرين الذين "فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلا ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثا تشعل نار الحرب، وفعلا قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلا فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن سلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعا. ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم [4].

وقد كان الشعر سيفا بتارا عند العرب، ولذلك أهدر الرسول ﷺ دماء بعض الشعراء ممن كانوا يهجونه ويهجون دينه وأصحابه، وكان من أولئك كعب بن زهير بن أبي سلمى

---

(1) النور/11.

(2) النور/22.

(3) تفسير الطبري، ج19، ص136.

(4) الرحيق، 291.

" فلما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف سنة ثمان للهجرة ،كتب إلى كعب بن زهير أخوه بجير بن زهير أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، ومن بقي من شعراء قريش هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا، وإلا فانج إلى نجاتك. ثم جرى بين الأخوين مراسلات ضاقت لأجلها الأرض على كعب، وأشفق على نفسه، فجاء المدينة، ونزل على رجل من جهينة، وصلى معه الصبح، فلما انصرف أشار عليه الجهني، فقام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: « نَعَمْ ». قال: أنا كعب بن زهير. فوثب عليه رجل من الأنصار يستأذن ضرب عنقه، فقال: دعه عنك، فإنه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه " [1].

وبهذا الدرس العملي في العفو والصفح عند المقدرة رق له كعب، فجادت قريحته بهاته الأبيات من الشعر المشهورة والتي مطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ [2]

ثم قال فيها- وهو يعتذر إلى رسول الله ﷺ،ويمدحه -:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُــولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِى وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُـولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِى أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِـيظُ وَتَفْصِيـلُ

لاَ تَأْخُذَنَّـي بِأَقْوَالِ الْوُشَـاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنّي الأَقَاوِيـلُ

إِنَّ الرَّسُــولَ لَنُــورٌ يُسْتَضَـاءُ بِهِ مُهَنَّدُ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ [3]

-

[1] الرحيق، ص384-385.

[2] ديوان كعب، ص60.

[3] ديوانه ، ص65.

ثم يمدح الأنصار رضي الله عنهم بقوله:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَـــــــاةِ فَــلَا يَـزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَـــالِحِ الْأَنْصَـارِ

وَرِثُــوا الْمَكَـــارِمَ كَـــابِرًا عَنْ كَـــابِرٍ إنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُـــو الْأَخْيَـــارِ[1]

4- الوفاء ورعاية الأمانة: وهذه الخصلة من الخلال العزيزة، التي تندر في البشر، ولذلك ثمنها القرآن الكريم، وأثنى على أصحابها، وبوأهم منزلة التقوى، ذلك حين لا ينقضون عهودهم مع أعدائهم في أسوء وأحرج اللحظات، وهي حالة الحرب والمواجهة المسلحة، فقال تعالى آمرا المجاهدين بالوفاء بعهود الحرب: ﴿ **إِلاَّ ٱلذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝** ﴾[2].

إن الوفاء من شيم النفوس الشريفة، والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون، ويقال: الوعد وجه، والإنجاز محاسنه، والوعد سحابة، والإنجاز مطره. وقال عمر بن الخطاب: لكل شيء رأس، ورأس المعروف تعجيله، وقد قيل:

إِذَا قُلْتَ فِـي شَـيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ

وَإِلَّا فَقُلْ:"لاَ"وَاسْتَــرِحْ وَأَرِحْ بِهَا لِكَيْلَا تَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ[3]

وإن الوفاء بالعهد مأمور به شرعا حتى مع المحاربين، ذلك أنه " إذا دخل المسلم دار الحرب تاجرا فلا يحل له أن يتعرض لشيء من أموالهم ولا من دمائهم، لأنه ضمن أن لا يتعرض لهم

---

(1) ديوانه ، ص67.

(2) التوبة/04.

(3) المستطرف، ص198، ص323، والبيتان لأبي جعفر الكوفي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، ج15، ص47، وزعم صاحب العقد الفريد أنهما لابن أبي حازم هرم بن غنام السلولي، ج1، ص68.

بالاستئمان، فالتعرض بعد ذلك يكون غدرا، والغدر حرام" [1].

ومن النماذج البليغة في هذا الشأن، الأخبار التالية:

* لما فتح رسول الله ﷺ مكة المكرمة، جلس في المسجد، فقام إليه علي رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك، وفي رواية: أن الذي قال ذلك هو العباس، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء، وفي رواية ابن سعد في الطبقات أنه قال له حين دفع المفتاح إليه: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف [2].

* وحين فتح الله على رسوله مكة، صعد ﷺ جبل الصفا رافعا يديه بالدعاء، فتناجى الأنصار فيما بينهم: " أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها؟..فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم، والممات مماتكم " [3].

* أخرج مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدا؟ قلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: « انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ » [4].

---

(1) نصب الراية- تخريج أحاديث الهداية -، العلامة جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م، ج3، ص657.

(2) الرحيق، ص347.

(3) نفسه، ص350.

(4) رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، (باب الوفاء بالعهد)، رقم: 3342، ج9، ص264.

ثانيا: الأخلاق الذّميمة

وفي مقابلة الأخلاق الفاضلة التي أمر الله بها، جاء النكير على من اتصفوا بأوصاف مرذولة، جعلت أصحابها مادة للذم واللعن، ومن بينها:

1- الكبر: وهو أول ذنب عصي الله به، ذلك حين أمر الله إبليس أن يسجد لآدم سجود التكريم والشكر لله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [1].

إن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح، وقبول التأديب، والكبر يكسب المقت، ويمنع من التآلف، قال رسول الله ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ».فظن أحد الصحابة أن التجمل والظهور بالمظهر الحسن مما يدخل في معنى الكبر، فتساءل: " إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟! "، فأجابه الرسول – مصححا له تصوره الخاطئ – : « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ » [2].

وقد حسب أقوام أن إسبال الثوب لا يجوز مطلقا، وقد أخطأوا، فإنما قيد بالخيلاء والتكبر، فعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ »، قال أبو بكر: يا رسول الله: " إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ "، فقال النبي ﷺ: « لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ » [3].

وحسب آخرون أن كثرة العلم والطاعات الممزوجة بالعجب والغرور والكبر لَمِمَّا

---

(1) البقرة/34.

(2) رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، (باب تحريم الكبر)، رقم: 91، ج1، ص93.

(3) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب اللباس–باب من جر إزاره من غير خيلاء)،رقم: 5784، ج7، ص141.

يرفعهم على من ابتلاهم الله بالمعاصي، التي كسرت خواطرهم، وجعلتهم في ذل واستحياء من الخالق والمخلوق، فيكذبهم ابن عطاء الله السكندري رحمه الله في حكمه بقوله: " رب معصية أورثت ذُلّا وافتقارا، خير من طاعة أورثت عِزّا واستكبارا " [1].

2- الخيانة: وأعظم الأمانات التي نهى القرآن عن خيانتها هي أمانة الدين، ثم ما تلاها من ودائع للبشر يجب أداءها لأصحابها: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَاٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [2]. وفي سبب نزولها قال السدي: " كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث، فيفشونه، حتى يبلغ المشركين، فنزلت " [3].

- **كيف تعامل الرسول ﷺ مع الخونة (المنافقون) (*)؟**

أظهر صفة في أهل النفاق أنهم قومُ غَدر وخيانة، يعاشرون أهل الحق ويختلطون بهم، فيصلون معهم ويظهرون المناسك..ثم ينشرون غسيل المؤمنين، وربما تظاهروا مع أعداء الإسلام فطعنوا الحق في الظهر كما يقال.

والنفاق نوعان: عملي واعتقادي. فأما العملي فيمكن أن يتلبس به المسلم، ويعد حينئذ معصية من المعاصي التي تستوجب التوبة والاستغفار، ومنه قوله ﷺ :« آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » [4].

---

(1) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1423،2هـ/ 2002م، (الحكمة السادسة والتسعون)، ج2، ص476.

(2) الأنفال/27.

(3) الجامع في أسباب النزول، ص268.

(*) ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، (د.ط)، 1990م، ص396 وما بعدها.

(4) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الإيمان –باب علامة المنافق)، رقم: 33، ج1، ص16.

وهذه العلامات لا يخرج بها المسلم من دائرة أهل القبلة، وإنما تقدح في إيمانه، على ما ذكر مولانا في أضرابهم من الأعراب في عهد الرسالة (*). حتى أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من هذه الصفات، فيسأل حذيفة بن اليمان – الذي استأمنه رسول الله ﷺ على خبر المنافقين – إن كان فيه صفة من صفاتهم[1]. أما النفاق الاعتقادي فشأنه أخطر من الكفر والشرك، وصاحبه يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار، خالدا فيها، وذلك لأنه أخفى الكفر وأظهر الإيمان، فغرر بالمسلمين. قال تعالى فيهم: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرَكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾[2].

وقد ظهر هذا الصنف في حياة النبي ﷺ، فأحدث شروخا عظيمة في نسيج المجتمع الإسلامي، وأثار بلابل وفتنا أخرت مواعيدا للخير والنصر. وقد تعامل الرسول ﷺ مع هؤلاء بحذر شديد، ولم يشأ قتلهم لئلا «..يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [3].

وقد نزلت سورة التوبة الكريمة حربا على هؤلاء، ولذلك "لم تكتب فيها البسملة،

–

(*) وذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ ، الحجرات/14.

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م، ج3، ص116.

(2) النساء/145.

(3) رواه البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، (كتاب التفسير– بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ **سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَّغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾، المنافقون /06)، رقم: 4905، ج6، ص154.

لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك(..)، عن علي –كرم الله وجهه – أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب " [1].

ولما لم يخل المجتمع الإسلامي في كل الدهور والعصور من أمثال هؤلاء، كان لزاما معرفة كيفية تعامل الرسول ﷺ معهم، من باب الاقتداء والاستنان وأخذ الحيطة والحذر.

وكان من بركات صبر عائشة الطهور رضي الله عنها أن افتضح أمر رأس النفاق وأصحابه، ولم يعد لهم كبير أثر على الناس، حتى كان إذا أراد حدثا ما صار قومه وأصحابه هم أول من يعاتبه ويعنفه [2].

3- البخل: وفي القرآن الكريم تشنيع على الأشحة البخلاء: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراً ۝ ٱلذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبُخْلِ** ﴾ [3]. والنص الكريم يجمع بين هاته الرذائل القبيحة: الكبر والغرور المتمثل في الاختيال والفخر، وبين خلة البخل.

والبخل أخو الجبن، ولذلك جاء الدعاء النبوي الكريم يقرن بينهما: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ » [4]. فالخلق الأول صاحبه ضن بالنفس أن يجود بها في سبيل الله، والثاني ضن بالمال الذي أمر أن يجود به على خلق الله تعالى.

وفي حديث آخر يرغب في السخاء ويحذر من الشح، يقول فيه سيد الأجواد: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ» [5].

–

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، دار الجيل، بيروت، (دط.دت)، ج2، ص127.

(2) الرحيق/285.

(3) النساء/36-37.

(4) رواه البخاري في صحيحه، عن مصعب بن سعد عن أبيه، (كتاب الدعوات–باب الاستعاذة من أرذل العمر)، رقم: 6374، ج8، ص 80.

(5) رواه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة، (باب في السخاء)، رقم: 1961،ج4، ص342.

4- الجبن: أظهر خلق في بني إسرائيل هو خلق الجبن والذل عند ملاقاة الشدائد، وفي القرآن الكريم كثير من النصوص الشريفة تنعتهم بهذا الخلق الذميم، وتحذر المسلمين أن يأتوا بمثلها، ومن ذلك هاتين الآيتين الكريمتين، اللتين تعبران أصدق تعبير عن ذلك، فسيدنا موسى عليه السلام يبشرهم ويعدهم بدخول الأرض المقدسة، ولكنهم يترددون ويفرون جبنا وخوفا من الموت: ﴿ **يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢** ﴾ [1].

5- السّخرية والتّنابز بالألقاب: الأصل في المجتمع الإسلامي أن يسود أفراده الحب والوئام والتصالح، ولذلك عد كل ما من شأنه نسف هذه العلائق القوية من قبيل الجرائم الأخلاقية والاجتماعية التي يدينها الإسلام، ويعلن الحرب على مقترفيها: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

جاء في سبب نزول هاته الآيات أن رجلا من الصحابة قيل له: يا ابن فلانة، لامرأة كان يعير بها في الجاهلية. وقال أنس: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وفي صفية زوجة النبي ﷺ التي عيرتها النساء بقولهن: يايهودية بنت يهوديين [3].

---

(1) المائدة/21-22.

(2) الحجرات/11-12.

(3) الجامع في أسباب النزول، ص465.

المطلب الثالث: القيم الإنسانية والاجتماعية

فطر الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل بطبعه إلى بني جنسه ويكره العزلة، ذلك أن الاجتماع ما هو إلا تعبير عن فطرة مستكنة في أعماق النفس الإنسانية: فرديا وجماعيا.

وحيثما وجد تجمع إنساني ظهرت معه العلاقات والروابط الاجتماعية ، وهي عبارة عن معتقدات وسلوكيات، تنمو وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد. يرى فقيه الحضارة مالك بن نبي أن العقيدة هي أساس العلاقات بين الناس، فيقول: "..إذن فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان " [1].

وقد حرص القرآن الكريم منذ الوهلة الأولى على توجيه أتباعه إلى تقوية روابطهم الأخوية والاجتماعية على أساس العقيدة، ودل بذلك على قانون للنصر في كل زمان ومكان، فإنه كلما قويت الرابطة بالله تعالى من خلال (التوحيد)، وكلما اشتدت أواصر (الوحدة) بين المؤمنين، كلما تحقق الظفر والتمكين.

ومما شفع للنبي ﷺ، حين جاء مرعوبا إلى زوجه خديجة رضي الله عنها، عند ملاقاة الملك جبريل عليه السلام، أول الأمر في غار حراء، هو أنه كان رجلا اجتماعيا خيرا، يسدي المعروف للناس، فأخبرته – مبشرة، ومطمئنة – بأن خدماته الاجتماعية وأخلاقه النبيلة، التي كان عليها قبل نزول الوحي لمما ينجيه ويحفظه: " فو الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق " [2].

وفي مقابلة ذلك ذم الله تبارك وتعالى أصحاب الجنة، الذين ضنوا بما أنعم الله عليهم،فلم يرعوا حق المساكين، فكان من شأنهم ما كان من ذهاب مالهم وخراب ضياعهم:

---

(1) ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، رويبة، الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م، ص56.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص656.

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1].

إن اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج الناس، وإدخال السرور عليهم لمن شيم المؤمنين الذين فقهوا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [2]. وقوله سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴿٢﴾ ﴾ [3]. وقوله ﷺ: « الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » [4]. وفي حديث آخر يبين النبي ﷺ أن فعل الخير يقي المرء من البلاء والمصائب، فيقول: « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ » [5].

---

(1) القلم/17-33.

(2) البقرة/237.

(3) المائدة/02.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم: 7046، ج09، ص521.

(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أبي أمامة رضي الله عنه، رقم: 8014، ج8، ص261.

ولما كانت الأخوة والتكافل بين المؤمنين صمام أمان لوحدة المجتمع المسلم وتماسكه، فقد جاء التوجيه النبوي الكريم: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [1].

وقد شرع الإسلام العديد من الأسباب في التآلف الاجتماعي، وجعلها من الحقوق الثابتة للمسلم على المسلم، بحيث لا يسعه تركها من غير عذر، ومن ذلك: الدعاء له، وإجابة دعوته، وتبادل الزيارة معه، وتشميته إذا عطس، وعيادته إذا مرض، وبر قسمه، وستر عثراته، والصفح عنه، وإسداء النصيحة له، وإيثاره على النفس، وصدقه في الحديث، والذب عنه في غيبته، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن يكون قلبك سليما عليه، وأن تشهد جنازته إذا مات. والأصل في هذا حديث: « حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ » [2].

والقرآن الكريم في مكة والمدينة على السواء يشير إلى أن هدي المسلمين هو التآخي والتضامن الاجتماعي ومراعاة حق الضعفاء والمساكين، وليس البغي والاستعلاء في الأرض، والاستئثار بالمال والثروة..وهكذا فكل حضارة لا تنصف الفقراء والمساكين ولا ترعى للمستضعفين في الأرض حقوقهم فإن مصيرها الفناء والزوال.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، عن سالم، عن أبيه، (باب تحريم الظلم)، رقم: 2580، ج 4، ص1996.

(2) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الجنائز-باب الأمر باتباع الجنائز)، رقم: 1240، ج2، ص71.

أولا: مظاهر التكريم الإنساني

1- الإنسان أفضل المخلوقات: أول مظهر للتكريم البشري ما حدثنا عنه القرآن الكريم، حين أخبر أن الله تعالى لما سوى آدم أبا البشر عليه السلام من طين، نفخ فيه من روحه، ثم أمر الملائكة عليهم السلام بالسجود له تكريما وتشريفا، ثم ما حباه به من نعم لا تعد ولا تحصى، ومنها أنه جعله سيد المخلوقات وسخر له ما في السماء والأرض: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠** ﴾[1].

وفي سورة النحل تعداد لنعم الله على الإنسان: ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝٨١ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾[2].

2- أمانة التكليف: ومما تفضل به الله على الإنسان أن كلفه بحمل أمانة التكليف: (العبادة وعمارة الأرض). ورتب على ذلك الجزاء العظيم، وهو نيل الرضوان الرباني والظفر بنعيم الأبد، إن هو أدى ما عليه على الوجه المطلوب، ولم يخل بواجبات الأمانة الموكولة إليه:

---

(1) الإسراء/70.

(2) النحل/80-83.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1].

3- تكريم المرأة: أنصف الإسلام المرأة، وأعطاها حقوقها المختلفة، ورد لها اعتبارها كإنسان، وحظيت بمكانة عظيمة لم تحظ بها في أي مجتمع غير مسلم، سواء كان قديما أم حديثا، ومن مظاهر هذا التكريم:

أ/ أقر الإسلام إنسانية المرأة وكرامتها، وأنها مخلوقة من نفس الرجل، وهي إنسانة مثله تماما، في الخلقة وأصل الكرامة.

ب/ حرم التشاؤم بولادتها، أو التعرض لحياتها بغير حق، بأي شكل من الأشكال:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [2].

ت/ برأها مما ألصقه بها بعض أصحاب الديانات السابقة من أنها أم المصائب، وأنها سبب إخراج آدم من الجنة، وبين أن الشيطان هو السبب في إغراء آدم وحواء عليهما السلام كليهما بالأكل من الشجرة، التي نهاهما ربهما عنها: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ [3]: بصيغة المثنى.

ث/ أمر الإسلام بإكرام المرأة في جميع مراحل حياتها، سواء كانت أما أو بنتا أو زوجة. وقد نعى القرآن الكريم على أهل الجاهلية الذين اعتبروا الأنثى نقمة، ورمزا للفضيحة والعار: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [4].

---

(1) الأحزاب/72.

(2) التكوير/08-09.

(3) طه/121.

(4) النحل/58-59.

أما السنة النبوية المطهرة فهي حافلة – قولا وفعلا – بتكريم المرأة ورعاية حقوقها الأدبية والمادية، منها قوله ﷺ:« إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ » [1]. وقوله ﷺ: « رِفقا بالقوَارير»[2].

وتظهر علاقة العقيدة بالعمل في الحديث الموالي، حيث يعد النبي ﷺ إكرام النساء من أحسن الأخلاق: « أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » [3].

وكان من هديه العدل بين زوجاته، والتغاضي عن أخطائهن، وعند مماته قرن الوصية بهن بأعظم شعيرة تعبدية وهي الصلاة، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ: " إنه كان عامة وصية نبي الله ﷺ عند موته: « الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ». حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه" [4].

فأين هذا الهدي الكريم ممن ينتسبون إلى الإسلام قولا، وإذا هم يؤذون المرأة ويسلبونها حقوقها التي حفظها لها الدين العظيم؟ ومن ذلك حقها في الميراث: ﴿ **وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَالاَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَّ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ۝٧** ﴾ [5]. ويثبت هذا الحق لهن بمجرد تمام العقد، ولو قبل الدخول [6].

وأين مثل هذه المعاملة الربانية للمرأة من حضارة الغرب التي جعلتها للمتعة الجسدية،

---

(1) رواه أبو داود في سننه، عن عائشة رضي الله عنها، (بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَجِدُ الْبِلَّةَ فِي مَنَامِهِ)، رقم: 236، ج1، ص61.

(2) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق بشير عيون، دار الفكر، بيروت،ط1، (د.ت)،ج12، ص147.

(3) رواه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة، (باب ما جاء في حق المرأة على زوجها)، رقم: 1162، ج3، ص458.

(4) مسند الإمام أحمد، (مؤسسة قرطبة)، رقم: 26726، ج6، ص315.

(5) النساء/07.

(6) منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ/2001م، ص661.

وأرهقتها في العمل، وطردتها من بيت الأسرة حال بلوغها سن الرشد، وغيرها من المباذل التي نهى عنها الإسلام أشد النهي وقبح أصحابها.

ومن مظاهر التكريم الإسلامي للمرأة ما ورد في السيرة النبوية، أنه لما أمر النبي ﷺ صحابته بالنحر تثاقلوا، فغضب غضبا شديدا، ولم ينقذ الموقف إلا حكمة زوجته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. قال صاحب الرحيق المختوم: " ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب(صلح الحديبية)، قال: قوموا فانحروا، فو الله ما قام منهم أحد، حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، وكانوا نحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جملا كان لأبي جهل" [1].

4- كفالة اليتامى: اليتامى فئة من المجتمع محرومة من الحنان الأسري بفقد الوالدين أو أحدهما، سيما إذا كانوا تحت سن البلوغ، فقد راعى القرآن الظرف النفسي والمادي الذي يمرون به، ولذلك شرع لهم حقوقهم، وأوصى بهم خيرا، ونهى عن أكل أموالهم أو إيذائهم بأي لون من ألوان الأذى المادي والمعنوي. ومن النصوص الأولى التي راعت حق اليتيم والمسكين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣** ﴾ [2].

---

[1] الرحيق/294.

[2] الماعون/01-03.

ثم حذر الله تعالى من أكل أموال اليتامى بغير حق فقال: ﴿ إِنَّ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَاكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴿١٠﴾ ﴾ [1].

وظلت الوصاية باليتيم مستمرة، ففي الفترة المدنية نزل قوله تعالى: ﴿ وَابْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنَ ـانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلاَ تَاكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً اَنْ يَّكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [2].

وفي السنة ترغيب وحث على الإحسان إلى اليتامى، ذلك أنه ﷺ تجرع ألم اليتم في حياته، ويعرف ما لليتيم من حقوق، ولذلك ألح على كفالته، ورغب فيها بمثل قوله: « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا » [3].

ومنها استحباب وضع اليد على رأس اليتيم تلطفا ورأفة. قال ابن حجر العسقلاني: "..وورد في فضل مسح رأس اليتيم حديث أخرجه أحمد والطبراني عن أبي أمامة بلفظ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَا يَمْسَحُهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ يَدُهُ عَلَيْهَا حَسَنَةً». وسنده ضعيف، ولأحمد من حديث أبي هريرة أن رجلا شكى إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «أَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ». وسنده حسن " [4].

---

[1] النساء/10.

[2] النساء/06.

[3] رواه أحمد في مسنده، (مؤسسة الرسالة)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه،رقم: 22820، ج37، ص476.

[4] فتح الباري، رقم: 5989، ج11، ص151.

5- تحرير العبيد: عد الإسلام الحرية صنو الحياة، فلا قيمة للحياة بلا حرية، وديننا الإسلامي"جاء باحترام الشخصية الإنسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية، حرية الإقامة وحرية الانتقال، وحرية التدين، وحرية الفكر والرأي، وحرية الدولة " [1].

ولم يشهد التاريخ نظاما اجتماعيا أنصف الرقيق فحررهم من ربقة العبودية مثل النظام الاجتماعي الإسلامي، بما شرعه من نصوص تأمر بمكاتبتهم، وترتب عقوبات على مخالفات شرعية، تفضي إلى تحرير الرقاب، كما نهى عن إرغام الجواري على البغاء مقابل المال، وهكذا فلم تنصرم قرون قليلة إلا والعالم الإسلامي كله قد تحرر من هذه اللوثة وإلى الأبد.

ومن بين تلك النصوص قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ انَ آرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾ [2].

وفي عقوبة الظهار ودية القتل، وغيرهما من المخالفات الشرعية التي تستوجب تحرير العبيد (توبة وكفارة)، وتماشيا مع المشروع القرآني الداعي إلى تحرير العبيد، جاء الأمر الإلهي: ﴿ **وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَّتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾** ﴾ [3].

---

(1) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1401هـ/1981م، ص257.

(2) النور/33.

(3) المجادلة/03.

وقد نفذ رسول الله ﷺ مراد الله عز وجل في ذلك حين " أعتق – قبل يوم من وفاته–غلمانه "[1].

وفي الحضارة المعاصرة ظهر نوع من العبودية جديد، تمثل في ظهور الطبقية – بفعل الربا خاصة –، فنجد دولا تعيش في النعيم وأخرى تموت جوعا، وفي المجتمع الواحد نرى أسرا ترفل في الخيرات، والأخرى – وهي الكثرة الكاثرة – لا تكاد تجد ما تسد به رمق حياتها من الطعام والدواء واللباس وسائر ضروريات الحياة، ضف إلى ذلك الانتشار الرهيب لعمالة الأطفال، وغدت المرأة كالجارية، يتلهى بها أرباب الأموال، فلم تعد المرأة التي كرمها الإسلام ورد لها حقوقها المنهوبة، أما في مجال الحكم والسياسة، فإننا نسجل هذا الطغيان والاستبداد في الحكم، ذلك أن الحكام صاروا كالفراعنة، فهم يتعاملون مع شعوبهم بمنطق السيد والعبد، وغيرها من مظاهر العبودية، التي جاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلنها مدوية في سمع الزمان:" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "[2].

ثانيا: أحكام تتعلق بالأسرة

يحرص الإسلام على الوئام الأسري أشد الحرص، ويعتبره أساسا متينا للبنيان الاجتماعي، ورمزا للسلوك الحضاري، فالأمة التي لا تتضامن أسرها بألوان المحبة والبر والصلة، هي أمة ملعونة، ولا تستحق أن تعمر الأرض، بله أن تقود الآخرين.

وقد أوصى النبي ﷺ في حجة الوداع خيرا بالوالدين والأولاد معا، فقال: « أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ »[3].

---

(1) الرحيق، ص402.

(2) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/2000م، ج2، ص473.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (تحقيق: عبد القادر الارنؤوط)، ط1، 1389هـ/1969م، ج1، ص258.

1- برّ الوالدين: إن أهم فصيل في المجتمع ينبغي الاعتناء والاحتفاء به، هو فئة الوالدين، وقد قرن طاعتهما بطاعة الله تعالى في كثير من النصوص، ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّٰبِينَ غَفُوراً ﴿٢٥﴾** ﴾ [1].

ومما يدل على رفعة مقام الوالدين ، أن جعل الإسلام برهما أسمى قدرا من الهجرة في سبيل الله تعالى، ففي السنة أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبوي يبكيان، فقال: « ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا » [2].

ومع هذه النصوص الحانية على الوالدين، إلا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فربما وجدنا كثيرا من (الوالدين) من لا يؤمن بالإسلام، أو كانا مسلمين ولكنهما يقترفان البدع الشركية، أو أن سلوكهما منحرف، فهنا على الأولاد عدم مجاراتهما في ضلالهما، مع مصاحبتهما بالمعروف. وهاهو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يبتلى في أقرب الناس إليه: أمه، التي كان يحبها أشد الحب، فلما دخل الإسلام ناصبته العداء، وآلت على نفسها أن لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا، حتى يرجع عن دينه، ولكنه رضي الله عنه يمضي في طريقه غير آبه بصنيع أمه. فقد: "حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى

---

(1) الإسراء/23-25.

(2) رواه أبو داود في سننه، عن عبد الله بن عمرو،(بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو، وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ)، رقم: 2528، ج3، ص17.

يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا (أي العدول عن الإسلام)، قال: مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له:عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [1]" [2].

2- إكرام الأولاد: وكما أن للوالدين حق في البر والطاعة، فإن الأولاد أيضا لهم حقوق على الوالدين، وخاصة دون سن بلوغ الذكور، وحتى زواج الأنثى وانتقالها إلى بيت الزوجية.

ولما كان أهل الجاهلية يتبرمون من الإناث خشية الفضيحة، ومنهن ومن الذكور خشية الفقر، فكانوا يلجأون إلى وأد البنات وقتل الأولاد، فقد جاء تحريم قتلهم، والتشنيع على الأولياء الذين يرتكبون هذه الجرائم: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [3].

وفي الآية الكريمة: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [4]. وصية بالأولاد، وقد دلت على أن الله تعالى أرحم بهم ممن أنجبوهم، وكانوا سببا في وجودهم.

وفي النهي عن التفريق بين الأولاد جاء الأمر النبوي الحازم – فيما رواه عنه النعمان بن

–

(1) العنكبوت/08.

(2) الجامع في أسباب النزول، ص392.

(3) الإسراء/31.

(4) النساء/11.

بشير رضي الله عنهما –: « اِتَّقُوا اَللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» [1].

إن الأسرة هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الأولاد أول دروس الحياة الاجتماعية، ولذلك أكد الإسلام على موضوع التنشئة الاجتماعية المتوازنة والرشيدة، سيما دون سن البلوغ [2].

3- حرمة التبني: كان من عادات الجاهلية تبني الأولاد، وعليه فقد تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وكان يحبه ويقربه مثل أولاده. ولما أراد الله تعالى أن يبطل هاته العادة السيئة، أمر نبيه أن يتزوج امرأة متبناه، وهي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، لكي ينطلق منع التبني من بيت النبوة نفسه: ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُم قَوْلُكُمْ بِأَفْوَٰهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝** ﴾ [3].

وللأسف فإننا نلاحظ هذه الظاهرة في المجتمع المسلم إلى يوم الناس هذا، ذلك على الرغم من الوعيد الشديد والتهديد الرهيب الوارد في الحديث الشريف:« مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعَنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [4].

---

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، رقم: 45353، ج16، ص445.

(2) ينظر: دور التنشئة الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد، مسعودة خنونة-بيطام، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع21، جوان2004م، ص10.

(3) الأحزاب/04-05.

(4) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت)، رقم: 1217، ج1، ص297.

مع أن الإسلام عوض هذا بالكفالة والرعاية الاجتماعية، ورتب عليه أجرا عظيما. ومنذ أن نزل النهي عن التبني دعي زيد بن حارثة، وكان قبل يدعى زيد بن محمد[1].

4- الزواج شطر الدين: قدس الإسلام الرابطة بين الجنسين، إذا ما تمت باسم الإسلام، وعلى قانونه، وحذر من البغاء والزنا، الذي يفسد الروابط الاجتماعية، ويخرج جيلا مبتوت النسب، منبوذا في الأوساط، مما يولد لديه الجنوح إلى الانتقام والتمرد على القيم الأسرية والاجتماعية، فتكثر المفاسد وينفرط العقد الاجتماعي.

قال تعالى مرغبا في الزواج – مع اشتراط العدل حال التعدد –: ﴿ **فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣** ﴾ [2]، وقال ﷺ في السياق نفسه: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [3]. وقد زعمت الشيعة أن نكاح المتعة جائز، وأنه صحيح لم ينسخ حكمه، مستدلين بقراءة ابن عباس وأبي وابن جبير المشار إليها في قوله تعالى:﴿**فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ**﴾[4]. بزيادة: (إلى أجل مسمى)، وهذا اللفظ زائد عما هو معلوم لنا بالمصحف العثماني الذي أجمع الصحابة عليه، وكل ما خالف المصحف العثماني فهو شاذ " [5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، ج6، ص376.

(2) النساء/03.

(3) رواه البخاري في صحيحه، عن علقمة، (كتاب النكاح)، رقم: 5065، ج7، ص3.

(4) النساء/24.

(5) أثر القراءات القرآنية في اختلاف الأحكام الفقهية، خير الدين سيب، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م، ص80، 81.

ولما كان العزوف عن الزواج ربما أفضى إلى الفاحشة، فقد جاء التحذير الرباني: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [1].

والأصل في عقد الزواج التأبيد لا المتعة، حيث لا يتحقق معها الأمن والسّكينة والمودّة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [2].

5- الإصلاح بين الزوجين: قد يعتري تلك العلاقة الزوجية ما يفسدها، وربما استحالت العشرة بين الزوجين، فهنا جاء التدرج الحكيم في الإصلاح بين الزوجين، فإما حصل الوفاق، وإما فرض الفراق، درءا للشحناء والشقاق: ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [3].

وفي حكمه والحكمة منه يقول أبو بكر جابر الجزائري: " الطلاق مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين(..)، وقد يجب الطلاق إذا كان ما لحق أحد الزوجين من الضرر لا يرفع إلا به، كما أنه قد يحرم إذا كان يلحق بأحد الزوجين ضررا، ولم يحقق منفعة تفوق ذلك الضرر أو تساويه " [4]. وقد يستغل الزوج عصمة الطلاق التي جعلت في يده، فيجور على زوجته فيعلقها أو يعضلها ظلما وعدوانا، فهنا جاء تشريع الخلع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا

---

(1) الإسراء/32.

(2) الروم/21.

(3) النساء/34.

(4) منهاج المسلم، ص631، 632.

رسول الله إني ما أعتب عليه في خلقٍ ولا دينٍ، ولكن أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله ﷺ : « أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ ؟». (وكانت الحديقة مهرها)، قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: « اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً » [1].

ثالثا: صلة الأرحام

الرحم قرابة الإنسان من جهة أبويه، أصولا كالأجداد والجدات مهما علوا، وفروعا كالأحفاد والحفيدات مهما نزلوا، وحواشي كالأعمام وفروعهم والأخوال وفروعهم، وكل من يرتبط بهم برابطة الدم. قال تعالى: ﴿ **وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾** ﴾ [2]. وفي السنة الشريفة تأكيد على قداسة الرحم: « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ » [3].

وفي القرآن دعوة للناس كافة أن يصلوا أرحامهم الدموية والإنسانية: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[4].

وقد عُدَّ هذا الخلق الكريم ، وهذا الرابط الاجتماعي القوي من أسباب وفرة الرزق، وطيب الذكر بعد الموت، قال ﷺ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » [5].

---

(1) الجمع بين الصحيحين، رقم: 1157، ج2، ص84.

(2) الأنفال/75.

(3) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، (باب صلة الرحم)، رقم: 2555، ج 4، ص 1981.

(4) النساء/01.

(5) رواه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك، (كتاب الأدب-بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ)، رقم: 5986، ج8، ص05.

وقد جعل القرآن قطيعة الرحم ذريعة للفساد في الأرض، فكل المشاريع الخيرية والتنموية سوف تتعطل بهذه الرذيلة الاجتماعية، التي استحقت اللعنة من رب العالمين: ﴿ **فَهَلْ عَسِيتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝٢٣** ﴾ [1].

بل إن قطيعة الرحم سبب لولج النار وبئس القرار، فقال ﷺ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»[2]. ولم يكن كفر أحد الوالدين أو كلاهما مبررا لقطع الرحم، فعن أسماء رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي ﷺ مع ابنها، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال:« نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»[3].

رابعا: تحريم التقليد الأعمى

يقول الفقيه الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون: " المغلوب مولوع بالغالب ". وهي سنة بشرية، شهد لها التاريخ قديما وحديثا، فإننا وجدنا الحضارات الغالبة تزحف بفكرها وتقاليدها وثقافاتها، فيستجيب لها من في قلبه مرض، ومن لم يتشبع بعقيدة صحيحة تحفظه من الانصياع والخضوع لها.

وفي القرآن الكريم نزل النكير على أولئك الذين عطلوا عقولهم، وصموا آذانهم، وأغمضوا عيونهم عن سماع الحق، فراحوا يقلدون الآباء والأجداد:

---

(1) محمد/22-23.

(2) رواه مسلم في صحيحه، عن جبير بن مطعم، (باب صلة الرحم)، رقم: 2556، ج 4، ص1981.

(3) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الآداب-بَابُ صِلَةِ المَرْأَةِ أُمَّهَا وَلَهَا زَوْجٌ)، رقم: 5979، ج8، ص4.

﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ٧٠ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[1].

ومجتمعاتنا المسلمة – اليوم – للأسف قد جرت عليها سنة الأولين، فهؤلاء شبابنا بل وشيوخنا وعجائزنا منبهرون بكل وافد من بلاد الغرب، ويظهر ذلك في استعمال لغته والتلبس بتقاليده في شتى الميادين، وما ذلك إلا لضعف العقيدة الإسلامية في العقول والقلوب.

ولقد " شجب القرآن التقليد الأعمى بالموروثات، دون استعمال العقل فيها، وخاصة ما تعلق بالتصورات الدينية، التي كانت تورث، على غرار الأشياء المادية، وعندما يسأل أحدهم عن مدى اقتناعه بمعتقده، فالإجابة كانت بسيطة: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[2]" [3].

خامسا: رعاية حقوق الجوار

دعا الإسلام إلى إكرام الجار في سبيل زيادة التآلف الاجتماعي، وأوجب له حقوقا كثيرة، ومن ذلك: ابتداؤه بالسلام، وإظهار السرور معه، وغض البصر عن حرماته، والتلطف مع أولاده، وحفظه في غيبته، والصبر عليه، وستر زلاته وما انكشف من عوراته، ومشاركته أفراحه،ومواساته في مصيبته، ودلالته على الخير والمعروف، وبذل ذلك له [4].

---

(1) الصافات/69-71.

(2) الزخرف/23.

(3) المجتمع المسلم، نسيب أرزقي، مجلة الصراط،كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، س4، ع7، ربيع الثاني 1424هـ/جوان2003م، ص157.

(4) ينظر: تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، جمال الدين القاسمي، ص195-197.

والأصل في هذه الحقوق حديث: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» [1].

وفي حديث آخر يرتقي مقام الجار إلى مرتبة القريب الذي يستحق الميراث: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » [2].

قال تعالى في رعاية حق الجار: ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴿٣٦﴾ ﴾ [3]. والجار (ذي القربى) هو: " القريب في المكان أو بالنسب أو بالدين. والإحسان إلى الجيران يحقق مبدأ التعاون والتواصل والتوادد والشعور بالسعادة. الجار (الجنب): وهو الذي بعُد جواره أو لم يكن ذا قرابة.

وقد حثّ الإسلام على الإحسان في معاملة الجار ولو غير مسلم، فقد عاد النبي ﷺ ابن جاره اليهودي، وذبح ابن عمر شاة، فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي، أهديت لجارنا اليهودي؟(..) وتحديد الجوار متروك إلى العرف، وحدده الحسن البصري بأربعين جارا من كل جانب من الجوانب الأربعة(..)قال ابن العربي: حرمة الجار عظيمة في الجاهلية والإسلام، معقولة، مشروعة مروءة وديانة" [4].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الآداب-بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ)، رقم: 6136، ج8، ص 32.

[2] رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عمر، (باب الوصية بالجار)، رقم: 2625، ج4، ص 2025.

[3] النساء/36.

[4] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج5،ص67.

سادسا: قوّة الأخوّة وصدق المحبّة

من معاني الأخوة والمحبة: التصافي والتصالح والإيثار والرحمة، وقد امتن الله تعالى على الصحابة الكرام عليهم الرضوان بتلكم الخلال العالية فقال: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [1].

قال الأبشيهي [2]: " اعلم أن المودة والأخوة والزيارة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع وركن شديد، بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتنجع المقاصد، وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء، وردها بعد الفرقة إلى الألفة والإخاء، فقال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾[3]، ووصف نعيم الجنة، وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة، إذ جعلهم إخوانا على سرر متقابلين(..)وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين" [4].

وفي السنة دعوة للمحبة والألفة، حتى لكأن المجتمع المسلم مثل الجسد الواحد، تتجاوب وتتفاعل أطرافه بعضها مع بعض في حالي السراء والضراء، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » [5].

---

(1) الأنفال/63.

(2) هو محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، بهاء الدين، أبو الفتح (790-852هـ/1388-1448م): صاحب (المستطرف) في الأدب والأخبار. نسبه إلى (أبشويه) من قرية الغربية بمصر، وكانت إقامته في المحلة الكبرى، ورحل إلى القاهرة مرارا. وله كتاب في (صناعة الترسل) لم يتمه، و(أطواق الأزهار) في الوعظ، مجلدان. و(تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين) مخطوط. وفي لغته ضعف، الأعلام، الزركلي، ج5، ص332.

(3) آل عمران/103.

(4) المستطرف، ص202.

(5) رواه مسلم في صحيحه، (باب تراحم المؤمنين)، رقم: 2586، ج8، ص1999.

وإن تحية المؤمنين (السلام) لمَِمّا يُدخِل السرور والألفة بينهم، بل جُعِل مفتاحا لولوج جنة السلام، ولذلك حث عليه رسول الإسلام ﷺ بقوله الشريف: « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1].

وقوله الكريم: « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»[2].

وفي القرآن الكريم ترغيب في رد التحية بأفضل وأحسن منها فقال مولانا: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً** ﴾ [3].

وليس يعذر المسلم بترك السماحة والإعراض عن التحية بحجة أن غيره لا يعنى بها، أو بحجة كثرة الهموم وضغط العمل وسوء الأحوال.

ومن مظاهر الاحتفاء عند اللقاء: (الابتسامة)، فهي مما يدخل السرور على الإنسان، وقد عدها النبي ﷺ صدقة من الصدقات بقوله: « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ » [4].

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: " ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسّم في وجهي " [5].

وقد ورد هذ السلوك الحضاري: (الابتسامة والضحك) في مواقف تستدعي الغضب والتشنج والانتقام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة،نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثّرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته،

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، (بابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ)، رقم: 54، ج1، ص74.

(2) رواه أبو داود في سننه، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، (باب في المصافحة)، رقم: 5212، ج4، ص354.

(3) النساء /86.

(4) رواه الترمذي في سننه، عن جابر بن عبد الله، (بَابُ مَا جَاءَ فِي طَلَاقَةِ الوَجْهِ وَحُسْنِ البِشْرِ)، رقم: 1970، ج4، الصفحة 347.

(5) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الأدب-بَابُ التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ)، رقم: 6089، ج8، ص24.

ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء " [1].

وإذا شاع هدي السلام والابتسامة بين أبناء المجتمع ، شاعت معهما قيم السلم والرحمة والتوقير بين الصغار والكبار، أخبر أنس بن مالك: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسّعوا له، فقال النبي ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا » [2].

ومما يقوي روابط المحبة: الزيارة، وتبادل الهدايا، وعيادة المرضى وغيرها، ومن أثرها وجوب المحبة الربانية: « وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » [3].

وفي حديث النبي ما يخبر عن تجاوب السماء والأرض، واحتفاء العالم العلوي بمن يزور ويزار، وبمن يعود ويعاد: « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا » [4].

ومن أجل الروابط الاجتماعية شيمة الإيثار والوفاء لمن سلف وحفظ المعروف لهم،وقد نزل القرآن مادحا الأنصار الذين آثروا إخوانهم من المهاجرين بأغلى ما يملكون من المال والسكنى وحتى الأزواج، فقال تعالى: ﴿ **وَالذِيں تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالِايمَنَ مِں قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَآ يَجِدُونَ فِے صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ اُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَاُوْلَٰٓيِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَالذِيں جَآءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلذِيں سَبَقُونَا بِالِايمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِے قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلذِيں ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝** ﴾ [5].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، (بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ)، رقم: 1057، ج2، ص730.

[2] رواه الترمذي في سننه، (باب في رحمة الصبيان)، رقم: 1919، ج4، ص321.

[3] رواه مالك في الموطأ- رواية يحي الليثي -،عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (دط.دت)، (باب ما جاء في المتحابين في الله)، رقم: 16، ج2، ص953.

[4] رواه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة، (باب ما جاء في زيارة الإخوان)، رقم: 2008، ج4، ص365.

[5] الحشر/09-10.

وفي سبب نزول هذا النص الكريم قال أبو هريرة رضي الله عنه: " أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجَهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا، فقال رسول الله ﷺ: « أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ »، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله لا نَدَّخِرُ منه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العَشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ – أي: لقد ضحك الله عزّ وجلّ – مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ »، وأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ "[1].

ومن مآثر خلق الإيثار في حياة مجتمع الصحابة الكرام، ما ذكره صاحب المستطرف: "وهذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم "[2].

ولما كان خلق الأخوة والتصافي جامعا لكل معاني المودة والمحبة فقد جاء وصف الإيمان قرينا به فقال تعالى بصيغة الحصر: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠** ﴾[3].

وفي خلق الحنان والرحمة والمودة بين المؤمنين، جاءت الآية الكريمة تُثني وتُكرّم:﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۝٢٩** ﴾[4].

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك في (كتاب الأطعمة)، رقم: 7176، ج4، ص145.

(2) ص202.

(3) الحجرات/10.

(4) الفتح/29.

وعندما دخل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة مهاجرا من مكة المكرمة، كان أول ما قام به أن بنى المسجد: (مركزا للتآلف والوحدة).

قال صاحب الرحيق المختوم: " ثم قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. قال ابن قيم الجوزية: ثم آخى بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام.

ومعنى هذا الإخاء: أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه. وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقدا نافذا، لا لفظا فارغا، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسن ولا يقوم لها أثر. وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

وقد روى البخاري أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال:بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ " [1].

سابعا: العفّة والطّهر

من مظاهر المجتمع الإسلامي العفة، وهي خلق وسلوك حضاري، يمنع من السقوط في وهدة الرذيلة، وما ينجر عنها من علل بدنية ومشاكل اجتماعية وعقد نفسية وجرائم

[1] الرحيق المختوم، ص157.

مستعصية..وغيرها، ولما كان الحجاب (*) من أقوى الأسباب المانعة من ذلك، فقد أوجبه الله تعالى على المرأة، بعد أن أمر المؤمنين والمؤمنات جميعا بالتعفف وغض البصر: ﴿ **قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ اَبْنَآئِهِنَّ أَوْ اَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾** ﴾ [1].

وتسجل السيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها التزام نساء الصحابة بالأمر الإلهي في فرض الحجاب، فتقول: " يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ** ﴾.شققن مروطهن، فاختمرن بها"(..) ثم قالت: " إن لنساء قريش لفضلا، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل (..) انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته،فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ- في

(*) والحجاب هو: لباس شرعي سابغ تستتر به المرأة المسلمة ليمنع الرجال الأجانب من رؤية شيء من جسدها، ينظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/2002م، ص27، 28.

(1) النور/30-31.

الصلوات – معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان" [1].

ولم ينتظرن رضي الله عنهن حتى يطلع النهار، ليخترن اللباس المناسب للون البشرة، وغير ذلك، مما تشتغل به أغلب نساء المسلمين اليوم، طبعا هذا إذا كان الحديث عن المتحجبات، أما السوافر فحدث عن ذلك ولا حرج.

ولغض البصر فوائد كثيرة، ومنافع عديدة، ذكرها ابن قيم الجوزية – رحمه الله –، منها:

1- أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.
2- أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.
3- أنه يقوي القلب ويفرحه، ويكسبه نورا.
4- أنه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل .
5- أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب [2].

المطلب الرابع: التّنمية الاقتصادية

سبق وأن ذكرنا أن النصوص القرآنية تقرن الإيمان بالعمل، وترتب على ذلك الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة. ولا فرق بين عمل ديني بحت كالصلاة والزكاة مثلا، وعمل دنيوي نافع كاحتراف التجارة والزراعة والصناعة وغيرها من ضروب الكدح المفيد.

وفي ما نزل من الوحي الأعلى تقديس للعمل والعمال، ودعوة حثيثة للكسب، وفيه عرض لنماذج من أعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين تنوعت حرفهم، بين رعي الغنم، وتشييد البنيان، وصناعة الدروع، وتقلّد الوظائف السامية في الدولة وغيرها.. دل ذلك على تحريم الرهبانية في الإسلام، وكراهة اعتزال الناس بغرض التعبد والتنسك.

–

[1] مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، ج2، ص600.

[2] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت)، ج1، ص125.

وفلسفة القرآن تهدف إلى إقامة الدين والدولة معا، وهذا يقتضي تشريع منظومة من التشريعات التي تقيم النظام الرباني في الأرض، ومنه تقنين النظام الاقتصادي، وضبط المعاملات المالية وترشيدها.

أولا: الحثّ على العمل والكسب

دعا الإسلام إلى الكسب، ورغب في طلب الرزق بل وأوجبه، وذلك من خلال احتراف العمل الجاد المنتج النافع، لا فرق في ذلك بين الجهد البدني والجهد الذهني. وطالب كل قادر على العمل أن يعمل، وأن يعان على عمله، ليكفي نفسه وأسرته، وفي الحديث الشريف: « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ » [1]. وفي حديث آخر: « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » [2].

بل لقد عد الإسلام العمل والكسب عبادة يؤجر عليها الإنسان، لما يترتب على ذلك من الكفاية الذاتية، وتحقيق حاجات المجتمع وتنمية موارده، وفي الحديث الشريف عن كعب بن عُجْرَة، قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ » [3]. وبذلك نرى أن النبي ﷺ جعل العمل مكافئا للجهاد في سبيل الله، وهذا من أوضح العبادات.

---

(1) مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407م/ 1986هـ، رقم: 684، ج2، ص148.

(2) الجمع بين الصحيحين، عن المقدام رضي الله عنه، رقم: 3042، ج3، ص366.

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: 282، ج19، ص129.

لقد قدّس الإسلام العمل، حين قرنه بالإيمان، ورتّب عليه الجزاء الأخروي حتى ولو كان دنيويا صِرفا، بشرط أن يكون مما ينتفع به صاحبه، ولا يتعارض مع أصول الدين وأحكام الشرع .

وقد رتّب القرآن الكريم مسؤولية المرء عن عمله وانتفاءها عن عمل غيره من خلال قوله تعالى: ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1]. كما ضمن الجزاء الحسن لمن عمل صالحا، ووعده خيرا دنيا وأخرى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[2].

بل إنه دعا إلى المنافسة والمسارعة في فعل الخيرات والصالحات، فهؤلاء قوم من أهل الكتاب قد أثنى عليهم القرآن بقوله: ﴿ يُومِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْن عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [3].

وفي دعوته المؤمنين إلى المسابقة في الصالحات نزل قوله عز وجل: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [4].

ثانيا: المال عصب الاقتصاد

أجاز الإسلام تملك الأموال، بل اعتبرها نعمة في يد صاحبها، عليه أن يذكرها ويشكرها، بإنفاقها في وجوه البر.

ولما كان كل من المؤمن والكافر يساهمان في تعمير الأرض، فلم يقتصر عطاء المال على

---

(1) النجم/38.

(2) آل عمران/115.

(3) آل عمران/114.

(4) الحديد/21.

المؤمنين فقط، بل وهب كلا الفريقين من كنوزه، فقال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾ ﴾ [1].

ولذلك اعتبر صرف الأموال في غير وجوهها المشروعة نحو الخمر والفواحش من قبيل التبذير المنهي عنه شرعا: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورا﴾[2].

وربما وجد من الناس من يسرف ويبذر، وربما قابله من يضن ويبخل، فجاء الأمر بالاعتدال في الإنفاق والتوسط في صرف الأموال من خلال هذا التمثيل البلاغي: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾[3].

كما منع من أكل أموال الغير بالباطل: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].

وإذا كان المال نعمة عند البعض فلربما كان فتنة ونقمة عند البعض الآخر، ولذلك جاء التحذير القرآني: ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [5].

---

(1) الإسراء/20.

(2) الإسراء/26-27.

(3) الإسراء/29.

(4) البقرة/188.

(5) الأنفال/28.

1- الزراعة: أفضل ما ذكر في الزرع والمزارعة من الحديث الشريف هو ما رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْرِسَهَا ، فَلْيَفْعَلْ»[1]. ذلك أن قيام الساعة وأفول شمس الدنيا تماما لم يمنع من الأمل في الحياة من خلال الدعوة إلى زرع النبات والفسائل.

وفي القرآن الكريم ذكر لنعم الله تعالى على عباده بما حباهم به من أنواع الزروع والثمار التي تقيم أودهم، وفيه دعوة إلى زكاتها، وعدم الإسراف في تناولها: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾** ﴾[2].

2- الصناعة: مما نزل في الكتاب الحكيم، أن سيدنا داوود عليه السلام كان رجلا صنّاعا، يصنع من الحديد بعد إلانته بالنار ما يقي الناس شر القتل، وهي الدروع: ﴿ **وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾** ﴾[3].

وقد نزل في الحديد ما يشير إلى أنه سلاح ذو حدين، فيكون نافعا إذا استعمل في مجالات الخير، ويكون ضارا إن استعمل في ميادين الشر: ﴿ **وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾[4].

---

(1) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ/1989م، (باب اصطناع المال)، رقم: 479، ص168.

(2) الأنعام/141.

(3) الأنبياء/80.

(4) الحديد/25.

3- التجارة: من دعائم الاقتصاد الناجح التجارة المبرورة، التي يقوم فيها البيع والشراء على خلق الصدق والرأفة ومراعاة اليوم الآخر. ولذلك حذر من التلاعب بالموازين التجارية، وتوعد فاعليها بالويل والثبور:﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلذِينَ إِذَا عَلَى ٱكْتَالُواْ ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣** ﴾ [1].

ولما كان الدَّين مما تحتاجه المعاملات التجارية غالبا، فقد أمر الله بتوثيقه لئلا يحصل الخلاف والتباغض: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُ** ﴾ [2]. وحرم الربا حاضرا أو مؤجلا، فجاء الأمر – في البيع – بالإشهاد حين تسليم السلعة واستلامها لئلا يقع التنازع والضرر:﴿ **إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ۝٢٨٢** ﴾ [3].

وقد راعى المهاجرون عليهم الرضوان ما أنعم به عليهم إخوانهم من الأنصار، حين قاسموهم المال والزوج بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، فلما فتح الله عليهم ردّوا ما عليهم من الدَّين. " ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل، حين صار لهم بخيبر مال ونخيل " [4].

وقد ورد في السنة أنه ﷺ طلب ممن له عليه دين أن يذكره ليوفيه إياه، فقال: « مَنْ قَدْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالاً فَهَذَا مَالِى فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ »، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إن لي عندك

---

(1) المطففين/01-03.

(2) البقرة/282.

(3) البقرة/282.

(4) الرحيق/320.

ثلاثة دراهم، فقال : « أَمَّا أَنَا فَلاَ أُكَذِّبُ قَائِلاً وَلاَ نَسْتَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فِيمَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِى؟».قال: أما تذكر أنه مر بك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم.قال:« أَعْطِهِ يَا فَضْلُ » [1].

ومما يقوي الروابط الاجتماعية: إنظار المعسر حين حلول أجل الوفاء به، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ ۚ ﴾ [2].

ومن التطبيق العملي لهذه الآية ما رواه أبو قتادة: أنه طلب غريما له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، فقال: آلله ؟ قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» [3].

قال القرطبي: " وحديث أبي قتادة يدل على أن رب الدين إذا علم عسرة غريمه أو ظنها، حرمت عليه مباحثته، وإن لم تثبت عسرته عند الحاكم، و(إنظار المعسر): تأخيره إلى أن يوسر، و(الوضع عنه): إسقاط الدين عن ذمته، وقد جمع المعنيين أبو اليسر لغريمه حيث محا عنه الصحيفة، وقال له: إن وجدت قضاء فاقض، وإلا فأنت في حل" [4].

ومن العقود المالية التي جاء ذكرها بعد ذكر موضوع المداينة: (الرهن)، وهو من توابع الدين، جُعِل عوضا عن المكاتبة حال السفر: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [5].

---

[1] رواه البيهقي في سننه الكبرى، عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما، (باب رجوع الضامن على المضمون)، رقم: 11185،ج6، ص74.

[2] البقرة/280.

[3] رواه مسلم في صحيحه، (باب فضل إنظار المعسر)، رقم: 1563، ج3، ص 1196.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (دار عالم الكتب)، ج3، ص375.

[5] البقرة/283.

والدليل على جواز الرهن أنه ﷺ "كانت درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير "[1].

والمسلم في فسحة من أمر دنياه، ما لم تتعارض مع دينه، ولذلك جاء النهي عن التجارة وسائر العقود عند النداء لصلاة الجمعة، مع إباحتها جميعا حال الانصراف من العبادة فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُواْ فِى ٱلأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [2].

وللتأكيد على خطر العقود في المعاملات المالية، فقد جاء الأمر بالوفاء بها مقترنا بلفظ الإيمان: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ۝ ﴾ [3].

ثالثا: البنيان والعمران

أشار الله تعالى في القرآن إلى أنه قد بنى السماوات على أحسن تصميم وأبدعه وأوسعه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ ﴾ [4].

وقد فقه المسلمون الأوائل معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝ ﴾ [5] حق الفقه، فراحوا يبنون

---

(1) الرحيق/402.

(2) الجمعة/09-10.

(3) المائدة/01.

(4) ق/06.

(5) هود/61.

ويعمرون الأرض بكل ما يسعد الإنسان ويطمئنه: " وأما آثارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهورة ماثلة أمام الباحثين، خالدة في بطون التواريخ، بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحق، كالمساجد، والمدارس، والقصور، والرباطات، والمصانع، والمستشفيات وسائر المباني المؤسسة (..) وقد بنى الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي، ومسجد دمشق على أبدع نظام (..) وبنى أخوه مسلمة المسجد بقسطنطينية " [1].

إن المقصود الذي خلق من أجله العباد هو عبادة الله تعالى وتعمير الأرض، ومن جملة التعمير: تشييد البنيان. وقد ورد في القرآن الكريم أن سيدنا إبراهيم كان بناء، وقد شيد الكعبة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾** ﴾ [2].

المطلب الخامس: الحكم والتشريع

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة تغير وضع المسلمين، من أمة مستضعفة ملاحقة من طرف كفار قريش،إلى كيان قائم بذاته، له معتقده وفكره وأرضه، ولم يبق سوى نظامه السياسي والعسكري والقضائي، أي دولته المستقلة، ولذلك نزلت عشرات الآيات والسور الكريمة التي تقنن للدولة وتبرز معالمها الحضارية. وتظهر موقفها من الآخر، سواء كان مواطنا في الدولة الإسلامية كأهل الكتاب، أو عدوا خارجيا متربصا مثل كفار قريش وغيرهم من العرب والعجم.

ولم تقتصر الدولة في الإسلام على"حفظ الأمن والدفاع بل تجاوزتها إلى أهداف إيجابية وتوجيهية في ميدان الاقتصاد والعلم وسائر المرافق النافعة للناس بوجه عام،وفسحت للناس

---

(1) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، حققه وضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (دط.دت)، ص366.

(2) البقرة/127.

ميادين النشاط في حدود أهداف الإسلام الإنسانية والأخلاقية. وبذلك تنشئ الدولة الإسلامية أو ينشأ في إطارها حضارة من نوع خاص، تتسم بالنشاط والتقدم في الميادين المادية والطبيعية نظريا وعمليا، علميا واقتصاديا،كما تتسم بالمثالية الأخلاقية المستندة إلى الأسس الإيمانية التي محورها الإيمان بالله خالق الكون كله والمهيمن عليه، وبالمسؤولية أمامه في حياة أخرى" [1].

ولذلك لم ينقطع حديث العقيدة في هذه المرحلة، لأن سلطان الضمير الإيماني الرقابي هو صمّام الأمان للحاكم والمحكوم على السواء، فلم يسجل تاريخ السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين – خصوصا –، وما بعدهما في كل فترة يتم فيها تطبيق الشريعة على أسس العقيدة، لم يسجل لنا سوى القليل من الجرائم التي استوجبت الحد والعقوبة، ولذلك نقول أنه لا نجاح لأي تجربة لتطبيق الشريعة الإسلامية إلا إذا كان سلطان العقيدة هو المهيمن والمسيطر على القلوب والجوارح.

أولا: فلسفة الحكم في الإسلام

يقوم الحكم في الإسلام على مبادئ وأسس رصينة، تصون أركانه، وتحمي بيضته، ومن أهم معالمها المذكورة في القرآن الكريم ما يلي:

1- وجوب الشورى والطاعة: من أسس بقاء الدولة واستمراريتها ونئيها عن التشتت والتنازع وكثرة الخروج والمعارضة هو التزام الحاكم بخلق التواضع والنزول إلى الرعية، لسماع انشغالاتها، وقضاء حوائجها. وقد جاءت التوجيهات القرآنية بتشريع مبدأ الشورى، الذي ينفي عن الحكّام نقيصة الاستعلاء ورذيلة التكبر، مما يفضي إلى جريمتي (الظلم والطغيان)، ويقوّض ويهدم المقاصد الخمس للتشريع الإسلامي، وهي:حفظ الدين

[1] نظام الإسلام (الحكم والدولة)، محمد المبارك، دار الفكر، ط4، 1401هـ-1981م، ص142.

والعقل والنفس والعرض والمال.

وقد جاء الأمر الإلهي بذلك للنبي ﷺ في المرحلة المكية – ولماَّ تقم للمسلمين دولة –، وذلك من باب الإعداد والتأهيل القرآني: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ إِتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٢١٥﴾** ﴾ [1]. فأول شروط العدالة والشورى أن يتصف الحاكم بخلق التواضع للمحكومين، لكي يكسب ثقتهم، فتسهل سياستهم.

وفي السنة أن رجلا أتى النبي ﷺ، فكلمه، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فقال له: « هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » [2]. وفي توجيه نبوي كريم – في هذا السياق– ورد قوله ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قِدْرِي، فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا » [3].

ومن توابع اللين وخفض الجناح أن يستشير ولي الأمر رعيته فيما عزم عليه من شؤون الحكم وأمور السياسة: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾** ﴾ [4].

ولم يقتصر النص الكريم على الأمر بالشورى فحسب بل قرن معه وجوب اللين والعفو

–

(1) الشعراء/215.

(2) رواه ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في: (باب القديد)، رقم: 3312، ج2، ص1101.

(3) رواه الحاكم في المستدرك، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، رقم: 4825 ج3، ص196. وقد أخرجه من رواية يحي بن سعيد، قال : "كنا عند علي بن الحسين، فجاء قوم من الكوفيين، فقال علي: يا أهل العراق أَحِبُّونَا حب الإسلام، سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ"..وذكر الحديث، وفي هذا الخبر براءة صريحة من آل البيت من الشيعة الذين يغالون في حبهم، حتى فضلوهم على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

(4) آل عمران/159.

والاستغفار والعزم والتوكل على الله تعالى، وهي قيم عقائدية تنضم إلى شؤون السياسة والحكم، وهذه من مميزات فلسفة الحكم في القرآن العظيم.

وعلى المؤمنين – سيما من تولى النيابة عنهم – أن يتشاوروا فيما بينهم: ﴿وَالذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [1].

وعلى قدر ما كان عليه نبي الإسلام، وسيد البشر ﷺ من الرفعة وسمو الحال، إلا أنه كان: " يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم في مهنة أهله، ولم يكن متكبرا، ولا متجبرا، أشد الناس حياء، وأكثرهم تواضعا، وكان إذا حدث بشيء مما أتاه الله تعالى قال: « وَلَا فَخْرَ »[2]" [3].

وعلى هذا الهدي نشأ الصحابة وتربوا، فقد خرج– يوما– معاوية بن أبي سفيان على عبد الله بن الزبير وابن عامر رضي الله عنهم أجمعين، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [4].

وعلى الرعية واجب الطاعة لولي الأمر، شريطة أن تكون في المعروف، وفيما لا يعارض شرع الله وهديه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

–

(1) الشورى/38.

(2) رواه الترمذي في سننه، عن أبي سعيد، رقم: 3615، ج5، ص587.

(3) المستطرف، ص216.

(4) رواه الترمذي في سننه، عن أَبِي مِجْلَزٍ، (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ قِيَامِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ)، رقم: 2755، ج5، ص 90.

﴿ ٱلۡأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [1].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الطاعة العمياء، أو ما كانت في معصية الله عز وجل، فقال: « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » [2].

وفيما يلي بعض الدروس العملية في الشورى والطاعة من السيرة النبوية الشريفة:

1- قبيل موقعة بدر عقد النبي ﷺ مجلسا استشاريا، أشار فيه إلى ملابسات الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه، وقادته، ومنهم المقداد بن عمرو- من المهاجرين- ،الذي قال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾ [3]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه،حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له به.

ثم قال: « أَشِيرُوا عَلَيّ أَيّهَا النّاس »- وإنما يريد الأنصار-، فقام سيّدهم سعد بن معاذ، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. فقال: فقد آمنا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وابشروا، فإن الله تعالى

---

(1) النساء/59.

(2) رواه الطبراني في معجمه الكبير، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، رقم: 381، ج 18، ص170.

(3) المائدة/24.

قد وعدني إحدى الطائفتين، « وَاللهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ » [1].

2- وفي السنة الثامنة للهجرة، استعصى على النبي ﷺ وصحبه فتح حصن الطائف، وأصابهم بلاء شديد، فما كان منه إلا أن " استشار نوفل بن معاوية الديلي، فقال: هم ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك. وحينئذ عزم رسول الله على رفع الحصار والرحيل، فأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس: « إِنَّا قَافِلُون غَدا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ فقال رسول الله ﷺ : « اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ»، فغدوا فأصابهم جراح، فقال: « إِنَّا قَافِلُون غَدا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسول الله ﷺ يضحك " [2].

3- وفي موقعة مؤتة لم يكن المسلمون يتوقعون أن يلاقوا جيشا عرمرما من الروم، قوامه مائتا ألف، وكانت عدتهم لا تزيد على ثلاثة آلاف مجاهد، فحاروا في أمرهم،وأقاموا في معان ليلتين يفكرون ويتشاورون فيما ينبغي عمله، ثم قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. غير أن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، قائلا: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشّهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، ثم استقر الرأي أخيرا على ما دعا إليه ابن رواحة [3].

---

(1) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1414ه/1994م، ج2، ص12، الرحيق، ص176، 177.

(2) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ج3، ص82.

(3) الرحيق، ص333.

2- **الحكم تكليف وأمانة:** يعد الحكم في الإسلام من أعظم الأمانات التي يجب أداؤها على قانون العدل،ولذلك جاء ذكرهما في آية واحدة : ﴿ **إِن ٱللَّهَ يَامُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨** ﴾ [1].

3- **العدل أساس الملك:** أيما نظام تنكب سبيل العدل وتبنى خط الظلم والطغيان فمصيره الفناء وذهاب الريح، والتاريخ يشهد بهذه الحقيقة. وقد سجل لنا القرآن الكريم ذلك في العديد من من الآيات والسور الكريمة، التي منها قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ۝٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَاتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ۝٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ۝٤٥ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٤٧** ﴾ [2].

والعدل في الإسلام يكون حتى مع الأعداء المحاربين، ناهيك عن المسالمين أو الإخوة في الدين، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨** ﴾ [3] توجيه كريم من رب العزة

---

(1) النساء/58.

(2) إبراهيم/42-47.

(3) المائدة/08.

للمؤمنين من أن لا تحملهم البغضاء على ترك العدل، أي العدل في معاملة الأعداء أقرب إلى اتّقاء المعاصي وتجافي الظلم والجور.

ولما أرسى رسول الله ﷺ دولة الإسلام على قاعدة(سيادة القانون الإلهي)، بإعلان الحاكمية لله عز وجل، وأن القرآن والسنة المبينة له هما المصدران الأولان للتشريع، راح يحرس تلك القاعدة الكبرى بقانون العدل والمساواة بين الناس أمام شريعة الله عز وجل، من أدنى فرد في الدولة إلى القادة والحكام بدرجة واحدة، إذ ليس فيه مجال لمحسوبية أو تفضيل أو محاباة، وكما جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يعلن:﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1].

فجاء الأمر بالعدل(وهو سلوك حضاري) مقرونا بالخطاب العقدي، المتمثل في توحيد الربوبية، والتذكير باليوم الآخر، وهذه سمة القرآن في مرحلته المدنية، من أول نزول لسورة البقرة، التي تكرر فيها ذكر التقوى، إلى آخر سورة النصر، التي قرنت النصر والفتح الإسلامي العظيم للقلوب والحصون بالتسبيح والاستغفار والتوبة وهي من صميم العقيدة. فآية الأمر بالعدل تعني: أنني أمرت بالإنصاف دون تحيز، فليس من شأني التعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصير من كان الحق معه، وخصيم من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائنا من كان، وليس لأقاربي حقوق وللغرباء عني حقوق أخرى، ولا للأكابر عندي ميزات لا يحصل عليها الأصاغر. والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل، والفرض فرض على الكل. حتى أنا نفسي لست مستثنى من سلطة القانون الإلهي [2].

—

(1) الشورى/15.

(2) الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م، ص38، 39.

ويؤكد النبي ﷺ هذه القاعدة بقوله الشريف: « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُقِيمُونَ الحَدَّ عَلَى الوَضِيعِ وَيَتْرُكُونَ الشَّرِيفَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1].

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "رأيت رسول الله ﷺ يقيد(أي يقتص) من نفسه" [2].

ومن التطبيقات العملية لمبدأ العدل في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أثر عنه أنه مرَّ "بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير، ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم " [3].

4- وجوب الحكم بشرع الله تعالى: يقترن الحكم في الإسلام بالعقيدة، فيعد المعرض عن الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية غير مؤمن: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [4].

وفي التوجيه الإلهي للحكام وجوب الحكم بشرع الله، ولا يقابل هذا سوى إتباع الهوى:

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، عن عائشة، (كتاب الحدود-باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع)، رقم: 6787، ج8، ص160.

[2] كنز العمال، عن عطاء، (باب عدله رضي الله عنه)، رقم: 36007، ج12،ص659.

[3] تدوين الدستور الإسلامي، أبو الأعلى المودودي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1405هـ/1985م، ص70.

[4] النساء/65.

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]. أما من تولى أمر الناس ولم يحكم بينهم بشرع الله فهو كافر أو ظالم أو فاسق، بنص الآيات الكريمة:

*﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: " فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد" [3].

*﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [4].

*﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [5].

ولما تساءل عدي بن حاتم – عندما تلى عليه النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [6]. وهو يمسك بصليب كان على رقبته–: " إنهم لم يعبدوهم "، فقال ﷺ: « بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ »[7]. وفي الحديث الشريف بيان أن الحب والموافقة والإتباع لون من ألوان العبودية.

–

(1) المائدة/49.

(2) المائدة/44.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ج1، ص261.

(4) المائدة/45.

(5) المائدة/47.

(6) التوبة/31.

(7) تفسير ابن كثير، ج2، ص66.

ثانيا: أثر نظام العقوبات في تقويم السلوك

اقتصر خطاب الشارع في العهد المكي- وهو يربي المجتمع المؤمن - على درس العقيدة، وتربية الضمير الرقابي، ولما تهيأت الظروف في المدينة المنورة طفق يشرع للمجتمع المسلم الوليد، الذي توفرت له البيئة الصالحة لإقامة الدولة الناشئة.

1- وجوب التثبت من الأخبار قبل تنفيذ العقوبة (*): إن التسرع في تنفيذ العقوبات حين يتناهى إلى الحاكم فعلها، اعتبره الإسلام طيشا وحمقا، واعتبر ناقل الخبر فاسقا، ما لم يستوثق من الخبر بشهادة الشهود وإثبات البينة القاطعة: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ**﴾[1].

2- الإنصاف والمساواة في الحكم: وقد أوجب القرآن على الحكام والولاة إنصاف المظلومين ولو كانوا على غير الإسلام، بل حتى ولو كان بيننا وبينهم عداوة فقال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِۖ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلاَّ تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [2].

وفي هذا النظام الإسلامي الجديد لا يراعى جانب القرابة والصداقة في تنفيذ حدود الله تعالى، والكل أمام شريعة الله تعالى سواء: الحاكم والمحكوم، الغني والفقير، السابق واللاحق في الدخول

(*) وفي العقوبات نميز بين نوعين: أ/ فكل موضوع كان يمس حياة الفرد، وله جذور عميقة في التأثير على النفس الإنسانية، فقد نزل تحريمه على مراحل (مثل تحريم الخمر). ب/ أما كل جريمة تتصل بحياة الفرد فتفسد العيش الكريم، أو أمن الدولة الإسلامية، كان تحريمه جملة واحدة، وبشكل جازم (مثل تحريم السرقة)، ينظر: محاضرات في تاريخ التشريع، محمد مقبول حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 1994م، ص41.

(1) الحجرات/06.

(2) المائدة/08.

للإسلام.. إن شريعة الإسلام تتسم بالواقعية، فالسرقة والزنا وغيرهما من الجرائم التي رتبت عليها الحدود والعقوبات، لا يجوز تنفيذها إذا وجدت الدواعي والأسباب المنطقية والضرورية لانتهاكها كالحاجة للطعام، مثل: " إسقاط عمر حد القطع عام المجاعة ملاحظة للحالة التي يعيشها الناس" [1]. وكذا ما رواه " ابن وهب أن عمر بن الخطاب، بعد أن أمر كثير بن الصلت بقطع أيدي الذين سرقوا، أرسل وراءه من يأتيه بهم، فقال لعبد الرحمن بن حاطب: أما لولا أني أظنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى لو وجدوا ما حرم الله لأكلوه لقطعتهم، ولكن والله إذا تركتهم لأغرمنك غرامة توجعك " [2].

وهذا من فقه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وعلمه بواقع الناس، فلربما كان الدافع لكثير من المخالفات – ومنها السرقة– ضرورات مبرَّرة، على خلاف من لا يفقه ذلك، ولربما أخذ المرء بجريرته، فأدخل السجن أو قتل، وهو عند الله معذور.

3- **إقامة الحدود(نظام العقوبات)**: يقول عثمان بن عفان: " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن "[3]. وبعض النفوس الضعيفة لا يردعها الوعظ، وخالق النفوس عليم بطبيعتها، فمنها التي تنزجر بالنصح والترغيب والترهيب، فيصلح أمرها، وتستقيم بعد عوج، ومنها التي لا يصلحها إلا الحد والسيف.

وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ [4]

---

(1) ينظر: تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة من كتاب الاجتهاد في الإسلام، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط3، 1406هـ/1986م، ص250.

(2) فقه السنة، ج2، ص466، 467.

(3) تفسير ابن كثير، ج5، ص111.

(4) شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م، ج1، ص23.

فحيث إن بعض النفوس تميل إلى حب السيطرة والعدوان، والقوي ميال إلى النيل من الضعيف، فقد لا تكفي والحالة هذه صيحات التهذيب والإصلاح، ولا آيات الوعيد بأليم العذاب في الآخرة للمعتدين ، قد لا يكفي هذا ولا ذاك، فلابد من رادع مادي وعقاب عاجل، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمنا.

وعليه فقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بحزمة من الحدود الزاجرة والعقوبات الرادعة، تأديبا وتوبة للجاني، وعبرة وعظة للآخرين (*). ومن بين تلك الحدود:

أ/ **حد القصاص:** ويقصد به أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل من الجناية [1] ، كقتل القاتل عمدا. والغاية من تشريعه حفظ النفوس،فإن القاتل أو مرتكب الجناية إن انفلت من القصاص زادت جرائمه واستحر جرمه.

ومجتمعاتنا المعاصرة – مسلمها وكافرها –، يسجل يوميا آلاف جرائم القتل وإزهاق النفوس بغير وجه حق، وما سبب ذلك إلا عدم تطبيق حد القصاص. ولذلك كثرت دعوات العقلاء إلى تنفيذ حكم الإعدام قصاصا، وهو ما فرضه القرآن الكريم منذ مئات السنين: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾** ﴾ [2].

(*) وإذا كانت المصلحة راجحة في ضرورة تأخير الحد، إما من حاجة المسلمين للمطلوب حده(كقائد جيش في معركة)، أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار، فللقاضي إرجاء الحد، ينظر: نظريات في الفقه الجنائي الإسلامي(دراسة فقهية مقارنة)، أحمد فتحي بهنسي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1406هـ/1986م، ص203، 204.

(1) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ج1، ص225.

(2) البقرة/178-179.

وتنفيذا لأمر هذه الآية الكريمة،عرض رسول الله ﷺ نفسه للقصاص، وكان ذلك في أواخر أيامه التي رحل فيها عن الدنيا، فقال: « مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرا فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَستَقَدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتقِدْ مِنْهُ » [1].

وممن اقتص منها بعد وفاته ﷺ زينب بنت الحارث– امرأة سلام ابن مشكم –، التي أهدته شاة مصلية، بعد فتح خيبر، " وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السّمّ، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ولفظها، ثم قال: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّ كَتِفَ الشَّاةِ تُخْبِرُنِي، أَنْ قَدْ بُغِيَتْ فِيهَا». ثم دعا بها فاعترفت، فقال: « مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ ». قالت: قلت: إن كان ملِكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها. وكان معه بشر بن البراء بن معرور، أخذ منها أكلة، فأساغها، فمات منها"[2].

ب/ حد الزنى: من كليات الشريعة الإسلامية حفظ العرض والنسل من الهتك واختلاط النسب، ولما كان الزنى جريمة أخلاقية تساهم في هدم البيوت واختلاط الأنساب، فقد رتّب الإسلام عقوبة قاسية للزّناة، فشرع الجلد – لغير المحصنين – بقوله تعالى: ﴿ **ٱلزَّانِيَه وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآيِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ ۝٢** ﴾ [3].

كما شرع الرجم حد الموت للمحصنين والمحصنات، وهو – وإن لم يذكر حكمه في

---

(1) لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، الملك محمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1985/1405، (باب ذكر وفاة رسول الله ﷺ)، ص143.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عروة، رقم: 1204، ج2، ص35، الرحيق، ص400.

(3) النور/02.

القرآن الكريم – إلا أن السنة العملية وردت به (رجم الغامدية).

إن القرآن بنى عقيدة الأمة على التقوى ومراقبة المولى عز وجل، ولذلك فبمجرد أن يقترف المؤمن ذنبا ما إلا وبادر إلى التوبة النصوح، بل راح يطلب التطهير بإقامة الحد، ولو كان بالقتل.

ت/حد القذف: صان الإسلام أعراض الناس،وحفظ الحقوق المعنوية للأشخاص،سيما ما تعلق بشرف الطاهرات العفيفات، فحرم القذف والكذب عليهن، مرتبا العقوبة القاسية: ﴿ **وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَداً وَأُوْلَٰيِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝** ﴾ [1].

***صبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك:** لما بلغها نبأ الافك، وكانت في غفلة منه "جعلت تبكي، فبكت ليلتين ويوما، لم تكتحل بنوم، ولا يرقأ لها دمع، حتى ظنت أن البكاء فاتق كبدها، وجاء رسول الله ﷺ في ذلك، فتشهد وقال: « يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ »، وحينئذ قلص دمعها، وقالت لكل من أبويها أن يجيبا، فلم يدريا ما يقولان، فقالت: والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة – والله يعلم أني بريئة – لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقني والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف، قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝** ﴾ [2]. ثم تحولت واضطجعت،

---

(1) النور/04.

(2) يوسف/18.

ونزل الوحي ساعته، فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: « يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ »، فقالت لها أمها: قومي إليه، فقالت عائشة – إدلالا ببراءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ –: " والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله" [1].

وقد عاتب المولى عز وجل المؤمنين الذين تداولوا خبر الإفك فقال تعالى: ﴿ **لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ [2]. فما كان ينبغي أن تشيع مثل هذه الفرية بين قوم مؤمنين، وما كان يجوز أن تنتقل من بيت إلى بيت، وأن يتحدثوا بها شهرا كاملا، وهي بينة الكذب بينة الإفك بينة الافتراء، فلو رجع كل مؤمن إلى نفسه واستفتى قلبه، لاطمأن إلى طهارة نبيه وطهارة بيته وطهارة صاحبه.

ولما شغل الرسول ﷺ وشغل أصحابه وشغل المجتمع كله شهرا كاملا بهذا الصغار. قال أبو أيوب الأنصاري لزوجته: " ألا ترين ما يقال؟ قالت: لو كنت بدل صفوان [3]، أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءا؟ قال: لا، قالت: لو كنت أنا بدل عائشة، ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك". إنه منطق الإيمان الهادئ والثقة البريئة والفطرة السليمة " [4].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الشهادات– بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا)، رقم: 2661، ج3، ص173، الرحيق المختوم، 284.

(2) النور/12.

(3) هو صفوان بن المعطل بن رحضة السلمي الذكواني، أبو عمرو: صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية، وقيل في سميساط، وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. روى عن النبي ﷺ حديثين، الأعلام، الزركلي، ج3، ص206.

(4) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص340-341.

وقد طهر الله المؤمنين الذين تحدثوا بحديث الإفك بما نالوه من الحد، "وجلد أهل الإفك: مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، جلدوا ثمانين، ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي – أمير المنافقين – مع أنه رأس أهل الإفك، والذي تولى كبره، إما لأن الحدود تخفيف لأهلها، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة، وإما للمصلحة التي ترك لأجلها قتله " [1].

ث/ حد السرقة: المال مال الله، وإنما جعل الإنسان مستخلف فيه، وخزينة الدولة (بيت مال المسلمين) ملك للأمة، فلا ينبغي لمن تولى أمر المسلمين أن ينتهب حقوقها المالية، وكذا أملاك الأفراد هي حق لأصحابها فلا يجوز سرقتها، ومن فعل ذلك نالته العقوبة الشرعية: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [2].

وهنا موقف من مواقف الإيمان، الذي ظهر في سلوك هند بنت عتبة وزوجها أبي سفيان رضي الله عنهما،حيث أنه لما أخذ منها رسول الله ﷺ العهد بأن لا تسرق، قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال ﷺ: « خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ » [3].

ج/ حد الحرابة: قد يوجد في المجتمع المسلم أفراد وعصابات تنتهك الأعراض وتغتصب الأموال وتزهق النفوس، يحملها على ذلك الجهل أو الحاجة، وربما كان الإجرام طبيعة متأصلة فيهم، فلا يستطيعون أن يعيشوا في هدوء وسلام مع غيرهم، شأنهم شأن وحوش البرية، أو مثلهم كمثل الحوت الكبير الذي يلتهم الحوت الصغير، ولما كان خطر هؤلاء باديا وشرهم مستطيرا – بل إن عدمهم خير من وجودهم، فهم مثل الجراثيم الضارة، أو

–

(1) الرحيق، ص284، 285.

(2) المائدة/38.

(3) رواه البخاري في صحيحه، عن عائشة، (كتاب النفقات)، رقم: 5364، ج7، ص65.

السرطان الخبيث الذي يعتري أحد الأعضاء، فإن لم يستأصل فسوف يأتي على سائر الجسم- فقد أمر القرآن أولياء الأمور باستئصال شأفتهم بقتلهم شر القتل إن لم يرعووا ويكفوا عن جرائمهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾ [1].

وقد شهد التاريخ الإسلامي مثل هؤلاء القوم، منذ العهد النبوي وإلى يوم الناس هذا، وقد سُمُّوا-بعدُ-بالخوارج [*].

وقد جاء في السيرة النبوية حد المحاربين، وذلك أن رهطا من قبيلتي عكل وعرينة " أظهروا الإسلام، وأقاموا بالمدينة فاستوخموها، فبعثهم رسول الله ﷺ في ذود في المرعى، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ، واستاقوا الإبل وكفروا بعد إسلامهم، فبعث في طلبهم كرزا الفهري في عشرين من الصحابة، ودعا على العرنيين: اللهم أعم عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيق من مسك، فعمى الله عليهم السبيل، فأدركوا، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، جزاء وقصاصا بما فعلوا، ثم تركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا " [2].

-

(1) المائدة/33-34.

(*) ينظر: مهددات الأمن، دهيمي لخضر، مجلة كلية أصول الدين للبحوث والدراسات الإسلامية المقارنة، جامعة الجزائر، س2، ع3، جمادى الآخرة 1421هـ/2000، ص108 وما بعدها.

(2) الرحيق/287. والحرّة: اللابة، أرض ذات حجارة سود نخرة(بركانية).حرة واقم: حرة المدينة المنورة الشرقية. حرة الوبرة: حرة المدينة المنورة الغربية. ويوم الحرة: في عهد يزيد حينما أرسل مسلم بن عقبة إلى المدينة المنورة (64هـ)، فكانت المعركة المؤسفة، أطلس الحديث النبوي، ص144.

ثالثا: التدرّج في التشريع

إن الله جل في علاه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وخلق الإنسان عبر أطوار: نطفة فعلقة فمضغة..،وكذلك خلق الحيوانات والأشجار والنباتات، وأنزل الغيث..وهو سبحانه تعالى وتقدس قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، ومع ذلك كان الخلق في تدرج لينبهنا إلى أهمية هذه السنة الإلهية في الحياة، ويبدو أن استيعابها يعين على حلّ الكثير من المشاكل، واقتحام العقبات.

إن التدرّج هو الميزة البارزة في مسار الرسالة القرآنية الخالدة، فالقرآن الكريم المنزل من عند الله رب العالمين نزل منجما قال الحق جل ثناؤه: ﴿ **وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا** ﴿١٠٦﴾ ﴾ [1].

ثم إن التربية القرآنية للصحابة رضي الله عنهم كانت متدرجة فبدأت بتصحيح العقيدة ونبذ الشرك والأوثان وإفراد الله تعالى بالعبودية، ثم بعد بضع سنين من تصحيح العقيدة وتثبيتها في قلوب المؤمنين فرضت الصلاة ثم الصوم وباقي الأركان،وكذلك التدرج في تحريم المنكرات مثل الخمر كان على مراحل،بدأ بتذكير المؤمنين بما له من مضار ومفاسد ثم بعد ذلك كان التحريم النهائي على وجه القطع.

ومن فوائد التدرج في التشريع مايلي:

* يسهل الانقياد للحكم .

* أن الإقبال على الأحكام جملة واحدة ودفعة واحدة منفرة.

* التدرج علاج نافع للعادات المستحكمة.

* التدرج تمليه الفطرة والطبيعة، وهو سنة كونية.

---

(1) الإسراء/106.

إن البداية التي يجب أن نبدأ بها هي نفس بداية النبي ﷺ التي بدأ بها في تربية الأمة وهي تثبيت العقيدة في قلوب الناس. ولا أقصد بالعقيدة ذلك الجدل الكلامي الذي لا يؤتي ثمارا ولا يزيد إيمانا ولا يدفع إلى عمل.

إن النبي ﷺ لم يبدأ بذلك ولكن بدأ بتمكين أصول الإيمان بالله تعالى من توحيد لله وإيمان بالملائكة والكتب السماوية والرسل واليوم الآخر. لقد كان القرآن بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام.

والناظر في أحوال المجتمعات المسلمة اليوم لا يجدها تشكو من كثرة الإلحاد بالله تعالى، بل المسلمون جميعهم يقرون بوجود الله تعالى، ولكن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تشكو من ضعف الإيمان، والذي ترتب عليه ترك كثير من أحكام الإسلام، لا كفرا وجحودا بها، بل تهاونا ونسيانا ، فإذا عمرت هذه القلوب بالإيمان انطلقت مرة أخرى نحو الله تعالى، تبتغي مرضاته وترجو غفرانه.

وهذا ما فعله القرآن في بداية الدعوة، فقد كان من أوائل ما نزل ذكر الجنة والنار، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما نزل أو ما نزل منه – أي القرآن –سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى أبدا [1].

–

[1] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان،(مكتبة وهبة)، ص106-109 بتصرف، وينظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في ضوء الواقع الفلسطيني، ماهر حامد محمد الحولي، بحث مقدم لورشة عمل، نظمته كلية الشريعة والقانون بالتعاون مع جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية المنعقد يوم الخميس، قاعة جمعية المحاسبين والمراجعين الفلسطينيين شارع الوحدة، غزة، 1430هـ/ 2009م، يوم: 19/نوفمبر/2009م، ص09-10.

1- التدرج في تحريم الخمر: نزل تحريمه متدرجا وفق النصوص التالية:

أ/ قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]. وفيه إشارة إلى ما كانوا ينتفعون به من عصائر العنب والتمر طعاما وشرابا وتجارة.

ب/ قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [2]. وقد تركها كثير من الصحابة الكرام لقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ وقوله: ﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾.

ت/ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [3]. وفيه نهي عن قربانها حين الصلاة، فتركها كثير منهم، وتحايل بعضهم على شربها، فغدوا يشربونها بعد صلاة العشاء إلى الفجر، لكي تصحو عقولهم للذكر والصلاة.

ث/ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [4].

---

(1) النحل/67.

(2) البقرة/219.

(3) النساء/43.

(4) المائدة/90-91.

وأما القلة القليلة منهم، والذين استحكم داء الخمر فيهم، فتركوها بأمر هذه الآية الحاسمة الفاصلة. " فكان التحريم غاية الحشد من الآيات المتتابعة التي نزلت بمكة والمدينة، حتى تحققت به الحكمة التشريعية والتربوية التي قام على أساسها بناء الجماعة المسلمة " [1].

وقد ورد حديث في هذا المعنى، فروى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزل في الخمر ثلاث آيات: فأول شيء: قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر..وإثمهما أكبر من نفعهما). فقيل: حرمت الخمر، فقالوا دعنا ننتفع بها يا رسول الله كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.. تقولون). فقيل:حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، فنزلت الآية: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر..). فقال رسول الله ﷺ: حرمت الخمر " [2]. ولقد كانت استجابة الصحابة الكرام سريعة من أول يوم نزل فيه التحريم القاطع، وهذا بفعل التربية العقائدية التي عملت عملها في العهد المكي وما تلاه. وبذلك تطهر المجتمع الإسلامي من هذه اللوثة الخبيثة، التي طالما كانت سببا في إيقاد نيران الفتن والحروب بينهم في عهد الجاهلية.

وهاهي أمريكا ودول الغرب – منذ سنوات قليلة – تصدر عشرات القوانين الرادعة، وترصد مئات الملايين من الدولارات لكي تمنع الخمر، ولكنها تفشل في ذلك [3]، بل تطور الأمر إلى استهلاك المخدرات، وهي أخطر بأضعاف مضاعفة من الخمر.

–

[1] تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ص33.

[2] الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج3، ص157.

[3] ذكر الداعية أحمد ديدات–نقلا عن جيمي سواقارت، في كتابه المشروبات الكحولية– أنه يوجد بالولايات المتحدة الأمريكية أحد عشر مليونا من المدمنين، وأربع وأربعون مليونا من السكيرين،ثم ذكر أنه شخصيا لا يرى أي فرق بين الفئتين، فالكل(سكير)، وما يعجب له أن الإرشادات الدينية تشجع على ذلك،فقد جاء في (سفر الأمثال–الإصحاح الواحد والثلاثون–العدد6و7)، ما معناه: أعطوا الفقراء والعمال الخمر، لكي ينسوا فقرهم وتعبهم، ينظر كتابه: محمد ﷺ الخليفة الطبيعي للمسيح عليه السلام، ترجمة: يوسف بغول، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1991م، ص66، 67.

2- التدرج في تحريم الربا:

أ/ إن أول إشارة إلى الربا وردت في العهد المكي في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1]. وهذا النص – بلا ريب – يفيد استنكار الربا منذ الوهلة الأولى من ظهور الإسلام.

ب/ ثم بعد ذلك نزل في العهد المدني[*] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [2]. وفي هذا النص تحريم قاطع للربا، وقد فهم بعض العلماء أن (أضعافا مضاعفة) إنما هي في الدين، حيث أنهم في الجاهلية كانوا يضاعفون الديون، والزيادة المستمرة تؤدي إلى مضاعفة الدين، وربا الجاهلية كان متعلقا بالزيادة في الديون.

ت/ ثم نزل التحريم الحاسم، الذي جعل أكلة الربا أعداء لله تعالى، فأعلن هو ورسوله عليهم الحرب، وحذرا المؤمنين تحذيرا شديدا من التعامل به، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

---

(1) الروم/39.

(*) بالرغم من التزامنا بترتيب نزول السور(البقرة قبل آل عمران)، إلا أننا قدمنا هذا النص الكريم لثبوت الدليل بنزوله قبل الذي نزل في سورة البقرة.

(2) آل عمران/130.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [1].

وهذه الآيات الكريمة من آخر ما نزل من القرآن الكريم، وقد ذكر المفسرون أنها نزلت قبل ثلاثة أشهر من وفاة النبي ﷺ، وقد أحصى في حجة الوداع المبادئ الأساسية الثابتة للإسلام، ومنها تحريم الربا، فقال: « أَلَا إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ، وَلَا تُظْلَمُونَ » [2].

وبذلك تطهر المجتمع الإسلامي من لوثة الأنانية في المعاملات المالية، والتي جثمت على صدور العرب قبل الإسلام عقودا من السنين بسبب جشع اليهود، الذين كانوا يمسكون بدواليب الاقتصاد حينذاك، وللأسف دار الزمان دورته وأصبحت الأمة الإسلامية رهينة لذلك الجشع ومن نفس الفصيل، الذي تزعم النظامين الاشتراكي والرأسمالي في عصرنا الحديث، ولما انهارت الاشتراكية بانهيار المعسكر الشيوعي بداية التسعينيات من القرن العشرين، صار العالم يقاد بالرأسمالية التي تعتمد أساسا على الربا في معاملاتها الاقتصادية. ولكن الكساد لحق بهذا النظام أيضا فقد " أثبت الانهيار المالي العالمي فشل الفكر الرأسمالي، الذي يعتمد على مبادئ كالحرية المطلقة في المعاملات الاقتصادية، المادية، الأنانية، حيث أن انهيار غالبية المؤسسات المالية في العالم من بنوك وشركات تأمين وصناديق استثمار، إلى جانب البورصات، لهو أكبر دليل على فشل وقصور هذا الفكر، فبعض هذه المؤسسات أفلس وخرج من السوق، والبعض الآخر يعاني خسائر فادحة، مما اضطر العديد من الدول

---

[1] البقرة/275-279.

[2] ينظر: تحريم الربا، الشيخ محمد أبو زهرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1405هـ/1985م، ص31-34، بتصرف، والحديث رواه أبو داود في سننه، عن سليمان بن عمرو، عن أبيه، (باب في وضع الربا)، رقم: 3334، ج3، ص244.

الكبرى إلى التنحي جانبا عن الفكر الرأسمالي، والقيام بتأميم هذه المؤسسات، درءا للانهيارات المتتالية التي تواجهها، لذلك أخذت بعض الدول بالفكر الاقتصادي الإسلامي للخروج من هذه الأزمة "[1].

وإنما لجأ اليهود قديما وحديثا إلى الربا، لكي يتحكموا في مصائر الأمم، فتصير تابعة لهم في كل مناحي الحياة، فهم قوم يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وإنما خلق سائر البشر لخدمتهم، يقول عباس محمود العقاد في هذا الشأن: "ترى الصهيونية العالمية أنه ينبغي وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والثروات الأخرى، مع إحداث الأزمات العالمية على الدوام(..)حتى يحيط الخراب بالجماعات والأمم، فتضطر إلى الاستعانة باليهود لإنقاذها من عثراتها، وترضى بسلطانهم العالمي صاغرة مغتبطة "[2].

3- التدرج في عقوبة الزنى: لم يحرم الزنى منذ الوهلة الأولى لنزول الأحكام التشريعية، بل سبقته توجيهات عقدية وأخلاقية، تنهى عن المباذل وحقائر السلوكات.

هذا من ناحية التحريم، أما ما تعلق بعقوبة الزنى، فقد تدرج التشريع القرآني الحكيم فيها، من عقوبة أخف إلى عقوبة أشد، حيث نجد أن العقوبة الخفيفة كانت بالإيذاء والغلظة في القول، إلى الحبس في البيت، فقال تعالى: ﴿ **وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾** ﴾[3].

---

(1) بحث بعنوان: (فشل الرأسمالية: الاقتصاد الإسلامي سبيل النجاة من الأزمة المالية)، ميسم الصغير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سيدي بلعباس، مجلة الدراسات الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ع1، ماي 2012م، ص601.

(2) الصهيونية العالمية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،(دط.دت)، ص123.

(3) النساء/15-16.

ثم تطور الحكم إلى أشد من ذلك بقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِأْيَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآيِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاَّ زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ ۝٣ ﴾ (1).

المطلب السادس: التّوجيه السياسي والعسكري

الحرب في الإسلام لها دواعيها وضروراتها، فليست حربا هجومية استباقية، ولا عدوانا تمليه طموحات النفس غير المشروعة. ولذلك غدا السلم والصلح والتعايش هو الأصل في دين الإسلام، وقد عاش غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية آمنين على دياناتهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم، وما حدث ذلك إلا تنفيذا للنصوص الشرعية التي تحفظ لأهل الذمة حقوقهم المادية والأدبية. ولم يكن الجهاد في الفترة المكية مطلوبا، مراعاة لحال المسلمين، والبيئة لم تكن حينها مهيأة، وإن كان الأمر به وتهيئة النفوس لقبوله قد ورد فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ (2).

الجهاد بمعناه الواسع: جهاد النفس والشيطان وأعداء الحق، يقول أبو بكر جابر الجزائري في تفسير الآية الكريمة: " في هذه الآية بشرى سارة ووعد صدق كريم، وذلك أن من جاهد في سبيل الله، أي طلبا لمرضاة الله بالعمل على إعلاء كلمته، بأن يعبده ولا يعبد معه سواه، فقاتل المشركين يوم يؤذن له في قتالهم، يهديه الله تعالى أن يوفقه إلى سبيل النجاة من المرهوب والفوز بالمحبوب، وكل من جاهد في ذات الله نفسه وهواه والشيطان وأولياءه فإن هذه البشرى تناله"(3).

—

(1) النور/02-03.

(2) العنكبوت/69.

(3) أيسر التفاسير لكلام الله العلي الكبير، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م، ج4، ص155، 156.

أولا: ثقافة السّلم والمصالحة وأثرها في ترشيد السلوك الإنساني(*)

من معاني الإسلام (السِّلم)، ومن أسماء الله الحسنى (السلام)، وتحية المؤمنين في الدنيا والجنة (السلام)، وفي الحديث: « إِنَّ اللهَ جَعَلَ السَّلَامَ تَحِيَّةً لِأُمَّتِنَا، وَأَمَانًا لِأَهْلِ ذِمَّتِنَا » (1).

وحامل هذه الرسالة هو حامل راية السلام، لأنه يحمل إلى البشرية الهدى والنور والخير والرشاد، وهو يحدث عن نفسه فيقول: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » (2).

ويحدث القرآن عن رسالته فيقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (3). والإسلام لا يقف عند حد الإشادة بهذا المبدأ فحسب، " وإنما جعل أساس العلاقة بين الأفراد، وبين الجماعات، وبين الدول، علاقات سلام وأمان.ومن مقتضيات هذه العلاقة: تبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، والإخاء العالمي " (4).

وكذلك فلسفة الدين الإسلامي في التعامل مع المخالف في العقيدة هي السلام: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (5).

إنه وبالرغم من عظمة شأن العمرة التي أريها رسول الله ﷺ في منامه، فعزم على أدائها في تلك السنة، ورغم ما أصابه وأصحابه من وعثاء السفر ولأواء الطريق، إلا أنه أمام

(*) ينظر: مبحث (التأصيل اللغوي والشرعي للمصالحة)، مصطفى بن حبيب شريقن، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي، غرداية، الجزائر، ع11، رجب 1432هـ/جوان 2011م، من ص274 إلى ص294.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أبي أمامة، رقم: 7518، ج8، ص109.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، رقم: 100، ج1، ص91.

(3) الأنبياء/107.

(4) عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1398م/1978م، ص205 وما بعدها باختصار.

(5) الأنفال/61.

تعنت المشركين ورفضهم العمرة ذاك العام، رضي بالرجوع وهو يقول: « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِى خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » [1].

ولذلك الغرض كتب كتابا، وفيه تنازلات ظاهرها العذاب وفي باطنها الرحمة. ومن بينها أنه من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه – أي هاربا منهم – رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد – أي هاربا منه – لم يرد عليه .

ثم تضمن الكتاب بنودا رفض كاتبه علي بن أبي طالب أن يمحوها بيده، فمحاها رسول الله ﷺ..ثم دعا عليا ليكتب الكتاب، فأملى عليه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾..فقال سهيل– مفاوض قريش– أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم. فأمر النبي ﷺ عليا بذلك. ثم أملى: « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ »، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك. ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: « وَاللَّهِ إِنِّى لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِى، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ».

ثم تعاقدوا واتفقوا على رجوع المسلمين هذه السنة، وفي السنة السابعة يخلي أهل مكة الحرم للنبي وصحبه كي يؤدوا عمرتهم قضاء.

لقد حزن المسلمون أيما حزن لهذا الصلح، بل رآه عمر بن الخطاب ذلا ودنية. فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بَلَى». قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلَى». قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: « إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِى ».

قال: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: « بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ ». قال: لا. قال: « فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ ».

–

[1] الجمع بين الصحيحين، عن عروة بن الزبير، عن المسور ومروان، رقم: 2860، ج3، ص283.

ثم انطلق عمر متغيظا فأتى أبا بكر، فقال له كما قال لرسول الله ﷺ، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فو الله إنه لعلى الحق. ثم نزلت : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۝١ ﴾ [1].

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «نَعَمْ». فطابت نفسه ورجع. ثم ندم عمر على ما فرط منه ندما شديدا. قال عمر: فعملت لذلك أعمالا، ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا [2].

لقد كان هذا الصلح المبارك" مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح العظيم(فتح مكة)، أمن الناس به وكلّم بعضهم بعضا، وناظره في الإسلام، وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة من إظهار دينه، والدعوة إليه، والمناظرة عليه، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام، حتى إن عدد الجيش الإسلامي الذي لم يزد في الغزوات السالفة على ثلاثة آلاف إذا هو يزخر في هذه الغزوة في عشرة آلاف" [3].

وفي السنة السابعة للهجرة، وبعد أن فتح الله على المسلمين حصون خيبر، أدرك يهود أنه لا قبل لهم باستمرار المواجهة مع الجيش الزاحف المظفر، فأرسلوا أحد زعمائهم مفاوضا، وهو ابن أبي الحقيق، فقال لرسول الله ﷺ: " أنزل أكلمك. قال : « نَعَمْ»، فنزل، وصالح على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى

---

[1] الفتح/01.

[2] السنن الكبرى للبيهقي، عن عروة، عن المسور ومروان، رقم: 19280، ج9، ص218، ينظر: الرحيق، ص296.

[3] الرحيق، ص352.

الصفراء والبيضاء – أي الذهب والفضة – والكراع والحلقة إلا ثوبا على ظهر إنسان، فقال رسول الله ﷺ: « وَبَرِئَتْ مِنْكُم ذَمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إنْ كَتَمْتُمونى شَيْئاً ». فصالحوه على ذلك. وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين، وبذلك تم فتح خيبر".

أما يهود فدك فقد قذف الله في قلوبهم الرعب بعد فتح خيبر" فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، بمثل ما صالح عليه أهل خيبر، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة، لأنه لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب " [1].

ثانيا: الجهاد لرفع الظلم ورد العدوان

وما حيلة من قوتل على دينه أو على ماله وأرضه إلا أن يدافع عن نفسه فيقاتل من قاتله، بلا جور ولا تجاوز للحدود: ﴿ **وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴿١٩٠﴾ ﴾ [2].

ومن سنن الله في البشر أن يحصل التدافع، لئلا تأسن الحياة بطول الركود وقلة الحراك، تماما مثل الماء الراكد، فإن طول الركود يفسده، وإن طيبه من جريانه وانسكابه.كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

إِنّي رَأَيْتُ وُقُوفَ المَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ [3]

وصدق رب العزة، فإنه لولا الجهاد لأسنت الحياة بالركود والظلم، فسن سنة التدافع الحضاري بقوله الكريم:

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب، ج17، ص182، الرحيق، ص319، 322، 323.

[2] البقرة/190.

[3] ديوانه، دار الهدى، ص13.

﴿ وَلَوْلاَ دِفَعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [1].

وإن الحياة لتفسد بتطاول أهل البغي والطغيان، فلابد من ردعهم وإلجامهم بالجهاد والمقاومة، وبذلك تحفظ مقاصد الشرع الخمسة: الدين والنفس والعرض والمال والعقل.

ولذلك فرض الجهاد وأذن به في كل زمان ومكان: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلاَ دِفَعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [2].

وقد لخّص الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله فوائد الجهاد — من خلال النص القرآني الكريم – في العناصر التالية :

1- نشر السمو الروحي في العالم عن طريق العبادة: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

2- نشر العدالة الاجتماعية بين الشعوب عن طريق الزكاة: ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

—

[1] البقرة/251.

[2] الحج/39-41.

3- تحقيق التعاون على الخير وكرامته ورقيه: ﴿وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

4- وللتعاون على مكافحة الشر والجريمة والفساد: ﴿وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. ثم يقول: وأي قتال عرفته الأمم في القديم والحديث يساوي هذه الغاية في عموم الفائدة للناس جميعا، وبناء المجتمعات على ما يؤدي إلى رقيها وتطورها تطورا إنسانيا، بناء لا رجوع فيه إلى عهد الجاهلية الأولى، من الإباحية والانحلال والإلحاد والحروب وسفك الدماء،كما هو شأن التطور الذي يتم في ظل هذه الحضارة الغربية المادية "[1].

وفي السياق ذاته يقول صفي الرحمن المباركفوري- مقارنا بين الجهاد الإسلامي والحرب الجاهلية-: " بينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي والعدوان، وأخذ الثأر، والفوز بالوتر، وكبت الضعيف، وتخريب العمران، وتدمير البنيان، وهتك حرمات النساء، والقسوة بالضعاف والولائد والصبيان، وإهلاك الحرث والنسل، والعبث والفساد في الأرض – في الجاهلية –، إذ سارت هذه الحرب – في الإسلام – جهادا في تحقيق أهداف نبيلة، وأغراض سامية وغايات محمودة، يعتز بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، فقد صارت الحرب جهادا في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان. إلى نظام العدالة والنصفة، من نظام يأكل فيه القوي الضعيف، إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفا، حتى يؤخذ منه، وصارت جهادا في تخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴿٧٥﴾ ﴾[2]. وصار جهادا في تطهير أرض الله من الغدر والخيانة، والإثم والعدوان إلى بسط الأمن والسلامة والرأفة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.

---

[1] السيرة النبوية (دروس وعبر)، المكتب الإسلامي، دمشق، (دط.دت)، ص114، 115.

[2] النساء/75.

كما شرع للحروب قواعد شريفة ألزم التقيد بها على جنوده وقواده، ولم يسمح لهم الخروج عنها بحال. روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: « اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا » [1]، ونحوهم كالمرأة، وكبير السن، ومن انقطع في صومعته عابدا، كما كان ينهاهم عن قطع الأشجار والنخيل، وعن هدم البيوت، وعن التحريق في النار، ونهى عن النهب.

وأمضى السنة بأن السفير لا يقتل. وشدد في النهي عن قتل المعاهدين حتى قال: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[2]. وكان ﷺ يأمر بالتيسير في كل شيء ، وينهى عن العنف والتشدد ويقول: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا » [3]. وكان إذا جاء قوما بليل لم يغر عليهم حتى يصبح..إلى غير ذلك من القواعد النبيلة، التي طهرت الحروب من أدران الجاهلية، حتى جعلتها جهادا مقدسا"[4].

وقد التزم الصحابة الكرام عليهم الرضوان، ومن جاء بعدهم من المجاهدين الربانيين بهذه التوجيهات القرآنية والنبوية الجليلة، فضربوا أعظم المثل في التسامح والرحمة وحسن المعاملة مع الأعداء الظلمة، وفي أشد الظروف صعوبة، وهي ظروف المواجهة المسلحة، التي غالبا ما تغيب فيها المعاني الإنسانية.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، (بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ)، رقم: 1731، ج3، ص1357.

(2) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، رقم: 2944، ج3، ص335.

(3) الأدب المفرد، البخاري، عن أنس بن مالك، (باب التسكين)، رقم: 473، ج1، ص167.

(4) الرحيق، ص332، ص 380-381.

*** صور من العزّة والثّبات في حياة الصّحابة:**

يقول صفي الدين المباركفوري: " وهنا يقف الحليم حيرانا، ويتساءل عقلاء الرجال فيما بينهم: ما هي الأسباب والعوامل التي بلغت بالمسلمين إلى هذه الغاية القصوى، والحد المعجز من الثبات؟ كيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود، وترجف لها الأفئدة ".

ولم يطل التساؤل كثيرا حتى أشار إلى السبب الرئيس لذلك، وهو الإيمان الحق بالله عز وجل: " الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفة، فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش، وإن صاحب هذا الإيمان المحكم وهذا اليقين الجازم يرى متاعب الدنيا – مهما كثرت وكبرت وتفاقمت واشتدت، يراها في جنب إيمانه – طحالب عائمة فوق سيل جارف، جاء ليكسر السدود المنيعة والقلاع الحصينة، فلا يبالي بشيء من تلك المتاعب، أمام ما يجده من حلاوة إيمانه وطراوة إذعانه وبشاشة يقينه" [1].

ويقول أبو الحسن علي الندوي في هذا المعنى: " ولقد بعث الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنينا غريبا إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها، كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل، لا يلوي على شيئ " [2].

ومن النماذج الرائعة والصور البديعة في قوة الصبر وعظمة الثبات في حياة المسلمين، نسوق الصور التالية:

1- في غزوة بدر الكبرى سأل عوف بن الحارث – ابن عفراء – فقال: يا رسول الله ما

---

[1] الرحيق المختوم، ص101.

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة رحاب، الجزائر، ط10، 1408هـ/1987م، ص94.

يضحك الرب من عبده؟ قال: « غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا » ، فنزع درعا كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل [1].

2- في غزوة أحد، وبعد أن دبت الهزيمة إلى نفوس البعض، فألقوا سلاحهم، وفكروا في الاتصال بعبد الله بن أبي رأس المنافقين ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان، مر بهم الصحابي الجليل أنس بن النضر، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واها لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل، فما عرف حتى عرفته أخته – بعد نهاية المعركة–ببنانه، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم [2].

3- وكان للمرأة نصيب من تلك التضحيات الجسام، فهاهي الصحابية الجليلة أم عمارة تقاتل مع المسلمين يوم أحد، فتعترض لابن قمئة في أناس من المسلمين، فيضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحا أجوف، وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحا [3].

4- وجاءت نسوة من المؤمنين إلى ساحة القتال بعد نهاية المعركة، قال أنس: لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم، وإنهما لمشمرتان – أرى خدم سوقهما – تنقزان القرب

–

(1) الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1393هـ، (باب الفداء بالأسارى)، ج4، ص252.

(2) جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط1، 1900م، ص162، الرحيق، ص226.

(3) السيرة النبوية لا بن هشام، ج4، ص30.

على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، وقال عمر :كانت أم سليط تزفر لنا القرب يوم أحد[1].

5- وكانت في هؤلاء النسوة أم أيمن، فإنها لما رأت فلول المسلمين يريدون دخول المدينة، أخذت تحثو في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم: هاك المغزل، وهلم السيف. ثم سارعت إلى ساحة القتال، فأخذت تسقي الجرحى، فرماها حبان ابن العرقة بسهم، فوقعت وتكشفت، فأغرق عدو الله في الضحك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهما لا نصل له، وقال: ارم به، فرمى به سعد، فوقع السهم في نحر حبان، فوقع مستلقيا حتى تكشف، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوته [2].

6- وفي غزوة الأحزاب وقعت غدرة من يهود بني قريظة، وبينما كان الرسول ﷺ في قلب المعركة، كانت نساء المسلمين وذراريهم في حصن حسان بن ثابت، وكان أحد اليهود يطوف بالحصن، فخشيت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ من غدر اليهودي، فربما اطلع عليهم فدل على عوراتهم، فأمرت حسانا أن ينزل إليه فيقتله، فجبن عن ذلك قائلا: والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فأخذت عمودا، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن، فقالت: يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي من سلبه من حاجة [3].

7- في معركة مؤتة، أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالا منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ

---

[1] أي يحملنها مملوءة ماء، لسان العرب، مادة: (زفر)، ج4، ص324.

[2] الرحيق، ص236.

[3] الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص64.

الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعا إياها حتى قتل. يقال: إن روميا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين.

عن نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره. يعني ظهره [1].

8- ولما قتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد حتى حاد حيدة

ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلُنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ؟ [2].

ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، فانتهس منه نهسة، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل. ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، فقاتل قتالا مريرا، ثم عبر عن موقفه البطولي يومئذ فقال: " لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية " [3].

لقد تابعت الجزيرة العربية كلها أحداث هذه المواجهة الدامية، فكان لها بعيد الأثر في

---

[1] الرحيق، ص334.

[2] السيرة النبوية لابن هشام ، ج1، ص159.

[3] الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417هـ، ج2، ص173.

الهيبة للإسلام والمسلمين، ولقد دخل بسببها الكثير إلى دين الحق، ومن أولئك فروة بن عمرو الجذامي، أحد كبار القادة العرب في جيش الروم وممثلهم في بلاد العرب، ولما أسلم بعث إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، ولما علم الروم بإسلامه أخذوه فحبسوه، ثم خيروه بين الردة والموت، فاختار الموت على الردة، فصلبوه بفلسطين على ماء يقال له: عفراء، وضربوا عنقه رضي الله عنه [1].

يقول صفي الدين المباركفوري معلقا على نتائج معركة الروم — مؤتة –: " وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، الذي عانوا مرارتها لأجله، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها ألقت العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن معنى جلادها هو القضاء على النفس وطلب الحتف بالظلف، فكان لقاء هذا الجيش الصغير – ثلاثة آلاف مقاتل – ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله حقا، ولذلك نرى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم، وأشجع، وغطفان، وذبيان، وفزارة وغيرها..كانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامي مع الرومان، فكانت توطئة وتمهيدا لفتوح البلدان الرومانية، واحتلال المسلمين الأراضي البعيدة النائية " [2].

—

[1] ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج5، ص289-291.

[2] الرحيق، ص335، 336.

المطلب السابع: القيم الإعلامية والتّواصلية (*)

أولا: التّعارف الإنساني مبدأ قرآني

الإسلام دين يمد جسور التعارف والتواصل بينه وبين الأديان والنحل الأخرى، من أجل بناء حضارة إنسانية، ينعم فيها الجميع بقيم الإخاء والتعاون والتعمير الكوني. والأمر يحتاج إلى شبكة من الاتصالات، في شتى الميادين لإيصال كلمة الإسلام للعالمين، سيما ونحن في عصر صار فيه العالم قرية صغيرة، وغدت وسائل الإعلام مما يقرب الشعوب والأفكار في ظرف قياسي، بل وبحوار مباشر على مدار اليوم والليلة، " ويحتاج هذا الأمر لألوف المتبرعين في كل بقعة من العالم، ولوسائل إعلام قوية منتشرة في كل البلاد، وأعتقد أن لدى المسلمين الإمكانيات الشخصية والعلمية والمالية الكفيلة بتحقيق الكثير في هذا المجال، لو خلصت النيات وتكاتفت الجهود " [1].

وتحقيقا لهذا الغرض أجاز الإسلام الزواج بالكتابيات، وهو أعظم رباط من شأنه غرس معاني الترابط الإنساني والاجتماعي بين الشعوب. أما منعه لزواج الكتابي أو المشرك من المسلمة فلغرض حفظ عقيدة وسلوك المرأة وأبنائها، لأن سلطان الزوج أقوى، ولا يرضى الإسلام فتنة عباده عن دينهم وأخلاقهم.

وأما تحريم نكاح المشركات فلما في ذلك من الاختلاف في الدين، والأثر الذي ينجر عنه في تربية الأولاد، وما قد يحدث من التنازع حوله، وحول الميراث وغيرها..قال تعالى في ذلك:

(*) ينظر: منهجية التواصل الحضاري من منظور الفكر البادیسي، محمد بن سمينة، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، س3، ع6، 1423هـ/2002م، ص282 وما بعدها.

(1) هذا هو الإسلام فأين المسلمون، إبراهيم حقي، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2003م، ص185.

﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُومِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّومِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوَ اَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُومِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّومِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوَ اَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [1].

ومما ترتب عن صلح الحديبية وجوب تطليق الكافرات لما نزل من القرآن حينئذ: ﴿ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [2].

وتنفيذا لهذا القرار الرباني فإن المسلمين طلقوا زوجاتهم الكافرات. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك. تزوج أحدهما معاوية، وبالأخرى صفوان بن أمية [3]. وقد أقر النبي ﷺ صفوان – بعد إسلامه – على نكاحه الأول من زوجة كانت تحته مسلمة. وهذا من دقيق حكمته ﷺ، فلم يشأ أن يقطع ما كان موصولا [4].

ولتحقيق معاني التواصل والتسامح الديني فقد أجاز الإسلام أن يتولى غير المسلمين في دولة الإسلام المناصب والولايات، التي ليس لها علاقة بالسيادة الدينية والوطنية، مثل الشؤون الدينيية والتربوية والثقافية والعسكرية. بشرط توفر الكفاءة والأمانة، وتنفيذا لقوله تعالى :

–

(1) البقرة/221.

(2) الممتحنة/10.

(3) السيرة الحلبية، ج2، ص718.

(4) الرحيق، ص349، ترى هيئة (مجلس الإفتاء الأوروبي) جواز الإبقاء على العلاقة الزوجية، في حال إسلام أحد الزوجين، لئلا يكون الدخول في الإسلام سببا في قطع العلائق الأسرية والاجتماعية في بلاد الغرب المسيحي، ومما استدلوا به قول الإمام الزهري: "أنهما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما السلطان"، وبهدي عمر بن الخطاب حين خيَّر زوجة النصراني حين أسلمت، بين فراقه وإقامتها عليه، ينظر: موقع الفقه الإسلامي: تاريخ التحميل: 2013/01/03م، 14.25سا.

﴿ لا يَنْهٰىكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾ [1].

وفي النص الكريم توجيهات توثق معاني التواصل، ولو في أشد الحالات حرجا، وهي الهدنة مع المحاربين، الذين دخلوا مع المسلمين في عهد: (الاستئمان)، فلا يجوز الغدر والخيانة واستحلال الأموال والأعراض: "..وإذا دخل المسلم دار الحرب[*] تاجرا فلا يحل له أن يتعرض لشيء من أموالهم، ولا من دمائهم، لأنه ضمن أن لا يتعرض لهم بالاستئمان، فالتعرض بعد ذلك يكون غدرا، والغدر حرام " [2].

وفي أواخر السور المدنية الكريمة نزل ما يوجب على العالمين التواصل والتعارف فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾ [3]. وقد تلا رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة يوم فتح مكة ثم قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ» [4].

وقد كانت الغزوات والسرايا التي خاضها المسلمون مع أعدائهم فرصة لهذا التواصل، من خلال ما عرف (بالتّسرّي)، فقد تسرى رسول الله ﷺ بمارية القبطية أم إبراهيم وهي

---

[1] الممتحنة/08.

[*] يحلو لبعض المفكرين المسلمين المعاصرين وصفها بدار الدعوة، ترسيخا لمعاني السلم والتواصل الحضاري.

[2] نصب الراية، ج3، ص657.

[3] الحجرات/13.

[4] رواه الترمذي في سننه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، (باب ومن سورة الحجرات)، رقم: 3270، ج5، ص389.

نصرانية ثم أسلمت [1]. ولما سبى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب-زمن خيبر، وكانت يهودية-، اتخذها زوجة لها بعدما خيرها بين أن تكون زوجة حرة مسلمة، ويكون صداقها مقابل عتقها، أو التسري بها مع الرق، فاختارت الأولى، وصارت بها أمّا للمؤمنين رضي الله عنها. "ورأى بوجهها خضرة ، فقال: « مَا هَذَا؟ » قالت: يا رسول الله، رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه، وسقط في حجري، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئا، فقصصتها على زوجي، فلطم وجهي. فقال: تمنين هذا الملك الذي بالمدينة" [2].

وقد تسرى كثير من الصحابة بالكتابيات، اقتفاء بنبيهم، فكان لذلك أبلغ الأثر في نفوس اليهود والنصارى، فدخل كثير منهم في دين الإسلام: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُومِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَّكْفُرْ بِالِايمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي ٱلاَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ۝ ﴾ [3].

ثانيا: قواعد وضوابط في التواصل

ومن القواعد التي يجب اعتبارها واستصحابها في عملية التواصل بين المسلمين وغيرهم ما يلي:

1- **لا إكراه في الدين**: الإسلام دين الحرية والحوار، فهو لا يكره غير المسلمين على الدخول فيه، بأي لون من ألوان الإكراه والتهديد:

---

(1) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية، (د.ط)، 1414هـ/1993م، ص59.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ج4، ص307، الرحيق، ص321، 322.

(3) المائدة/05.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [1].

وما على الداعي سوى تبليغ كلمة الحق، ثم لا عليه إن آمن الناس أو كفروا: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2]. وعندما تتبين معالم الحق وسبيل الرشد، فلا حجة للمكذبين، ولا سلطان لأهل الحق عليهم فلا يكرهونهم على اعتناق الدين: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [3].

" لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدودا تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين في العصور المبكرة من التاريخ الإسلامي – وهو ما ينكره الباحثون غير المنصفين، وما قد تضيق به للأسف صدور بعض الدعاة الإسلاميين في عالم اليوم –، لقد مد المسلمون تلك الميزة: (حرية الاعتقاد) التي منحها الله لليهود والمسيحيين والصابئين في القرآن، حتى شملت الزرادشتيين، والهندوسيين، والبوذيين، والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بهم.كما اعترف للمجوس بأنهم أهل ذمة، منذ قبلت منهم الجزية على عهد رسول الله ﷺ، وفي القرن الرابع الهجري كان لهم – كاليهود والنصارى – رئيسا يمثلهم في قصر الخلافة ودار الحكومة. لقد كان هذا الاعتراف المبني على احترام الاعتقاد، سببا رئيسيا في استمرار تلك المعتقدات حتى بقي منها ما بقي، واندثر ما اندثر بفعل حركة التاريخ، وليس بإرادة السلطة الإسلامية " [4].

–

(1) يونس/99.

(2) الكهف/29.

(3) البقرة/256.

(4) مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين)، فهمي هويدي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص62.

2- دعوة العباد إلى الإسلام: رغم أن الإسلام لا يقر بغير الإسلام دينا إلا أنه حفظ لأهل الكتاب –خصوصا- حقوقهم الدينية والمادية، واعتبرهم رعايا في الدولة الإسلام مصوني الأموال والأعراض والمقدسات.كما مد جسور التواصل مع غيرهم من المشركين والملحدين بواسطة الحوار والجدال بالتي هي أحسن. وقد قرر تعالى أن أمة الإسلام هي الأمة الخاتمة الخيرية الشاهدة والوسطية، وبالتالي فلها حق قيادة العالم بحكم القرآن والسنة، لأن رسالتا الإسلام إلى العالمين.. كل ذلك بلا استعلاء ولا تسلط. فقال في فضلها وقياديتها العالمين: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ [1].

وقال تعالى في خيرية الأمة المسلمة: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ [2]. " فكأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه ستحدث في الكون معركة لن يفصل فيها إلا شهادة هذه الأمة(..) فاليمين أو الرأسمالية على خطأ، والشيوعية على خطأ(..)، أما منهج الله الذي وضع الموازين القسط للكون والحياة والإنسان فهو الصواب(..)، ثم يخبرنا الحق تبارك وتعالى أن الرسول ﷺ سيكون شهيدا علينا، هل كان عملنا وتحركنا مطابقا لما أنزله على رسوله ﷺ وبلغه الرسول ﷺ لنا؟ أم أننا اتبعنا أهواءنا وانحرفنا عن المنهج؟ الرسول ﷺ سيكون شهيدا علينا في هذه النقطة(..)، تلك الآية وإن كانت قد بشرت الأمة الوسط بأن العالم سيعود إلى حكمها، فذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا سادت شهادة الحق والعدل فيها " [3].

–

[1] البقرة/143.

[2] آل عمران/110.

[3] تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، طبع أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مصر، 1991م، ج1، ص628.

ومن أعظم مهام الدولة في الإسلام تبليغ كلمة الله للعالمين، ولتحقيق هذه الغاية العظمى كان لا بد على أجهزة الدولة أن " تشرف على:

أ/ إعداد الدعاة على المستوى الذي يتطلبه العصر الذي يعيشون فيه، والمجتمع الذي يمارسون فيه الدعوة، إعدادا علميا فنيا ميدانيا.

ب/ تنظيم وسائل الإعلام والتنسيق بينها، لتؤدي مهمتها في الدعوة إلى الله.

ت/ توجيه دعوة الله إلى عامة المسلمين والمقصرين في حق دينهم، وتوجيه الدعوة إلى غير المسلمين في العالم كله "[1].

وهاهي الأمة اليوم تتململ في طول البلاد العربية والإسلامية وعرضها، تريد تحقيق مبدأي الحق والعدل، فإذا ما تم لها ذلك، فسوف تكون مؤهلة بالفعل لحمل أمانة: (الشهادة على الناس) باقتدار ورسالية.

3- الدين عند الله الإسلام: يجب الانطلاق من أرض صلبة،وهي اعتبار أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى،وأن ما سواه من الديانات محرف ومنسوخ بالإسلام. وكذا اعتبار الدعوة إلى توحيد الأديان (الإبراهيمية) [*]دعوة باطلة يراد بها تذويب الإسلام ومحو معالمه.والقرآن الكريم قرر بحزم وحسم أنه لا دين مقبول عند الله تعالى سوى دين محمد ﷺ. فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[2].

---

(1) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م، ص427.

(*) الإبراهيمية: وحدة الأديان، ومعناها أن تذوب كل الأديان-بما فيها الإسلام-في دين واحد، أسموه بهذا الاسم.

(2) آل عمران/19.

وقال في موضع آخر: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1].

وقد أكدت السنة ذلك بقوله ﷺ:« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [2].

4- الحوار والجدال بالتي هي أحسن [*]: الحوار والجدل، والمحاورة والمجادلة، ألفاظ متقاربة المعاني اللغوية، ويراد بها: المناقشة والمناظرة والمراجعة في الكلام [3].

ومن الناس من لا يستجيب لداعي الحق لجهله وظلمة شركه التي أعمت بصره وبصيرته، وأصمت سمعه، فهؤلاء ينبغي الترفق معهم، بالعفو عنهم وهجرهم، وتخويفهم بمصيرهم المشؤوم يوم الدين، إن هم أصروا على تكذيبهم ولجوا في طغيانهم، فقال تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [4].

وفي وجوب الإعراض عن المشركين، والترفع عن المستهزئين جاء قوله تعالى:﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ

---

(1) آل عمران/85.

(2) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، (باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام)، رقم: 153، ج1، ص134.

(*) ينظر:الحوار من المنظور الإسلامي، محمد إبراهيم السامرائي، مجلة الصراط، س3، ع6، رجب 1423هـ/سبتمبر2002م، ص86 وما بعدها، حوار الحضارات بالقول والفعل، آرثر كريس إيكل، ص126 وما بعدها، المرجع نفسه، وينظر أيضا: الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، دار القرآن الكريم، بيروت، (د.ط)، 1398هـ/1987م، ص70.

(3) المعجم العربي الأساسي، (مادة: ح و ر)، ص362.

(4) الأعراف/199.

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1].

ولما كان من أخلاق النفس البشرية المكابرة والعناد، وهي في شرودها عن الحق مثل الفرس الجموح، صار الحوار والجدال الحسن مما يروّضها ويجعلها سلسة الانقياد، سهلة الفيء: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [2].

ولما كان أهل الكتاب أقرب الناس إلى الدين، باعتبار أن لهم كتبا منزلة، خلافا للكفرة الملحدين، فإن تخصيصهم بالدعوة تكرر كثيرا في القرآن، ففي الفترة المكية كان الأمر للمسلمين بذلك، استعدادا لمعاشرتهم في المرحلة المدنية، ففي سورة العنكبوت – وهي السورة المكية ما قبل الأخيرة – تحث على مجادلة أهل الكتاب بالحسنى، فجاء فيها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

والأصل في العلاقة معهم البر والقسط، إلا أولئك الذين ناصبوا المؤمنين العداء، فأخرجوهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم وإلحاق الأذى بهم، مثل الحصار والتشويه الإعلامي وغيره، تماما مثل الذي حدث مع المسلمين في الحروب الاستعمارية المعاصرة: نموذج: (الجزائر– فرنسا)، (إسرائيل– فلسطين)، فليس مع هؤلاء إلا لغة السنان والجهاد، ولن يفل الحديد إلا الحديد، قال تعالى في الفريقين:

–

(1) الحجر/94-96.

(2) النحل/125.

(3) العنكبوت/46.

﴿ لاَّ يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [1]. " فالإسلام – هنا – يقرر دستوره الحق، فيجعل الخصومة والمقاطعة خاصة بحالة العدوان، فأما حين تنتفي هذه الحالة فهو البر لمن يستحقه، وهو المعاملة الحسنة والتآلف، وليس هناك من عائق يحول دون هذا الاتجاه"[2].

وفي المرحلة المدنية تكرر التأكيد على هذا المعنى الحضاري العظيم، المتمثل في مخاطبة أهل الكتاب بخطاب العقل، المتسم بالجدال الحسن، والنداء العلوي الرحيم، فقال تعالى–مخاطبا وداعيا–: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

وفي السنة السابعة للهجرة طفق رسول الله ﷺ يراسل أمراء وملوك العالم في عهده، يقيم عليهم الحجة، وينبذ إليهم على سواء [*].

"ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له: إنهم لا يقبلون كتابا إلا وعليه خاتم، فاتخذ

–

(1) الممتحنة/08-09.

(2) خصائص المجتمع الإسلامي، ص136.

(3) المائدة/19.

(*) تنفيذا لقوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾، سبأ/28. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾، الأنبياء/107.

النبي ﷺ خاتما من فضة، نقشه: {محمد رسول الله}، واختار من أصحابه رسلا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك" [1].

وممن أرسل إليهم[*]:

- النجاشي ملك الحبشة.

- المقوقس ملك مصر(مع الصحابي حاطب بن أبي بلتعة).أهدى المقوقس النبي ﷺ مارية القبطية، ولم يسلم.

- كسرى ملك فارس(مع الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي). مزق كسرى الكتاب فمزق الله ملكه، فقد قتله ولده شيرويه، وكان هذا الحدث سببا في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن.

- قيصر ملك الروم(مع الصحابي دحية بن خليفة الكلبي). تأثر بكتاب النبي ﷺ قائلا: "فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه"، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، فخرج من عنده دحية محملا بهدايا من المال والكسوة.

- المنذر بن ساوى حاكم البحرين(مع الصحابي العلاء بن الحضرمي). فرد المنذر بقوله: "أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه،ودخل فيه،ومنهم من كرهه،وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك".

---

[1] الرحيق/299.

[*] نفسه، من ص299 إلى ص308، باختصار.

– هوذة بن علي صاحب اليمامة(مع الصحابي سليط بن عمرو العامري). فرد هوذة بقوله: " ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك ". وأجاز سليطا بجائزة، وكساه أثوابا من نسج هجر.

– الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق(مع الصحابي شجاع بن وهب الأسدي). ولما بلغه الكتاب قال: " ومن ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه"، ولم يسلم.

– ملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي(مع الصحابي عمرو بن العاص).فرد: " ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه أن يدعه ويصير ذنبا ". ولكنهما بعدما تحاورا قررا الدخول في الإسلام.

وكنموذج من تلك الرسائل الكريمة، نذكر الرسالة (*) التي أرسلها إلى النجاشي ملك الحبشة، يدعوه فيها إلى دين الإسلام، وما رد به عليه. ومما جاء في ذلك: « مِنْ مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ إِلَى النجَاشي عَظِيمِ الحَبَشَة، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتبَعَ الهُدَى، أَما بَعْدُ: فَإِني أَحْمدُ إِلَيْكَ اللهَ الذِي لَا إِلَهَ إِلا هُو المَلِكُ القُدوسُ السَلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ، وأَشْهَدُ أن عِيسَى ابْن مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ البَتُول الطيبَة الحَصِينَة، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى مِن روحِهِ ونَفْخِه، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِه، وَإِني أَدعُو إِلَى اللهِ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِه، وَأَنْ تَتبعَنِي، وَتُؤْمِنَ بِالذِي جَاءَنِي، فَإِني رَسُولُ الله ﷺ ، وَإِني أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللهِ عَز وَجَل، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبلْ نَصِيحَتِي، وَالسلَامُ عَلَى مَنِ اتبَعَ الْهُدَى ».

ولما بلغ عمرو بن أمية الضمري كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أخذه النجاشي، ووضعه على عينه ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب.

(*) وهذه الرسالة المباركة عثر عليها المستشرق: (د.م. دنلوب)، ونشرها في مجلة الجمعية الملكية الإنجليزية سنة: 1940م، ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط5، 1985م، ص101 ، 102.

وكتب إلى النبي بذلك: " إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا [1]، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعث به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين" [2].

وقد توفي النجاشي هذا في رجب سنة تسع من الهجرة بعد تبوك، ونعاه النبي ﷺ يوم وفاته، وصلى عليه صلاة الغائب. ولما مات وتخلف على عرشه ملك آخر كتب إليه النبي ﷺ كتابا آخر، ولا يدري هل أسلم أم لا ".

وبهذه الكتب الكريمة المرسلة دخل من دخل في الإسلام، وأعرض من أعرض، ولكن الناس تناقلوا أمر الدين الجديد والرسول المظفر. فأغرى الكثير منهم على التعرف عليه والدخول فيه.

---

[1] الثفروق جمعها: الثفاريق، وهي العناقيد، يخرط ما عليها، فتبقى عليها الثمرة والثمرتان والثلاث، فتلقى للمساكين. فكني بالثفاريق عن القليل الباقي في عنقوده، جامع البيان في تأويل القرآن، ج12، ص163، إصلاح المنطق لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ،دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949م، ص386.

[2] نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الخضري، تحقيق: هيثم هلال، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص146.

ثالثا: الإعجاز البياني والعلمي وسيلتنا إلى التواصل الحضاري (*)

نزل القرآن الكريم بلسان العرب، وهي أمة تحسن البيان وقرض الشعر، وتتذوق أساليب البلاغة، ولذلك نزلت آياته قمة في البيان والبديع والتصوير الفني، الذي أعجزهم وبهرهم، وقد تحداهم أن يأتوا بآية منه، بله بسورة منه، ناهيك عن مناظرته والإتيان بمثله.

وقد تفطن لأهمية الإعجاز البياني والعلمي على السواء وضرورته البالغة في الدعوة الإسلامية – منذ سنين عديدة – ثلة من العلماء والدعاة، ونذكر منهم: الطبيب المسلم محمد علي البار، والجواهري صاحب التفسير العلمي للقرآن الكريم، وخالص جلبي، وعبد المجيد عزيز الزنداني، وزغلول النجار، وعبد الله المصلح، وعبد الله جلغوم صاحب الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم، وأخيرا وليس آخرا الطبيب المسلم جميل قدسي دويك صاحب نظرية التوازن الغذائي في القرآن الكريم.

إن الجهود الجبارة التي يقوم بها أصحاب مشروع: (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) قد آتت أكلها في كثير من ميادين العلوم، وفي قلوب الكثير من العلماء، فدخلوا في دين الله أفواجا وأرسالا. ولا يزال كثير منهم يفكرون في الدخول فيه، مع اعترافهم بعظمة القرآن والسنة، وأنهما وحي من الله تعالى، وهذا وحده كاف، ليزداد به الذين آمنوا إيمانا، ولينتفي عن المؤمنين من أهل الكتاب الشك والريب: ﴿ **وَيَزْدَادَ ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُومِنُونَ** ﴾ (1).

(*) لم أراع ترتيب النزول في هذا العنصر وإلى آخر الرسالة، فغرضي هو بيان الإعجاز البياني والعلمي في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من باب أنه وسيلة للتواصل الحضاري مع غير المسلمين، وليزداد به يقين المسلمين، كما في الآية: (31) من سورة المدثر الكريمة.

(1) المدثر/31.

ولما كانت السنة الشريفة وحيا من الله يوحى بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝** ﴾ [1]. فقد جاءت عباراتها-كما القرآن- معجزة في ألفاظها وتراكيبها، وعُدّ الرسول ﷺ بذلك أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء.

وفي تعريف المعجزة يقول فضيلة الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله تعالى: " المعجزة هي خرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليدل على منهجه، ويثبتهم به، ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم، والسماء حين تؤيد وتنصر، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئا " [2].

وقد امتاز الإعجاز القرآني والنبوي بالروحية والعقلية أكثر منه بالحسية المادية، يقول الشيخ محمد علي الصابوني في هذا المضمار [3]: "..ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات حسية تتناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه،كمعجزة(موسى) عليه السلام،حيث كانت:(اليد والعصا)، لأنه بعث في زمن كثر فيه السحرة واشتهر فيه السحر. فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة روحية عقلية، وقد خصه الله بالقرآن: معجزة العقل الباقي على الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر، فيستنيروا بضيائها، وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال: « مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْ آمَنَ، عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ » [4].

---

(1) النجم/03-04.

(2) معجزة القرآن، إعداد: أحمد زين، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط)،1990م، ص05.

(3) ينظر: التبيان في علوم القرآن، ص86، وما بعدها بتصرف يسير.

(4) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الاعتصام-بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ)، رقم: 7274، ج9، ص 92.

ولله درّ أحمد شوقي حيث يقول:

جاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَت وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ

آياتُهُ كلمَا طَالَ المدَى جُدُدٌ يَزِينُهُنَّ جَلَالُ العِتْقِ والقِدَمِ [1]

القرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق، في أسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان، عن وجوه إعجاز القرآن، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، وقد أجمع أهل العربية قاطبة، وأهل اللسن منهم والبيان على أن القرآن معجز بذاته، أي أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد، الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثر، ولا من شعر، ومسحته اللفظية الخلابة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، وبراعته الفنية ".

وقد لخص الصابوني وجوه الإعجاز القرآني في العناصر التالية:

"**أولا**: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.

ثانيا: الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

ثالثا: الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.

رابعا: التشريع الدقيق الكامل،الذي يزكل تشريع وضعي.

خامسا: الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي.

سادسا: عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.

سابعا: الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.

---

[1] الشوقيات (السياسة والتاريخ والاجتماع)، مطبعة مصر، (دط.دت)، ص246.

ثامنا: العلوم والمعارف التي اشتمل عليها: (العلوم الشرعية والعلوم الكونية).

تاسعا: وفاؤه بحاجات البشر.

عاشرا: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء".

وقد خاطب بل وتحدى الشارع الحكيم بكتابه وسنة نبيه جميع الخلائق بمن فيهم الفلاسفة، والعباقرة، والعلماء، والحكماء،والبلغاء والفصحاء.. وجاء لجميع البشر بدون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [1].

إن تعلم اللغة العربية على أصولها لمما يغري في الدخول إلى الإسلام، ذلك أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد سيقا بأبلغ عبارة وأعمق معنى، ولذلك يعد الحث على تعلم العربية في بلاد الإسلام والغرب اليوم لمن أوجب الواجبات، وربما يكون المستشرقون أفهم لعبارات الكتاب والسنة من عرب اليوم، الذين أهملوا لغتهم الأم، وقد يدخل بها أولئك إلى الإسلام، ويعودون إلى بلاد المسلمين دعاة مجددين [*].

إن الثورة العلمية والتكنولوجية في عصرنا الحاضر قد جعلت من العالم قرية صغيرة، وصار التواصل بين الناس سريعا وقريبا، ولم تعد المعلومة قاصرة على أصحابها الذين اخترعوها، ولذلك صار واجبا على الدعاة المسلمين ربط أواصر فكرية وعلمية مع غير المسلمين، من باب الدعوة إلى الله تعالى، بإطلاعهم على ما بين أيدينا من نصوص شريفة تتفق مع ما وصلوا إليه من علوم ومخترعات.

---

[1] الإسراء/88.

[*] كما تنبأ بذلك كثير من مفكري الإسلام، ومنهم العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله.

إن القرآن الكريم قد نزل بعشرات الإشارات العلمية في شتى ميادين العلوم، وكذا الشأن بالنسبة للسنة المطهرة. وقد جاء علماء الغرب –بعد هذه القرون الطويلة– ليؤكدوا حقيقتها، وهذا من الإعجاز الغيبي الذي ساق منه رب العزة الكثير من الأخبار، ولا تزال الكثير من النصوص القرآنية والنبوية تنتظر من يبين ما فيها من العلوم والحكم.

1- الإعجاز البياني: وقد جاء ذكر البيان ومفهومه في النصوص الشرعية وأقوال بعض علماء العربية، ومنها قوله تعالى: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤** ﴾ [1]، الذي امتن فيه على الإنسان بتعليمه القرآن والبيان، كما أنه حجة على العرب وغيرهم، ممن أوتوا اللسان العربي المبين. وشاهده ما رواه زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ: « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[2].

وجاء في المستطرف [**]: " قال ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول. وقال الجاحظ: البيان اسم جامع لكل ما كشف لك من المعنى.وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ **أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ** ﴾ [3]، أي: وثيقة،كأنها قد بلغت النهاية.

أما البلاغة فقد جاء في تعريفها من حيث اللغة: البلوغ والإشراف، فتقول: بلغت المكان، إذا أشرفت عليه وإن لم تدخله، قال تعالى في ذلك: ﴿ **فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ** ﴾ [4].

وقال اليوناني: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

–

(1) الرحمن/01-04.

(2) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الجمعة–بَابُ الخُطْبَةِ)، رقم: 5146، ج7، ص19.

(**) ص73وما بعدها، مع تصرف يسير.

(3) القلم/39.

(4) الطلاق/02.

وقال الكندي: ينبغي للبليغ أن يكون قليل اللفظ،كثير المعاني.

وقيل: إن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ فقال: أقلهم لفظا، وأسهلهم معنى، وأحسنهم بديهة، ولو لم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم محمد ﷺ وافتخر به، حيث يقول: « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي » [1]. وذلك أنه كان ﷺ يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة.

وقال البحتري: خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل.

وروي أن ليلى الأخيلية [2] مدحت الحجاج فقال: يا غلام اذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها. فجاء الغلام بالحجام، فقالت: ثكلتك أمك، إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة. فلولا تبصُّر هذه المرأة البليغة بأنحاء الكلام، ومذاهب العرب، والتوسعة في اللفظ، ومعاني الخطاب لكان هذا الغلام الأحمق سببا في قطع لسانها على الحقيقة.

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أتبيعه؟ فقال: لا رحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم. هلّا قلت: لا، ورحمك الله.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الجهاد والسير–بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: « **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ** »)، رقم: 2977، ج4، ص54.

[2] هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة، وفدت على الحجاج مرات. فكان يكرمها ويقربها، وطبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء، وكانت بينها وبين النابغة الجعدي مهاجاة. لها ديوان شعر، ماتت في (ساوة)، سنة(80هـ/700م)، الأعلام، الزركلي، ج5، ص249.

وذكر أن المأمون سأل يحي بن أكثم عن شيء فقال: لا، وأيد الله أمير المؤمنين. فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو، وأحسن موقعها.

ومن أدق ما قيل في البلاغة قول فخر الدين الرازي: إنها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل، والتطويل الممل.

ويزعم بعضهم أن : البلاغة في المعاني، والفصاحة في الألفاظ ".

لقد سحر القرآن العرب ببيانه وبديعه وبلاغته، ذلك أنه نزل على لسانهم وبلغتهم، فأدركوا معانيه وجمله ومفرداته، ومع ذلك لم يستطيعوا مناظرته ومقارعته، بل تحداهم القرآن أن يأتوا بآية منه، بله بسورة منه. ولما لم يبلغوا إلى ذلك سبيلا راحوا ينعتون صاحبه بالسحر، وقول الشعر، وأنه له رئي من الجن، وأنه من كلام البشر، وأنه وأنه.. ليصدوا الناس عنه. قال الشنقيطي: " كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من جبر ويسار، وكانا غلامين نصرانيين بمكة، وقد أوضح الله تعالى بطلان افترائهم هذا في آيات كثيرة كقوله: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [1] " [2].

وهاهي ذي نماذج من بعض بلغاء العرب الذين سلب القرآن قلوبهم وعقولهم، وإن أنكروه بلسانهم ومقالهم:

1- فهذا الوليد بن المغيرة كأنه رق للقرآن لما تلاه عليه رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوه لك، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله(أي: لتنال من فضله)، فقال الوليد: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا.

---

[1] النحل/103.

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج1، ص489.

فقال له أبو جهل: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، قال: " وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه " [1].

2- وهاهو عتبة بن ربيعة أحد أساطين البلاغة لما قرأ عليه الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ **حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ** ﴾[2].

فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿**صَٰعِقَةٗ**﴾ أمسك على فم النبي وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة إلا قد صبأ، فانطلقوا إليه وقالوا : ياعتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت، فغضب ثم قال لهم: والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بكهانة، وقد ناشدته بالرحم أن يكف خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب" [3].

قال القرطبي معلقا على هذه الحادثة: " وإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قط، كان في هذا القول مقرا بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه" [4].

---

[1] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410هـ/ 1990م، ج1، ص266.

[2] فصلت/01-13.

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (طبعة دار عالم الكتب)، ج15، ص388.

[4] نفسه، ج1، ص73.

وكفى بهذه الشهادة على إعجاز الكتاب العزيز، وكونه وحي من الله تعالى، وليس من كلام محمد أو غيره من البشر كما يزعمون.

3- جاء في السيرة أن أبا جهل والأخنس بن شريق وأبا سفيان بن حرب كانوا يترددون -كل بمفرده- على دار النبي ﷺ يسمعون لتلاوته فتأخذ بألبابهم، ولما يلتقي بعضهم بعضا ويتكاشفون ويتلاومون على فعلهم ذاك يتعاهدون أن لا يعودوا إلى السماع مرة أخرى، ولكن سحر القرآن ما ترك لهم حلوما ولا عهودا، فيعودون مرات ومرات.

قال محمد بن إسحاق في السيرة: "حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه حُدّث أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي - حليف ابن زهرة - خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا. حتى إذا جمعتهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء،

فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه. قال: فقام عنه الأخنس وتركه [1].

4- ومما يظهر تأثر العرب بلغة الوحي أن جبير بن مطعم رضي الله عنه صلى المغرب خلف النبي ﷺ، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ أَم خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلْيَاتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ ﴾ [2]. قال جبير: " كاد قلبي يطير " [3].

5- وفي المحرم من السنة التاسعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم، فقدم عشرة من رؤسائهم إلى النبي ﷺ، " فأظهروا رغبتهم في المفاخرة والمباهاة، وقدموا خطيبهم عطارد بن حاجب فتكلم، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس – خطيب الإسلام – فأجابهم، ثم قدموا شاعرهم الزبرقان بن بدر فأنشد مفاخرا، فأجابه شاعر الإسلام حسان بن ثابت على البديهة.

ولما فرغ الخطيبان والشاعران قال الأقرع بن حابس: خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، وأقوالهم أعلى من أقوالنا، ثم أسلموا، فأجازهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم " [4].

- **الشعر رسالة وسلاح:**

وكان للشعر سوقه وفرسانه، وكان سيفا ذا حدين، فربما جبر وربما كسر، وربما وصل وربما قطع.

---

(1) تفسير ابن كثير، ج5، ص83، 84 .

(2) الطور/35-38.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، 1415هـ/1995م، ج7، ص308.

(4) الرحيق/365.

* كان حسان بن ثابت أحد فرسان الشعر في حياة النبي ﷺ، يذود عن النبي ودينه الحق، وكان النبي يقول له: « أَهْجُهُم وَرُوحُ القُدُسِ مَعَكَ » [1]: يريد قريشا وسائر الأعداء من العرب.

* وفي سوح الوغى والمعارك كان للشعر – أيضا–كلمته وصولته وسطوته، فقد قال رجل لعامر بن الأكوع – عند مسير المسلمين إلى خيبر –: " ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ – وكان عامر رجلا شاعرا –. فنزل يحدو بالقوم، يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَـــا

فَاغْفِرْ فِدَاءٌ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَـا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِـــينَةً عَلَيْنَـــا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَـــا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا [2]

فقال رسول الله ﷺ – متفاعلا ومتجاوبا ومقرّا –:« مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟ » قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: « يَرْحَمُهُ اللَّهُ ». فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به. وكانوا يعرفون أن رسول الله ﷺ لا يستغفر لإنسان يخصه إلا استشهد، وقد وقع – فعلا– شهيدا في حرب خيبر. فزكاه النبي بقوله: « إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ – وجمع بين إصبعيه – إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ » [3].

* وكان الشعر مما يتقوى به المجتمع الأول في جهادهم وأعمالهم الشاقة، ففي بنائهم المسجد النبوي ويوم الخندق كانوا يرتزجون بقولهم:

–

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393هـ/ 1973م، ج1، ص489.

(2) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، ج 2، ص 111.

(3) رواه البخاري في صحيحه، عن سلمة بن الأكوع، (كتاب الأدب– بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الشِّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ)، رقم: 6148، ج8، ص35.

نَحْنُ الَّذِيـــنَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِيــنَا أَبَــدَا [1]

فيجيبهم ﷺ بقوله الشريف:

«اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ» [2]

وهذا من جميل ذوقه ﷺ وتجاوبه مع الكلام الطيب.

وكان ذلك مما يزيد في نشاط الصحابة، فيقول أحدهم:

لَئِنْ قَعَــدْنَا وَالنَّبِــيُّ يَعْمَــلُ لَذَاكَ مِنَّــا العَمَــلُ المُضَلَّــلُ

*وفي عمرة القضاء طاف المسلمون بالبيت العتيق، والكفار مصطفون ينظرون إليهم،"وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز – متوشحا بالسيف –:

خَلُّوا بَنِــي الكُفَّارِ عَن سَبِـيلِه خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ فِي رَسُــولِه

قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَــنُ فِي تَنْزِيلِه فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُــولِه

يَــارَبِّ إِنِّــي مُؤْمِنُ بِقِيــلِه إِنِّــي رَأَيْتُ الحَقَّ فِـي قَبُــولِه [3]

فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي: « خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ » [4].

إن القرآن الكريم قد ذم عموم الشعر، ولكنه استثنى منه ما كان خالصا لوجهه تعالى، فالشاعر المؤمن يرعى حق الله تعالى، وحق العباد، فلا يتلفظ بكلمة سيئة، ولا يتسبب في

–

[1] فضائل الصحابة، أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1405هـ/1985م، بيروت، ج1، ص64.

[2] رواه مسلم في صحيحه،عن أنس، (باب غزوة الأحزاب)، رقم: 1804، ج3، ص1431.

[3] السيرة النبوية لابن هشام، ج3، ص25، الرحيق، ص329، 330، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1399هـ/1979م، ج5، ص131.

[4] رواه الترمذي في سننه، عن أنس، (بَابُ مَا جَاءَ فِي إِنْشَادِ الشِّعْرِ)، رقم:2847، ج5، ص139.

مكروه لغيره من الخلق. قال تعالى في الشعر والشعراء: ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتْبَعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [1].

إن القرآن الكريم والسنة الشريفة – بهذه المثابة – ثورة لغوية، لم تشهدها لغة من لغات البشر، ما خلا العربية، وقد وسعت ألفاظهما الدلالة على كل حقائق الكون المنظور والمستور، عالم الغيب، وعالم الشهادة، وذلكم في نظرنا هو السر، أو طرف من السر في الإعجاز القرآني والنبوي.

ولا يعرف قدر ذلك إلا أمة ربيت على تعاليمهما، وعقول ارتوت بمعينهما، ونفوس مشوقة إلى بيانهما، أولئك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [2].

والمقصود هنا إعجاز اللفظ والمعنى معا. جاء في كتاب المباني في نظم المعاني: " وكما أن ظاهر نظمه لو وقع فيه خلل لكان للطاعنين فيه مقال، فكذلك إن وقع في نظم معانيه زلل كان للمعرضين عنه مجال.وإليه أشار بقوله سبحانه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3]. أراد– والله أعلم – من جهة نظم ألفاظه ولا من جهة أحكامه ومعانيه، ولكن هذا علم خاص يختص الله به من يشاء فيهديه إلى معرفة طرق منه دالة على منازل شرف به وعنه، وهو الذي قال تعالى:

–

(1) الشعراء/224-227.

(2) ق/37.

(3) فصلت/42.

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (1)" (2).

أ/ نماذج من الإعجاز البياني في القرآن الكريم (*): القرآن الكريم في أسلوبه الرباني يعتبر في الذروة والكمال من حيث الأسلوب البياني والسبك اللغوي، فليس بالشعر ولا بالنثر الذي يتكلم به سائر البشر، ويتميز القرآن بخصائص أسلوبية على النحو التالي:

الخاصية الأولى: يجري على نسق بديع خارج عن المألوف من نظام كلام العرب.

الخاصية الثانية: ورغم اختلاف موضوعات القرآن الكريم من القصص والتشريع والمواعظ والحجاج العقائدي والوعد والوعيد، إلا أن أسلوبه ظل على نسق واحد من جمال اللفظ وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة العبارة.

الخاصية الثالثة: ومن إعجازه أنه يصلح لكل زمان ومكان وإنسان. فمثلا قوله تعالى:

﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ (3).

فهذه الآية تصف كلا من الشمس والقمر، فالعامي من العرب يفهم منها أن كلا من الكوكبين يبعثان بالضياء إلى الأرض، والمتأمل من علماء العربية يدرك أن الآية تدل على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة، فلذلك سماها سراجا، والقمر يبعث بضياء لا حرارة

(1) العنكبوت/49.

(2) مقدمتان في علوم القرآن، ص05، 06.

(*) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، راغب السرجاني،موقع قصة الإسلام، تاريخ التحميل: 2010/04/27م، 01سا و31د، مع تصرف يسير، تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ص56، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص560، ص564، معجزة القرآن، الشعراوي، ج1، ص339.

(3) الفرقان/61.

فيه، لذلك سمي منيرا، أما العالم الفلكي الحديث فقد يفهم منها أن إضاءة الشمس ذاتية كالسراج، بينما نور القمر مجرد انعكاس..وكل هذه المعاني صحيحة.

الخاصية الرابعة: ومن خصائص الكتاب الكريم تميزه بظاهرة التكرار، الذي ينطوي على معان بلاغية، مثل التهويل، والإنذار، والتجسيم والتصوير، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿**ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَ مَآ أَدۡرِيكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣**﴾[1].وأيضا قوله عز من قائل: ﴿**سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرِيكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧**﴾[2]. إضافة إلى تكرار القصص القرآني، مثل قصة موسى عليه السلام، والتي تكررت في حوالي ثلاثين موضعا في القرآن الكريم، ولكنها في كل موضع تخرج إخراجا جديدا يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلى غاية محددة لم تذكر في مكان آخر، حتى ليبدو للقارئ أنه أمام قصة جديدة لم يسمع بها من قبل. ففي سورة الأعلى – السورة الثامنة في النزول –، وردت إشارة قصيرة عن موسى عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩** ﴾[3].

ثم تعرض القصة في سور مختلفة، وبصيغ مختلفة في سورة الأعراف والشعراء والنمل، ثم تسرد سورة القصص حياة موسى عليه السلام من الميلاد ومحنة والدته حيث تضعه في التابوت وتلقيه في البحر والتقاط آل فرعون له، ثم تنتهي عند خروج موسى عليه السلام من مصر، وهكذا في باقي المواضع الأخرى، مما يؤكد حقيقة أن التكرار القرآني ليس على إطلاقه، بل له مقصود وغاية عقدية وتربوية تتسم بالآتي:

–

(1) الحاقة/01-03.

(2) المدثر/26-27.

(3) الأعلى/18-19.

السّمة الأولى: ملاحظة جمال المفردة القرآنية، المتسمة بجمال الوقع في الحس، وتناغمها مع المعنى،واستيعابها الدلالات والمعاني.ومن أمثلتها قوله تعالى-يصف الليل والصبح-: ﴿**وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾** ﴾ [1]. فالكلمتان:(عسعس) و(تنفس) تشعران بالمعنى مصورا في الخيال، دون الحاجة إلى الرجوع إلى القواميس اللغوية، وهل في مقدور أبلغ البلغاء تصوير إقبال الليل وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل على المعنى المقصود من كلمة(عسعس)؟ وهل يستطيع تصوير انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه أروع وأدق من كلمة(تنفس)؟.

السّمة الثانية: أما الجملة القرآنية فتمتاز أيضا بخصائص عجيبة، ذلك أن كلماتها وحروفها وأصواتها يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكون من تضامنها نسق جميل، ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال، مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[2].

يقول الباقلاني في ذلك: " تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة، مما يتعذر على البشر ويمتنع " [3].كما أننا نجد أن الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة عن أوسع معنى وأتمه وأكمله، لا يستطيع البليغ أن يعبر عنه إلا بفقرات طويلة، كقوله تعالى:

---

(1) التكوير/17-18.

(2) القمر/11-12.

(3) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر،دار المعارف، القاهرة،(دط.دت)، ص42.

﴿ وَلَكُم فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [1]. فلا يمكن التعبير الدقيق عن أثر قيمة القصاص في حياة المجتمع وما يشيعه من أمن وأمان إلا بكلمة واحدة.

ومن خصائص الجملة القرآنية إخراجها المعنى المجرد في صورة حسية ملموسة، ببث الروح والحركة فيها، كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2]. فهي تصور المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة، الدائرة بين العينين، حيث شبه حال المنافق المضطرب بين الحق والباطل بالأعمى الذي لا يبصر.

* قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [3]. فالآية فيها جمع (الظلمات)،وإفراد (الرعد والبرق)،فلم؟والجواب:أن المقتضي للرعد والبرق واحد،وهو السحاب،والمقتضي للظلمة متعدد،وهو الليل والسحاب والمطر،فجمع لذلك.

* قوله تعالى: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿٦٠﴾ ﴾[4].وفي الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾[5]، قيل: إن الانبجاس دون الانفجار، وإن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فعلى هذا فإن سياق ذكر نعمته اقتضى ذكر الانفجار، وناسبه في سورة البقرة، على

---

(1) البقرة/179.
(2) البقرة/17-18.
(3) البقرة/19.
(4) البقرة/60.
(5) الآية: 160.

العكس في سورة الأعراف.

* قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [1]. فهنا عندما يتحدث مولانا عن الصبر على شيء ليس فيه غريم، يستعمل عبارة: ﴿مِنْ عَزْمِ﴾. أما عندما يتحدث عن الصبر على الذي فيه غريم، بحيث يمكن الانتقام والثأر، مع حالة من الانفعال والغضب، يستعمل كلمة: ﴿لَمِنْ عَزْمِ﴾، في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] بإضافة لام التأكيد..لأن المقام مقام جلد وضبط نفس.

ففي الحالة الأولى حينما لا يستطيع المرء أن يعاقب بمثل ما عوقب به، يكون الصبر من عزم الأمور، ولكن في الحالة الثانية فإن المرء يستطيع الانتقام من الغريم، ولذلك الخطاب مؤكدا باللام: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾. وهكذا نرى أن حرفا واحدا (ل) قد غير المعنى تماما، وصنع معجزة من معجزات القرآن البيانية.

ب/ نماذج من الإعجاز البياني في السنة :

* روى البيهقي في شعب الإيمان أن رجلا قال: يا رسول الله ما أفصحك، فما رأينا الذي هو أعرب منك. قال ﷺ: « حقّ لي فإنما أُنزِل القرآنُ عَليّ بلسان عَربيٍّ مُبين » [3].
وفي الحديث الشريف: « إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » [4].

* وعن عبد الله بن عتيك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ » [5]، قال:

---

(1) لقمان/17.

(2) الشورى/43.

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط.دت)، ج12، ص174.

(4) رواه أحمد في مسنده، عن المقدام بن معدي كرب الكندي، رقم: 17213، ج4، ص130.

(5) رواه البيهقي في سننه الكبرى، (باب فضل من مات في سبيل الله)، رقم: 18317، ج9، ص166.

وإنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب أول من رسول الله ﷺ.

* وقال الخطابي: ومن فصاحته ﷺ أنه تكلم بألفاظ اقتضبها، لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، كقوله: « حَمِيَ الْوَطِيسُ » [1]: في صفة الحرب يوم حنين.

قال الأستاذ الرافعي [2]: " والوطيس: هو التنور مجتمع النار والوقود، فمهما كانت صفة لحرب، فإن هذه الكلمة بكل ما يقال في صفتها، وكأنما هي نار مشبوبة من البلاغة، تأكل الكلام أكلا، وكأنما هي تمثل لك دماء نارية، أو نارا دموية " [3].

* ومن أمثاله ﷺ : « لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ » [4].

* ومنها قوله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ » [5]. وفيه من توافق المعنى وانسجام أصوات الحروف، ما يجعل للكلام إيقاعا موسيقيا، ذلك أن كلمة يغرغر تحكي صوت من يعالج الموت في حنجرته، وهذا الإيقاع من شأنه أن يساعد على تقريب المعنى، وتمكينه في النفس.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[6].

وفي سبب ورود هذا الحديث روى البخاري عن ثابت البناني قال: سمعت أنس بن مالك يقول لامرأة من أهله: هل تعرفين فلانة؟ قالت: نعم، قال:فإن النبي ﷺ مر بها، وهي

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، عن عباس بن عبد المطلب، (باب غزوة حنين)، رقم: 1775، ج 3، ص1398.

(2) هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (1298-1356هـ/1881-1937م): عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، أصيب بصمم فكان يكتب له. شعره نقي الديباجة على جفاف في أكثره، ونثره من الطراز الأول. له (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، و(ديوان شعر)في ثلاثة أجزاء، و(تاريخ آداب العرب)، وغيرها. توفي بطنطا بمصر، الأعلام، الزركلي، ج7،ص235.

(3) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ/2005م، ص222.

(4) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، (كتاب الأدب-بَابٌ: لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)، رقم: 1633، ج8، ص31.

(5) رواه ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن عمر، (باب ذكر التوبة)، رقم: 4253، ج2، ص1420.

(6) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الجنائز-باب زيارة القبور)، رقم: 1283، ج 2، ص79.

تبكي عند قبر، فقال: « اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ». فقالت: إليك عني، فإنك خلو من مصيبتي، قال: فجاوزها ومضى، فمر بها رجل ، فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما عرفته، قال: إنه لرسول الله ﷺ، قال: فجاءت على بابه، فلم تجد عليه بوابا، فقالت: يا رسول الله

والله ما عرفتك، فقال النبي ﷺ: « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ». وفي الحديث تصوير بليغ لأثر الصبر ومقاومته لشدة الصدمة، فلابد أن يتساوى الفعل: (الصدمة)، ورد الفعل:(الصبر) ليحصل الثواب أولا، ثم لتحصل النجاة من الانهيار النفسي والعصبي. وربما تبعه التندر بالقدر ورد القضاء، وفي ذلك ما فيه من الكفر بركن من أركان الإيمان والعياذ بالله تعالى [1].

هذه بعض مظاهر الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن، وقد اعترف نصارى العصر الحديث بعظمة القرآن، وسجلوا في ذلك شهاداتهم التي تنطق بالحق، فهاهو ذا الدكتور ماردروس [2] المستشرق الفرنسي، بعد أن كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسية بترجمة اثنين وستين سورة من القرآن، يعترف بعظمة القرآن الكريم، وقال في مقدمة ترجمته الصادرة سنة 1926م: " أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق جل وعلا، فإن الأسلوب الذي ينطوي على كنه الخالق الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلها، والحق والواقع أن أكثر الكتاب شكا وارتيابا قد خضعوا لسلطان تأثيره " .

---

(1) الأحكام الشرعية الكبرى، أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، سنة النشر 1422هـ/2001م، ج2، ص493.

(2) هو جوزيف شارل ماردروس(1285-1368هـ/1868-1949م): طبيب فرنسي مستشرق، ولد بالقاهرة، وتعلم بها في مدارس(الجزويت)، ورحل إلى باريس، فدرس فيها الطب. وشغف بالأدب فجمع كثيرا من المخطوطات الشرقية، وتنقل مع بعض البعثات العلمية في الشرق الأوسط ومراكش. وترجم معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، وكتاب ألف ليلة وليلة في ستة عشر جزءا. ومات بباريس، الأعلام، الزركلي، ج2، ص147.

2- الإشارات العلمية في القرآن والسنة: القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية، وليس كتابا علميا محضا، وقد وردت فيه كثير من الإشارات العلمية، التي عدها علماء الكون نظريات صحيحة لا تقبل الجدال، وكذلك الشأن في السنة المطهرة، وهذا يدلل على صدق الرسالة والرسول، وأنهما –كلاهما– وحي من الله تعالى [1].

وفيما يلي بعض تلك الإشارات العلمية:

أ/ نماذج من القرآن الكريم [*]:

- **الاختناق حال الصعود في السماء:**

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلِاسْلَٰمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ** ﴿١٢٥﴾ ﴾ [2].

في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في إسلام آباد، تقدم الدكتور صلاح الدين المغربي– وهو عضو في الجمعية الأمريكية لطب الفضاء، وأستاذ لطب الفضاء بمعهد طب الفضاء بلندن – ببحث عن حالة الصدر في طبقات الجو العليا، فقال: لنا حويصلات هوائية، والأوكسجين إذا دخل الرئتين ينفخ هذه الحويصلات الهوائية فتراها منتفخة، لكن إذا صعدنا إلى طبقات الجو العليا ينقص الهواء، وينقص

---

(1) ينظر كتاب: الله (كتاب في نشأة العقيدة الإلهية)، عباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت)، ص282 وما بعدها.

(*) ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص16، ص43-44، بتصرف، التوحيد: الزنداني، ص167، 168، بتصرف.

(2) الأنعام/125.

الأوكسجين فيقل ضغطه، فتنكمش هذه الحويصلات، ويقل الأوكسجين فيقل ضغطه، فتنكمش هذه الحويصلات، ويقل الأوكسجين، فإذا انكمشت هذه الحويصلات ضاق الصدر..فسبحان الله العظيم.

- **أصل الوقود: الشجر الأخضر**

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ** ﴾ [1].

لقد اكتشف العلماء الكيماويون أن مصادر الوقود جميعا أصلها تلك النقطة الخضراء، الموجودة في النبات. فالنقط الخضراء تلك تخزن من وقود الشمس، في أجزاء النبات، وتحوله إلى مواد نباتية، يسهل أكلها أو حرقها، وإخراج الوقود الكامن في تلك الأجزاء.

كما اكتشف العلماء في طبقات الأرض أن أصل البترول وجميع مشتقاته: (بنزين،كيروسين)، وغيرهما جميعا مواد متحولة من نبات مطمور بالتراب والصخور،أو حيوانات تغذت على نباتات، وأخذت من النبات الوقود، وبهذا نعرف أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها من الشجر الأخضر، ويقرر القرآن هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

- **الاتساع والانفجار الكوني:**

قال تعالى: ﴿ **وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [2].

أعلن عالم الفلك الأمريكي المشهور(هابل) في عام 1929م أن المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، وتخضع لعلاقة طردية مباشرة بين المسافة والزحزحة الطيفية نحو

---

(1) يس/80.

(2) الذاريات/47.

اللون الأحمر، واستنتج وفقا لظاهرة(دوبلر) أن الكون يتمدد، ولقد تمكن(هابل) في عام 1930م من إيجاد هذه العلاقة وسميت باسمه، وهي تنص على أن سرعة ابتعاد المجرات الخارجية تتناسب طرديا مع بعدها عنا، وتفسير قانون هابل هو: أن الأجرام السماوية في الكون تبتعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، أي أن الكون في حالة تمدد أينما كان موقعنا في الكون.

ب/ نموذج من السنة النبوية:

- **المروج الخضراء:**

في غزوة تبوك قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: « يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا » [1].

وفي حديث آخر قال ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا» [2].

قال الشيخ الزنداني: "حضر العالم البروفيسور (ألفريد كوروز)–من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم – مؤتمرا جيولوجيا في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز".فصرح بقوله: "إننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي، فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة، من ضمن هذه الأحقاب المتعددة، حقبة تسمى القصور الجليدية. ومعنى ذلك أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج، وتتجمع في القطب
الشمالي المتجمد،ثم تزحف نحو الجنوب، وتغطي ما تحتها، وتغير الطقس في

–

(1) رواه مسلم في صحيحه، (باب في معجزات النبي ﷺ)، رقم: 706، ج 4، ص1784.

(2) سبق تخريجه، ص02.

الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس يحدث تغيير في بلاد العرب، فيكون الطقس باردا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطارا وأنهارا....لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة، ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي"[1].

يقول الشيخ الزنداني– معلقا –: "هذا موقف الملحد الألماني الكبير، وقد تضاعف شعوري بمسؤولية الأمة الإسلامية أمام دينها، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما إن تقدم لهم الحقائق حتى يسلموا. ليس هذا فقط، بل وينشروا ويكتبوا في كتبهم دون مبالاة. فقلت في نفسي: لو أن هناك عملا جادا من أمة الإسلام ومن الجامعات. فلن تمر عشر سنوات إلا وثلث العالم من علماء الأرض– في عشر سنوات أو خمس عشرة سنة – من المسلمين، والله ما مر بيني وبين هذا الألماني سوى ساعتين ونصف ساعة حتى قال هذا كله، وهذا عملاق من عمالقة العلم يكتب هذا ويقره، وهذا يدل على أن هناك علما واحدا، وأن هناك حركة وعملا من المسلمين. إن بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إن هذا العصر عصر خضع فيه كل شيء للعلم. ولكننا في بداية عصر خضوع العلم للإسلام والقرآن".

–

(1) الموسوعة الذهبية، ص1090-1092.

إنه (الحق) الذي قال عنه الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ٱلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤ ﴾[1].

[1] فصلت/53-54.

خاتمة

يقف الباحث في نهاية المطاف – بعد أن عايش تفاصيل الموضوع – ليعدّد نتائج عمله والتي يمكن رصدها كالآتي:

- إن القرآن الكريم لم يتنزل ليُقرأ ويُعتنى به أصواتا فقط – وإن كان ذلك مقصودا ولكن ليس لذاته – وإنما نزل لصياغة منهج متكامل للعالمين، في سائر مناحي الحياة ودروبها، على قاعدة العقيدة الصحيحة الراسخة.

ولما كانت النفس البشرية هي هي، تلك التي خلقها الله الحكيم الخبير على الفطرة، فهي تؤثر وتتأثر، تفرح وتحزن، تصبر وتنهار، تصدق وتكذب، تلتزم بمعاني الخير والجمال أو تتنكر لها..تلك النفس مهيأة لأن تصلح أحوالها مهما بلغ الفساد مداه، ومبرمجة على التسامي كلما التزمت بعناصر ومقومات ذلك المشروع، شريطة الفهم العميق لها، والإخلاص والصدق في تبنيها، والتضحية العزيزة من أجل إرسائها في عالمي الروح والجوارح.

وقد كان للسور المنزلة –حسب ترتيب النزول– أثر عجيب في بناء النفوس على معاني الخير والجمال، سواء أتعلق الأمر بالمعاملة مع الخالق، أم مع المخلوق. فالتاريخ –ماض وحاضرا– يحدثنا عن نماذج نادرة في عمق التوحيد وقوة الوحدة، والتي صنعت مجد الإسلام وحضارة المسلمين ولا تزال.

- العمل على استثمار السور والآيات الكريمة، المرتبة حسب النزول، في البناء العقائدي والسلوك الحضاري للمسلمين ابتداء ولغيرهم .

- سَوْق النماذج العملية في هذه الرسالة كان الغرض منه: القدوة والإتباع للجيل الذي طبق القرآن الكريم تصورا وقولا وعملا، فأنشأ بذلك حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، فحاولت جهدي أن أقرب الصورة أكثر من خلال عرض تلكم النماذج النادرة، لنتأسى بها ، فالخير كل الخير في هدي النبي ﷺ وصحبه الكرام الذين رضي الله عنهم وأرضاهم.

- على الرغم من أن القرآن الكريم نزل معظمه لمناسبات وظروف خاصة، إلا أن الاستئناس بترتيبه النزولي في عمليتي البناء العقدي والتأسيس الحضاري لمن باب العمل بالقاعدة الأصولية القائلة: "ليست العبرة بخصوص السبب وإنما بعموم اللفظ".

- ترتيب القرآن حسب نزول (الآيات الكريمة)، فهي بركة عظيمة وسرّ عميم ، وزاد كبير للدعاة والمربين والفقهاء والمشرعين خاصة إذا تمّ مراعاة مقاصده.

- زيادة الاهتمام بموضوعي (الإعجاز البياني) و(الإعجاز العلمي) في القرآن الكريم والسنة المطهرة، واستثمارهما في عملية الدعوة إلى الله عز وجل، ذلك أن الباحثين الأعاجم والمستشرقين منهم خصوصا إنما يتعلمون العربية على أصولها النحوية واللغوية، وذلك ينفعهم في تذوق البيان القرآني. وبما أنهم أرباب العلم الكوني اليوم وسادته، فهم أقرب الناس إلى وعي وفهم الإشارات العلمية في القرآن والسنة، وذلك أدعى وأرجى في دخولهم دين الإسلام، لا عن تقليد موروث كحال العرب والمسلمين اليوم، وإنما على علم وبصيرة، وقد سجلنا في بحثنا -باهتمام ويقين- أن الإسلام ستكون له عودة من بلاد الغرب.

ولا أزعم أنني وفيت الموضوع حقه، فالأمر -لعمري- إن هو إلا إشارات بسيطة، قد تفتح شهية البحث لمن رغب في ولوج هذا المحيط العميق النقي. وإن هو إلا عبارات مجملة عامة تحتاج إلى تفصيل من السادة الباحثين، الذين يشتغلون على تتبع أسرار التشريع، الذي يعد موضوع*ترتيب النزول*أحد أهم مفرداته.

وإنني لعلى يقين أنه ريثما تتوفر لهم *نسخة* من الآيات الكريمة المرتبة حسب نزولها، فسوف ينطلقون بها في بناء جديد وواعد للمجتمع الإسلامي والإنساني على حد سواء، على المستويين الفردي والجماعي، عقيدة ثابتة وسلوكا حضاريا.

والله الموفّق والهادي إلى سواء الصّراط.

الملاحق:

أوّلا: محاور السّور القرآنية (مرتّبة حسب نزولها الكريم)

ثانيا: الآيات المدنيّة في السّور المكيّة (حسب ترتيب نزول السّور الكريمة)

ثالثا: الآيات المكيّة في السّور المدنيّة (حسب ترتيب نزول السّور الكريمة)

رابعا: السّور المكيّة وترتيبها بحسب النّزول

خامسا: السّور المدنيّة وترتيبها بحسب النّزول

أولا: محاور السّور القرآنية (مرتّبة حسب نزولها الكريم)

رقم السورة	اسمها	محورها	ترتيبها في المصحف
01	العلق	يدور محور السورة حول القضايا الآتية : موضوع بدء نزول الوحي على خاتم الأنبياء محمد ﷺ وموضوع طغيان الإنسان بالمال و تمرده على أوامر الله و قصة الشقي أبي جهل و نهيه الرسول ﷺ عن الصلاة.	96
02	القلم	إثبات نبوة محمد ﷺ وتثبيت قلبه من خلال عرض المواضيع الثلاثة: *الشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة النبيﷺ. *قصة أصحاب الجنة(البستان)لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى. *الآخرة وأهوالها وما أعده الله للفريقين المسلمين والمجرمين.	68
03	المزمل	شخصية الرسول وما ينبغي للمؤمن فعله (قيام الليل وتلاوة القرآن والصدقة والإحسان والاستغفار..)، وهو زاد الداعية.	73
04	المدثر	شخصية الرسول وأمره بالدعوة وزجر الطغاة(الوليد بن المغيرة).	74
05	الفاتحة	بيان طريق العبودية لله وحده. وللفاتحة عدة محاور، هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم كله بسوره المكية والمدنية. قال	01

		محمد بن جزي الكلبي: "سميت أم القرآن لأنها جمعت معاني القرآن الكريم كله، فكأنها نسخة مختصرة وكان القرآن كله بعدها تفصيل لها وذلك لأنها جمعت: *الإلهيات(الحمد لله رب العالمين). *اليوم الأخر(مالك يوم الدين). *العبادات(إياك نعبد وإياك نستعين). *الشريعة كلها(اهدنا الصراط المستقيم). *الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين"صراط الذين أنعمت عليهم). *قصص الأولين وبيان طوائف الكفار(غير المغضوب عليهم ولا الضالين). *بيان طبيعة العقيدة والسلوك المحمودين(اهدنا).	
06	المسد	بيان هلاك أبي لهب وزوجه، وأنه لا قيمة للأرحام في معارضة الحق.	111
07	التكوير	وصف يوم القيامة وبيان حقيقة الوحي و الرسالة وكلاهما من لوازم الإيمان.	81
08	الاعلى	التوحيد بنوعيه الربوبية: (تعظيم الرب وتقديره)، والألوهية: (وحدة مصدر الرسالة).	87
09	الليل	الحض على الأوصاف التي يحصل بها الفلاح: (أعطى /اتقى/صدق بالحسنى). والتحذير مما تحصل به الخيبة:	92

		(البخل/الاستغناء عن الحق/التكذيب بالحسنى). وكل إنسان ميسر لما خلق له. فإما إلى النعيم، وإما إلى الجحيم. إثبات عذاب الكفار يوم القيامة.	
10	الفجر	ويدور محور السورة حول ثلاثة أمور رئيسية وهي : 1- ذكر قصص بعض الأمم المكذبين لرسل الله كقوم عاد وثمود وقوم فرعون، وبيان ما حل بهم من العذاب والدمار بسبب طغيانهم. 2- بيان سنة الله تعالى في ابتلاء العباد في هذه الحياة بالخير والشر، والغنى والفقر، وطبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال 3- الآخرة وأهوالها وشدائدها وانقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء، وبيان مآل النفس الشريرة والنفس الكريمة الخيرة.	89
11	الضحى	النعم والرعاية التي خص بها النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.	93
12	الشرح	سلوى وتثبيت وتذكير بالنعم الواردة في الضحى.	94
13	العصر	توضيح رسالة الحياة، وسبب سعادة الإنسان (الإيمان /العمل الصالح/التواصي بالحق/الاعتصام بالصبر).	103
14	العاديات	ذم خصال المنافقين والمشركين(جحود النعم/حب المال/البخل بالمال/الغفلة عن دار الخلود).	100
15	الكوثر	تعداد نعم الله تعالى على نبيه ﷺ، وبتر شانئه.	108
16	التكاثر	ذم الاشتغال بمظاهر الحياة الدنيا والوعيد عليه.	102
17	الماعون	التكذيب باليوم الآخر وأثره في سلوك الإنسان المنحرف(يدع اليتيم/لا يحض على طعام المسكين /الرياء/البخل)، وهذا	107

		يعكس أثر السريرة في السيرة.	
18	الكافرون	تقرير التوحيد، والإخلاص في العمل، والبراءة من الشرك وأعمال المشركين.	109
19	الفيل	الاعتبار بقصة أصحاب الفيل(وعيد الطغاة).	105
20	الفلق	الدعاء وأثره في حماية الناس بعضهم من بعض بسبب أمراض النفوس كالحقد والحسد والسحر والعين وحفظهم من شر سائر المخلوقات.	113
21	الناس	الاعتصام بالله من شر النفس والشيطان الرجيم وأعوانه من الإنس والجن.	114
22	الصمد	إثبات وحدانية الله تعالى والإخلاص في العبادة وتنزيهه عن المحدثات.	112
23	النجم	إثبات الوحي والرسالة والبعث والنشور.	53
24	عبس	فقه الدعوة إلى الله عز وجل وان ميزان التفاضل هو التقوى،وبيان دلائل قدرة الله عز وجل في الخلق، والتخويف من أهوال يوم القيامة.	80
25	القدر	دلائل العظمة والجلال على الكبير المتعال(عظم ليلة القدر بنزول الوحي والملائكة).	97
26	الشمس	الترغيب في التوحيد وطاعة الرسل وتزكية النفس من الفساد والطغيان.	91
27	البروج	ايراد قصة أصحاب الأخدود تسلية للمؤمنين.	85

28	التين	إثبات القدرة والحكمة الربانية في الخلق، ووجوب الإيمان بيوم الحساب.	95
29	قريش	نعم الله جل وعلا على قريش بما حباهم به من نعم الأمن والاستقرار والغنى.	106
30	القارعة	كشف أهوال القيامة ومصير الناس بين ناج وهالك.	101
31	القيامة	الحديث عن القيامة وأهوالها وحال الإنسان يومه.	75
32	الهمزة	تحديد جزاء الطغيان وانتقاص الناس.	104
33	المرسلات	القيامة حتميتها وأهوالها.	77
34	ق	براهين البعث: العلم والقدرة والحكمة.	50
35	البلد	تكليف الإنسان ودينونته لربه عز وجل.	90
36	الطارق	إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وقدرته، وأن القرآن من عند الله تعالى.	86
37	القمر	التذكير بالآيات والنذر وبيان مصير المكذبين بها.	54
38	ص	معالجة أصول العقيدة الإسلامية من توحيد لله جل وعلا وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة.	38
39	الأعراف	من أطول السور المكية ،وهي أول سورة عرضت بالتفصيل لقصص الأنبياء وما كانوا عليه من شأن الدعوة إلى الدين الحق،وما لاقوه من الأذى والصد والتكذيب..إضافة إلى تقرير أصول العقيدة الإسلامية.	07
40	الجن	إثبات وجود الجن وأن منهم المؤمن والكافر.	72

41	يس	إثبات البعث والجزاء وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك.	36
42	الفرقان	الاستدلال على صدق رسول الله ﷺ من خلال معجزة القرآن الكريم، وتقرير عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء.	25
43	فاطر	التذكير بنعم الله الجليلة، وتقرير عقيدة التوحيد، والحث على تطهير القلوب من الرذائل والتحلي بالسلوك الرسالي: (مكارم الأخلاق).	35
44	مريم	صفتا الرحمة والعبودية لله رب العالمين وغرضها تقرير التوحيد وتنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين.	19
45	طه	رعاية الله للمختارين لحمل الدعوة من الرسل وأتباعهم والرفق بالمدعوين والعناية بهم، مع ترسيخ الإيمان بأصول الدين: التوحيد والنبوة والبعث والنشور.	20
46	الواقعة	تقرير عقيدة البعث والجزاء.	56
47	الشعراء	قصص الأنبياء مع أقوامهم والعبرة منها.	26
48	النمل	تقرير أصول العقيدة والقصص القرآني، وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية ووضعت في المصحف الشريف متتالية وهي : الشعراء والنمل والقصص ويكاد يكون منهاجها واحدا في سلوك مسلك العظة والعبرة عن طريق قصص الغابرين.	27
49	القصص	الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، فهي تكمل أو تفصل ما أجمل في السورتين السابقتين.	28

50	الإسراء	ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، أما العنصر البارز في هذه السورة الكريمة فهو شخصية الرسول ﷺ وما أيده الله به من المعجزات الباهرة والحجج القاطعة الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام.	17
51	يونس	معالجة العقيدة في قضية الألوهية والعبودية والنبوات.	10
52	هود	قضية الألوهية وتثبيت العقيدة في قلوب المدعوين من خلال سرد لقصص الأنبياء عليهم السلام. وهي تسلية للنبي ﷺخاصة، وذلك لوفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها في عام الحزن.	11
53	يوسف	تثبيت الوحدانية الخالصة لله تعالى وإبطال الآلهة المزيفة، وإيراد قصة يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام مع إخوته تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين بما مر عليهم من الكرب والشدة وما لاقوه من أذى القريب والبعيد.	12
54	الحجر	إبراز المصير المخوف الذي ينتظر الطغاة والمكذبين في كل زمان ومكان.	15
55	الأنعام	إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها حول (العقيدة وأصول الإيمان: قضية الألوهية/قضية الوحي والرسالة/قضية البعث والجزاء). مع إقامة الأدلة عليها.	06
56	الصافات	بيان أصول العقيدة: التوحيد والرسالة والوحي والبعث والجزاء.	37
57	لقمان	بيان الآيات والنعم والدعوة إلى الإيمان والشكر.	31

58	سبا	تقرير أصول العقيدة والتركيز على قضية البعث خصوصا.	34
59	الزمر	بيان عقيدة التوحيد لأنها رأس الإيمان وأساس العقيدة الإسلامية وأصل كل عمل صالح.	39
60	غافر	الصراع العقلي بين الحق والباطل وأدب الحوار.	40
61	فصلت	أصول العقيدة، مع بيان أثر القرآن الكريم حياة البشرية.	41
62	الشورى	أصول العقيدة عموما، والوحي والرسالة خصوصا.	42
63	الزخرف	أسس العقيدة الإسلامية وأصول الإيمان: (الإيمان بالله تعالى وحده وبالوحي والرسالة وبالبعث والجزاء).	43
64	الدخان	حقيقة الإيمان والتوحيد والبعث والرسالة.	44
65	الجاثية	أصول العقيدة، وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى من خلال بيان القدرة الإلهية:خلق السماوات والأرض/خلق الناس/ خلق الدواب/ اختلاف الليل والنهار/ إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به / تصريف الرياح.	45
66	الأحقاف	يدور محور السورة حول العقيدة في أصولها الكبرى : الوحدانية،الرسالة، البعث والجزاء والرسالة ،لإثبات صحة رسالة محمد ﷺ وصدق القرآن.	46
67	الذاريات	هذه السورة الكريمة من السور المكية التي تقوم على تشييد دعائم الإيمان وتوجيه الأبصار إلى قدرة الله الواحد القهار وبناء العقيدة الراسخة على أسس التقوى والإيمان.	51

68	الغاشية	عقيدة اليوم الأخر والقدرة الإلهية.	88
69	الكهف	هي إحدى سور خمس بدئت ب: (الحمد لله) وهذه السور هي: الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر، وكلها تبتدئ بتمجيد الله جل وعلا وتقديسه والاعتراف له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال. مع طلب العصمة من الفتن والتحذير من مخاطرها.	18
70	النحل	أصول العقيدة الإسلامية، وبيان دلائل القدرة والوحدانية في العالم الفسيح.	16
71	نوح	الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة وبيان قصة شيخ الأنبياء نوح عليه وعليهم الصلاة والسلام، لبيان سنة الله تعالى في الأمم التي انحرفت عن دعوة الله وعاقبة المرسلين وعاقبة المجرمين في شتى العصور و الأزمان.	71
72	ابراهيم	أصول العقيدة،كما تناولت دعوة الرسل الكرام بشيء من التفصيل، وبينت وظيفة الرسول ووضحت معنى وحدة الرسالات السماوية ،فالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين جاءوا لتشييد صرح الإيمان وتعريف الناس بالإله الحق الذي تعنو له الوجوه، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ،فدعوتهم واحدة وهدفهم واحد وإن كان بينهم اختلاف في الفروع.	14
73	الانبياء	بيان معالم التوحيد، واثبات المعاد في دعوة الأنبياء وموقف الناس من ذلك.	22
74	المومنون	تقرير الوحدانية وإبطال الشرك، وتقرير الرسالة والبعث.	23

75	السجدة	بيان عظمة الله تعالى في صفاته وكمال قدرته في الخلق والأمر والبعث والجزاء بعد الفناء، الذي طالما جادل المشركون حوله واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول ﷺ.	32
76	الطور	أصول العقيدة ومطاردة الباطل ودحض شبه المبطلين.	52
77	الملك	أصول العقيدة الإسلامية، مع إثبات وجود الله تعالى وعظمته وقدرته على كل شيء وتعظيم القرآن الكريم وتأكيد نزوله من عند الله تعالى.	67
78	الحاقة	تناولت السورة أمورا عديدة كالحديث عن القيامة وأهوالها والساعة وشدائدها والحديث عن المكذبين وما جرى لهم مثل عاد و ثمود وقوم لوط وفرعون وقوم نوح و غيرهم من الطغاة المفسدين في الأرض. كما تناولت ذكر السعداء والأشقياء، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو إثبات صدق القرآن وأنه كلام الحكيم العليم وبراءة الرسول ﷺ مما اتهمه به أهل الضلال.	69
79	المعارج	أصول العقيدة وتخصيص البعث ودعوة النبي للصبر على أذى المكذبين به.	70
80	النبأ	تقرير عقيدة البعث بعد الموت، التي طالما أنكرها المشركون.	78
81	النازعات	وصف لحظات النزع عند الموت، والقسم على بعث الأنام يوم القيامة.	79
82	الانفطار	وصف الانقلاب الكوني الذي يصاحب قيام الساعة، وما يحدث في ذلك اليوم الخطير من أحداث جسام، ثم بيان	82

		حال الأبرار وحال الفجار يوم البعث والنشور.	
83	الانشقاق	أصول العقيدة الإسلامية ووصف أهوال يوم القيامة.	84
84	الروم	زرع القيم الإيمانية وربط المسلمين بما يدور حولهم مع ذكر أصول العقيدة الإسلامية.	30
85	العنكبوت	أصول العقيدة والإيمان والثبات أثناء الفتن والمحن.	29
86	المطففين	هي آخر السور المكية، وتتناول الحديث عن الجرائم الاقتصادية وعقوبة المتلاعبين باقتصاد المسلمين، مع ذكر جزاء الأبرار وعقاب الفجار يوم الدين.	83
87	البقرة	أول السور المدنية نزولا، وأطول السور القرآنية، تعددت مواضيعها بين العقدي والتشريعي، وعموما تفصل هذه السورة الكريمة منهج خلافة الله تعالى في الأرض، بتفصيل الأحكام التشريعية والنظم القانونية، التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها.	02
88	الأنفال	تشريع الجهاد في سبيل الله عز وجل، وما تعلق به من قضايا السلم وأحكام الأسر والغنائم،مع بيان شروط النصر.	08
89	آل عمران	إثبات وحدانية الله تعالى وإقامة الأدلة العقلية والنقلية عليه وكون عيسى عليه السلام عبد لله تعالى ومجادلة أهل الكتاب، ودحض عقيدة التثليث عند النصارى، والحديث عن الغزو في سبيل الله تعالى.	03
90	الأحزاب	تناولت حياة المسلمين الأسرية والاجتماعية وربطها بالعقيدة، مع تشريف النبي وآل بيته، وذكر النصر المؤزر في غزوة	33

		الأحزاب.	
91	الممتحنة	بيان الأحكام التشريعية ومن أهمها تحديد معالم علاقة المؤمنين بغيرهم محليا وعالميا.	60
92	النساء	والخارجية التوحيد الصحيح ومقوماته،وتنظيم الشؤون الداخلية للمسلمين المتعلقة بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع.	40
93	الزلزلة	الرجوع إلى الله تعالى، والإخبار عن مشاهد القيامة.	99
94	الحديد	جمعت خصائص المكي والمدني: عنيت بالتشريع والتربية والتوجيه وبناء المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية والخلق الكريم والتشريع الحكيم، وأهم موضوعاتها: (الدعوة إلى الإيمان وبيان آثاره).	
95	محمد	الصراع بين المؤمنين والكافرين والمنافقين من خلال عرض الملامح الفكرية والنفسية والسلوكية للشخصية الكافرة والمنافقة.	47
96	الرعد	جوها قريب من جو السور المكية، فهي تقرر أصول العقيدة الإسلامية، من الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء ، وتدفع الشبه التي يثيرها المشركون.كما تنوه بالأخلاق الحميدة،	13

		وتشدد النكير على مساوئها.	
97	الرحمن	تعالج أصول الإيمان، وفيها بيان لنعم الله تعالى في الدنيا والآخرة، والحث على شكرها والتحذير من جحدها أو الغفلة عنها.	55
98	الإنسان	تعريف الإنسان بنفسه ورسالته وغايته، وهذه السور الثلاث: الرعد والرحمن والإنسان، بما تعرضت له من ذكر أصول العقيدة لكأنها من السور المكية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية استصحاب المعاني الإيمانية في بناء الدولة والتعامل مع الناس.	76
99	الطلاق	بيان أحكام الطلاق وما يترتب عليه.	65
100	البينة	علو مقدار القرآن وأثره في الأمم، وهو سبيل السعادة في الدارين.	98
101	الحشر	الحديث عن (غزوة بني النضير)، وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول ﷺ فأجلاهم عن المدينة المنورة ولهذا كان ابن عباس يسمى هذه السورة (سورة بني النضير)، وخلالها بيان لصفات المتقين والكافرين والمنافقين.	59
102	النور	التربية الأخلاقية والآداب الاجتماعية وإبطال الشرك.	24
103	الحج	ربط الحديث عن أصول العقيدة بتشريع القتال وأحكام الحج. حتى لقد عدها بعض العلماء من المشتركة بين المدني والمكي.على غرار سورة الفاتحة، التي ذكر بعض أهل العلم أنها	21

		نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة المنورة.	
104	المنافقون	ذم النفاق والمنافقين وكشف مؤامراتهم وتحذير المؤمنين منهم.	63
105	المجادلة	اشتملت على لفظ الجلالة في كل آية كريمة لتربية المهابة منه بالنفوس، وعدم الجرأة على مخالفته، سيما ما تعلق بموضوع معاملة الزوجات وغير المسلمين من المنافقين وأعداء الله تعالى وخاصة اليهود لعنهم الله. كما شرعت أدب المجالس.	58
106	الحجرات	أسس بناء المجتمع المتماسك: *داخليا: الضمير الرقابي *خارجيا: المحبة والتآخي	49
107	التحريم	معالجة مشكلات زوجية، والأمر بالإصلاح والتوبة، لتهيئة البيت المسلم والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة.	66
108	التغابن	أسباب التغابن وصوره وسبل الوقاية منه، وجوها جو السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية.	64
109	الصف	التحريض على الجهاد في سبيل الله تعالى، وبيان فضله في الدنيا والآخرة.	61
110	الجمعة	بيان مقاصد البعثة النبوية وذكر حال اليهود مع التوراة وبيان أحكام صلاة الجمعة.	62
111	الفتح	الوعد بالفتح والجنة جزاء الوفاء بالبيعة. ووعيد المنافقين	48

		والكفار بالنار وبئس القرار.	
112	المائدة	التشريع لإقامة المجتمع المسلم الذي يستمد أوامره من الله تعالى، وهي من السور المدنية الطويلة، وقد تناولت جانب التشريع بإسهاب مثل سورة البقرة كما تناولت موضوع العقيدة وقصة أهل الكتاب وأحكام النساء وغيرها.	05
113	التوبة	ال وأهل بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين والمنافقين الكتاب، وإظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول لغزو الروم.	09
114	النصر	الإعلام بتمام الدين، والإشارة إلى فتح مكة وانتشار لإسلام، والإخبار بدنو أجله ﷺ .	110

ثانيا: الآيات المدنيّة في السّور المكيّة (حسب ترتيب نزول السّور الكريمة)

	أرقام الآيات	السورة الكريمة	نص الآيات الكريمة
01	من 17 إلى 33 ومن 48 إلى50	القلم	﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

02	10و11و20	المزمل	﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ وقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾
03	من04إلى07	الماعون	﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾
04	32	النجم	﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ۚ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾
05	48	المرسلات	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾

06	38	ق	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾
07	من44إلى46	القمر	﴿ أَم يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾
08	من 163إلى 170	الأعراف	﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوۤءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ يَّسُومُهُمْ سُوۤءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِالْحَسَنَٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَّأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُوخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ ٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ

			﴿ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿٧٠﴾﴾
09	45	يس	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾
10	من68إلى70	الفرقان	﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحاً فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٧٠﴾﴾
11	58و71	مريم	﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَآءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴿٥٨﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴿٧١﴾﴾
12	130و131	طه	﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾
13	81و82	الواقعة	﴿أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

			﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾
14	197ومن 224 إلى آخر السورة	الشعراء	﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾
15	من 52إلى 55	القصص	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾
16	26و32و33 و57ومن 73إلى 80	الإسراء	﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً ﴿٣٣﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً

			﴿٧٧﴾.وقوله تعالى:﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلآ أَن ثَبَّتْنَكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذاً لَّأَذَقْنَكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلاَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدَ ٱرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ٱقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰناً نَّصِيراً ﴿٨٠﴾﴾
17	40ومن 94إلى 96	يونس	﴿وَمِنْهُم مَّنْ يُؤمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُومِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُومِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾
18	12و17و114	هود	﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَنْ

			يَّقُولُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٤﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾
19	01إلى03و07	يوسف	﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾
20	87	الحجر	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾
21	20و23و91و93 و114 و141ومن151 إلى153	الأنعام	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ

			مُوسىٰ نُوراً وَهُدىً لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُۥ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَلاَ تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ

			ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾
22	من27إلى29	لقمان	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾
23	06	سبأ	﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾
24	من52إلى54	الزمر	﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾
25	56و57	غافر	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
26	من23إلى25 و27	الشورى	﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

			ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾
27	54	الزخرف	﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾
28	14	الجاثية	﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾
29	10و15و35	الأحقاف	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

			وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾
30	28ومن83إلى101	الكهف	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً ﴿٢٨﴾ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلاَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَباً ﴿٨٥﴾حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِيَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً نُّكُراً ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنَ ـامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُۥ جَزَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنَ اَمْرِنَا يُسْراً ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَباً ﴿٨٩﴾حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدَ اَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴿٩١﴾ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَباً ﴿٩٢﴾حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ

			فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿٩٥﴾ ـاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاً ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاً ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴿١٠١﴾
31	من126إلى128	النحل	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّالذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾
32	28و29	إبراهيم	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾
33	من 16إلى20	السجدة	﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاًۚ لاَّ يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

			ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
34	17	الروم	﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
35	من01إلى11	العنكبوت	﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

ثالثا: الآيات المكيّة في السّور المدنيّة

(حسب ترتيب نزول السّور الكريمة)

	أرقام الآيات	السورة	نص الآيات الكريمة
01	من30إلى 36	الأنفال	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلاَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥ إِنَ اَوْلِيَآؤُهُۥ إِلاَّ ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلاَّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾
02	13	محمد	﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾
03	من52إلى55	الحج	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى

			ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ﴿٥٥﴾
04	128و129	التوبة	﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

رابعا: السّور المكيّة وترتيبها بحسب النزول

رقم السورة	اسم السورة	الآيات المدنيّة من السّورة إن وجدت	ترتيبها في المصحف
01	العلق	مكية كلها،وهي أول ما نزل من القرآن	96
02	القلم	مكية إلا الآيات من 17إلى غاية آية33 ومن آية48إلى غاية50منها فمدنية	68
03	المزمل	مكية إلا الآيات10و11و20 منها فمدنية	73
04	المدثر	مكية كلها	74
05	الفاتحة	مكية كلها	01
06	المسد	مكية كلها	111
07	التكوير	مكية كلها	81
08	الأعلى	مكية كلها	87
09	الليل	مكية كلها	92
10	الفجر	مكية كلها	89
11	الضحى	مكية كلها	93
12	الشرح	مكية كلها	94
13	العصر	مكية كلها	103
14	العاديات	مكية كلها	100

15	الكوثر	مكية كلها	108
16	التكاثر	مكية ،والآيات 04و05و06و07منها فمدنية	102
17	الماعون	مكية كلها	107
18	الكافرون	مكية كلها	109
19	الفيل	مكية كلها	105
20	الفلق	مكية كلها	113
21	الناس	مكية كلها	114
22	الإخلاص	مكية كلها	112
23	النجم	مكية إلا الآية32 منها فمدنية	53
24	عبس	مكية كلها	80
25	القدر	مكية كلها	97
26	الشمس	مكية كلها	91
27	البروج	مكية كلها	85
28	التين	مكية كلها	95
29	قريش	مكية كلها	106
30	القارعة	مكية كلها	101
31	القيامة	مكية كلها	75
32	الهمزة	مكية كلها	104

33	المرسلات	مكية إلا الآية 48 فمدنية	77
34	ق	مكية إلا الآية38 منها فمدنية	50
35	البلد	مكية كلها	90
36	الطارق	مكية كلها	86
37	القمر	مكية إلا الآيات 44و45و46 فمدنية	54
38	ص	مكية كلها	38
39	الأعراف	مكية إلا الآيات من163 إلى غاية آية170 منها فمدنية	7
40	الجن	مكية كلها	72
41	يس	مكية إلا الآية 45 منها فمدنية	36
42	الفرقان	مكية إلا الآيات 68و69و70 فمدنية	25
43	فاطر	مكية كلها	35
44	مريم	مكية إلا الآيتين 58و71 فمدنيتان	19
45	طه	مكية إلا الآيتين 130و 131فمدنيتان	20
46	الواقعة	مكية إلا الآيتين81و82 فمدنيتان	56
47	الشعراء	مكية إلا الآية197 ومن الآية224 إلى آخر السورة فمدنية	26
48	النمل	مكية كلها	27
49	القصص	مكية إلا الآيات من 52 إلى غاية 55 فمدنية وأما الآية 85 فقد نزلت بالجحفة أثناء الهجرة	28

50	الإسراء	مكية إلا الآيات 26و32و33و57 ومن الآية 73 إلى غاية80 فمدنية	17
51	يونس	مكية إلا الآية 40 والآيات: من الآية 94إلى غاية الآية 96 فمدنية	10
52	هود	مكية إلا الآيات 12و17و114 فمدنية	11
53	يوسف	مكية إلا الآيات 01و02و03و07 فمدنية	12
54	الحجر	مكية إلا الآية87 فمدنية	15
55	الأنعام	مكية إلا الآيات 20و23و91و93و114و141و151و152و153فمدنية	06
56	الصافات	مكية كلها	37
57	لقمان	مكية إلا الآيات 27و28و29 فمدنية	31
58	سبأ	مكية إلا الآية 06 فمدنية	34
59	الزمر	مكية إلا الآيات52و53و54 فمدنية	39
60	غافر	مكية إلا الآيتين56و57 فمدنية	40
61	فصلت	مكية كلها	41
62	الشورى	مكية إلا الآيات23و24و25و27 فمدنية	42
63	الزخرف	مكية إلا الآية54 فمدنية، والآية45 منها نزلت في بيت المقدس ليلة الإسراء	43
64	الدخان	مكية كلها	44
65	الجاثية	مكية إلا الآية14 فمدنية	45

66	الأحقاف	مكية إلا الآيات10و15و35 فمدنية	46
67	الذاريات	مكية كلها	51
68	الغاشية	مكية كلها	88
69	الكهف	مكية إلا الآية28 والآيات من 83 إلى غاية الآية101 فمدنية	18
70	النحل	مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة منها126و127و128 فمدنية	16
71	نوح	مكية كلها	71
72	ابراهيم	مكية إلا الآيتين28و29 فمدنية	14
73	الأنبياء	مكية كلها	21
74	المومنون	مكية كلها	23
75	السجدة	مكية إلا الآيات من 16إلى غاية الآية 20 فمدنية	32
76	الطور	مكية كلها	52
77	الملك	مكية كلها	67
78	الحاقة	مكية كلها	69
79	المعارج	مكية كلها	70
80	النبأ	مكية كلها	78
81	النازعات	مكية كلها	79
82	الانفطار	مكية كلها	82
83	الانشقاق	مكية كلها	84

84	الروم	مكية إلا الآية 17 فمدنية	30
85	العنكبوت	مكية إلا الآيات من 01 إلى غاية الآية11 فمدنية	29
86	المطففين	مكية كلها	83

خامسا: السّور المدنيّة وترتيبها بحسب النزول

الترتيب المدني	رقم السورة	اسم السورة	الآيات المكيّة من السّورة إن وجدت	ترتيبها في المصحف
01	87	البقرة	مدنية كلها إلا آية281 فنزلت بمنى في حجة الوداع	02
02	88	الأنفال	مدنية إلا الآيات من 30 إلى غاية36 فمكية	08
03	89	آل عمران	مدنية كلها	03
04	90	الأحزاب	مدنية كلها	33
05	91	الممتحنة	مدنية كلها	60
06	92	النساء	مدنية كلها	04
07	93	الزلزلة	مدنية كلها	99
08	94	الحديد	مدنية كلها	57
09	95	محمد	مدنية إلا الآية 13 منها فنزلت في الطريق أثناء الهجرة	47
10	96	الرعد	مدنية كلها	13
11	97	الرحمن	مدنية كلها	55
12	98	الإنسان	مدنية كلها	76
13	99	الطلاق	مدنية كلها	65
14	100	البينة	مدنية كلها	98
15	101	الحشر	مدنية كلها	59

16	102	النور	مدنية كلها	24
17	103	الحج	مدنية إلا الآيات 52و53و54و55 فقد نزلت بين مكة والمدينة	22
18	104	المنافقون	مدنية كلها	63
19	105	المجادلة	مدنية كلها	58
20	106	الحجرات	مدنية كلها	49
21	107	التحريم	مدنية كلها	66
22	108	التغابن	مدنية كلها	64
23	109	الصف	مدنية كلها	61
24	110	الجمعة	مدنية كلها	62
25	111	الفتح	مدنية كلها نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية	48
26	112	المائدة	مدنية كلها والآية 03منها فنزلت بعرفات في حجة الوداع	05
27	113	التوبة	مدنية إلا الآيتين الأخيرتين منها 128و129 فمكيتان	09
28	114	النصر	مدنية كلها	110

الفهارس العامّة:

أ- فهرس الآيات الكريمة (حسب ترتيب النزول)

ب- فهرس الأحاديث الشريفة

ت- فهرس الشّعر

ث- فهرس الكلمات المشروحة

ج- فهرس الأعلام

ح- فهرس الأقوام

خ- الأماكن

د- فهرس المصادر والمراجع

ذ- فهرس الموضوعات

أ- فهرس الآيات الكريمة

(حسب ترتيب النزول)

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
العلق	﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾.....	05-01	/153/75/74 174
	﴿ كَلَّآ لَا تُطِعْهُ...﴾.....	19	104/102
	﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ...﴾.....	18-15	166
	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ...﴾.....	10-06	/167هـ/167 283
	﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾...﴾.....	18-17	183
	﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ...﴾.....	08	209
القلم	﴿ نٓۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾.....	01	153/74
	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.....	04	/154/140 283
	﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ...﴾.....	43-42	155
	﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ ...﴾.....	33-17	/224/174 301
	﴿ وَإِن يَكَادُ...﴾.....	51	190

	﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ ...﴾.....	13-08	284
	﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ ...﴾.....	39	388
المزمل	﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾.....	04	225/85
	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾.....	20	156
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾.....	01	156
	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾.....	20	157
	﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ...﴾.....	-18-17 19	174
	﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...﴾.....	10	284
المدثر	﴿ مَا سَلَكَكُمْ...﴾.....	43-42	157
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾.....	01	158
	﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾.....	02	159
	﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾.....	03	225/159
	﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ...﴾.....	05-04	/160/159 284/234
	﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾.....	06	284/161

284/161	07	﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾.....	
284	05	﴿ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾.....	
384	31	﴿ وَيَزْدَادَ ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا...﴾.....	
398	27-26	﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦...﴾.....	
174	03-01	﴿ ٱلْحَمْد لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢...﴾.....	الفاتحة
162	01	﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.....	المسد
304	09-08	﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨...﴾.....	التكوير
399	18-17	﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧...﴾.....	
179	01	﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلاَعْلَى ۝١ ﴾.....	الأعلى
398/193	19-18	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ...﴾.....	
170	27	﴿ يا يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ﴾.....	الفجر
80	05-01	﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١...﴾.....	الضحى
243	10	﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾.....	
266	03-01	﴿ وَالْعَصْرِ ۝١...﴾.....	العصر

الكوثر	﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ...﴾.....	02/01	250/100/99
التكاثر	﴿ ٱلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١...﴾.....	02-01	205/167
الماعون	﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ...﴾.....	05-04	157
	﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ..﴾.....	03-01	306/243
الكافرون	﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١...﴾.....	06-01	223
الفيل	﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١...﴾.....	05-01	09
الفلق	﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١...﴾.....	05-01	/188/175 284
الناس	﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١...﴾.....	06-01	175
الإخلاص	﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾.....	04-01	175/22
النجم	﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩...﴾.....	20-19	17
	﴿ إِن رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ...﴾.....	32	175
	﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣...﴾.....	14-13	184
	﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ ...﴾.....	26	184
	﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ...﴾.....	37-36	193

327	38	﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾.....	
385	04-03	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾...﴾.....	
206	21-17	﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ...﴾.....	عبس
63	01	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ...﴾.....	القدر
102	02	﴿وَمَآ أَدْرِىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾.....	
184/103	04/03	﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ ...﴾.....	
103	05	﴿ سَلَٰمٌ هِىَ...﴾.....	
170	09-07	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾...﴾.....	الشمس
256/179	08-01	﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾...﴾.....	البروج
256	11-10	﴿ إِنَّ ٱلذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ...﴾....	
220/179	16-14	﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾...﴾.....	
266	11	﴿ إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ...﴾.....	
97	01	﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ ﴾.....	قريش

	﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ...﴾.....	04-03	223
القارعة	﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١...﴾.....	11-01	209
القيامة	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ...﴾.....	19-16	135
	﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾.....	02	170
	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ...﴾	23-22	212
ق	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾.....	38	110
	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ...﴾.....	16	171
	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾.....	39	212
	﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ...﴾.....	06	332
	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ...﴾.....	37	396
القمر	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ...﴾.....	50-49	220
	﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥ...﴾.....	12-10	399/231
ص	﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ...﴾.....	85-75	187
الأعراف	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا...﴾.....	26	106

	﴿ ٱلذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ...﴾.....	157	193
	﴿ كَمَآ أَخْرَجَ ...﴾.....	27	106
	﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم...﴾.....	04-03	176
	﴿ إِنَّ ٱلذِينَ عِندَ رَبِّكَ...﴾.....	206	184
	﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ ...﴾.....	27	187
	﴿وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ...﴾.....	172	191/هـ
	﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ...﴾.....	43	211
	﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ...﴾.....	31	235
	﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَامُرْ بِالْعُرْفِ...﴾.....	199	378
	﴿فَانْبَجَسَتْ﴾.....	160	400
يس	﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلِانسَـٰنُ...﴾.....	79-77	209
	﴿ ٱلذِے جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ...﴾.....	80	405
الفرقان	﴿ وَقَال ٱلذِينَ كَفَرُواْ...﴾.....	33-32	136
	﴿ إِلاَّ مَن تَابَ...﴾.....	70	266/228

	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟...﴾.....	23	269
	﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا...﴾.....	61	397
فاطر	﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم...﴾.....	37	19
	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾.....	18	181
	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ...﴾.....	28	275/68
	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ...﴾.....	01	184
	﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ...﴾.....	11	220
مريم	﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾.....	71	217
طه	﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ...﴾.....	69	188
	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ ...﴾.....	124	208
	﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا...﴾.....	72-70	257
	﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا...﴾.....	76-73	257
	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾.....	112	266

	﴿ فَأَكَلاَ مِنْهَا﴾.....	121	304
الواقعة	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾.....	96	98
	﴿ لاَّ يَمَسُّهُۥٓ إِلاَّ ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.....	79	234
الشعراء	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.....	217	181
	﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ...﴾.....	200	262
	﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ...﴾.....	215	335
	﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتْبَعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾...﴾.....	-224 224	396
القصص	﴿ فَلَنَّ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.....	17	97
	﴿إِنَّا رَآدُّوهُ ﴿٧﴾﴾.....	07	97
	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ...﴾.....	21-20	231
	﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ...﴾.....	24	231
	﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾.....	60	272
	﴿ وَقُرْءَاناً فَرَقْنَٰهُ...﴾.....	106	136
	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ...﴾.....	85	172

الإسراء	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ...﴾.....	67	173
	﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝ ﴾.....	55	193
	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾.....	09	194
	﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾.....	111	225
	﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ...﴾.....	78	226
	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾.....	70	303
	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ...﴾.....	25-23	310
	﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ...﴾.....	31	311
	﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ...﴾.....	32	314
	﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾.....	20	328
	﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ...﴾.....	27-26	328
	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً...﴾.....	29	328
	﴿ وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ...﴾.....	106	351
	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ...﴾.....	88	387

يونس	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾.....	18	176
	﴿ لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ...﴾.....	26	213
	﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ ءَلآمَنَ...﴾.....	99	375
هود	﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ...﴾.....	50	195
	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ...﴾.....	61	332/195
	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ...﴾.....	84	195
	﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ...﴾.....	52	229
	﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ...﴾.....	24	275
يوسف	﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ...﴾.....	103	115
	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ...﴾.....	111	116
	﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا...﴾.....	17	144
	﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴿٥٣﴾﴾.....	53	170
	﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا...﴾.....	23	258
	﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي...﴾.....	32	259

	﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾.....	33	259
	﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ...﴾.....	55	281
	﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾.....	18	347
الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ...﴾.....	09	64
	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ...﴾.....	96-94	379
الأنعام	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً...﴾...	144	14/هـ
	﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ...﴾.....	59	79
	﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ...﴾.....	151	79
	﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ...﴾.....	116	115
	﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا...﴾.....	29	168
	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ...﴾.....	86-83	196
	﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ...﴾.....	155	227
	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ...﴾.....	141	329
	﴿ فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُۥ ...﴾.....	125	404

الصافات	﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ...﴾.....	71-69	317
لقمان	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ...﴾.....	25	26
	﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾.....	19-17	401/286
سبأ	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...﴾.....	54	98
	﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ...﴾.....	13	115
	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ...﴾.....	46	275
	﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ...﴾.....	11	280
	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ...﴾.....	28	380
الزمر	﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ... ﴾.....	67	79
	﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ...﴾.....	75	98
	﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ...﴾.....	54-53	229
	﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ...﴾.....	34-33	287
غافر	﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ...﴾.....	15	179
	﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ...﴾.....	09-07	185

	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ...﴾.....	60	230
	﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾.....	09-07	232
	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَاَ...﴾.....	40	267
فصلت	﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢...﴾.....	13-01	391
	﴿ لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾.....	42	396
	﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ...﴾...	54-53	408
الشورى	﴿وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلإِثْمِ...﴾.....	37	287
	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ...﴾.....	43	401/287
	﴿وَالذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ...﴾.....	38	336
	﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾.....	15	340
الزخرف	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ...﴾....	17	52
	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ...﴾.....	09	176
	﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ...﴾.....	80	185
	﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً...﴾.....	08	254
	﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ...﴾.....	23	317

الجاثية	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا...﴾.....	24	168/15
	﴿ هَلْ يَنظُرُونَ...﴾.....	158	204
	﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾.....	21	267
الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالِانسَ ...﴾.....	56	223
	﴿ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ...﴾.....	47	405
الغاشية	﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلِابِلِ...﴾.....	20 -17	106
الكهف	﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ...﴾.....	29	375
النحل	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ...﴾.....	59-58	304/51
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَـٰنِ...﴾.....	90	86
	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ...﴾.....	40	111
	﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ...﴾.....	43	276
	﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾.....	125	279
	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ...﴾.....	83-80	303
	﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ...﴾.....	67	353

	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ...﴾.....	125	379
	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ...﴾.....	103	390
إبراهيم	﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾.....	37	07
	﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ...﴾.....	27	207
	﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ...﴾.....	37	240
	﴿ مَّثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ...﴾.....	18	269
	﴿ وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ....﴾.....	47-42	339
الأنبياء	﴿ وَإِدْرِيسَ...﴾.....	85	196
	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ...﴾.....	87	225
	﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ...﴾.....	80	329
	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.....	107	359
المؤمنون	﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ ...﴾.....	37-35	168
	﴿قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾.....	87-86	176

	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ...﴾.....	100-99	206
السجدة	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ...﴾.....	17	211
الطور	﴿ أَم خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ...﴾.....	38-35	393
الملك	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴾.....	14	139
الحاقة	﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ...﴾.....	24	246
	﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝...﴾.....	03-01	398
المعارج	﴿ وَالذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ...﴾.....	25-24	244
	﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَه وَالرُّوحُ...﴾.....	04	281
الروم	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزْوَٰجاً ...﴾.....	21	314
	﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً...﴾.....	39	355
العنكبوت	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾.....	03	98
	﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ...﴾.....	05	181

	﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ...﴾.....	45	236
	﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.....	11	267
	﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ...﴾.....	64	272
	﴿ وَلاَ تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلاَّ...﴾.....	46	379/279
	﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلِانسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ...﴾.....	08	311
	﴿ وَالذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا...﴾.....	69	358
	﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ...﴾.....	49	397
المطففين	﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ...﴾.....	06	176
	﴿ كَلَآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ...﴾.....	15	213
	﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝...﴾.....	03-01	330
البقرة	﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ...﴾.....	03-01	169/99
	﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ...﴾.....	137	140
	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلاَهِلَّةِ ...﴾.....	189	105
	﴿ وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ...﴾.....	234	86
	﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ...﴾.....	281	89/77/74/69

181/			
247/63	185	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾.....	
67	37	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾.....	
177	117	﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِّ ...﴾.....	
177	28	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾.....	
189	102	﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُواْ...﴾.....	
197	260	﴿ رَبِّ أَرِنِي...﴾.....	
210	25-24	﴿ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ...﴾.....	
228	121	﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ...﴾.....	
232	186	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي...﴾.....	
232	201	﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا...﴾.....	
234	222	﴿ و يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِّ...﴾.....	
239	114	﴿ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ...﴾.....	
240	144	﴿ فَد نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾.....	
241	-149	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ...﴾.....	

	150		
241	145	﴿ وَلَقِيَ ءَاتَيْتَ ٱلذِينَ ٱوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ...﴾.....	
244	110	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾.....	
/247 268	-183 184	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ...﴾.....	
260	51-49	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ...﴾.....	
267	82	﴿ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾.....	
/268 400/345	-178 179	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ...﴾.....	
268	194	﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ...﴾.....	
268	241	﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ بِالْمَعْرُوفِ...﴾.....	
269	177	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ...﴾.....	
278	-159 160	﴿ إِن ٱلذِينَ يَكْتُمُونَ...﴾.....	
295	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ...﴾.....	

301	237	﴿ وَلاَ تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ...﴾.....	
328	188	﴿ وَلاَ تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ...﴾	
330	282	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم...﴾.....	
331	280	﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ ...﴾...	
331	283	﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ...﴾.....	
333	127	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ...﴾.....	
353	219	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾.....	
356	-275 279	﴿ ٱلذِيں يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ...﴾.....	
362	190	﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾.....	
363	251	﴿ وَلَوْلاَ دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾.....	
372	221	﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُومِنَّ...﴾.....	
375	256	﴿ لآَ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ...﴾.....	
376	143	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً...﴾.....	

	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾.....	18-17	400
	﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ۝١٩ ﴾.....	19	400
	﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ۝٦٠ ﴾.....	60	400
الأنفال	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ...﴾.....	30	109/108
	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ...﴾.....	52	179
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ...﴾.....	27	296
	﴿ وَأُوْلُواْ ٱلاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلِىٰ...﴾.....	75	315
	﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...﴾.....	63	319
	﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ...﴾.....	28	328
	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ...﴾.....	61	359
	﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ ...﴾.....	39	180
	﴿ إِنِّى أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ...﴾.....	48	188
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ...﴾.....	33	196

آل عمران	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...﴾.....	144	203
	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...﴾.....	97-96	241
	﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ...﴾.....	47-45	260
	﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾.....	103	319
	﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ...﴾.....	115	327
	﴿ يُومِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ...﴾.....	114	327
	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ...﴾.....	159	335
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَاكُلُواْ ٱلرِّبَوٰاْ ...﴾..	130	355
	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾.....	110	376
	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَٰمُ ۗ ﴾.....	19	377
	﴿ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَٰمِ دِيناً...﴾.....	85	378
الأحزاب	﴿ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلأُولَىٰ ﴾.....	33	30
	﴿ مِّن ٱلْمُومِنِينَ رِجَالٌ...﴾.....	23	38

	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ...﴾.....	72	304
	﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ...﴾.....	05-04	312
الممتحنة	﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ۝١٠﴾.....	10	372
	﴿ لا يَنْهيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلذِينَ لَمْ يُقَتِلُوكُمْ...﴾	09-08	380/373
النساء	﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ...﴾.....	46	20
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ...﴾.....	43	/235 353
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ...﴾.....	01	315/117
	﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرَكِ...﴾.....	145	297/270
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا...﴾.....	37-36	298
	﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ...﴾.....	07	305
	﴿ إِنَّ ٱلذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ.....﴾.....	10	307
	﴿وَابْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ...﴾.....	06	307
	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۝١١﴾.....	11	311
	﴿ فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ...﴾....	03	313

	﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾.....	24	313
	﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ.....﴾.....	34	314
	﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا...﴾....	36	318
	﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ...﴾.....	86	320
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ...﴾.....	59	337
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ...﴾.....	58	339
	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ...﴾	65	341
	﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ...﴾.....	16-15	357
	﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا...﴾.....	75	364
الحديد	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.....	01	98
	﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ...﴾.....	03	180
	﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ...﴾.....	23	216
	﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾.....	22	220
	﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ...﴾.....	21	327
	﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ...﴾.....	25	329

محمد	﴿ فَاعْلَمَ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.....	19	150
	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ...﴾.....	10	254
	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ...﴾.....	23-22	316
الرعد	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم...﴾.....	28	150
الرحمن	﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ...﴾.....	04-01	388/279
الإنسان	﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ...﴾.....	07	248
الطلاق	﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ...﴾.....	02	388
الحشر	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ...﴾.....	10-09	322/321/38
	﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾.....	24-22	180
	﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا...﴾.....	10	232
النور	﴿ فِي بُيُوتٍ...﴾.....	38-36	239
	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ...﴾.....	22	291/290
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ...﴾.....	11	291
	﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ...﴾.....	33	308

	﴿ قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ...﴾.....	31-30	324
	﴿ اَلزَّانِيَه وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ...﴾.....	03-02	358/346
	﴿ وَالذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنَٰتِ...﴾.....	04	347
	﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾.....	12	348
الحج	﴿ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ...﴾.....	26	235
	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ...﴾.....	29	248
	﴿ وَأَذِّن فِي اَلنَّاسِ بِالْحَجِّ...﴾.....	28-27	249
	﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا...﴾.....	36	251
	﴿ لَن يَّنَالَ اَللَّهَ لُحُومُهَا...﴾.....	37	251
	﴿ اذِنَ لِلذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ...﴾.....	41-39	363
المنافقون	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ...﴾.....	06	هـ/297
المجادلة	﴿ قَالَتِ اَلاَعْرَابُ ءَامَنَّا...﴾.....	14	هـ/297
	﴿ وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ...﴾.....	03	308

الحجرات	﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ...﴾.....	06	343/67
	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾.....	10	322/273
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ...﴾.....	12-11	299
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم...﴾.....	13	373
التغابن	﴿ وَمَنْ يُومِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحاً...﴾.....	09	267
الصف	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ...﴾.....	06	29
	﴿ كَبُرَ مَقْتاً...﴾.....	03	277
الجمعة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ...﴾...	10-09	332
الفتح	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾.....	29	196/38
	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۝١...﴾.....	02-01	361/80
المائدة	﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً...﴾.....	64	322/28
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ...﴾.....	06	هـ/234
	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾.....	03	77
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ ...﴾.....	01	/143/117 332
	﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ...﴾.....	89	143

	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم.....ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.....	44	342/194
	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم.....ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.....	45	342/194
	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم.....ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.....	47	342/194
	﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ...﴾.....	22-21	299
	﴿ فَٱذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ...﴾.....	24	337
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ ...﴾....	08	343/339
	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا...﴾..	38	349
	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	34-33	350
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ...﴾.....	91-90	353
	﴿ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ...﴾.....	05	374
	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا...﴾.....	19	380
التوبة	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ...﴾.....	128	77
	﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾.....	24	203
	﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۝﴾.....	06	78
	﴿ وَالذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ...﴾.....	35-34	244

	﴿ قُلَ اَنفِقُواْ طَوْعاً...﴾.....	55-53	245
	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ...﴾.....	60	245
	﴿ ٱلذِينَ يَلْمِزُونَ...﴾.....	79	246
	﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ...﴾.....	36	281
	﴿ اِلاَّ ٱلذِينَ عَٰهَدتُّم...﴾.....	04	293
	﴿ وَأَنُ ٱحْكُم بَيْنَهُم...﴾.....	49	342
النصر	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾.....	03	180

ب- فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
« أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ ؟...».....	315
« اِتَّقُوا اَللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ».....	312
« اتَّقُوا النَّارَ... ».....	244
« اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ».....	403
« أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ... ».....	287
« أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ ... ».....	225
« أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ... ».....	197
« إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ... ».....	213
« إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ... ».....	248
« اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ».....	289
« أرأيْتَم لو أخبَرْتُكم...».....	162
« ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا... ».....	310
« ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّ كَتِفَ الشَّاةِ...».....	346
« اسْتَرْقُوا لَهَا».....	190

« اسْكُتْ فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ...».....	186
« أَطْعِمِ الْمِسْكِينَ... ».....	307
« أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ... ».....	190
« اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ...».....	365
« أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا... ».....	305/285
« أَلَا إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ...».....	356
« أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ... ».....	309
« الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاتٍ... ».....	22/هـ
« الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ... ».....	264
« الخَلقُ عِيَالُ الله... ».....	244
« الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ...».....	315
« السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ... ».....	298
« السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ... ».....	236
« الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ».....	305
« الْعَيْنُ حَقٌّ... ».....	190
« اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حزنَ قُلُوبِهِم... ».....	201

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي...».....	165
« اللّهُمّ إنّك قَدْ عَرَفْت حَالَهُمْ... ».....	233
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ... ».....	298
« اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ... ».....	236
« اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ...».....	395
« اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ... ».....	233
« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ... ».....	302
« أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ... ».....	216
« آمَنَ شِعْرُهُ... ».....	24
« إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا... ».....	191
« إِنَّ أَثْقَلَ مَا وُضِعَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ... ».....	285
« إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى... ».....	205
« إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْصِبُ عَرْشَهُ... ».....	189
« إِنَّ الصَّلَاةَ سَتَنْهَاهُ ».....	237
« إِنَّ اللهَ جَعَلَ السَّلَامَ...».....	359
« إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ... ».....	295

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ».....	402
« إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفحْشَ... ».....	290
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ ».....	326
« إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ... ».....	208/207/206
« إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَم... ».....	219
« أَنْ تُؤمنَ باللهِ ،ومَلائِكَتِهِ ، وبِلِقائِه... ».....	145
« أَنْ تُؤمن باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكتبه، ورُسُلِه... ».....	145
« إِنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ نَازِلٌ فِيكُم... ».....	205
« إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ... ».....	216
« إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ... ».....	287
« إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ... ».....	329
« إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا... ».....	326
« إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ...».....	394
« إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ... ».....	282
« إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».....	388
« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ... ».....	227

« أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى... ».....	22/هـ
« أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ... ».....	280
« إِنَّا قَافِلُون...».....	338
« أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ... ».....	307
« أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟... ».....	215
« انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ... ».....	294
« إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ... ».....	212
« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ... ».....	224
« إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ».....	403/402
« إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ ».....	305
« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ... ».....	285
« إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...».....	341
« إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ».....	401
« إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ... ».....	191 /هـ
« إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ...».....	165
« إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا... ».....	212

« اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ».....	186
« أَهْجُهُم وَرُوحُ القُدُسِ مَعَكَ ».....	394
« أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ... ».....	210
« آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ... ».....	296
« إِيهِ يَا عدي بن حاتم... ».....	198
« أيّهَا النّاسُ إنَّهُ لَا نبيَّ بَعْدِي... ».....	221
« بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ...».....	389
« بلُّوا أَرْحَامَكُمْ ».....	162/هـ
« بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ...».....	342
« بِنْتُ نَبِيٍّ... ».....	22
« بُنِيَ الإِسْلاَمُ على خَمْسٍ... ».....	222
« تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ... ».....	250
« تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ... ».....	214
« حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ... ».....	302
« حقّ لي فإنما أُنزِل القرآنُ...».....	401
« حَمِيَ الْوَطِيسُ ».....	402

« خُذِي مَا يَكْفِيكِ...».....	349
« خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ...».....	395
« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ... ».....	153
« دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ... ».....	21
« رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي... ».....	288
« رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا... ».....	288
« رِفقا بالقوَارير».....	305
« سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ... ».....	211
«صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ...».....	255/164
« صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي... ».....	301
« عمْرَة فِي رَمَضَانَ... ».....	250
« غَمْسُهُ يَدَهُ...».....	367
« فإني نِذيرٌ لكم... ».....	162
« فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ... ».....	276
« قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ... ».....	248
« قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ... ».....	29

« قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ ».....	198
« كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ... ».....	25
« كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ... ».....	320
« لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا... ».....	320
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ... ».....	02/هـ
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ...».....	406
« لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ... ».....	204
« لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ...».....	337
« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».....	316
« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ... ».....	295
« لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي... ».....	264
« لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ... ».....	239
« لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ... ».....	402
« لَا، وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ ».....	186
« لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلاَءَ ».....	295
« لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً... ».....	227

« لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا... ».....	37
« لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ... ».....	322
« لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ... ».....	287
« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا... ».....	321
« مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ... ».....	326
« مَا تَذْكُرُونَ؟ ».....	205
« مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ...».....	318
« مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ... ».....	282
« مَا لِي وَلِلدُّنْيَا... ».....	215
« مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ...».....	385
« مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ... ».....	320
« مَا هَذَا ؟ ».....	374
« مَا وُصِفَ لِي أَعْرَابِيٌّ قَطُّ... ».....	44
« مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا... ».....	196
« مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ ».....	401
« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ... ».....	278/271

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ...».....	315
« مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ... ».....	312
« مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ... ».....	201
« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟...».....	222
« مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ... ».....	295
« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ...».....	336
« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ... ».....	331
« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا... ».....	276
« مَنْ عَادَ مَرِيضًا... ».....	321
« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ... ».....	248
« مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا...».....	365
« مَنْ قَدْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالاً... ».....	331
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ... ».....	318
« مَنْ كَظَمَ غَيْظًا... ».....	290
« مِنْ مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ إِلَى النجَاشي...».....	382
« مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيم... ».....	307

« مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ... ».....	200
« نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا... ».....	214
« نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ».....	316
« نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ... ».....	270
« هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ... ».....	06
« هَلُمَّ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللهِ... ».....	200
« هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ...».....	335
« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي...».....	378
« وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِى...».....	361/360
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ... ».....	277
« وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ... ».....	264
« وَاللهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ...».....	338
« وَبَرِئَتْ مِنْكُم ذِمَّةُ اللهِ...».....	362
« وَجَبَتْ مَحَبَّتِي... ».....	321
« وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ... ».....	153
« يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سِرْيَانِيُّونَ... ».....	196

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ ».....	359
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ...».....	373
« يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ... ».....	238/158
« يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف: أَيُّ...».....	164
« يَا بَنِى فِهْرٍ يَا بَنِى عَدِىٍّ...».....	162
« يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ...».....	348/347
« يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ... ».....	231
« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ... ».....	243
« يا مَعْشَر قُرَيش أنقِذُوا أنْفُسَكُمْ... ».....	162
« يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ».....	21
« يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا... ».....	210
« يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا... ».....	297
« يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا...».....	365
« يَغْفِرُ اللهُ لِلْمُؤَذِّنِ... ».....	239
« يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا... ».....	211
« يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ».....	406

ت– فهرس الشّعر

البيت وقائله	الصفحة
(قافية الباء)	
إِنّي وَ إِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَـامِرٍ وَفَارِسَـهَا الْمَنْدُوبَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ فَمـا سَوَّدَتْنِي عَامِـرُ عَنْ قَرَابَةٍ أَبَــى اللهُ أَنْ أَسْمُــوَ بِأُمٍّ وَ لَا أَبِ وَلَكِنَّنِـي أَحْمِي حِمَاهَا وَ أَتَّقِي أَذَاهَا وَ أَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِــبِ (عامر بن الطفيل)	31
***	
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومي غَيْرَ صَـاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَــالَ الْقَوْمِ وَالْقُرُبَا (مرّة بن محكان السعدي)	46
***	
إِذَا قُلْتَ فِـي شَـيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الحُرِّ وَاجِبُ وَإِلَّا فَقُلْ:"لاَ"وَاسْتَــرِحْ وَأَرِحْ بِهَا لِكَيْلَا تَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَــاذِبُ (أبو جعفر الكوفي)	293
***	
السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِــبِ (أبو تمام)	344
***	

362	إِنّي رَأَيْتُ وُقُوفَ المَـاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ (الإمام الشافعي)
41	**(قافية التاء)** لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إِذا ما مَشَـــت وَلا بِذاتِ تَلَفُّـــتِ تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَهـا لِجـــــارَتِهـــا إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّـــتِ تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتهـــــا إِذا ما بُيـــوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّـــــتِ كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلـــى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمْكَ تَبْلَـــتِ أُمَيمَةُ لا يُخزي نَثاها حَليـتلَهـا إِذا ذُكَرِ النِســوانُ عَفَّت وَجَلَّـــتِ إِذَا هُوَ أَمْسَـــى آبَ قُرَّةَ عَيْنِـهِ مَآبَ السَّعِيدِ لمَ ْيَسَلْ أَيْنَ ضَلَّتِ؟ (الشنفرى)
	***
42	وفَيْتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيّ إِنّي إذا ما خَانَ أقْوَامٌ وَفيْتُ (السموأل)
51	**(قافية الحاء)** رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَنَاتِهم وفِيهنّ لا تُكْذَبْ نِساءٌ صَـوالِحُ وفيهنّ والأيّامُ تَعْثُر بالفتـى نَوَادِبُ لا يَمْلَلْنَـهُ ونَـــوَائـــحُ (معن بن أوس)

	(قافية الدال)
35	وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشَدْ غَزِيَّةُ أَرْشدِ (دريد بن الصمة)
	***
39	يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا (حاتم الطائي)
	***
163	وَإِنّي لَعبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً وَما فِيَّ إلاَّ تِلكَ مِنْ شِيمَة العَبْدِ (حاتم الطائي)
	***
217	وظُلْمُ ذوي القُرْبى أشدُّ مضاضةً على الحُرّ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ (طرفة بن العبد)
	***
	لَكِنّنِي أَسْأَلُ الرّحْمَنَ مَغْفِـــرَةً وَطَعْنَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الزّبَـــــدَا أو طَعْنَـــةً بِيَدي حَرَّانَ مُجْهِــزَةً بِحَرْبَةَ تَنفُذُ الأَحْشَـــاءَ وَالكَبِـــدَا حَتَّى يَقُولُوا إذَا مَرُّوا عَلَى جثتي يا أَرْشَدَ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَد رَشَـــدا (عبد الله بن رواحة)
395	نَحْنُ الَّذِيـــنَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِيـــنَا أَبَـــدَا (من شعر الصحابة

(قافية الراء)

تَعَلَّمْتُمُ مِنْ منْطِقِ الشّيخِ يعْربِ أَبِينَا فَصِرْتُم معربيــن ذَوِي نفــرِ

وَكُنْتُم قَدِيماً مَا بِكُم غَيْرَ عجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُــم كَالْبَهَائِمِ فِي القَفَرِ

02 (حسان بن ثابت)

***

أَرَبّــا وَاحِــدًا أَمْ أَلْــفَ رَبّ أَدِيــنُ إذَا تُقُسّمَتْ الْأُمُـــــورُ

عَزَلْتُ اللّاتَ وَالْعُزّى جَمِيعًا كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصّبُـــــورُ

فَلَا الْعُزّى أَدِيـنُ وَلَا ابْنَتَيْهَـا وَلَا صَنَمَيْ بَنِـــــي عَمْرٍو أَزُورُ

21 وَلَا هُبَلًا أَدِيــنُ وَكَــانَ رَبّــا لَنَا فِي الدّهْرِ إذْ حِلْمِي يَسِيرُ

وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرّحْمَـنَ رَبّــي لِيَغْفِرَ ذَنْبِــي الرّبّ الْغَفُـــــورُ

(زيد بن عمرو بن نفيل)

***

بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ قِسْمَةً فَمَا يَنْقَضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

33 (دريد بن الصمة)

***

وَلَسْنَا كَمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ بِعَبْرَةٍ يَعْصِرُهَــــا مِنْ مُقْلَتِهِ عَصْــرَا

وَإِنَّا أُنَاسٌ مَا تَفِيـضُ دُمُـوعُنَا عَلَى هَــالِكٍ وَإِنْ قُصِمَ الظَّهْرَا

33 وَلَكِنّي أشْفِــي الفُؤَادَ بِغَــارَةٍ أَلْهِبُ فِي قطْرِي كَتَائِبَهَا جَمْرَا

(أبو الهيذام عامر بن عمارة المري)

***

	دَعِيني للغِنَى أسْعَى فإنّي رَأيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقَـــيرُ
36	وَأَبعَدَهُمْ وأَهوَنَهم عَلَيْـــهِم وَإنْ أَمسَـــى لَهُ حَسَبٌ وَخِيرُ
	وَيُقْصِيـــهِ النَّدِيُّ وَتَزدَرِيـــهِ حَلَيـلَتُـــهُ وَيَنهرُهُ الصَّغـــيرُ
	(عروة بن الورد)
	***
36	وإنَّ صَخْـراً لَوالِيــنا وَسيّدُنا وإنَّ صَخْـراً إذا نَشْتُـــو لَنَحَّـــارُ
	(الخنساء)
	***
39	أوقِـــدْ فإنّ اللّـــيلَ ليـــلٌ قـرَ والرّيحَ، يا مُـــوقِدُ رِيـــحٌ صِـرُّ
	عَسَـــى يَرَى نـارَكَ مَنْ يَمُـــرُّ إنْ جَلَبَـــتْ ضَيْفاً فأنْتَ حُـــرُّ
	(حاتم الطائي)
	***
39	سَلِي الطَّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إذا مَا أتانِيَ بَين قِدْري ومَجْزِري
	أَأَبْسُطَ وجهي أنّه أول القِـــرَى وأبذلُ معروفي له دون مُنْكـري
272	(العجير)
	***
	والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأبصارُ صورتَه والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ

97	(أبو العلاء المعري) *** حَلَفَ الزمانُ ليَأتِيَنَّ بمثلِهِ حَنِثَتْ يمينُك يا زمانُ فكَفِّرِ (عمارة اليمني)
272	*** مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَـــــــاةِ فَــلَا يَـزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَـــالِحِ الْأَنْصَارِ
293	وَرِثُـوا الْمَكَـــارِمَ كَـــابِرًا عَنْ كَـــابِرٍ إنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُـــو الْأَخْيَـــــارِ (كعب بن زهير)
34	**(قافية الزاي)** جَزَزْنَا نَوَاصِـيَ فُرْسَـانَهَا وَكَانُـوا يَظُنُّـونَ أَنْ لَا تُجَزَّا (الخنساء)
09/08	**(قافية الشين)** أبا مطَر هَلُمَّ إلـــى صـــــلاحِ فَتَكْفِيَكَ النَّدَامـى مِنْ قريـــشِ فتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعِيشَ فيهم أبا مطـــر هُدِيـتَ لخيْرِ عَيـــشِ وتَنْـــزِلَ بَلْـدَةً عزَّت قَدِيـــماً وتأمَـــنَ أن يَـزُروَكَ ربٌّ جيـشِ (حرب بن أمية) **(قافية الصاد)** شَكَوتُ إلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي فَأَرشَدَني إلى تَركِ المَعاصـي

277	وَأخبَرَنـــي بِأنَّ العِلمَ نـــورٌ وَنورُ اللَهِ لا يُهدى لِعــاصــي (الإمام الشافعي)
	(قافية الضاد)
51	وإنَّمَـا أوْلادُنَـــا بَيْنَنَـــــا أكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأرْضِ (حطان بن المعلى)
	(قافية العين)
40	لعَمْرِي لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً فآلَيْـتُ ألاَّ أمنَع الدَّهْـــرَ جائعـا فقُولاَ لهذا اللائمـي الآنَ أَعْفِنِـي وَإن أنْتَ لم تفعَلْ فعَضّ الأصـــابِعَا فماذا عساكم أن تقُـولُـوا لأختكم سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا وَلَا مَا تَرَوْنَ اليَوْمَ إلاّ طَبِـــــيعَةً فَكَيْفَ بِتَرْكِـــي يَابْنَ أُمِّ الطَّبَـــائِعَا (عنبة أمّ حاتم الطائي)
	***
42	أَسُمَىَّ وَيْحَكِ هَلْ سَمِعْتِ بِغَدْرَةٍ رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا في مَجْمِعِ (الحادرة)
46	أَتَاكِ سُـهَيْلُ وَابْنُ حَرْب وَفِيهِمَا رِضاً لَكِ يَا هِنْدَ الهُنُـودِ ومقْنعُ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُعَاشُ بِفَضْـــلِهِ وَمَـــا مِنْهُمَـا إِلَّا يَضُرُّ وَيَنْفَـــعُ وَمَـا مِنْهُمَـــا إِلَّا كَرِيـــمٌ مرزَأٌ وَمَـا مِنْهُمَـــا إِلَّا أَغَرّ سمَيْـدَعُ فَدُونَكِ فَاخْتَـــارِي فَأَنْتِ بَصِيرَةٌ وَلَا تخْدَعِي إِنَّ المُخَادِعَ يخْدَعُ

(عتبة بن ربيعة)

***

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

(عبد الله بن رواحة)

221

***

إِذَا مَا اللَّيلُ أظلَمَ كَابَــدُوه فيُسْفِرُ عَنْهُـمُ وَهُمُ رُكُـــوعُ

أَطَارَ الخَوْفُ نَوْمَهُمُ فَقَامُوا وَأَهْلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ

238

(عبد الله بن المبارك)

(قافية القاف)

لا تَحْسَبَنَّ الْعِلْم يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلاقِ

(حافظ إبراهيم)

154

(قافية اللام)

وأَسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لــه الأرضُ تَحْمِـــــلُ صَخْراً ثِقَالاً

دَحـاها فلَمَّـــا رآهــا اسْتَـــوَتْ على المـاء أَرْسَـى عَلَيْهَا الجِبَالا

وأَسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَــهُ المُزْنُ تَحْمِــلُ عَذْبـــاً زُلاَلَا

20

إِذَا هِيَ سِيــقَتْ إِلَـــى بَلْــدَةٍ أَطَـاعَـــتْ فَصَبّتْ عَلَيْهَا سِجَـــالَا

(زيد بن عمرو بن نفيل)

***

وَلَقَدْ أَبِيــتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حَتىَّ أَنَالَ بِهِ كَرِيـــمَ الْمَأْكَلِ

(عنترة)

44

***

أَلَمْ تَعْلَمي، يا عَمْرَكِ اللهُ، أَنّني كريمٌ عَلى حِينِ الكرامُ قَلِيلُ

(مويال بن جهم المذحجي)

45

***

فلم يَجِدَا إلاَّ مُناخَ مطيَّـــــــةً تَجَافَى بها زَوْرٌ نَبِـــيلٌ وكَلْكَـــــلُ

ومضْرَبَهَا تَحْتَ الحَصَى بجِرانِهـا ومَثْنَـى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مَفْصِـــلُ

ومَوْضِعَ طُولِـــيٍّ وأَحْنَـــاءَ قاتِرٍ يَئِطُّ إِذَا ما شُدَّ بالنِّسْعِ مِنْ عَـــــلُ

وأَتْلَـعَ يُلْوَى بالجَدِيـــلِ كأَنَّـــهُ عَسِيبٌ سَقَاهُ من سُمَيْحَةَ جَدْوَلُ

82

وسُمْرٌ ظِمَـاءٌ واتَرَتْهُـــنَّ بَعْـدَ ما مَضَتْ هَجْعَةٌ منْ آخِرِ اللَّيْـلِ ذُبَّـــلُ

(كعب بن زهير)

***

ودُونَ النَّدَى في كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ وَعْرٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْـــلُ

ووَدَّ الفَتَى في كُلِّ نَيْلٍ يَنِيـلُهُ إِذا ما انْقَضَى لَوَ انَّ نائِلَهُ جَـزْلُ

وأَعْلَمُ عِلْماً ليـس بالظَّـنِّ أَنَّـه لِكُلِّ أُناسٍ من ضَرَائِبِهِم شَكْـلُ

وأَنَّ أَخِلاَّءَ الزَّمـــانِ غَنَاؤُهـــم قَليلٌ إِذا الإِنْسانُ زَلَّتْ به النَّعْـلُ

تَزَوَّدْ منَ الدُّنْيا مَتـــاعاً لغَيْرِهـا فقد شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وانْصَرَمَ الحَبْلُ

(إسحاق بن حسان)

82

***

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُـــولُ

أنْبِئْتُ أنَّ رَسُــولَ اللّهِ أوْعَدَنِى وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ مَأمُـولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِى أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِـيظُ وَتَفْصِيـلُ

لاَ تَأْخُذَنَّـي بِأَقْوَالِ الْوُشَـاةِ وَلَمْ أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنّي الأَقَاوِيـلُ

إِنَّ الرَّسُــولَ لَنُــورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدُ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

(كعب بن زهير)

***

لَئِنْ قَعَــدْنَا وَالنَّبِـيُّ يَعْمَــلُ لَذَاكَ مِنَّــا العَمَــلُ المُضَلَّــلُ

(من شعر الصحابة)

(قافية الميم)

يُؤخر فيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخَــر ِيَوْمِ الحِسَــــابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وَمَنْ لمَ ْيَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

(زهير بن أبي سلمى)

***

مَا إِنْ دَعَانِي الهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا نَهَانِي الحَيَاءُ وَ الكَرَمُ

فَلَا إِلَى فَاحِـشٍ مَدَدْتُ يَـدِي وَلَا مَشَتْ بِي لِزَلَّةٍ قَدَمُ

(المبرد)

***

وإِذَا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهِــلكٌ مَالِي وعِرْضي وافِرٌ لم يُكْلَــمِ

44	وإِذَا صحوْتُ فما أُقَصرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتَ شمائِلي وتَكَرُّمِى (عنترة)
	***
192	وَمَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيّتٍ إِيلاَمُ (أبو الطيب المتنبي)
	***
277	يَا أَيُّهَا الرَّجُـــلُ المُعَلِّـــمُ غَيْرَهُ هَلاَّ لِنَفْسِكَ كانَ ذَا التّعْلِيمُ ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيّــهَــا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التّعْلِيــمُ لاَ تَنْـه عَنْ خُلُقٍ وَتَأتــي مَثْلَــهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ (أبو الأسود الدؤلي)
	***
386	جاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَت وَجِئتَنا بِحَكيـمٍ غَيرِ مُنصَـرِمِ آياتُهُ كلمَا طَـالَ المدَى جُدُدٌ يَزِيدُهُنَّ جَلَالُ العِتْقِ والقِدَمِ (أحمد شوقي)
	(قافية النون)
	إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً أَبَيْنَــا أَنْ نُقِـــــرَّ الــذُّلَّ فِيــنَا

33	لَنَا الدُّنيا ومَنْ أضحَــى عَلَيْهــا ونَبطشُ حينَ نبطشُ قادِريــنا أَلا لا يَجْهَلَـــنْ أحَـــدٌ عَلَيْنــا فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهِليــنَا فَآبُـوا بِالنِّهَـــــابِ وَبِالسَّبَايَــا وَأُبْنَا بِالمُلُـــــوكِ مُصَفَّدِيــنَا لَيَسْتَلِبُــنَّ أَفْرَاســاً وَبِيْضــــاً وَأَسْرَى فِي الحَدِيــدِ مُقَرَّنِيْنَـا (عمرو بن كلثوم)
	***
52	مَا لأَبِي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِيــنَا يَظَلُّ فِــي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيــنَا غَضْبَانُ أَنْ لاَ نَلِدَ الْبَنِــينَا تَاللّــهِ ما ذَلِكَ فــي أيْديــنا وإنّمــا نَأخُذُ ما أُعْطيــنَا ونحــن كالأرْضِ لِزَارِعِيــنا نُنْبِتُ ما قَدْ زرعوهُ فِينَا (زوجة الشاعر أبي حمزة الضبي)
	***
290	وَإِنّـي لأَلْقَى الْمَرْءَ أَعْلَمُ أَنَّهُ عَدُوٌّ وَفِي أَحْشَـائِهِ الضِّغْنُ كَامِنُ فَأَمْنَحُهُ بِشْرًا فَيَرْجِعُ قَلْبُــهُ سَلِيمًا وَقَدْ مَـاتَتْ لَدِيهِ الضَّغَائِـنُ (الحسن بن علي)
	***
394	اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَــا فَاغْفِرْ فِدَاءٌ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَـا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا وَأَلْقِيَنْ سَكِــينَةً عَلَيْنَــا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَــا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

(عامر بن الأكوع)

36 **(قافية الهاء)**

فَلِلْمَوْتُ خَيْرٌ للفَتَى مِن قُعُـودِهِ عَدِيماً ومِن مَوْلىً يدبُّ عَقارِبُهْ

ولَمْ أَرَ مِثْلَ الهمِّ ضاجَعَهُ الفَتَى ولا كَسَوادِ اللَّيلِ أَخْفَقَ طالِبُهْ

39 (أبو النشناش النهشلي)

***

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الضَّعِيفِ عقُورُهَا

فإنّي جَبانُ الكلبِ بَيْتي مُوَطَّأٌ أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيـــرُهَا

40 (حاتم الطائي)

***

وأَغُضُّ طَرْفي ما بَدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارَتي مَأْواهـــا

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ مـــاجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَّجوجَ هَواها

42 (عنترة بن شداد)

***

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَه وَالْحِلُّ -لَا حِل- فَأَسْتَبِيـــنَه

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَه يَحْمِي الْكَرِيم عِرْضه وَدِينه

42 (عبد الله بن عبد المطلب)

***

أَتَتْـــهُ الخِـــلاَفَـــةُ مُنْقـــادَةً إِلَيْـــــهِ تُجَـــــرِّرُ أَذْيَـــالَـــهـــــا

فلـــم تَـــكُ تَصْلُـــحُ إِلاَّ لـــــه ولـــــم يَـــــكُ يَصْلُـــحُ إِلاَّ لهـــا

ولَـوْ رامـــها أَحَـــــدٌ غَيْـــرُهُ لَزُلْـــزِلَـــــتِ الأَرْضُ زِلَـــزَالَـهـا

82 (أبو العتاهية)

***

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاَهُ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ

(أبو الطيب المتنبي)

***

216

أَقْسَمْـتُ يَا نَفْـــسُ لَتَنْزِلِنَّـهْ لَتَنْزِلِـــنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّـــــهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّـهْ مَا لِـي أَرَاكِ تَكْرَهِيـنَ الْجَنَّـهْ؟

369 (عبد الله بن رواحة)

***

خَلُّوا بَنِـــي الكُفَّارِ عَن سَبِـيلِه خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ فِي رَسُـــولِهْ

قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَـــنُ فِي تَنْزِيلِه فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُـولِهْ

يَـــارَبِّ إِنِّـي مُؤْمِنُ بِقِيـــلِه إِنِّـي رَأَيْتُ الحَـقَّ فِـي قَبُـولِهْ

395 (عبد الله بن رواحة)

***

(قافية الياء)

أَلَا أَيّهَا الْإِنْسَـــانُ إيّـــاكَ وَالرّدَى فَإِنّك لَا تُخْفِـي مِنْ اللّـهِ خَـافِيَا
وَإِيّــاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّـــهِ غَيْرَهُ فَإِنّ سَبِـيلَ الرّشْـدِ أَصْبَـحَ بَادِيَـا
رضيـتُ بك اللهـمَّ ربًّا فلـــن أرى أديـــنُ إلهاً غيرك اللـــه ثـانياَ
وَأَنْتَ الّذِي مِنْ فَضْلِ مَنّ وَرَحْـمَةٍ بَعَثْت إلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَـا
فَقُلْت لَهُ يَا اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوَا إلَى اللّهِ فِرْعَوْنَ الّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْك نَجّيْت يُـــونُسًا وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَـالِيَا
وَإِنّيَ لَوْ سَبّـــحْت بِاسْــمِك رَبّنَـا لَأُكْثِرُ إلّا مَــا غَفَرْت خَطَـائِيَـــا

(أميّة بن أبي الصّلت)

***

أَقولُ وقَدْ شَدُّوا لِسانِي بنِسْعَة مَعاشِرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عن لِسانِيا

(عبد يغوث بن وقاص الحارثي)

24

34

ث- فهرس الكلمات المشروحة

الكلمات	الصفحة
أمهات ولد	34
ثفروقا	383
الحجاب	324
الحرّة	350
الحضارة	263
الحنيفية	13
الحوار	368
ذي قار	02
ربيئة	182
الركوسية	198
السِّلم	359
السّلوك	262
العقيدة	143
القرآن	53

القصاص	345
يعفر	166

ج- فهرس الأعلام

العلَم	الصفحة
إبراهيم بن عمر (الجعبري)	130
ابن جزي الغرناطي	56
أبو الحسن علي الأشعري	213
أبو بكر النيسابوري	96
أبو بكر بن العربي	94
برهان الدين البقاعي	95
أحمد بن إبراهيم بن الزبير	86
بدر الدين الزركشي	54
خالد بن سنان العبسي	22
صفوان بن المعطل	348
صفي الرحمن بن عبد الله (المباركفوري)	160
عابد الجابري	119
عبد الرحمن السيوطي	67
عبد الرحمن حسن حبنكة (الميداني)	90

عبد القادر ملا حويش	119
عبد الكريم بن هوازن (القشيري)	146
عبد الله بن المبارك	238
عتبة بن ربيعة	46
عدنان	04
عزة دروزة	119
عمرو بن عامر الخزاعي	13
ليلى الأخيلية	389
ماردروس	403
محمد أحمد السقا (الغزالي)	57
محمد بن أحمد (الأبشيهي)	319
محمد بن عبد الله دراز	91
محمد عبد العظيم الزرقاني	61
مناع القطان	134
يعرب بن قحطان	01

ح- فهرس الأقوام

القوم	الصفحة
الأنباط	12
الأوس	10
بنو النضير	27
بنو قريظة	27
بنو قينقاع	27
جرهم	07
خزاعة	07
الخزرج	10
الزرادشتية	15
الصابئة	15
عضل	202
قريش	07

خ- فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
خيبر	11
الكعبة	08
مكة المكرمة	07
نجران	28
يثرب	10

د- فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (برواية ورش عن نافع).

أولا: الكتب المطبوعة

01- ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة: عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

02- آثار محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

03- أثر القراءات القرآنية في اختلاف الأحكام الفقهية، خير الدين سيب، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 1428هـ/2007م.

04- أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط.دت)،ج1،

05- أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق : يوسف أحمد البكري و شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم ،بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

06- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط2، 1414هـ /1994م.

07- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،بطرس البستاني، ،دار نظير عبود،توزيع دار الجيل،بيروت،لبنان،(د.ط)،1997م.

08- أسرار ترتيب القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، (دط.دت).

09- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، يوسف بن سليمان بن عيسى، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د.ط)،2007م.

10- إصلاح المنطق لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ،دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949م.

11- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، (د.ط)، 1990م.

12- أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي مع منتخبات اختارها عبد المنعم صالح العزي، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، باتنة، الجزائر،(دط.دت).

13- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (الشنقيطي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)،1415ه/1995م.

14- أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1401ه/1981م.

15- أطلس التاريخ العربي الإسلامي شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط12، 1425ه/2005م.

16- أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة (أماكن،أقوام)،شوقي أبو خليل،دار الفكر،دمشق، سورية،ط4، 1426ه/2005م.

17- أطلس السيرة النبوية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سورية، ط4، 1425ه /2005م.

18- أطلس القرآن (أماكن،أقوام، أعلام)، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1، 1420ه /2000م.

19- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ/2005م.

20- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر،دار المعارف، القاهرة،(دط.دت).

21- إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1990م.

22- الإبهاج في شرح المنهاج(شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول) للقاضي البيضاوي، شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، دراسة وتحقيق: نور الدين عبد الجبار صغيري و أحمد جمال الزمزمي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، سلسلة الدراسات الأصولية(17)،دبي، ط1424،1هـ/2004م.

23- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط.دت).

24- الأحكام الشرعية الكبرى، أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، سنة النشر 1422هـ/2001م.

25- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ-1999م.

26- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ/1989م.

27- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

28- الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك الأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط3، (د.ت).

29- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، محمد أحمد يوسف القاسم،دار المطبوعات الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 1979م.

30- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986م.

31- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.

32- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

33- الأم، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1393هـ.

34- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل القالي البغدادي،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1978م.

35- الإنسان العربي والتاريخ، أنور الرفاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1971م.

36- الإيمان أولا (فكيف نبدأ به)، مجدي الهلالي، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429هـ/ 2008م.

37- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1423،2هـ/ 2002م.

38- البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط3، 1400هـ/1980م.

39- البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م.

40- التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار البعث، قسنطينة، نشر وتوزيع مكتبة رحاب، الجزائر، ط3، 1407هـ/1986م.

41- التحرير والتنوير ،الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط)، 1997م.

42- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

43- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1399هـ/1979م.

44- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الجيل، بيروت، (دط.دت).

45- التشريع والفقه في الإسلام(تاريخا ومنهجا)، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1406ه/ 1985م.

46- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

47- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991م، طبعة معادة: 1418هـ/1998م.

48- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، بإشراف الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، سنة1431هـ/2010م.

49- التفكير الفلسفي، عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)،1402هـ /1982م.

50- التوحيد، عبد المجيد عزيز الزنداني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط3، 1412هـ/1991م.

51- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ/ 1980م.

52- الجامع في أسباب النزول، جمع وترتيب وتحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، خرج أحاديثه: موفق منصور، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ /2011م.

53- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 1417هـ/1996م.

54- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار عالم الكتب، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، 1423هـ /2003م.

55- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم ، بيروت،ط2، 1423هـ/2002م.

56- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت).

57- الجوانب العقدية في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م.

58- الحرب النفسية من منظور إسلامي، أحمد نوفل، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط)، 1987م.

59- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، شركة الشهاب، الجزائر، (دط.دت).

60- الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م.

61- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر، بيروت، (د.ط) ، 1993م.

62- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1978م.

63- الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية)، صفي الرحمان المباركفوري، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.

64- الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب، البليدة، ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر،(د.ط)، 1989م.

65- الزهد، داود السجستاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، وقدم له وراجعه: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة، حلوان، مصر، ط1، 1414هـ/1993م.

66- السّحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت).

67- السّلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/2002م.

68- السنن الصغير، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، نشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، ط1، 1410هـ/1989م.

69- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ط)، 1414هـ/1994م.

70- السنن الكبرى، الإمام النسائي، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

71- السنن، ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي وفيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، (باب العقوبات)، رقم: 4019.

72- السنن، أبو الحسن علي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ/2004م.

73- السنن، أبو عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م.

74- السنن، سعيد بن منصور الخراساني في ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط1، 1403هـ/1982م.

75- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1400هـ/ 1980م.

76- السيرة النبوية (دروس وعبر)، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق، (دط.دت).

77- السيرة النبوية ، علي محمد محمد الصلابي، دار الفجر للتراث، مصر، ط1، 2003.

78- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت، (د.ط)،1411هـ.

79- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)، قدم له الشيخ حسن تميم،راجعه وأعد فهارسه محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم،بيروت،ط3، 1407هـ/1987م.

80- الشوقيات (السياسة والتاريخ والاجتماع)، أحمد شوقي، مطبعة مصر، (دط.دت).

81- الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

82- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م.

83- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

84- العالمية ورسالة الحضارة والثقافة في فكر مالك بن نبي، عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، ط1، ربيع الأول 1426هـ/أفريل 2005م.

85- العبودية، عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7، 1426هـ/2005م.

86- العقائد ،حسن البنا، ،دار الشهاب،باتنة ،الجزائر،(د.ط).

87- العقيدة الإسلامية بين السلف والسلفية، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م.

88- العقيدة في الله عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب، البليدة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1989م.

89- العلاقات الدولية في الإسلام (مقارنة بالقانون الدولي)، وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1417هـ/1997م.

90- الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.

91- الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، دار القرآن الكريم، بيروت، (د.ط)، 1398هـ/1987م،

92- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، حققه وضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (دط.دت).

93- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحي المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م.

94- القراءات القرآنية: (نشأتها-أقسامها-حجيتها)، خير الدين سيب، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2005م.

95- القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1973م.

96- الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت).

97- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.

98- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،دار المعرفة،بيروت، (دط.دت).

99- الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.

100- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري ومسلم)، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، أعد فهارسه: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1426هـ/ 2005م،.

101- الله (كتاب في نشأة العقيدة الإلهية)، عباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت).

102- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1401هـ/1981م.

103- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1421،3هـ/ 2000م.

104- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.

105- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، دار الأصالة، الجزائر،ط1، 2010م.

106- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (دط.دت).

107- المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، بيروت،(د.ط)، 1414هـ/ 1994م.

108- المعجم الصغير(الروض الداني)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م.

109- المعجم العربي الأساسي، تأليف وإعداد مجموعة من كبار اللغويين العرب، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989م.

110- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل،العراق، ط2 ، 1404هـ / 1983م.

111- المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، مروان العطية(الملحق بالمصاحف الشريفة).

112- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، صبحي عبد الرؤوف عصر، طبع بدار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (دط.دت).

113- المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض،(د.ط)، 1415هـ/1995م.

114- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط4، 1422هـ /2001م.

115- المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون،دار المعارف بمصر، ط4، (دت).

116- المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ط)،2007م.

117- الموجز في التاريخ العربي، جمال هاشم الذويب، محمد حسين الزبيدي، دار الكتب الوطنية، بني غازي، ليبيا، (د.ط)، 1997م.

118- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م.

119- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، دار السلاسل، الكويت، 1404هـ/1984م.

120- الموطأ، الإمام مالك، (رواية: يحي الليثي)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (دط.دت).

121- الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1408ه /1988م.

122- النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، دار الهدى ،عين مليلة، (د.ط.ت)، الجزائر.

123- النص والخطاب(قراءة في علوم القرآن)، تقديم صلاح رزق، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430ه-2009م.

124- الوافي في الفقه المالكي بالأدلة، أحمد بوساق، دار البصائر، الجزائر، ط1، 1430ه /2009م.

125- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422ه/2002م.

126- الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، هاشم يحي الملاح،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

127- أيسر التفاسير لكلام الله العلي الكبير، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416ه-1995م.

128- بينات الحل الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1989م.

129- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (دط.دت).

130- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1407،1هـ/1987م.

131- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، دار الأندلس، بيروت، ط7، 1964م.

132- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ/ 1952م.

133- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1998م.

134- تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، طبع المعهد العالي للدراسات الإسلامية، مصر، (د.ط)، 1427هـ/2007م.

135- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1995م.

136- تأملات قرآنية (بحث منهجي في علوم القرآن الكريم)، موسى إبراهيم الإبراهيم، دار عمار، شركة الشهاب،(دط.دت)، الجزائر.

137- تحريم الربا، الشيخ محمد أبو زهرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1405هـ/1985م.

138- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1414ه/1994م.

139- تدوين الدستور الإسلامي، أبو الأعلى المودودي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1405هـ/1985م.

140- تطبيق الشريعة الإسلامية في ضوء الواقع الفلسطيني، ماهر حامد محمد الحولي، بحث مقدم لورشة عمل، نظمته كلية الشريعة والقانون بالتعاون مع جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية المنعقد يوم الخميس، قاعة جمعية المحاسبين والمراجعين الفلسطينيين شارع الوحدة، غزة، 1430هـ/ 2009م، يوم: 19/نوفمبر/2009م.

141- تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة من كتاب الاجتهاد في الإسلام، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط3، 1406هـ/1986م.

142- تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (دط.دت).

143- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1399هـ/1979م.

144- تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، 1421هـ/2001م.

145- تفسير الشعراوي، متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، طبع أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مصر، 1991م.

146- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

147- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.

148- تفسير القرآن الكريم، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، قدم له: أ.د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، ط1423،1هـ/2002م.

149- تفسير القرآن المرتب(منهج لليسر التربوي)،د.أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1399هـ/1979م.

150- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ /1990م.

151- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، خرج آياته وأحاديثه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.

152- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، الإمام عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.

153- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.

154- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تحقيق : أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م.

155- تهافت الفكر المادي التاريخي(بين النظرية والتطبيق)،محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1973م.

156- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ/ 1980م.

157- تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، مطبعة أمزيان-مكتبة رحاب، الجزائر، (دط.دت).

158- تيسير الكريم المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل و محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1429هـ/2008م، (د.ط).

159- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط1، 1392هـ/1972م.

160- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

161- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت).

162- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط1، 1900م.

163- حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، دار الجيل، بيروت، (دط.دت).

164- حديث الاثنين للشيخ محمد الغزالي التي سجلها للإذاعة والتلفزيون الجزائري، إعداد: الأستاذ عبد القادر نور، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، ط1، 2011م.

165- حصاد قلم، محمد عبد الله دراز، جمع وإعداد وتحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، مراجعة وتقديم: عبد الستار فتح الله السعيد، دار القلم، الكويت، ط1، 1424هـ-2004م.

166- حكم الاشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام ،إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م.

167- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني في ، نشر دار السعادة بجوار محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م.

168- خصائص المجتمع الإسلامي، محمد عبد الله الخطيب، دار الصديقية، الجزائر، (دط.دت).

169- خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، إعداد: قطب عبد الحميد قطب، مراجعة: محمد عاشور، مكتبة رحاب، الجزائر،ط1، 1408هـ/1988م.

170- خلق المسلم،محمد الغزالي، مكتبة رحاب، الجزائر، ط15، 1408هـ/1987م.

171- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط4، 1983م.

172- دراسة أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط4، 1392هـ/1973م.

173- ديوان الإمام الشافعي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998م.

174- ديوان الخنساء، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت).

175- ديوان السموأل، دار صادر ، بيروت، لبنان، (دط.دت).

176- ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.

177- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط.دت).

178- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، (دط.دت)، ص97.

179- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

180- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002م.

181- ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1979م.

182- ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1998م.

183- ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

184- ديوان عنترة بن شداد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2003م.

185- ديوان معن بن أوس المزني، صنعه: نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، (د.ط)، 1977م.

186- رسالة التوحيد، الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ.

187- رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، تهذيب: سعد بن عبد الرحمن الحصين، دار نور الكتاب للاستيراد والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م.

188- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط.دت).

189- رياض الصالحين، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، قدم له وراجعه: الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دط.دت).

190- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج1.

191- زاد المعاد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ/1984م.

192- زهرة الآداب وثمرة الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

193- سلسلة أخبار العرب (حال العرب)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م.

194- سلسلة أخبار العرب (عفاف العرب)، حسن مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م.

195- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ/ 1992م.

196- سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط.دت).

197- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (الخليفة الزاهد)، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتعليق السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2003م.

198- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق : د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، 1402هـ.

199- شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

200- شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له: راجي الأسمر، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.

201- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2002م.

202- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط1، 1984.

203- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1408هـ/1987م.

204- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

205- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423 هـ/2003م.

206- صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، .تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق ، ط1987،1م.

207- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1414،2هـ/1993م.

208- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ/1970م.

209- صحيح البخاري ، مراجعة وضبط وفهرسة: الشيخ محمد علي القطب و هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

210- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط5،(د.ت).

211- صيد الخاطر، عبد الرحمن بن الجوزي، ضبط وتحقيق محمد الغزالي، مكتبة رحاب، مطبعة أمزيان، (د.ط)، 1988م، الجزائر.

212- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ط)، 1405هـ/1985م.

213- عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1397هـ/1979م.

214- علم القراءات، منصور كافي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2008م.

215- عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1398م /1978م.

216- غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية، (د.ط)، 1414هـ/1993م.

217- غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة،خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم، تحقيق: عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت ، 1407هـ/1987م.

218- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379هـ/1959م.

219- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ،راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ/1995م.

220- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.

221- فضائل الصحابة، أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1405هـ/1985م.

222- فقه السنة، سيد سابق، دار الجيل، نشر الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط10، 1414هـ /1993م.

223- فقه السيرة، محمد الغزالي، تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، ط7، 1998م.

224- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م.

225- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، (دط.دت).

226- في ظلال القرآن في الميزان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب، الجزائر، ط1، 1406ه/1986م.

227- في ظلال القرآن،سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط11، 1405هـ/1985م.

228- قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، راغب السرجاني، دار الأريب، بيروت، (د.ط.ت).

229- قصص الأنبياء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، علق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه: أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م.

230- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سورية، ط2، 1425هـ/2004م.

231- كتاب أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1981م.

232- كتاب الأذكار، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، مكتبة النهضة الجزائرية، طبع شركة سيراقرافيك، الرويبة، (د.ط)، 1994م.

233- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ/1996م.

234- كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، أبو الحسن المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت،(د.ط)، 1412هـ/1992م.

235- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1401،5هـ/1981م.

236- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد تامر، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، مصر، ط2، 1425هـ/2004م.

237- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط1،(د.ت).

238- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، الملك محمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1985/1405.

239- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ،موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: هاني الحاج، دار الإمام مالك للكتاب، باب الوادي، الجزائر، ط1، 1425هـ/2004م.

240- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة رحاب، الجزائر، ط10، 1408هـ/1987م.

241- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، ديسمبر، 1985م.

242- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.

243- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11، 2000م.

244- مجالس شهر رمضان، الشيخ العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط4، 1408هـ/ 1988م.

245- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط5، 1985م.

246- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط.دت).

247- محاضرات في تاريخ التشريع، محمد مقبول حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 1994م.

248- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/2000م.

249- محمد ﷺ الخليفة الطبيعي للمسيح عليه السلام،أحمد ديدات، ترجمة: يوسف بغول، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1991م.

250- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، قصر الكتاب، البليدة، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط)،1411هـ/1990م.

251- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393هـ/ 1973م.

252- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسين بن علي المسعودي، دار موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1989م.

253- مسائل العقيدة ودلالتها بين البرهنة القرآنية والاستدلال الكلامي، السيد رزق الحجر، دار الثقافة للتوزيع والنشر، القاهرة، 1410هـ/1990م.

254- مسند أبي يعلى الموصلي في ، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404ه/1984م.

255- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (دط.دت).

256- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420ه/1999م.

257- مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407م/ 1986ه.

258- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، إشراف وتقديم: عمر مسقاوي، ترجمة: بسام بركة و أحمد شعبو، دار الوعي، الرويبة، الجزائر، ط11، 1433ه/2012م.

259- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط2، 1403ه/1983م.

260- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410ه/ 1990م.

261- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، السعودية، ط4، 1417 ه/1997م.

262- معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي، إعداد: أحمد زين، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ط)، 1990م.

263- معجم مواضيع القرآن الكريم للأستاذ فايز كامل وبإشراف علي أبو الخير(الملحق بالمصاحف الشريفة).

264- مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

265- مقاصد القرآن الكريم، حسن البنا، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، (د.ط)، 1988م.

266- مقدمتان في علوم القرآن، وهما: مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية، نشرهما من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحهما وطبعهما: المستشرق أرثر جفري، نشر مكتبة الخانجي، مصر، 1954م.

267- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403ه-1983م.

268- من أروع ما قال المتنبي، إميل ناصيف، دار الجيل، دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط.دت).

269- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، المستشار عبد الله عقيل سليمان العقيل، تقديم: بدر محمد بدر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2002م.

270- من توجيهات الإسلام، محمود شلتوت، دار الشروق، بيروت، ط7، 1403هـ/1983م.

271- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط3، 1367هـ/1947م.

272- منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.

273- منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (دط.دت).

274- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط.دت).

275- موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.

276- مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين)، فهمي هويدي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

277- ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الوعي، رويبة، الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م.

278- نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بيروت، (دط.دت).

279- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم،محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط9، 1427هـ/2007م.

280- نصب الراية (تخريج أحاديث الهداية) ، العلامة جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

281- نظام الإسلام (الحكم والدولة)، محمد المبارك، دار الفكر، ط4، 1401هـ-1981م.

282- نظريات في الفقه الجنائي الإسلامي(دراسة فقهية مقارنة)، أحمد فتحي بهنسي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1406هـ/1986م.

283- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1415هـ/1995م.

284- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ/ 2004م.

285- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الخضري، تحقيق: هيثم هلال، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

286- هذا هو الإسلام فأين المسلمون، إبراهيم حقي، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2003م.

287- وحي القلم، ضبطه: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط.ت).

288- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار بولاق، مصر، ط2، 1972م.

ثانيا: الرسائل الجامعية

01- السّلوك الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الطالب: عماد محمد فارس أبوكرش، إشراف الدكتور: جمال محمود محمد الهوبي، الجامعة الإسلامية، عمادة الدراسات العليا،كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، غزة، 1430هـ/2009م.

02- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم (أغراض وأسرار)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراة، إعداد الطالب: مصطفى شريقن، تحت إشراف: أ.د.عبد الكريم بكري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والآداب والفنون،جامعة وهران، السنة الجامعية: 2009-2010م.

ثالثا: المجلات والدوريات

01- أصل الكتابة العربية ودور القرآن الكريم في الارتقاء بها (دراسة فنية تاريخية)، محمد بن عزوزي، مجلة الدراسات الإسلامية، مجلة دورية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية، يصدرها قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، مطبعة الآفاق،غرداية، الجزائر، ع03، سبتمبر 2013م.

02- الإسلام وتشكيل عقلية الأمة، أنور الجندي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع316، ذو القعدة/ذو الحجة1412هـ، جوان1992م.

03- الاعتزاز باللغة العربية أساس للنهوض بها، محمد مكي الحسني الجزائري، مجلة الآداب واللغات، تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ع07، فيفري 2011م.

04- الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها، أنور الجندي، محاضرات أعلام الفكر الإسلامي، ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرون، منشورات المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر.

05- التأصيل اللغوي والشرعي للمصالحة، مصطفى بن حبيب شريقن، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي، غرداية، الجزائر، ع11، رجب 1432هـ/جوان 2011م.

06- التربية المتكاملة في المنظور القرآني عبد القادر فضيل، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم، 1423هـ/2002م.

07- الحوار من المنظور الإسلامي، محمد إبراهيم السامرائي، مجلة الصراط، س3، ع6، رجب 1423هـ/سبتمبر2002م.

08- الزكاة من منظور اقتصادي، عبد المجيد قدي، مجلة كلية أصول الدين للبحوث والدراسات الإسلامية،كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، س1،ع1، جمادى الثانية 1420هـ/سبتمبر1999م.

09- الغزو الثقافي في المجال التاريخي، كتاب الأصالة (محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي)، عبد الحليم عويس، بجاية، الجزائر، 1405هـ/1985م.

10- المجتمع المسلم، نسيب أرزقي، مجلة الصراط،كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، س4، ع7، ربيع الثاني 1424هـ/جوان2003م.

11- المغرب العربي في نطاق وحدة الثقافة الإسلامية، عبد المجيد النجار، (التاريخ والمصير)، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ع2، ذو الحجة1413 هـ/جوان1993م.

12- بين العامية والفصحى، مادن سهام، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية بالجزائر، س5، ع10، ذو القعدة 1425هـ/ديسمبر 2004م.

13- ترتيب نزول القرآن، محمد علي الحسن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية، ع16، 1419هـ.

14- ترسيخ العقيدة بالقصص القرآني(سورة هود نموذجا)، أحمد رحماني، أعمال الأسبوع الوطني الثاني للقرآن الكريم، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1423هـ/2002م.

15- دور التفسير الشفهي في الإصلاح- تحليل في ضوء نظرية العقل الفاعل والعقل السائد،أحمد رحماني، مجلة الصراط، كلية أصول الدين، الجزائر، س2، ع4، محرم1422هـ، مارس2001م.

16- دور التنشئة الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد، مسعودة خنونة-بيطام، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع21، جوان2004م.

17- فشل الرأسمالية: الاقتصاد الإسلامي سبيل النجاة من الأزمة المالية، ميسم الصغير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سيدي بلعباس، مجلة الدراسات الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ع1، ماي 2012م.

18- ملامح التجديد في الفكر الصوفي، جمال أحمد بشير بادي، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، س6، ع22، خريف 1421هـ/2000م.

19- منهجية التواصل الحضاري من منظور الفكر الباديسي، محمد بن سمينة، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، س3، ع6، 1423هـ/2002م.

20- مهدّدات الأمن، دهيمي لخضر، مجلة كلية أصول الدين للبحوث والدراسات الإسلامية المقارنة، جامعة الجزائر، س2، ع3، جمادى الآخرة 1421هـ/2000.

ذ- فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

كلمة شكر

المقدمة..... **أ – د**

الفصل التمهيدي: ملامح المجتمع العربي في العصر الجاهلي

(المعتقد والسلوك)

المبحث الأول: الجذور التاريخية للعرب..... 01

المطلب الأول: أصل العرب وموطنهم..... 01

أولا: معنى كلمة (عرب)..... 01

ثانيا: أصل العرب..... 02

ثالثا: موطن العرب..... 02

المطلب الثاني: طبقات العرب..... 04

أولا: العرب البائدة..... 04

ثانيا: العرب العاربة..... 04

ثالثا: العرب المستعربة..... 04

المطلب الثالث: مدن و ممالك العرب..... 06

أولا: مملكة الأنباط..... 06
ثانيا: مملكة تدمر..... 06
ثالثا: دولة المناذرة..... 06
رابعا: دولة الغساسنة..... 06
خامسا: دولة كندة..... 06
سادسا: مكة المكرمة..... 07
الكعبة: (البيت الحرام)..... 08
سابعا: يثرب(المدينة المنورة: مهاجر النبي الأعظم محمد ﷺ).....10
المطلب الرابع: اللغة العربية و الخط العربي..... 11
المبحث الثاني: الدين في حياة العرب.....
13
المطلب الأول: كيف انحرف العرب عن دين إبراهيم عليه السلام؟..... 13
أولا: أشهر الأصنام المعبودة عند العرب..... 16
ثانيا: أوثان أقل شأنا..... 17
المطلب الثاني: الديانات السماوية و نصيب العرب منها..... 18
أولا: الحنيفية الإبراهيمية..... 18
ثانيا: اليهودية..... 27
ثالثا: النصرانية..... 28
المبحث الثالث: السّلوك الاجتماعي للعرب في العصر الجاهلي..... 30
المطلب الأول: التعصب القبلي..... 31
المطلب الثاني: أخلاق العرب..... 38

المطلب الثالث:وضع المرأة بين الإنصاف و الإجحاف..... 45
المطلب الرابع: النظام الأسري..... 49

الفصل الأوّل: القرآن الكريم وترتيبه

مدخل عام: (تعريف بالقرآن الكريم وعلومه) 53
أولا: تعريف القرآن..... 53
ثانيا: أسماء السور الكريمة وعلاقتها بالمضمون..... 54
ثالثا: مباحث ومحاور القرآن الكريم..... 55
رابعا: أسماء القرآن واشتقاقاتها..... 59
خامسا: أقسام القرآن..... 60
سادسا: أثر الوحي في تهذيب السلوك..... 62
سابعا: جمع القرآن وتدوينه..... 63
ثامنا: عناية المسلمين بالرسم القرآني..... 69
تاسعا: الأحرف السبعة وأثرها في اختلاف القراءات القرآنية..... 71
عاشرا: أول ما نزل وآخر ما نزل..... 74
حادي عشر: السور القرآنية التي نزلت جملة واحدة..... 79
ثاني عشر: فضل القرآن على اللغة العربية..... 81

المبحث الأول: الترتيب المصحفي وخصائصه..... 84

المطلب الأول: ترتيب السور والآيات القرآنية توقيفي..... 84

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية..... 90

المطلب الثالث:أثر التناسب والتناسق في القرآن الكريم.....
94

- **نماذج من التناسب والتناسق في القرآن**..... 99

أولا: التناسب بين السور..... 99

ثانيا: التناسب بين الآيات..... 105

المطلب الرابع: مواضع الآيات في السور..... 107

النموذج الأول: آية مكية في سورة مدنية..... 108

النموذج الثاني: آية مدنية في سورة مكية..... 110

المبحث الثاني: خصائص ترتيب النزول وفوائده..... 113

المطلب الأول: بيئة التنزل الكريم.....113

المطلب الثاني: تفسير القرآن حسب ترتيب النزول وأهميته.....
118

المطلب الثالث: أثر القرآن المكي والمدني في العقيدة
والسلوك.....123

أولا: تعريف المكي والمدني.....123

ثانيا: خصائص ومميزات المكي و المدني..... 125
ثالثا: طريقة معرفة المكي والمدني 129
رابعا: فوائد معرفة المكي والمدني..... 131
المطلب الرابع: تنجيم القرآن والحكمة منه..... 135

الفصل الثاني: البناء العقائدي حسب ترتيب النزول

استهلال..... 138
المبحث الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وخصائصها..... 143
المطلب الأول: مفهوم العقيدة..... 143
أولا: العقيدة في اللغة..... 143
ثانيا: العقيدة اصطلاحا..... 144
المطلب الثاني: أركان العقيدة..... 145
المطلب الثالث: حاجتنا إلى العقيدة..... 146
المطلب الرابع: أبرز الخصائص العقدية..... 147
أولا: الربانية..... 147
ثانيا: الوسطية..... 148
ثالثا: الوضوح..... 149
رابعا: الشمول..... 149

خامسا: الواقعية..... 150

المبحث الثاني: عناصر البناء العقائدي.....151

المطلب الأول: مع أول الغيث الرباني..... 151

أولا: الحث على طلب العلم..... 152

ثانيا: الصلاة زاد المؤمن..... 155

ثالثا: مبادئ وآداب الدعوة والداعية..... 158

رابعا: ظلم ذوي القربى وأثره في مسيرة الدعوة ونفسية الداعية..... 161

المطلب الثاني: أصول العقيدة الإسلامية..... 165

أولا: الإيمان بالغيب..... 166

ثانيا: الغيب النفسي..... 169

ثالثا: أركان الإيمان..... 173

المطلب الثالث: الشعائر والمناسك..... 221

أولا: الطهارة..... 223

ثانيا: مكانة المساجد وحرمتها..... 235

المسجد الحرام مهوى الأفئدة..... 240

ثالثا: الزكاة أساس التكافل الاجتماعي..... 242

رابعا: الصوم مدرسة لتربية الضمير..... 246

خامسا: النذور والكفارات..... 248

سادسا: الحج مؤتمر جامع..... 249

المطلب الرابع:أثر التربية بالقصص القرآني في توجيه السلوك الحضاري..... 252

أولا: نماذج من القصص المكي..... 255

ثانيا: نموذجان من القصص المدني..... 259

الفصل الثالث: مظاهر السّلوك الحضاري حسب ترتيب النزول

استهلال..... 261

المبحث الأول: مفهوم السّلوك الحضاري وعلاقته بالعقيدة..... 262

المطلب الأول: مفهوم السّلوك الحضاري..... 262

أولا: معنى السّلوك..... 262

ثانيا: معنى الحضارة..... 263

المطلب الثاني: علاقة العقيدة بالسّلوك (الإيمان والعمل) 264

- **الكافر لا ينفعه عمله الصالح**..... 269
- **أثر العقيدة في السّلوك**..... 270

المبحث الثاني: مظاهر السّلوك الحضاري..... 274

المطلب الأول: القيم الفكرية والثقافية..... 274

أولا: تمجيد العلم والعلماء..... 275

ثانيا: الفنون..... 280

ثالثا: التقويم والحساب..... 280

المطلب الثاني: القيم الخلقية.....
281

أولا: الأخلاق الحميدة..... 285

ثانيا: الأخلاق الذميمة..... 295

المطلب الثالث: القيم الإنسانية والاجتماعية..... 300

أولا: مظاهر التكريم الإنساني..... 303

ثانيا: أحكام تتعلق بالأسرة..... 309

ثالثا: صلة الأرحام..... 315

رابعا: تحريم التقليد الأعمى..... 316

خامسا: رعاية حقوق الجوار..... 317

سادسا: قوّة الأخوّة وصدق المحبّة..... 319

سابعا: العفّة والطّهر..... 323

المطلب الرابع: التّنمية الاقتصادية..... 325

أولا: الحثّ على العمل والكسب..... 326

ثانيا: المال عصب الاقتصاد..... 327

ثالثا: البنيان والعمران..... 332

المطلب الخامس: الحكم

والتشريع.....333

أولا: فلسفة الحكم في الإسلام..... 334

ثانيا: أثر نظام العقوبات في تقويم السلوك الحضاري..... 343

ثالثا: التدرّج في التشريع..... 351

المطلب السادس: التّوجيه السياسي والعسكري..... 358

أولا: ثقافة السّلم والمصالحة وأثرها في ترشيد السلوك الإنساني..... 359

ثانيا: الجهاد لرفع الظلم ورد العدوان..... 362

*** صور من العزّة والثّبات في حياة الصّحابة**..... 366

المطلب السابع: القيم الإعلامية والتّواصلية..... 371

أولا: التّعارف الإنساني مبدأ قرآني..... 371

ثانيا: قواعد وضوابط في التواصل..... 374

ثالثا: الإعجاز البياني والعلمي وسيلتنا إلى التواصل الحضاري..... 384

خاتمة:.....409

الملاحق:

أولا: محاور السّور القرآنية (مرتّبة حسب نزولها الكريم).....412

ثانيا: الآيات المدنيّة في السّور المكيّة (حسب ترتيب نزول السّور الكريمة) 427

ثالثا: الآيات المكيّة في السّور المدنيّة (حسب ترتيب نزول السّور الكريمة) 440

رابعا: السّور المكيّة وترتيبها بحسب النزول.....442

خامسا: السّور المدنيّة وترتيبها بحسب النزول..... 448

الفهارس العامة:

أ- فهرس الآيات الكريمة (حسب ترتيب النزول) 450

ب- فهرس الأحاديث الشريفة..... 480

ت- فهرس الشّعر.....492

ث- فهرس الكلمات المشروحة.....507

ج- فهرس الأعلام.....509

ح- فهرس الأقوام.....511

خ-فهرس الأماكن.....512

د- فهرس المصادر والمراجع.....513

ذ- فهرس الموضوعات.....550

الملخص:

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، نزل مفرّقا، لمناسبة ولغير مناسبة، طيلة الفترتين: المكية والمدنية، يبني عقيدة الأمّة المسلمة، ويقوّم سلوكاتها، وكان لنظمه المتناسب المتناسق، ولنزوله المرتّب حكمة لذوي الألباب، وإعجازا وتحديا للعالمين.

الكلمات المفتاحية: القرآن، ترتيب، النزول، العقيدة، السلوك، الحضارة، التناسب، الإعجاز.

Résumé:

Le Saint Coran est la parole de Dieu. Il a été révélé par intermittence, pour des occasions bien manifestes ou pour des raisons inconnues, à travers deux phases : mecquoise et médinoise. Le Coran façonne la croyance des Musulmans et redresse leur comportement. L'agencement concordant et cohérent des versets coraniques est indéniablement unique et inimitable, et il constitue une sagesse pour ceux qui sont doués de la perspicacité et un défi lancé à l'humanité toute entière.

Mots-clés :

Coran, agencement, révélation, croyance, comportement, civilisation, cohérence, défi.

Abstract:

The Holy Quran is the Word of Allah sent down intermittently, for well-known reasons or for no special circumstances, through two periods : Medinan and Meccan. It shapes the belief of the Muslims and corrects their moral behaviour. In fact, the coherent and cohesive arrangement of the verses of the Quran represents a divine wisdom that could be grasped only by perspicacious people and a challenge launched to all humankind.

Key-words : Quran, arrangement, revelation, belief, behaviour, civilisation, cohesion, challenge

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

ملخص

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية (تخصص: العقيدة)

بعنوان:

أثر ترتيب نزول القرآن الكريم في البناء العقائدي والسّلوك الحضاري للأمّة الإسلاميّة

إعداد الطالب:
علي عدلاوي

إشراف:
أ. د: خير الدين سيب

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، أنزله سبحانه وتعالى كاملا (من الفاتحة إلى النّاس) من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السّماء الدنيا، ثم نزل مفرّقا مدّة فاقت العشرين سنة، منها ثلاثة عشر سنة في مكّة المكرّمة، والبقيّة في المدينة المنوّرة: مدة حياته ثم مماته صلى الله عليه وسلم

ولقد كان من لطف الله تعالى ورحمته بالعرب–خصوصا– وبالعالم عموما أن أنزل هذا القرآن العظيم، وأرسل هذا النبيّ الكريم: هداية ورحمة للعالمين، بلاغا وشهادة على الثقلين: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، الأنبياء/107.(مكّيّة، ترتيبها النزولي:73، والمصحفي:21).

ومن حكمته عزّوجل أنه نزّل هذا الكتاب الكريم منجّما ومفرّقا، حسب الأحداث والوقائع، وربّما نزّله لغير سبب أو مناسبة، ليبني به عقيدة المسلمين، ويقوّم سلوكاتهم، ويرشد الضالّين، ويحاجج المكذّبين والملحدين، ويجادل أهل الكتاب الذين غيّروا وبدّلوا دينهم، ويتحدى ويُعجِزَ به العالمين عربا وعجما (بيانيّا وعلمياّ).

ولقد كنتُ منذ زمن الطفولة والطلَب أتساءل بعجب: ما سرّ نزول القرآن الكريم مفرّقا، وما حكمة نزول هذه السورة أو الآيات قبل تلك..كلّ ذلك من نسختي المعتمدة في هذه الرّسالة (وهي مصحف رودوسي قدور بن مراد التّركي رحمه الله تعالى)، والتي كانت هي الرّائجة والسّائدة في بلدنا الجزائر خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات عموما.

ففي سورة الفاتحة – مثلا – وهي أوّل سورة كريمة في المصحف الشريف نجد عبارة: "سورة الفاتحة مكّيّة وآياتها سبع، نزلت بعد المدثّر"، رغم أنّها الخامسة نزولا.

وفي سورة العلق– وهي الأولى نزولا – نجد عبارة: "سورة العلق مكّيّة وآياتها 19 وهي أوّل ما نزل من القرآن"، ذلك على الرغم من أنها رقم 96 في كتاب الله تعالى.

وهذه الأرقام، وهذا الترتيب أثار فيّ الدهشة والاستغراب والتساؤل وأنا بعدُ طفل صغير، ثم كبرت معي حيرتي حتى بلغتُ سن الرّشد فعرفت القصّة، ولكنَّ نهمي لمعرفة المزيد دفعني للبحث أكثر، فكان: موضوع هذه الرّسالة.

فشمّرت على سواعد البحث، ولكن...

ولكن ما كنت آمُلُه من العثور على(نسخة) من الكتاب العزيز مرتّبة آياته على حسب النزول فلم يتحقّق، سيما بعد أن أكّد لي ذلك فضيلة الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري: أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالرياض ومدير موقع (ملتقى أهل التفسير الرائد) بالعبارة الصريحة الواضحة: "لن تجد هذا في العالم". ولكنّه وجّهني–بارك الله فيه–إلى البحث في ترتيب السور الكريمة المرتبة حسب نزولها الكريم، وهي بحمد الله تعالى موجودة في ثنايا كتب علوم القرآن، ومنها البرهان في علوم القرآن، وفي نسختنا المباركة...رغم الاختلاف اليسير في ذلك.

ثم أحالني–فضيلته– على لون جديد من التفسير، وهو (تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب نزول السور الكريمة)، وقد وجدت الشيخ ملّا حويش ، والشيخ حسن عبد الرحمن حبنكة الميداني من سورية، والدكتور محمد عابد الجابري من المغرب، والدكتور عزة دروزة من فلسطين..، وربما وُجد غيرهم من ألّف في هذا الفن، فعثرت بذلك على بغيتي وتشجعت للبحث في هذا المنحى الجديد، فكانت هاته الرسالة التي لا أزعم أنني وفّيت بها حق هذا الفن، بل إنني –فحسب–فتحت شهيّة البحث فيه.

أما بخصوص عنوان الرسالة فقد كنت ألاحظ وأنا بعد طفل صغير اقتران (الإيمان والعمل الصالح) في عشرات الآيات الكريمة، فكانت العقيدة وكان السّلوك موضوع البحث، ومدى أثرهما في حياة المسلم خصوصا والإنسان عموما: (أثر ترتيب نزول القرآن الكريم في البناء العقائدي والسّلوك الحضاري للأمة الإسلامية).

وقد وردت الرسالة في أربعة فصول: أولها الفصل التمهيدي والذي عنونته بما يلي: (ملامح المجتمع العربي في العصر الجاهلي)، وإنما خصّصت العرب بالبحث باعتبار أنهم أمة الرسالة

الخاتمة، والذين شرّفهم الله تعالى بخير الرسل محمّد عليه أفضل صلاة وأزكى سلام، ومن أجل وضع القارئ الكريم في الإطار الزمانيّ والمكانيّ لموضوع الرسالة.

وقد ركزت على (الدين) في حياة العرب، ليتوافق مع عنوان الرسالة وهو (العقيدة)، و(الأخلاق) في حياة العرب، ليتوافق أيضا مع العنوان وهو (السلوك).

وللأمانة والتّاريخ، فقد وجدت أن العرب كانوا–فعلا–أهلا لرسالة الإسلام العظيمة، لما تميّزوا به من خلال كريمة، واستعداد فطري لاحتضان خاتمة الديانات السّماوية، وقد ذكرت نماذج قليلة عن ذلك نثرا وشعرا.

أما الفصل الأول، فقد جاء عنوانه كالتالي: (القرآن الكريم وترتيبه)، عرّفت–في مدخل عام منه – بالقرآن وبعض علومه، ثم ذكرت خصائص الترتيب المصحفي، مع التركيز على فنّ وعلم المناسبة في نظم القرآن الكريم، بين السور من جهة، والآيات من جهة أخرى، وفي ذلك ثروة عجيبة للمتدبّر، وقد أشرت ونبّهت على ضرورة زيادة البحث في موضوع: (مواضع الآيات في السور)، أي الحكمة من وضع الآيات المدنية في السور المكية، ووضع الآيات المكية في السور المدنية، ففي ذلك أسرار بلاغية وتشريعية وتربوية عجيبة لمن لاحظها، وقد مثّلت لذلك ببعض الأمثلة على قلّتها وبساطتها.

ومن باب (لا يشكر الخالق من لم يشكر المخلوق)، فإنني أتوجّه –من خلالكم وبعد إذنكم– بالشكر الجزيل لجامعة الشارقة وعلى رأسها فضيلة الدكتور محمد مسلم، التي اضطلعت بمشروع كبير وهو (موسوعة التفسير الموضوعي) في عشرة مجلدات، والصادرة طبعتها الأولى عام: 2010م، والتي أفدت منها كثيرا في باب: (التناسب والتناسق في النظم القرآني). كان هذا في المبحث الأول من الفصل الأول، أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه خصائص وفوائد ترتيب النزول، كدراسة نظرية لما سيأتي تفصيله في الفصلين الباقيين، والَّذَّيْنِ ركّزت فيهما على التطبيقات العملية لترتيب النزول من خلال حشد من النصوص القرآنية المرتبة حسب نزول السور الكريمة، وأحيانا حسب ترتيب الآيات الكريمة، التي توفّر لنا ترتيبها، مثل تحريم الربا والزنا والخمر..

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنبّه وأحذّر..وربّما وأنوّه بالمشروع الذي انطلقت فيه جامعة ألمانيا من خلال المستشرقة الألمانية (انجيليكا) وثلة من الباحثين، وفيها أحد الباحثين المسلمين، وهو: (الشروع في جمع نسخة من مصحف مرتّب حسب النزول الكريم)، على حسب رواية لزميل باحث يتردّد على جامعة ألمانيا، والعهدة على الرّاوي كما يقال...وبهذه المناسبة أدعو السادة الباحثين، سيما المتخصصين منهم في علوم القرآن والتاريخ، أن يتعقّبوا هذه الحركة فربّما كانت الغاية منها تشويه القرآن الكريم، ومن يدري؟ فربّما أفاد منها المسلمون، فإنه لو كان هذا البحث مقبولا ومشروعا فسوف يكون فتحا عظيما في باب: (بناء العقيدة وتقويم السلوك من خلال ترتيب النزول)، وهذا ما كنا نؤمّله في بداية البحث.

كما أنني ركّزت على إيراد نصوص كثيرة من الأحاديث الشريفة والأبيات الشّعرية والمواقف العملية الزّكيّة من المشرب الأول خاصة: (وهو مجتمع الصحابة الكرام عليهم الرضوان)، الذين تحقق فيهم –فعلا– مصطلح: (الأمة الإسلامية)...كل ذلك تدعيما وبيانا لما أوردته من النصوص القرآنية الكريمة. فالفصل الثاني المعنون ب: (البناء العقائدي حسب ترتيب النزول) بدأت فيه بذكر خمس سور الأولى، والتي ذكرت بأنها كانت (أوّل الغيث الرباني): وهي العلق والقلم والمزمّل والمدثّر والفاتحة، فكانت فيها عناصر البناء العقائدي، والتي يجب أن يبدأ بها الدعاة والمصلحون في أنفسهم أولا، ثم فيمن يدعونهم بعد ذلك، وتمثلت في العلم: قراءة وكتابة بالقلم، وفي الذّكر والدعوة والصّبر والاستعانة بالقوّيّ العزيز ملك يومَي: الدنيا والدِّين..ثم تواترت النصوص القرآنية الكريمة (مرتبة سورها حسب النزول الكريم): تبني العقيدة في هدوء، وترسم معالم الطريق لأطباء الروح، وهداة البشرية، كخطة ربانية منهجية صالحة لكل زمان ومكان، وقد اجتهدت في اختيار عناوين مناسبة لها تخدمها وتنوّه بشأنها مستعينا بالكريم الرحمن المنّان، مستغفرا إياه تعالى من الزلل والنسيان.

أما الفصل الثالث والأخير فقد عنونته ب: (مظاهر السّلوك الحضاري) من خلال إيراد مجموعة من القيم الحضارية: الفكرية والثقافية ولخلقية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية والسياسية والعسكرية والإعلامية والتواصلية.. وقد انتقيت لها مجموعة من النصوص

القرآنية الكريمة (مرتبة حسب نزول سورها الكريمة)، مع ما يبيّنها ويسندها من الأحاديث الشريفة والمواقف العملية الزكية من الرعيل الأول..

والهدف من متن الرسالة هو استثمار التجربة القرآنية والنبوية الفريدة، التي لم تكن في عالم المثل والتنظير، وإنما تمثّلت في أمة مسلمة أشرفت على قيادة العالم لقرون عدّة: مبلّغة وشاهدة وخيرية...وأيضا للإجابة عن السؤال الإشكال الرئيس وهو: ما مدى إسهام: (ترتيب النزول) في البناء العقائدي والسلوك الحضاري للأمة الإسلامية، ثم ما مدى تأثير ذلك في عالم يموج بالمادية الطافحة، والغفلة عن الدار الآخرة، والصراع القذر من أجل الثروة والسيطرة...ثم ما مدى استثمار الإعجاز البياني والعلمي في التواصل الحضاري مع غير المسلمين، لبناء مجتمع إنساني يسوده العدل والتعاون والخير، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾، سورة الحجرات/13. (مدنيّة، ترتيبها النزولي: 106، والمصحفي: 49). وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾، سورة المائدة/02.(مدنيّة، ترتيبها النزولي:112، والمصحفي:05).

هذا وقد اعتمدت على المنهج التحليلي منهجا رئيسا، مع التوسّل بالمنهج التاريخين وإجراءات المنهج الوصفي.

وفي الختام فقد ذيّلت الرسالة بخاتمة ذكرت فيها أهمّ نتائج البحث وتوصياته، وقد أجملتها في النقاط التالية:

1- القرآن الكريم كلام الله الأزلي، فمهما حاول خصومه النيل منه، بتحريف حرف منه، فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، وهذا يدل على خلود الدين الإسلامي وأمة الإسلام.

2- صلاح الكتاب العزيز لكل زمان ومكان وإنسان، وكما تعبدنا ربنا بتلاوته، فهو يأمرنا بتطبيقه في حياتنا الفردية والجماعية، وفي شتى دروب الحياة: دينية ودنيوية.

3- موافقة الخطاب القرآني للفطرة البشرية،مهما انحرفت عن هديه،وهذا مما يزيد المسلمين المؤمنين به حق الإيمان، ثقة وقوة نفسية لتبليغه إلى العالمين.

4- ما في صريح القرآن رد على الفرق الضالة، ومنهم فرق الشيعة، الذين ينعتون الصحابة رضي الله عنهم بالسوء (عمر وعائشة رضي الله عنهما خصوصا)، وينالون منهم في كتبهم وقنواتهم الفضائية، التي تنتشر اليوم كالنار في الهشيم، وقد بلغ تأثيرها إلى بلاد السنة، ناهيك عن بلاد غير المسلمين.

5- ليس هناك ما يثبت مصحف علي كرم الله وجهه المرتب حسب النزول الكريم، والذي يدعي الشيعة أنهم يملكونه.

6- العمل على استثمار السور والآيات الكريمة، المرتبة حسب النزول، في البناء العقائدي والسلوك الحضاري للمسلمين وغير المسلمين.

7- سوق النماذج العملية في هذه الرسالة كان الغرض منه: (القدوة والاتباع) للجيل الذي طبق القرآن الكريم تصورا وقولا وعملا، فأنشأ بذلك حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا.

8- رغم أن القرآن الكريم نزل لمناسبات وظروف خاصة، إلا أن الاستئناس بترتيبه النزولي في عمليتي البناء العقدي والتأسيس الحضاري لمن باب العمل بالقاعدة الأصولية القائلة: "ليست العبرة بخصوص السبب وإنما بعموم اللفظ".

9- دعوة الباحثين والمشتغلين بعلوم القرآن والتفسير خصوصا، وكل المشتغلين بعلوم الإسلام عموما، إلى العمل على ترتيب القرآن حسب نزول (الآيات الكريمة)، ففي ذلك بركة عظيمة، وزادا كبير للدعاة والمربين والفقهاء والمشرعين.

10- ملاحظة أهمية موضوع(التناسب)في القرآن الكريم، سواء تعلق الأمر بالآيات أو السور الكريمة، وإن جهود السادة الدكاترة والباحثين في جامعة الشارقة – في هذا السياق، والذي أشرنا إليه في ثنايا هذه الرسالة – لمما تذكر وتشكر.

11- ملاحظة أهمية مبحث(التفسير الموضوعي)للسور القرآنية الكريمة، فإن العمل فيه ما زال لم يأخذ حقه.

12- دعوة الباحثين إلى تتبع (الآيات المدنية في السور المكية)و(الآيات المدنية في السور المكية)وملاحظة سر (تموضعها).

13- زيادة الاهتمام بموضوعي (الإعجاز البياني)و (الإعجاز العلمي)في القرآن الكريم والسنة المطهرة، واستثمارهما في عملية الدعوة إلى الله عز وجل، ذلك أن الباحثين الأعاجم والمستشرقين منهم خصوصا إنما يتعلمون العربية على أصولها النحوية واللغوية، وذلك ينفعهم في تذوق البيان القرآني. وبما أنهم أرباب العلم الكوني اليوم وسادته، فهم أقرب الناس إلى وعي وفهم الإشارات العلمية في القرآن والسنة، وذلك أدعى وأرجى في دخولهم دين الإسلام، لا عن تقليد موروث كحال العرب والمسلمين اليوم، وإنما على علم وبصيرة، وقد سجلنا في بحثنا– باهتمام ويقين– أن الإسلام ستكون له عودة من بلاد الغرب.

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر أصحاب الفضيلة السادة الدكاترة: أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين، الذين تفضّلوا بقراءة الرسالة والتعليق عليها، وأخصّ بالذّكر فضيلة الأستاذ الدكتور: خير الدّين سيب، الذي تفضّل بالإشراف والمتابعة ومدّ يد العون، جزاكم الله كلَّكم خيرا، وبارك في حياتكم دنيا وأخرى. كما لا يفوتني أن أشكر جامعة الأغواط التي يسّرت لي سبيل البحث، وجامعة تلمسان التي تفضّلت باحتضان المشروع.

وإن أنس فلا أنس أسرتي الكريمة التي صبرت على لأواء البحث ومنغّصات السّهر. وأيضا أستاذيّ الكريمين –زملاء جامعة الأغوط–: الدكتور نور الدين صغيري، والدكتور مصطفى شريقن شفاه الله تعالى وعافاه، الذّين –يشهد الله– مافتئا ورائي بالدعم والتشجيع حتى تمّ ما تمّ بعونه تعالى وكرمه.

كما إنّني أعتذر عن كل نقص وعيب، وتلكما من شيمة العبد.

والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والله الموفّق والهادي إلى سواء الصّراط.

الطالب الباحث: علي بن عبد العزيز عدلاوي

الأغواط يوم الاثنين: 16جوان2013م.